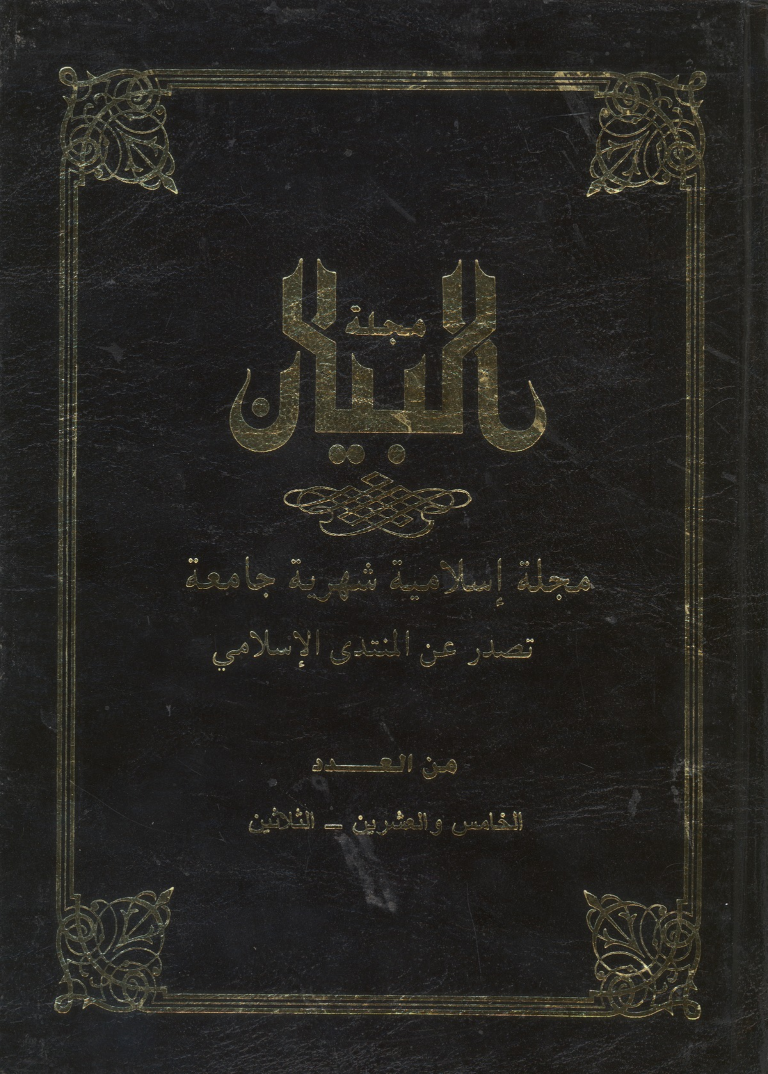
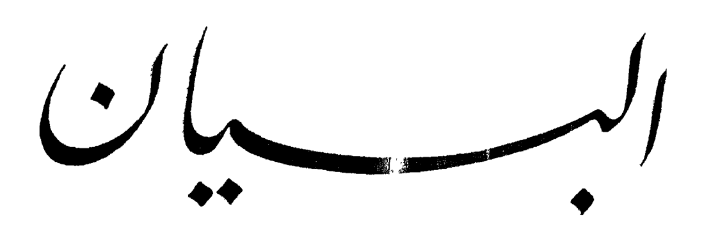


مجلة
البيان
مجلة إسلامية شهرية جامعة
تصدر عن المنتدى الإسلامي
من العدد
الخامس والعشرين ـ الثلاثين



العدد الخامس والعشرون : . ب / ١٤١٠ هـ ـ شباط (فبراير) ١٩٩٠

مجلة إسلامية شهرية جامعة

تصدر عن

المنتدى الإسلامي

لندن

رئيس التحرير

محمـــد العبـــدة

المراسلات والاشتراكات

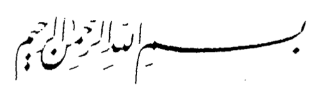
AL-MUNTADA AL-ISLAMI TRUST

7 Bridges Place, Parsons Green

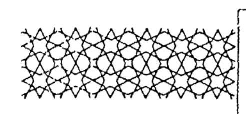
London SW6 4HR U.K.

Tel : 01-731 8145

Fax : 01-736 4255



المحتوى





هل هناك أمل في صلاح حالنا

للإجابة على هذا السؤال لابد أولاً من الإشارة إلى هذه الحال التي نطلب لها الصلاح : هل هي سيئة ومضطربة وتحتاج إلى إصلاح ؟ والجواب : نعم إن حالنا ــ نحن المسلمين ــ قد بلغت من السوء حداً لايرضى عنه مخلص ، ركود وكل شيء من حولنا يتغير ، وجمود وكل مانراه تحت أقدامنا يتحرك ، وعدم مبالاة بعظائم الأمور ، واهتمام بسفسافها ، وفي حين تبدو بوارق أمل هنا وهناك في أنحاء متفرقة من عالمنا الإسلامي ؛ لكن هذه البوارق سرعان ماتنطفىء فكأنها لمعة برق في ظلام متراكم أو سراب بقيعة !

هناك من لايرى أملاً في حاضر ولا مستقبل ، ينظر من حوله فيرى الحياة مسممة ، فساد تضج منه الأرض والسماء ، غش وخداع يقدم بصورة إخلاص وتفانٍ ، وجبن متحكم تقدمه وسائل الإعلام المحترفة على أنه الشجاعة والنخوة ، معارك مختلفة يخرج منها نكرات أبطالاً ، ومعارك حقيقية يُغفل دور مديريها ، محاباة للأقارب والمحاسيب ولو كانوا سِفْلة معتوهين ، وإقصاء للأكفاء الأحرار الذين يعانون الكبت والتجاهل ، أو يدفعون دفعاً لخدمة الأمم الأخرى التي تقف بالمرصاد للمواهب التي لايعرف أهلها لها قيمة . ليل مطبق بظلمات بعضها فوق بعض من أخرج يده فيه لم يكد يراها ..

هذا ماتراه العين ، أما ماغاب عنها فيحتاج إلى مواهب أدبية جبارة لتصفه بصدق وتحيط بخطوطه ودهاليزه .

إن سوء الأحوال الاجتماعية يزداد طرداً بتناقص أثر الدين في المجتمع ، وعلى الرغم من أن المسلم يعتقد أن الله حافظ دينه ، وناصر أولياءه ؛ وأنه لايخلى الأمة من قائم بالحق داع إليه إلا أنه ليس من الحكمة ولا من تمام الوعي أن يتجاهل الهجمة الشرسة التي تشتد على الإسلام يوماً بعد يوم بل ساعة بعد ساعة .

ومع أن الإسلام يكسب كل يوم حجة جديدة ، ويؤيده الله بمؤيدات عديدة ، إلا أن حكمته تعالى اقتضت أن هذا الدين كلما تأكدت حججه وتبلجت أمام الأنظار براهينه ؛ ابتلى الله أتباعه بصنوف جديدة من الابتلاء ، وعرضهم لأساليب من الكيد قد لايكون جربها فيما سبق نمرود إبراهيم وفرعون موسى .

إن أساليب المكر والقهر التي تجرب على دعاة الحق في البلاد الإسلامية إن اختلفت في صورها وأشكالها ، فهي تلتقي مع الأساليب القديمة ـــ التي عومل بها الدعاة إلى الله على مدار القرون ـــ في نتائجها وآثارها . مهما اختلفت الأساليب : بين صلب وقتل وتعذيب ، بين تجويع وتضييق وتنكيل ، بين وضع الصخور على الصدر والظهر في الرمضاء الملتهبة أو بين استعمال الوسائل الحديثة التي تفتقت عنها العقول الشيطانية ، أو تعذيبه عذاباً نفسياً كالإهانة والإذلال واقتحام الخصوصيات وافتراء الفضائح وإلصاقها به ...

لكن النتيجة هي هي : الموت أو النفي أو الجوع أو الإذلال أو الحبس .

ماموقف المسلم من هذا كله ، من اشتداد وطأة التعذيب والمطاردة وافتراء الأكاذيب وتشويه الحقائق وليّ الوقائع ؟ هل يتخلى عن دينه ، وهل يتنازل عن أوليات عقيدته وأساسيات يقينه ابتغاء السلامة ، وإيثاراً للعافية ، وموافقة لدعاة الفتنة ؟!

كلا ، كلا .

إن المسلم سيظل يقرأ القرآن مادام هناك قرآن . وسوف يمر في قراءته على هذه الآيات من سورة العنكبوت ﴿ ألم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن

الكاذبين . أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء مايحكمون . من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم . ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين ﴾ [العنكبوت / ١ ـــ ٦] .

وسوف يظل يتساءل في نفسه :

من هؤلاء الناس ؟

وما الفتنة وكيف تكون ؟

من المؤمن الصحيح ؟ ومن المؤمن الكاذب ؟

من الذين يجترحون السيئات ويحادُّون بها الله ؟

من المجاهد ؟

ثم هل لهذه المصطلحات مقابل في هذه الأزمان ؟

هل هناك أناس يؤمنون إيماناً قولياً وآخرون يؤمنون إيماناً عملياً ؟

هل هناك من يتعرض للفتنة ؟ من هم ، مامواصفاتهم ؟

من الفاتنون ؟ ماحقيقتهم من يمثلهم ؟

هل في الأرض الإسلامية من يحارب الله بالمعصية ويتجرأ على شرع الله بالهزء والسخرية ؟

هذه الآيات ـــ وغيرها كثير في القرآن الكريم ـــ تطرح أسئلة كثيرة تتطلب من المسلم التالي للقرآن أجوبة ، وهذه الأجوبة موجودة سواء عالن بها المسلم أم لم يعالن ، وهي أجوبة ينبني عليها موقف لابد له منه شاء أم أبى .

إن حياة الأمة الإسلامية مرتبطة بهذا القرآن فهماً وتطبيقاً ومواقف ، فإذا حملت الأمة هذا الكتاب بقوة ، وفهمت وقاست واقعها عليه كانت أمة إسلامية حقاً ، وإذا رضيت أن يتلى في المساجد فقط تلاوة لاروح فيها ، أو يحمل للبركة أو يتلى على الأموات فقد فقدت عنصر الحيوية فيها كأمة إسلامية متميزة وانخرم من إسلامها بمقدار ماانخرم من فهمها لما يمثله القرآن في بنائها .

إن المسلم التالي للقرآن لايفقد الأمل أبداً ، يلمح سنة الله في تصارع الحق والباطل ؛ فيعلم أن الباطل مهما تضخم وانتفخ وتجبر لابد أن يذهب مخلفاً وراءه اللعنة عليه وعلى دعاته وحراسه ، وأن الحق هو القاعدة التي بني عليها الكون ،

والباطل هو الشذوذ .

وإن أشد حالات الباطل سوءاً ضرب العبودية على الشعوب والجماعات ، ونصب الأفراد المغتصبين ماليس لهم من صفات وحقوق آلهةً يُسَبَّحُ بحمدها بكرة وعشياً ، وجعلها مصدر النعمة والإلهام لجموع عريضة من البشر ، واحتكارها المنافع ، وادعائها مالا تعرِف من الفضائل ... إن الجموع التي تقاد بهذه الطواغيت ، وتساس بمثل هؤلاء المفلوكين جموع بطن الأرض خير لها من ظهرها ، هذا إذا لم تنفض عنها غبار الذل المضروب والعبودية الباطلة .

بعض الناس الذين يتململون من وقع الظلم في ديارنا مشغولون بعقد المقارنة بين ماعايشوه ومابين ماعايشته شعوب أوربا الشرقية . ويفركون أيديهم توقعاً للنهاية لتي حلت بطواغيت شرقي أوربا أن تحل ديارهم ، والرياح التي هبت هناك فكنست ممن كنست ؛ أن تواصل مسيرها حتى تصل إليهم فتفعل مايتمنون !

ولا نستطيع أن ننكر وجوه المشابه بين ماعندنا وماعند غيرنا من أشكال العسف والجَبَرية ، ولكن كم هو مفيد أن نتذكر أن هناك اختلافات لابد من وضعها في الحسبان حتى لانستعجل في التوقعات .

ومن ذلك :

١ ـــ إن أجهزة الإعلام الغربية لعبت دوراً لايستهان به في سقوط رموز الشيوعية ، وهيأت الرأي العام في تلك البلاد ليضغط ضغطاً بعيد الأثر . أضف إلى ذلك دور الكنيسة « الكاثوليكية » بوجه خاص . في حين ليس لنا صحافة حرة فاعلة ، والإعلام الغربي يقف على الحياد ، ويصمت صمتاً مشبوهاً تجاه قضايا العدالة والحرية في العالم الإسلامي ، وكذلك ليس عندنا جهاز مستقل له أثر كالكنيسة الكاثوليكية ، يعبر عن ضمير الأمة الإسلامية .

٢ ــ قيض الله لأكبر دولة ابتليت بالسيطرة الشيوعية رجلاً أوتي الجرأة أن يعترف بمفاسد هذا النظام ، وماجره على محكوميه من نكبات (ولسنا معنيين بما إذا كان غورباتشوف مخلصاً للدعوة الشيوعية أو غير مخلص ؛ يريد أن يهدم هذا النظام من أساسه ؛ أو يبحث عن دور تاريخي عن طريق إصلاح الشيوعية) فلما وجد هذا الشخص وجهر بما جهر به تبينت تلك الشعوب أنه يمكن تحدي تلك الأنظمة غير الأصيلة التي تستمد قوتها من ذلك النظام المنخور الذي لم يعد بإمكان أحد أن يدافع عنه .

أما نحن فإن سوء أحوالنا لم يسببه استمدادنا الشرعية لا من « غورباتشوف » ولا من « بوش » بل إن الطغيان الذي يمارس علينا عميق الجذور بعيد الغور ؛ طغيان متوارث مرد عليه وارثوه ، ومرنت عليه المخلوقات التي يطبق عليها .

إن مايسود في بلادنا ليس شيوعية حتى إذا تأثرت الشيوعية تأثرنا ، ولا اشتراكية حتى إذا ماعدلت الاشتراكية عدّلنا ، ولا رأسمالية شبيهة برأسمالية الغرب ، إن مايسود في بلادنا هو خليط عجيب فيه من كل نظرية خرقة ومن كل فلسفة مزقة ، ومن كل واد عصا ، وإذا ماذهبنا نقيس ماعندنا على ماعند غيرنا أعيانا القياس وأصابتنا الحيرة .

وفي الجملة إن ماأصاب شعوبنا الإسلامية من تردي أحوالها ، وضربها بالتفرق ، وإذكاءِ نار العداوة بينها ، وتسليط لئام الخلق يتحكمون بها ، ويُجرون عليها سياساتهم ومخططاتهم ، وغير ذلك من أنواع البلاء ... كل ذلك بسبب إعراضها عن الله ، وتضييعها المنهج الذي يعصمها من ذهاب الريح ، والضلال عن الحقيقة . ولن يكون هناك أمل في إصلاح ، وانتقال من التيه والضياع إلى الطريقة الواضحة الموصلة إلى ماترجو إلا بعثورها على هذا المنهج وتمسكها به . وليس من طريق إلا الإسلام ولا من منهج إلا القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ : « نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله » □

فاعتبروا ياأولي الأبصار

د . عبد الكريم بكار

هذه آية جليلة الشأن في الكتاب العزيز سرت مسرى المثل ، وذاعت على الألسنة والأقلام ؛ لأنها تعني وجوب الاستفادة من تراكم الخبرات البشرية ، وأخذ العظة والعبرة من أحوال الأمم السابقة ، والمعاصرة ، وتوفيراً للجهد ، واختصاراً للطريق ، وفراراً من عذاب الله تعالى ...

وقد قصَّ الله تعالى علينا في سورة الحشر قصة جلاء بني النضير من المدينة إلى خيبر والشام ، مبيناً وقوع ماليس في الحسبان ، فقال تباركت أسماؤه : ﴿ هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ماظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف في قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ، فاعتبروا ياأولى الأبصار ﴾ [الحشر / ٢] .

لقد كان خروج بني النضير في تلك الصورة المهينة الذليلة حدثاً بعيداً عن أذهان بني النضير وأذهان المسلمين لأن الأسباب المادية التي أخذ بها القوم كانت على درجة من الإتقان والإحكام تحول دون تصور ماوقع ..

ولكن العزيز الجبار الذي لارادَّ لأمره ، ولا معقب لحكمه أتاهم من حيث لم يحتسبوا أتاهم من الداخل ، فألقى في قلوبهم الرعب ، فخارت عزائمهم ، وأدركوا أن قوتهم ماعادت تغني عنهم شيئاً .

ومأأشبه الليلة بالبارحة !!

فهذه هي النظرية الشيوعية تنهار اليوم في أسرع مما كان يدور في خلد البشر ، وهذه هي مئات الألوف من الكتب والمجلدات التي سطرت في فلسفة النظرية وترويجها وتكييف البشر معها تغدو رماداً تسفوه رياح التغيير العاتية في وجوه السدنة والكهنة والمرتزقة والأذناب وأشباه الأذناب ..

لقد كان سقوط النظرية الشيوعية أمرلأ لامفرَّ منه ، ولكن المذهل هو انهيار البناء الذي أنفق فيه ثلاثة أرباع القرن من الزمن مع ملايين الأنفس ومالا يحصى من الآلام والعذابات وصنوف المعاناة الإنسانية في أسرع من لمح البصر .

قد كانت أفكار (كارل ماركس) ردَّ فعل لحرمان طويل ومعاناة شخصية قاسية . والناموس العام لردود الأفعال البعد عن الموضوعية وفقدان الاتزان . وقد قبل أفكار (كارل ماركس) في البداية صنفان من البشر :

صنف طحنه الظلم والحرمان ، وتقلب دهراً في التعاسة ، وطرق كل باب للخروج من نفق الظلمات الذي ولد فيه فإذا بنظرية تعده بجنة على الأرض تنسيه طعم كل مامضى من العناء والبلاء ، فهبَّ إلى اعتناقها والترويج لها على أنها الحلّ الأخير والمخرج الوحيد .

والصنف الآخر ــ وهم الكثرة من الأشياع ــ وجد في السلطات المطلقة التي تركزها النظرية في قبضة الحزب الشيوعي والدولة الماركسية مايلبي من خلاله كل طموحاته الشخصية من الجاه والمال والتسلط ، ومايتفرع عن ذلك من شهوات وملذات ومصالح ..

ولم يمض وقت طويل حتى أدرك الذين كانوا يحلمون بالفردوس أن الخُبْر غير الخَبَر وأن المحصول غير المأمول ..

ولكن إدراك الشعوب كثيراً مايأتي متأخراً بعد فوات الأوان ..

فقد ركزت الحكومات البلشفية المتعاقبة على صناعة السلاح دون باقي الصناعات حتى تتمكن من كسر شوكة أي معارضة محتملة للثورة على حين أنها لم توفر لشعوبها أحذية جيدة تنتعلها ..

وجمعت إلى ذلك تجنيد عشرات الألوف من المخبرين السريين الذين يحصون أنفاس الشعوب ويعدون نبضات قلوبهم .

ولجأت الشعوب إلى سلاحها الماضي وحيلتها الأخيرة ، فشرعت في المقاومة السلبية ، وأدارت ظهرها لخطط التنمية المتعاقبة التي كانت تضعها الحكومات الشيوعية . ومن البدهي أن الحكومة تخطط وأن الشعب ينفذ فإذا لم ينفذ الشعب كانت الخطط حبراً على ورق أو صرخة في واد ، وهذا ماجرى لقد كان كل عام يمر يعني مزيداً من الفروق المعيشية والحضارية بين أتباع الشيوعية وأتباع الرأسمالية ، وحين انهار جدار (برلين) أدرك الألمان الشرقيون ـــ الذين كانوا يُدلُّون بأنفسهم على أشياعهم من أبناء أوربا الشرقية ـــ الفجوة الضخمة التي تفصلهم عن الألمان الغربيين ، فالدخل عند الغربيين عشرة أضعاف الدخل عند الشرقيين ، والهواتف عشرة أضعاف وأعداد السيارات مضاعفة وهكذا على هذه اللازمة ..

وفي اعتقادي أن الأحزاب الشيوعية انهارت بهذه الصورة ؛ لأنها عجزت عن بناء حضارة مناسبة للعصر تغني شعوبها عن تكفف الآخرين وتوجد الثقة بالأسس النظرية التي قامت عليها ، وأسباب أخرى من هذا القبيل لانقصد هنا إلى تعدادها .

هل من معتبر ؟

كانت الأحزاب الشيوعية والحكومات التابعة لها بحاجة إلى نوعين من المراجعة :

الأول : مراجعة أصول النظرية وقواعدها الأساسية والتي أثبتت السنين أنها خيالية ومتناقضة .

الثاني : قياس آراء النظرية من خلال الواقع الذي أفرزته التجربة الطويلة ، لمعرفة مكامن الخلل ومواضع الداء في النظرية والتطبيق . ومع أن (برجنيف) كان يقول : إذا لم نستطع كشف الأخطاء قتلتنا ، فإن سدنة الأحزاب الشيوعية بدءاً بقائل هذه الحكمة لم يستطيعوا الكشف

عن أي خطأ ذي شأن فضلاً عن القدرة على الإصلاح . وكان الشغل الشاغل هو التبرير والدفاع والثناء بالجملة على الوضع القائم .

وفي عالمنا الإسلامي اليوم الكثير الكثير من الأخطاء وأصناف القصور على المستويات كافة . ووجود الأخطاء أمر طبيعي ؛ ذلك لأن حركة الزمن تدع الكثير من الجديد بالياً ، وتوجب استمرار الاجتهاد والتكييف بين المبدأ والمصلحة ، وبين الوسائل والغايات ، وبين الأساليب والأهداف . وخلال عمليات التكييف هذه تحصل مفارقات تحسب للأمة تارة وعليها تارة أخرى .

والأمة الحية اليقظة لاتكف أبداً عن عمليات المراجعة وقياس أداء المناهج والأساليب والأصول ، كما لاتمل من بحث المعوقات وطرح الحلول لها .

وإذا كان الآخرون يحتاجون إلى نوعين من المراجعة فإننا بحمد الله نسير في طريق لاحبة رسمها الأصفياء الأولون من رسل الله وأوليائه ، ومن ثم فإننا بحاجة إلى نوع واحد منها ، وهو التأكد من موافقة خطانا لروح الشريعة الغراء ونصوصها ومدى توفر الشروط النفسية والاجتماعية التي يجب توفرها في حياة خير أمة أخرجت للناس .

وتتشخص هذه المراجعة في المفردات التالية :

١ ــ امتلاك الشجاعة الكافية للاعتراف بالأخطاء وأنواع التقصير في مسيرتنا الحياتية .

٢ ــ التفريق الدقيق بين الأمراض وأعراضها حتى لانعالج مظاهر المرض وأعراضه ونترك حقيقته ، فيكون العلاج مؤقتاً .

٣ ــ البحث في البنى التحتية لتلك الأخطاء للوقوف على عللها الأولى وأسبابها الحقيقية اهتداءً بقوله تعالى : ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ﴾ [العنكبوت / ٢٠] .

٤ ــ التغيير في برامجنا وأساليبنا بما

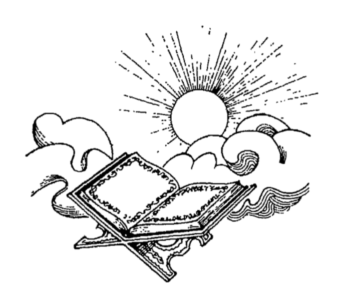
يتناسب مع نتائج تلك المراجعات .

٥ ـــ وضع صمام الأمان الذي يحول دون تكرار الوقوع في تلك الأخطاء .

٦ ـــ غرس روح تحمل المسؤولية في أفراد الأمة والتربية على الشجاعة الأدبية الباعثة على محاصرة الخطأ والنقد البناء ، وتنمية روح المبادرة الفردية لديهم .

وإذا فعلنا هذا فإنا نكون قد ضمنّا استمرار الثقة بأصولنا الاعتقادية والفكرية ، وأوينا إلى ركن شديد يعصمنا من الأعاصير العاتية والانهيارات المدمرة .

وليس هذا على وارثة تراث الأنبياء والمكلفة بتبليغ الكلمة الأخيرة بعزيز . ولله الأمر من قبل ومن بعد □





خواطر في الدعوة



إن وسائل دعوة غير المسلمين كثيرة ، والداعية الموفق يختار من الأساليب مايشعر أنه مؤثر وناجح ، وبعض الناس قد لايستجيب للدعوة إلا أن يرى شيئاً عظيماً يجعله يقف مبهوراً معجباً ، شيئاً يشده إلى الإسلام شداً ، ويأسره أسراً ويجعله يعيد حساباته ويفكر بعمق ويقارن بين الماضي والحاضر ثم يتخذ في نفسه القرار .

لقد قرر أن يستسلم ولكنه استسلام الحازم المطمئن الذي عرف الحقيقة فعلاً وليس استسلام العاجز أو صاحب غرض .

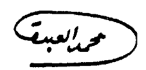
هكذا وقفت ملكة سبأ التي كانت تعبد الشمس هي وقومها عندما دعاها سليمان عليه السلام إلى الإسلام أبت أن تنقاد مع اعترافها بضعفها أمام قوة سليمان وجنوده ، ولكن عندما دخلت الصرح وحسبته لجة ﴿ قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾ [النحل / ٤٤] لقد عُرضت عليها مظاهر القوة الخارقة لتؤثر في قلبها وتقودها إلى الإيمان ، وفي الإسلام ليس الأصل هو المعجزات المادية ــ وإن جاءت عفواً وإكراماً فلا بأس ــ ولكن أليس التزام المسلم بدينه وتطبيقه في كل شؤون حياته أكبر معجزة .

وفي قصة إسلام خالد بن الوليد رضي الله عنه أنه خرج من مكة ميمماً شطر المدينة فلقيه في الطريق عمرو بن العاص رضي الله عنه فقال له : إلى أين ياأبا سليمان ؟ قال : لقد استقام الميسم (وضح الطريق) وهاجرا معاً إلى المدينة .

إن خالداً قائد عسكري فذ ، ولايخفى عليه أن انتصارات محمد ﷺ إنما هي انتصارات دين سماوي ، انتصارات نبي يمثل الكمال البشري مؤيد من الله يسدده ويرشده ، وبعد معارك وصراع من بدر إلى الحديبية استسلم خالد بن الوليد ولكنه استسلام القوي العاقل الذي يعرف مواقع الحزم واتخاذ القرار المناسب .

وقد سمعنا في العصر الحديث أن بعض الكفار من الأوربيين أسلموا عندما رأوا صفوف المسلمين في الصلاة ، وخشوعهم وإقبالهم على الله . قال الفيلسوف الفرنسي (رينان) : « كلما رأيت صفوف المسلمين في الصلاة أتأسف أني لست مسلماً » إنها كلمة صدق من كذوب ، فما الذي يمنعه عن الإسلام .

إن عرض الإسلام عرضاً جذاباً مع العلم الراسخ قد يكون من المؤثرات الفعالة في إقبال الناس على هذا الدين ، كما وُصف ابن عباس رضي الله عنه حين فسّر سورة البقرة في أيام منى من الحج ، قال من سمعه : « لو سمع تفسيره يهود أو نصارى لأسلموا » وإن أعظم دعوة للإسلام هو التزام المسلمين بشريعة الإسلام وشعائره وآدابه وأخلاقه ، وإصرارهم على هذا ، وتحديهم للمجتمعات المنحرفة □



أثر الاجتهاد في المحافظة على منهاج الأمة وعقيدتها

د . عابد السفياني

المحافظة على التزام هذه الأمة بعقيدتها ومنهجها :

إن المجتمع الإنساني لابد له من الحركة والنمو ، لأن هذه هي طبيعة الإنسان الذي كلف بمهمة إقامة الخلافة على هذه الأرض ... ويشترك المجتمع الإسلامي مع سائر المجتمعات التي تحكمها الملل الأخرى في هذه الخاصية ويفترق عنها في أمور منها :

أ ـــ أن المجتمع الإسلامي يمثل الأمة الواحدة للبشرية جمعاء ، فلا يعرف القوميات ، بل يعيش الناس فيه أمة واحدة ولو كانوا من شعوب وقبائل مختلفة .

ب ـــ أن مهمته إقامة الخلافة على الأرض طبقاً للمنهج الرباني لا كما تصنع المجتمعات الأخرى في إعراضها عن هذا المنهج .

ج ـــ أن مهمته القوامة على البشرية : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ﴾ [البقرة / ١٤٣] ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ [آل عمران / ١٠٤] .

فهو مجتمع يشترك مع المجتمعات المخالفة له في خاصية الحركة والنمو والتأثر والتأثير ، ويفارقها في كونه مجتمع عقيدة ربانية ومنهجاً إسلامياً مهمته إقامة الخلافة على الأرض والقوامة على البشرية ... ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بطريق الاجتهاد .

فالاجتهاد وهو عنوان « الحركة والنمو » هو السبيل الوحيد لحفظ توازن المجتمع الإسلامي ، ولا يقوم إلا بعد عمل وتفقه ينتشر ليغطي أكبر مساحة من المجتمع الإسلامي ، وهذا طريق لحفظ رسالته ، ومن هذا الجهد ينشأ عمل آخر على مستوى أكبر يتدرج حتى يسلمنا إلى مرحلة وجود المجتهدين ... وإلى هنا يتحقق لنا أمران :

أ ــ قيام المجتمع بنشر الوعي الديني عن طريق تفقه الأمة في العلم .. وهذه هي القاعدة التي ينبني عليها مابعدها .

ب ــ ظهور صفوة من الفقهاء يمثلون أهل الاجتهاد .

وبهذا يُحفظ توازن المجتمع الإسلامي فحركته ونموه الطبيعيان اتجها اتجاهاً سليماً ونتج عن ذلك عمل إيجابي فهو من جانب حفظ جهد الأمة من أن يضيع وينحرف ، ومن جانب آخر حمل الأمة على أداء رسالتها الخاصة بإقامة مجتمعها على المنهج الرباني .

ومجتمع كهذا لابد وأن تنتشر رسالته لأنه قد مثلها في نفسه أحسن تمثيل ، وهي رسالة الدين الخاتم الذي يحقق العدل الرباني في الأرض فإذا حدثت مرحلة التأثر والتأثير أو قل : زادت وقويت فإن المجتمع الإسلامي يحمل معه عدته وسلاحه ، ومن أعظم عدته وسلاحه « الاجتهاد » .

إن المجتمع الإسلامي كما يريد أن ينشر المنهج الرباني في الأرض ــ على الطريقة الربانية ــ فإن المجتمعات المخالفة تريد أن تدس جاهلياتها وانحرافاتها في المجتمع الإسلامي أو تقذفها فيه ... وهي لاتصنع ذلك إلا وهو محفوف بكثير من المغريات المادية التي تشتمل على نفع محض بل وفيها حاجيات وضروريات ، وقد يكون المجتمع الإسلامي في بعض الأحيان لايمتلكها ولم يقدر بعد على تصنيعها ..

وهنا إنْ لم يكن المجتمع

الإسلامي يملك عدة « الاجتهاد » يضعف أمام هذه المغريات ثم يفقد توازنه ويبدأ تأثير الغزو الفكري يعمل عمله فيه ، وأما إن كان يملك هذه العدة فإن موقفه سيكون إيجابياً ونذكر من آثار هذا الموقف مايؤكد ضرورة الاجتهاد للمجتمع الإسلامي ومنها :

١ ــ أثر الاجتهاد في رفع معنوية الأمة وزيادة إيمانها بمنهجها الرباني . بيان ذلك : أن الأمة التي تبذل جهدها في بناء أفرادها على منهجها الخاص عن طريق التربية والتعليم ونشر مفاهيم دينها نشراً صحيحاً وتعرف رسالتها حق المعرفة ؛ أمة ولاشك قوية معنوياً ، وهذه هي القاعدة التي ينبثق عنها الاجتهاد كما سبق وأن قلنا .

وأما زيادة الإيمان بهذا المنهج الرباني فيكون بأن يعلم أبناء المجتمع الإسلامي في كل حين ــ مع كل حادثة تجدّ في هذا المجتمع ــ أن منهجهم يشملها بحكمه ورحمته وأنها لن تبقى معلقة بلا حكم ... ولن نذهب نبحث لها عن حكم في غير هذا المنهج وهنا تزداد الأمة تمسكاً بمنهجها وتزداد عزة وقوة .

٢ ــ أثر الاجتهاد في حفظ الأمة من أن تتسلل إليها آثار الغزو الفكري الجاهلي ... وذلك يتحقق بأن يقوم المجتهدون بالنظر في جهد الأعداء المادي والمعنوي ، فينظرون في مجموعة ويفرقون بين الحق والباطل ، والنافع والضار ثم يختارون ــ ومنهجهم الرباني هو الحكم وعزتهم وقوتهم تجعلهم يحكّمون هذا المنهج ويختارون وهم في توازن كامل ، فلا يقعون في متابعة أعدائهم ولا يرفضون كل شيء ... بل يختارون وهم لايزالون يمثلون الرسالة الربانية والقوامة على البشرية ، ولا يضرهم ولا ينقصهم في شيء أن يأخذوا ويختارواماينفعهم ... ولا يضرهم ولا ينقصهم أن يرفضوا مالا ينفعهم ... ولا يمكن أن نفرق بين الضار والنافع ومايوافق المنهج الرباني ومايخالفه إلا عن طريق « الاجتهاد » .

٣ ــ أثر الاجتهاد في هداية الأمم الأخرى ــ وذلك قبل الجهاد ــ إن موقف المسلمين هذا لاشك سيكون له أكبر الأثر في أعدائهم فأول مايعلمه الأعداء أنهم أمام أمة لايمكن

أن تُستغفل وتُمتطى وهذا له تأثير نفسي عميق يجعل الأعداء في موقف التأثر والإعجاب والانبهار أمام هذه الأمة القوية التي تحسن أن تختار لنفسها حسب مايرتضيه منهجها الرباني ، والأثر الذي يتبعه مباشرة أن يعرف الأعداء ـ بعد انكسارهم النفسي ـ أن في الأرض منهجاً متوازناً يفرق بين الحق والباطل والنافع والضار ولا يهدر طاقات العقل البشري النافعة ... ويحول في الوقت نفسه بين انحرافات البشرية وبين الفطرة الإنسانية ليقوم العدل في الأرض ... وهذا المنهج هو « الإسلام » وهذه دعوة عملية لها من الإيجابية وحسن التأثير شيء عظيم .

هذه هي بعض آثار الاجتهاد في داخل الأمة وفي علاقاتها مع أعدائها ، وهو دليل قاطع على ضرورته وفرضيته وأنه لاتصلح هذه الأمة إلا به ولا تهتدي البشرية إلا به ، وإن لم يتحقق فإن تلك الآثار الإيجابية تنقلب لتكون آثاراً سلبية والضد بالضد ، وضد الحركة والنمو الجمود والتقليد .

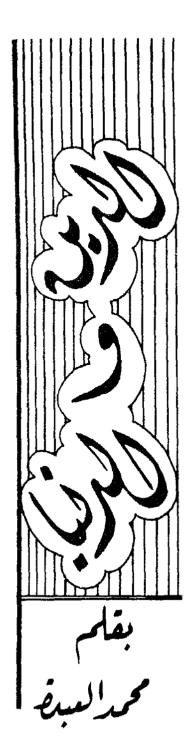
ولنتصور نقيض تلك الآثار وضدها .. لكي ندرك الخسارة التي وقعت فيها هذه الأمة لمّا أهملت مهمة الاجتهاد [1] وخاصة لما اجتمعت عليها الأمم كما تجتمع الأكلة إلى قصعتها ، كل أمة من أمم الكفر معها نافع وضار ، نافع يتمثل في ماديات ضرورية وحاجية ، وضار يتمثل في مبادىء ومفاهيم جاهلية لاتحفظ ديناً ولا عرضاً ولا عقلاً .. بل ترتكس في مجال العقائد والأخلاق إلى مستوى الكفر والشرك والفتنة والإغراء ونتج عن ذلك أنظمة وضعية تعارفت عليها تلك الأمم وانبثقت من عقائدها وأخلاقها ... وكانت عملية الاجتهاد كفيلة بالتفريق بين الضار والنافع ... وكفيلة أيضاً بمراعاة الأحوال الجديدة التي نشأت من طبيعة المجتمع الصناعي واستنباط

---

١ ـ وقعت الأمة في ضد ذلك تماماً لما أهملت هذه الفريضة وزادت ردود الفعل من داخلها الأمر سوءاً فقد اختلفت مواقف العلماء من آثار النهضة الأوربية فمنهم من رفضها كلها ومنهم من قبلها بدون تمييز ... وهذان موقفان سلبيان ... ومنهم من نادى بالتمييز بين الضار والنافع ... وهذا موقف إيجابي ولكنه لم يكن له من القوة والانتشار مايسمح له باكتساح التيار الذي نتج عن سلبية الموقفين السابقين ، وقد كان قيام العلماء بعملية الاجتهاد ـ كما بينت وعدم اختلافهم عليها وتخلفهم عنها ـ كفيلاً بأن يحول بين الأمة وماوقعت فيه من تلك السلبيات العظيمة وأعظمها أنها أصبحت فريسة لآثار الغزو الفكري الحديث .

أحكامها الخاصة بها ومراعاة الضوابط التي تحفظ الضرورات الخمس : الدين والعرض والنفس والعقل والمال ، فإن المجتمع الصناعي ــ وإن كان محتاجاً إلى عملية الاجتهاد كما يحتاجها المجتمع الزراعي والرعوي ــ إلا أنه أشد حاجة لها ، أضف إلى ذلك أن السلبيات التي تنتج عن تعطيل مهمة الاجتهاد أو عدم القيام بها على الوجه المطلوب تظهر آثاراً على نحو مخيف وخطير في المجتمع الصناعي أشد بكثير من ظهورها في غيره من المجتمعات ذلك أنه مجتمع الحركة الفوارة والتجدد المستمر فإن لم ينضبط بعملية الاجتهاد ازدادت تلك السلبيات واستمرت في الازدياد .

وهذه الحكمة التي تحدثت عنها هي أعظم حكمة لمهمة الاجتهاد لأنها سبيل عظيم للمحافظة على التوحيد وأحكامه الذي تمثله هذه « الشريعة » والمحافظة على المجتمع الإسلامي من آثار الشرك وأحكامه الذي يمثله الغزو الفكري الحديث □



وترى الدنيا انطوت في كسبه
ليس فيها ذرة في قلبه
(إقبال)

لانبتعد كثيراً إذا قلنا إن الاختلال في توازن أمور الدين والدنيا كان ولايزال أحد الأسباب التي جعلت المسلمين يتعثرون في نهضتهم ويضعفون في الوصول إلى أهدافهم .

إن كثيراً من المسلمين يحملون مفهوماً خاطئاً عن الدنيا أو عن التوازن بين الدنيا والدين ، فتراهم يطربون عندما يسمعون قصص الزهد غير الشرعي ، وقصص الزهاد الذين يتركون الدنيا كلها ، والواعظ الذي يذم الدنيا دائماً يقبل الناس عليه ويسمعون منه ، ويعجبون به .

لاشك أنها معادلة صعبة ودقيقة تلك التي تجمع بين الدنيا والدين ، أو بين الدنيا والآخرة ، وأي خلل في فهم هذه المعادلة سيؤدي إلى أخطاء كبيرة وتقصير عما يريده الله سبحانه وتعالى من المؤمنين من التمكن في الأرض وإعمارها بالعدل ونشر الإسلام .

المفهوم الإسلامي للدنيا والدين :

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿ ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴾ : (الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية ودار رحبة ورزق واسع وعلم نافع وعمل صالح ومركب هين وثناء جميل ، والحسنة في الآخرة أعلاها دخول الجنة وتوابعه من الأمن من الفزع الأكبر وتيسير الحساب) [١] .

وقال في الظلال : (إنهم يطلبون الحسنة في الدارين ولا يحددون نوع الحسنة ، وهذا التعليم الإلهي يحدد لمن يكون الاتجاه ، ويقرر أنه من اتجه إلى الله وأسلم له أمره ، وترك له الخيرة فلن تفوته حسنات الدنيا ولا حسنات الآخرة إن الإسلام لايريد من المؤمنين أن يدعوا أمر الدنيا فهم خلقوا للخلافة في هذه الدنيا ولكن يريد منهم أن يتجهوا إلى الله في أمرها) [٢] .

فالدنيا في المفهوم الإسلامي الصحيح وسيلة وذريعة لتحصيل مقاصد الشريعة (فالمقصد هو الدين ولكن لما استمد استمراره من الدنيا كانت هذه القضية مرعية) [٣] والكسب في الدنيا من الواجبات لأنه لايستطيع الاستقلال بالعبادة إلا بتأمين ضروريات حياته ، وكل مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب [٤] ، فإذا كانت الدنيا بهذه المثابة وأنها منزل وممر لا موطن ومقر فالآخرة هي دار الجزاء ، قال تعالى : ﴿ فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب ﴾ إذا كانت كذلك (فالواجب الكشف عن جهة انتظامها واختلالها ، لنعلم أسباب صلاحها وفسادها) [٥] ويقصد الماوردي : بما أنها مطية للآخرة ، فإنها إذا فسدت فربما أدى فسادها إلى إنقاص الدين . فإذا وصلت الحال بأهلها إلى قلة الأمن وقلة الرزق أو التهارج والقتل والعيش الذليل وتسلط الأعداء وقهرهم للمسلمين ، فمن المؤكد أن هذه

---

١ ــ تفسير ابن كثير ١ / ٢٤٣ .
٢ ــ في ظلال القرآن ١ / ٢٠١ .
٣ ــ الإمام الجويني : غياث الامم / ١٨١ بتحقيق د . عبد العظيم الديب .
٤ ــ انظر : الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني .
٥ ــ الماوردي : أدب الدنيا والدين / ١٩٩ .

الأمور تضعف الدين كذلك فلا يستطيع المسلم أن يقول : أنا أحفظ ديني وأدع الدنيا لمن هو راغب فيها أو للكفار ..

يقول الماوردي : (لأن من صلحت حاله مع فساد الدنيا واختلاف أمورها لن يعدم أن يتعدى إليه فسادها ، ويقدح فيه اختلالها ، لأنه منها يستمد .. ومن فسدت حاله مع صلاح الدنيا ، وانتظام أمورها لم يجد لصلاحها لذة ولا لاستقامتها أثراً ، لأن الإنسان دنيا نفسه) [1] .

ماورد في القرآن حول الدنيا :

عندما يبتعد الناس عن منهج الأنبياء وعن اتباع الشرائع الإلهية ، تصبح الدنيا محورهم الأساسي ، وهي آمالهم. وموضع لذاتهم ، ويصبحوا عبيداً لها . ولا فكاك لهم من أسرها . يقول الأستاذ محمد قطب : (وكان الخلل في الجاهلية العربية هو انفصال الدنيا في حس الناس عن الآخرة لعدم إيمانهم بالآخرة ، وهو الآن انفصال الدنيا في حس الناس عن الآخرة لاستصغارهم شأن الحياة الدنيا واحتقارها ، ولأول وهلة يبدو هذا الأمر هو عين الإيمان) [2] .

جاء القرآن الكريم ليصحح هذه الأوضاع ويضع المسلم على الجادة المستقيمة ، فالدنيا ليست غاية وإنما وسيلة ، ولابد من إعمارها . ففي هذه الدنيا نعبد الله ونتعلم ونجاهد . قال تعالى :

ـ ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾ [غافر / ٥١] .

ـ ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾ [الأنبياء / ١٠٥] .

ـ ﴿ نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ [فصلت / ٣١] .

ـ ﴿ فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ﴾ [آل عمران / ١٤٨] .

ـ ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده ﴾ [الأعراف / ٣٢] .

وذكر الزينة في هذا المجال له

---

١ ـ أدب الدنيا والدين / ٢٠٠ ، تحقيق مصطفى السقا ، دار إحياء العلوم ـ بيروت .
٢ ـ مفاهيم / ٣٠٤ .

دلالته الخاصة ، إذ الزينة جمال والجمال شيء زائد على الضرورة .

(وأما ماجاء في القرآن من ذم للدنيا فهو لتأديب المسرفين وكبح جماح المفرطين) (١) كقوله تعالى : ﴿ وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو ﴾ [الأنعام / ٣٢] . وقوله تعالى : ﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً ﴾ [الكهف / ٤٥] .

فهي دعوة إلى عدم التعلق بالدنيا الفانية وأنها قصيرة لاتستحق أن تجعل غاية ، كقوله سبحانه : ﴿ ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ﴾ [يونس / ٧] .

وقد بُعث الله الأنبياء هداة للبشرية ولم يكن من منهجهم الإعراض عن عمارة الدنيا . قال تعالى حكاية عن هود عليه السلام : ﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة ﴾ ، وقوله تعالى على لسان صالح : ﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ﴾ .

ماجاء في الأحاديث حول الدنيا :

وأما قوله ﷺ : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » فهي سجن بالنسبة لما ينتظره في الآخرة من جنات ، وجنة الكافر بالنسبة لما ينتظره في الآخرة من العذاب . وكذلك قوله ﷺ : « الدنيا ملعونة ملعون مافيها إلا ذكر الله وما والاه » فذكر الله وما والاه هو كل عمل خير يقصد به إقامة الدين ، وهذا مطلوب في الدنيا .

ولذلك قال ﷺ : « مامن مسلم غرس غرساً فأكل منه إنسان أو دابة إلا كان له صدقة » وحياة الرسول ﷺ العملية من الدعوة والجهاد وإقامة الدولة الإسلامية ، أكبر دليل على هذا التوازن فلم يمنع الصحابة اشتغالهم بالتجارة أو الزراعة من الجهاد والتعلم ونشر الإسلام .

١ ـــ رشيد رضا : المنار م ٣ / ١٥١ .

أصناف الناس في مراعاة أمور الدنيا :

١ ـ المنهمكون فيها وهم شر الدواب .

٢ ـ المبتعدون عنها غاية الابتعاد ، وهذا مخالف للسنة الكونية والشرعية .

٣ ـ صنف وسط وفوا الدارين حقهما وهم الأفضل ، لأن بهم قوام أسباب الدنيا ، وهذا الصنف هو الذي يتناولها ويراعي فيها مايجب فيقتصر لنفسه على تناول بلغته ، ويجعل الباقي مصروفاً إلى مادعي إليه من الجهاد والعلم والنفقة على المحتاجين وكل أبواب الخير .. □

* يتبع *



شذرات وقطوف

مهزلة الشعر الحر

« .. الذي يقرأ الشعر الحر ، يجده يتميز بركاكة الأسلوب ، وضعف المعاني ، وكثرة الألفاظ الأجنبية الشائعة فيه ، وعدم التزامه بضوابط اللغة نحواً وصرفاً ... أثبت ماذكرته عملياً ... طلبت من أحدهم أن يحضر ورقة وقلماً ، ثم أمليت عليه شعراً حراً ، بدون معنى ولا هدف ، وقد استغرق إملائي عشر دقائق فقط ، ثم أوردت القصيدة إلى صحيفة في بغداد بدون ذكر ناظمها ، وفي اليوم التالي وجدت القصيدة منشورة في الصفحة الأولى محاطة بإطار خطي جميل ، ومقدمة تقديماً رائعاً ، يصف الشاعر بالعبقرية ، ويصف الشعر بالروعة والجمال . وأشهد أني كنت متعمداً ألا يكون للقصيدة أي معنى ، وأن الحاضرين عند إملائها لن يفهموا حرفاً واحداً ، فكيف إذن فهمها المحرر الأدبي في الصحيفة الذائعة الصيت ، الواسعة الانتشار ، وكيف أقدم على نشرها مهللاً مكبراً !!.

اللواء الركن محمود شيت خطاب : الوسيط في رسالة المسجد العسكرية ص ٢٠٧ ــ ٢٠٨

من أقوالهم :

« أحق الناس بالرحمة العاقل إذا تسلط عليه الجاهل » .

أبو الحسن العامري

ليس الغبي بسيدٍ في قومه   لكن سيّد قومه المتغابي

حاتم الطائي

□□□□□□□□□

غـــربة

قال الشاعر محمد بن نصر بن عُنَين يصف غربته عن دمشق :

فارقتها لا عن رضاً وهجرتها   لا عن قلى ، ورحلت لا مُتخيرا
أسعى لرزق في البلاد مشتَّتٍ   ومن العجائب أن يكون مقَتَّرا
وأصون وجهَ مدائحي متقنعاً   وأكف ذيل مطامعي متستـرا
أشكو إليك نوى تمادى عمرها   حتى حسبت اليوم منها أشهرا
لا عيشتي تصفو ، ولا رسم الهوى   يعفو ، ولا جفني يصافحه الكرى

محمد الناصر

أخلاق العرب بين الجاهلية والإسلام

الحلقة الثانية

٢ ـ الشجاعة :

كانت الشجاعة عند العرب صنو الكرم في تعشقهم لها ، وافتخارهم بها .. إنها إقدام في مواطن الإحجام ، وعدم مبالاة بالحياة ولا بالممات . « والعرب لم تزل رماحهم متشابكة وأعمارهم في الحروب متهالكة ، وسيوفهم متقارعة ، قد رغبوا عن الحياة ، وطيب اللذات ... كانوا يتمادحون بالموت ، ويتهاجون به على الفراش ويقولون فيه : مات فلان حتف أنفه » (١) .

لقد كانت الشجاعة مفخرة العربي .. ذلك أن أهل البادية بعيدون عن الحامية ، يحملون السلاح دائماً ، يعيشون في العراء غير محتمين بأسوار وجدران أو أبواب ، وهم « يتجافون عن الجوع ، ويتوجسون للنبآت والهيعات ، وينفردون في البيداء مدلين ببأسهم ، واثقين بنفوسهم ، قد صار البأس لهم خلقاً والشجاعة سجية » (٢) .

إن الدفاع عن القبيلة وحماية محارمها ، كان يفرض على العرب أن يتعشقوا الشجاعة والفروسية ، وإن الصحراء تربي في نفوس أبنائها صفات الشجاعة والجرأة والكبرياء العنيدة ،

١ ـ بلوغ الأرب : الآلوسي ١ / ١٠٣ ـ ١٠٤ .
٢ ـ مقدمة ابن خلدون : ١٠٥ / ط الأزهرية بمصر .

كبرياء الرجال الأحرار ، « وإذا تقصينا حياة العربي منذ طفولته أدركنا أن الشجاعة ، ولدت معه ، وأنه شب وكبر وهي تتمشى في دمه ... وطالما فزع طفلاً على قعقعة السلاح ، وصيحات المقاتلين ، وسمع الأقاصيص عن شجعان من القبيلة حموها وردوا المغيرين عليها ، أو هجموا على أخرى وأجلوها ، ثم شب فرأى الأبطال في ميدان الوغى تتنازع ، ثم كبر فشارك في المواقف وأفنى العمر في المعارك فلا عجب أن كانت الشجاعة خلقاً عاماً عند العرب » [١]

وقد اختار الغالب منهم سكنى البوادي على الحضر ، لما كان فقد العز فيه ، والجبن إنما ينشأ من حب رغد العيش وطيب الحياة وعدم المبالاة بما يزري بعلو الحسب وأين ذلك منهم ؟ ولقد كابد رسول الله ﷺ في تأليفهم واتحاد كلمتهم » [٢] .

إن مادعا إليه الإسلام هو الجوهر الحقيقي للشجاعة .. الشجاعة في الحق ، لا الحمية في الباطل ، والجهاد الخالص ، لا للسمعة والرياء [٣] تلك الحمية التي تجعل مائة ألف سيف تغضب لغضبة رجل ، لا يسألونه في أي شيء غضب ؟!

مظاهر الشجاعة في الجاهلية : [٤]

كان للشجاعة عند العرب مظاهر متعددة ، ومن تلك المظاهر الأنفة والحمية وإباء الضيم . يقول عنترة بن شداد :

لاتسقني ماء الحياة بذلة   بل فاسقني بالعز كأس الحنظل [٥]

ومن مظاهر الشجاعة عندهم حب النجدة وإجابة الصريخ إذ لايفعل ذلك

---

١ ـــ الحياة العربية من الشعر الجاهلي : الدكتور الحوفي ، ص ٣٣١ ، ط ٥ .
٢ ـــ بلوغ الأرب : الآلوسي ١ / ١٠٧ .
٣ ـــ واقعنا المعاصر : الأستاذ محمد قطب / ١٦٧ .
٤ ـــ انظر رسالة المعتقدات والقيم : محمد محمود صيام ٣٣٠ ـــ ٣٤٩ ، والحياة العربية للحوفي : ٣٣٢ ـــ ٣٣٧ .
٥ ـــ ديوان عنترة ، ص ١٢٠ ، شرح عبد المنعم شلبي .

إلا الشجعان الأقوياء ، ولايتخلف عنه إلا المبلّد الجبان . يقول طرفة بن العبد :

إذا القوم قالوا من فتى خلت أنني   عنيت فلم أكسل ولم أتبلد
وإن أدع للجلى أكن من حماتها   وإن يأتك الأعداء بالجهد أجهد (١)

وكانوا يعتبرون حب المغامرة والترحال من مزايا الرجال الأشداء . يقول النمر بن تولب :

خاطر بنفسك كي تصيب غنيمة   إن الجلوس مع العيال قبيح
فالمال فيه تجلة ومهابة   والفقر فيه مذلة وقبوح (٢)

ومن مظاهر شجاعتهم أيضاً إصرارهم على الثأر مهما كلف الأمر ، وقد بالغوا في ذلك كثيراً ، وكان من محامد القبيلة أن تكثر قتلاها في الحروب ، لأن هذا دليل على إلفتهم لها . قال بشامة بن حزن النهشلي :

إني لمن معشر أفنى أوائلهم   قول الكماة : ألا أين المحامونا
لو كان في الألف منا واحد فدعوا   من فارس ؟ خالهم إياه يعنونا
ولا تراهم وإن جلت مصيبتهم   مع البكاة على من مات يبكونا (٣)

على أن الشعر لم يكن كله تصويراً لشجاعة الشجعان وإنما سجل حالات كثيرة من اعتراف الشاعر بجبنه أو جبن حلفائه أو عشيرته فليس كل عربي بشجاع في الضرورة وإنما طبيعة الحياة البشرية أن تتنازعها بواعث عدة أو صفات شتى ، ولكل قاعدة شواذ .

لقد صرح كثير من الشعراء بفرارهم ، وتلمسوا المعاذير لنفوسهم ولا تهمنا هذه المعاذير ، إنما يعنينا أنهم اعترفوا بالفرار ولم يكتموه ، فر ذات يوم أوس ابن حجر من جموع بني عبس ، واعتذر بأنه لما شهد الجموع خاف لأنهم شجعان ، ودافع عن نفسه بأن فراره اليوم لامعرة فيه لأن شجاعته مشهورة وبلاءه محمود . فهو يقول :

أجاعلة أم الحصين خزاية   علي فراري إذا لقيت بني عبس

---

١ ــ شرح القصائد للتبريزي / ٩٦ .
٢ ــ الديوان / ٤٩ ، والبيتان منسوبان أيضاً لعروة بن الورد في ديوانه / ٤٣ .
٣ ــ شرح الحماسة : العسيلان / ٧٧ ، وبعضهم ينسبها إلى المرقش الأكبر .

وليس الفرار اليوم عاراً على الفتى   إذا جربت منه الشجاعة بالأمس [1]

هذه الطاقات الهائلة ، وهذه الشجاعة النادرة ، (حتى بالهزيمة ، فهي صراحة جريئة) بعد أن كانت تسخر للغزو أو للثأر ، وجهها الإسلام لإحقاق الحقوق ، ورد المظالم ونشر العدل في كل مكان .

الإسلام والشجاعة :

صار المسلم يقاتل في سبيل إعلاء كلمة الله ، ومن أجل إنقاذ المستضعفين في الأرض . قال تعالى : ﴿ وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾ [البقرة / ١٩٣] .

أصبحت غاية الجهاد في الإسلام ، مرضاة الله تعالى ، وجنة عرضها السموات والأرض : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ [التوبة / ١١١] .

إن الشجاعة عنوان القوة في الرجال ، وعليها مدار إعزاز الأمة ورفع شأنها ، ولذلك عدها الإسلام من أكرم الخصال ، وجعل المتصفين بها الأحب إلى الله . يقول عليه الصلاة والسلام : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » [2] ، ويقول أيضاً : « شر مافي المرء شح هالع وجبن خالع » .

وماكانت الشجاعة في الإسلام للتبختر والخيلاء ، والاعتداد بالقوة والرياء ، وإنما جعلت لإظهار حق في هذه الحياة .. أو طمس باطل أمر الله بطمسه ، ودفنه وإخفائه [3] .

إن الشجاعة في نظر الإسلام ، شجاعة مقيدة بأوامر الشرع فلا شطط ولا ظلم ولا عدوان ، إنما عزيمة صادقة لإحقاق الحق ، وإرادة نافذة لضبط النفس

---

١ ــ ديوان أوس .
٢ ــ صحيح مسلم : كتاب القدر ٤ / ٢٠٥٢ .
٣ ــ انظر المعتقدات والقيم : ٧٧٨ .

عن شهواتها ونزواتها . وقد تميز المسلمون بهذه الشجاعة النادرة ، وكانوا عند أوامر ربهم ، فرفعوا لهذا الدين راية ، وأصبحوا في شجاعتهم مضرب الأمثال ، وقدوتهم في ذلك كله رسول الله ﷺ . أخرج الشيخان واللفظ لمسلم عن أنس رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ أحسن الناس ، وكان أجود الناس ، وكان أشجع الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قبل الصوت ، فتلقاهم رسول الله راجعاً وقد سبقهم إلى الصوت وهو على فرس لأبي طلحة (رضي الله عنه) عُرْي ، في عنقه السيف وهو يقول : لن تراعوا لن تراعوا » .

وفي حنين عندما انكشف المسلمون ثبت عليه الصلاة والسلام ، وفي ذلك يقول البراء بن عازب رضي الله عنه : « ولقد كنا إذا حمي البأس نتقي برسول الله ﷺ ، وإن الشجاع الذي يحاذي به » [1] .

لقد تخرج على منهج هذا الدين قادة عظام خاضوا معارك فاصلة في تاريخ العالم ، فخالد بن الوليد بطل اليرموك ، وسعد بطل القادسية ، وأبو عبيدة قائد فتوح الشام ... أخضعوا الدول الكبرى من أجل إعلاء كلمة لا إله إلا الله خفاقة ونشر العدل والمساواة في رحاب الإسلام .

ولن يستطيع أبناء القصور الوارفة ، والحلل الوثيرة من أبناء اليوم ، أن يستردوا مافتحه هؤلاء الأصحاب الكرام ، وإننا بحاجة لغرس أخلاق الرجولة والشجاعة في أبنائنا ، بدلاً من التباكي على مقدسات سلبت ، وأعراض انتهكت ، وماترك المسلمون الجهاد قط إلا أذلهم عدوهم واستباح حماهم .

الجرأة في تبيان الحق :

ومن الشجاعة الجرأة في تبيان الحق ، وإنكار المنكر ، ومن أفضل الجهاد كلمة حق عند إمام جائر .

وكانت سيرة علماء هذه الأمة ناصعة ، لأن الأمر بالمعروف واجب شرعي ، ومن هذه المواقف : موقف ابن تيمية رحمه الله مع قازان ملك التتار ،

---

١ ــ انظر حياة الصحابة ٢ / ٦١٠ .

ومما جاء في مقابلته قوله : « أنت تزعم أنك مسلم ، ومعك قاض وإمام ... فغزوتنا ، وأبوك وجدك كانا كافرين وماعملا الذي عملت ، عاهدا فوفيا وأنت عاهدت فغدرت وقلت فما وفيت وجرت » ، ثم خرج من بين يديه مكرماً معززاً . بذل نفسه في طلب حقن دماء المسلمين فبلغه الله ماأراده وكان سبباً لتخليص غالب أسرى المسلمين من أيديهم . وكان رحمه الله يقول : لن يخاف الرجل غير الله إلا لمرض في قلبه (١) .

ومن العلماء العاملين العز بن عبد السلام ، الذي نذر نفسه للجهر بكلمة الحق . ذكر السبكي في طبقاته أن الشيخ عز الدين طلع إلى السلطان في يوم عيد إلى القلعة (في القاهرة) فشاهد العسكر مصطفين بين يديه ، فالتفت الشيخ إلى السلطان وناداه : ياأيوب ، ماحجتك عند الله إذا قال لك : ألم أبوىء لك ملك مصر ثم تبيح الخمور ؟ فقال : هل جرى هذا ؟ فقال الشيخ : نعم . الحانة الفلانية تباع فيها الخمور . فقال : ياشيخنا هذا من أيام أبي . فقال الشيخ : أنت من الذين يقولون : ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة ﴾ . وقد أمر السلطان بإقفال الحانة على الفور ، ثم يسأل الشيخ أحد تلاميذه : أما خفته ؟ قال الشيخ : والله يابني استحضرت هيبة الله تعالى ، فصار السلطان أمامي كالقط (٢) .

واليوم : ابتعدت الشعوب عن رجولة العرب في جاهليتها لتحافظ على كرامتها وعزتها ، وعن شجاعة السلف الصالح الذين تفانوا في خدمة هذا الدين ، استهانوا بالموت فوهبت لهم الحياة الكريمة .

إن الفتن شديدة ، والخطوب تحيط ببلاد المسلمين من أعدائهم في الشرق والغرب ، ولن يتصدى لهذه الشرور إلا فتيان عرفوا ربهم ، وصفت عقيدتهم ، واستقام سلوكهم فتقدموا غير هيابين ولا وجلين : ﴿ ولينصرن الله من ينصره ﴾ □

---

١ ــ من رسالة الكواكب الدرية ، نقلاً عن حياة شيخ الإسلام لمحمد بهجة البيطار .
٢ ــ معالم الثقافة الإسلامية ، عبد الكريم عثمان .

نحو المرتقى المنشود

صالح بن علي الكناني

إن المرتقى الذي بلغه عبد الله بن مسعود الهذلي رضي الله عنه حين وضع قدمه على صفحة عنق أبي جهل ــ أعظم رمز من رموز الجاهلية في زمنه ، بل هو فرعون هذ الأمة ــ ذلك المرتقى كان صعباً حقاً ، ولم يكن مرتقىً لابن مسعود ، إنما كان مرتقى الإسلام على رغم أنف الجاهلية ، ولم تبلغه الأمة إلا بعد معاناة طويلة ، وتربية شاقة دقيقة ، ومحن وشدائد تنقطع دونها الأعناق .

واليوم والجاهلية تتبجح ، وترفع عقيرتها بنداءات الكفر ، وتستبد وتعربد ولاتجد من يقف لها أو يردها عن حياض الإسلام ، اليوم تظهر الحاجة ــ وإن تكن قد ظهرت منذ زمن بعيد ــ إلى جيل يدير التاريخ كدورته الأولى ، فيضع أمته على قمة المرتقى ، بعد أن استطابت عيش السفوح وحظائر الوديان قروناً طويلة ، ولكي يخرج هذا الجيل ــ البركان ــ لابد له من تربية طويلة جادة ، وصبر ومصابرة على اللأواء والجهد ، وتمحيص وتخليص من شوائب الاعتقاد والعمل والمسار .

أقول هذا وقد رأيت شيئاً من الخلل والاضطراب في تربية شباب الإسلام ، مابين فجاجة تلتقط الشاب من حمأة الجاهلية ، فلا تمرُّ به ساعات ، أو أيام إلا وهو « الداعية » المشار إليه بالبنان ، أو رتابة تراوح به زمناً طويلاً فيقطع من عمره سنوات ولم يبتعد عن نقطة البداية غير

خطوات ، والطريق أمامه طويل طويل ، والعودة إلى نقطة البداية أقرب وأيسر ، وليته إذا عاد يقف عن نقطة البداية ، ولكن الغالب أنه يعود إلى ماقبلها وهنا تكون الكارثة . أو صياغة جزئية تأخذ من الإسلام جانباً واحداً فتجعله إسلاماً كاملاً ، وتُغفل عن عمد أو جهل ماسواه ، فيخرج لنا أرباع رجال وأسباع وأعشار ، وتغيب حقائق الدين الكبرى عن عيون أولئك ، فلا يرون إلا ذلك الجزء الذي تعلموه ، وفي كل هذه الحالات للشيطان ظفر كبير .

من أجل ذلك كتبت هذه الأسطر ، رجاء أن تعين على إنارة زوايا الطريق للسائرين — كل السائرين — وهذه معالم التربية المطلوبة :

أولاً : هي تربية عقدية فكرية :

تقوم على نصوص الوحيين ، وتلتزم منهج السلف الصالح في تفسيرهما وفهمهما ، والاستنباط منهما ، وتنزيل أحكامهما على قضايا الواقع المعاصر ، تربية تُجلِّي المفاهيم الاعتقادية ، وتغرسها في أعماق القلوب ، وتتعاهدها حتى تصبح يقينيات راسخة ، لا تتصدع لشبهة ، ولا تنحني لرغبة ولا لرهبة ، أصولها في الأفئدة ، وفروعها في الجوارح ، وثمراتها في واقع الحياة ، ومآلها الروح والريحان ، والمقعد الصدق عند المليك المقتدر ، تروى بماء التوحيد الخالص ، وتشرق عليها شمس اليقين ، ويحميها ذو القوة المتين ، ويباركها الله رب العالمين ، لأنها انطلقت من علم صحيح : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ [محمد / ١٩] .

ثانياً : هي تربية روحية :

قوامها الخشية ، وتقوى الله في السر والعلانية ، والخشوع عند سماع القرآن ، خشوعاً يملأ القلب خوفاً من الله ، ورجاء لما عنده ، وحباً للقائه ، خشوعاً تجري معه ينابيع العيون ، وتتفجر به أنهار الطمأنينة ، وتلين لأصدائه الجلود .

ثالثاً : وهي تربية جماعية :

ترسخ مفهوم الأمة الواحدة ، والجسد الواحد ، يقوم بين أفرادها ترابط عضوي مصيري قوي ، حتى كأنهم البنيان المرصوص ، ليس فيه

لبنة شاذة ولافاذة ، وتعمق في النفوس أن الذئب إنما يدرك من الغنم القاصية ، مع التوازن والاعتدال ، فلا تغرق الفرد في بحر الجماعة فيضمحل ويتلاشى ، ولا تحمله على أكتافها فيتعالى ويتناشى ، تحفظ له كيانه ، وترتب له في البنيان مكانه ، يلين هو في أيدي إخوانه ، ولكنه ليس بإمعة ، بل هو ناقد بصير ، إذا رأى مايريبه نصح واجتهد وبلغ ، فإن نفع ذلك وإلا قال : لا ، بملء فيه ، من غير أن يهدم البنيان ، أو يزعزع الأركان .

رابعاً : وهي تربية متدرجة :

تعطي كل أحد مايصلحه ويلائمه ، وتعد لكل مرحلة مايناسبها وتوفر لها احتياجاتها ، فلا تتجه لإعداد الولاة ، في وقت تكون حاجتها إلى توفير الدعاة ، ولا تنصب السقوف وهي لم تُحكم بعد بنيان القواعد والعمد ، وإن التجاوزات والقفزات سبب للبلاء ، وتجاهل المراحل والسنن الربانية ، واستعجال الوصول قبل الآخرين ، يعرض السائرين لمخاطر الافتراس أو الاندراس ، وأيهما كان فالنتيجة متقاربة ، وإن مرحلة ﴿ كفوا أيديكم ﴾ [النساء / ٧٧] غير مرحلة ﴿ انفروا خفافاً وثقالاً ﴾ [التوبة / ٤١] ، فهي تلبس لكل حالة لبوسها ، وحين تكون في مرحلة فإنها تعد أحسن الإعداد وأكمله ، لما يتلوها من مراحل ، وإذا نظرت إلى الحاضر بعينين ، نظرت إلى المستقبل بألف عين .

خامساً : وهي تربية واعية :

تعرف مايحيط بها من الأشواك ، ومايصوب إليها من السهام ، ومايوضع في طريقها من العوائق والعواثير ، وتدرك أن خفافيش الظلام لايطيب لها طلوع الشمس ، ولذلك تثير الغبار ، وتفجر قنابل الدخان ، علها تحجب النور عن أبي عامر الفاسق وأحفاده ، لاينفكون يحفرون الحفر ليقع فيها الدعاة المجاهدون ، وأن ابن أبي وسلالته داخل الصف يخذلون ويخبلون [إشارة إلى قوله تعالى في الآية (٤٧) من سورة المائدة ﴿ لو خرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالاً ﴾ وأن أبا جهل وورثته لايزالون يقاتلون عن أحساب الجاهلية وموروثاتها ، وأن الشهوانيين

والمارقين والحداثيين يقولون : ﴿ ... لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ .

إنها تعلم الخطط وأربابها ، وتبصر مساربها وأبوابها ، وتحيط بكل مايعلمه الخصوم من مكر الليل والنهار ، وتعي ماينبغي أن يقال وكيف يقال ، ومالا ينبغي أن يقال ، ومتى ــ إذا شاء الله تعالى ــ أن يقال .

سادساً : وهي تربية عالية :

تعلق النفس بمعالي الأمور ، وترفعها عن سفسافها ، وتفرغ النفوس من حظوظها العاجلة ، فلا ترضى إلا لله ، ولا تغضب إلا له ، ولا توالي إلا فيه ، ولا تعادي إلا لأجله ، وتتعلق بالمبادىء لا بالأشخاص ، وكم جرّ التعلق بالأشخاص والمسميات على أمة الإسلام من الفرقة والشتات ، وذهاب الريح ، وضياع الهيبة ، إنها تربية تجعل النفس تستجمع خصال الخير ، وأبواب البر ، ورؤوس الأخلاق الفاضلة ، تحب هداية الناس ، وتسعى إلى ذلك ماستطاعت ، وتفرح بها سواء تحققت على يديها أو على يدي غيرها ، تحسن أدب الاستماع والحوار ، وتغتفر زلات المجتهدين ، وتحسن الظن بالصالحين ، وتلتمس لهم المعاذير فيما أخطأوا فيه ، وترى أخطاءهم ــ إن لم يكن بدٌ من رؤيتها ــ تراها قطرات سيئات في بحار حسنات .

سابعاً : وهي تربية جهادية جريئة :

ترى أن من أهم واجباتها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والنصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، تقول الحق لاتخشى فيه لومة لائم ، تعرف الفرق بين المداهنة المرفوضة ، والمداراة المقبولة ، تفتح عيونها على الحق ، ولا تغمضها ولو للحظة عن الباطل ، وترى أن من أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ، وأن « سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله » [حديث حسن رواه الحاكم عن جابر] .

وبعــــد :

أيها المربون الفضلاء ! هل صبغت مناهجكم التربوية على نحو هذه الأسس ؟ وهل كان التنفيذ على نحو الصياغة ؟ ذلك مانرجو أن يكون والله الهادي إلى سواء السبيل ، وهو وحده المستعان □

شرح اعتقاد أهل السنة في الصحابة

محمد عبد الله الوهيبي

ان اعتقاد أهل السنة في الصحابة يمثل الركيزة الرئيسية لدراسة تاريخهم رضي الله عنهم ، ولابد أن يحصل الانحراف والتشويه لتاريخهم إذا درس بمعزل عن العقيدة ، ولأهمية هذا الموضوع نجد عامة كتب الاعتقاد عند أهل السنة تبينه بشكل جلي ، ولا يمكن أن نجد كتاباً من كتب أهل السنة التي تبحث جوانب العقيدة المختلفة إلا ونجد هذا المبحث .

ولذلك أريد في بحثي هذا أن أبرز أهمية هذا الاعتقاد بجوانبه المختلفة ، ومدى الخطورة المترتبة على تركه من حيث بحث تاريخ الصحابة . وقد قسمته كالتالي :

١ ، ٢ ـ أدلة عدالتهم من القرآن الكريم ومن السنة المطهرة ، اخترت أبرز الآيات والأحاديث الظاهرة الدلالة على ذلك مع تعليقات بعض الأئمة .

٣ ـ منزلة الصحابة لايعدلها شيء ، بحثت فيه فضلهم على من بعدهم .

٤ ـ أنواع سبهم ، وحكم كل نوع ، وضحت فيه الفرق بين السب الذي يطعن في عدالتهم ومادون ذلك ، وكذلك من سب ماتواترت النصوص بفضله ، ومادون ذلك ، ومن سبهم جملة أو سب بعضهم ، وأشرت في آخر الفقرة إلى حكم من سب أم المؤمنين عائشة بما برأها الله منه ، ومن ثم أحكام بقية أمهات المؤمنين .

٥ ــ واتبعت ذلك بحث الآثار المترتبة على السب أو لوازم السب .
٦ ــ وأخيراً بحثت الموقف فيما شجر بينهم وضحّت فيه بعض الأسس والجوانب التي ينبغي أن ينظر إليها الباحث حين بحثه لما شجر بينهم لكيلا يقع في سبهم .

وبعد : أخي القارىء : لاأزعم أني سآتي بجديد ، وإنما جمعت أقوال مختارة للأئمة ، ورتبتها ترتيباً معيناً لهدف محدد ، وهو الدفاع عن أصحاب رسول الله ﷺ ، فهو جهد يضم إلى كل الجهود التي يدافع أصحابها عن الصحابة سواء في مجال العقيدة أو الفرق أو التاريخ أو الحديث أو غيره . (١)

١ ــ من أدلة عدالتهم في الكتاب والسنة :

إن عدالة الصحابة عند أهل السنة من مسائل العقيدة القطعية أو مما هو معلوم من الدين بالضرورة ويستدلون لذلك بأدلة لاتحصى من الكتاب والسنة .

عدالتهم في القرآن :

﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافي قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ﴾ [الفتح / ١٨] .

قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : (كنا ألفاً وأربعمائة) (٢)

هذه الآية ظاهرة الدلالة على تزكية الله لهم تزكية لايخبر ولا يقدر عليها إلا الله ، وهي تزكية بواطنهم ومافي قلوبهم ومن هنا رضي عنهم (ومن رضي عنه تعالى لايمكن موته على الكفر ، لأن العبرة بالوفاء على الإسلام ، فلا يقع الرضا منه تعالى إلا على من علم موته على الإسلام ، وأما من علم موته على الكفر فلا يمكن أن يخبر الله تعالى بأنه رضي

---

١ ــ بعد مشورة مع كاتب هذا البحث رأينا أن المبحثين الأول والثاني هما من الوضوح بمكان ، وحتى لانطيل على القارىء فقد اخترنا نموذجاً من الأدلة وسيرد خلال البحث ذكر كثير من الأحاديث التي تبين عدالتهم . (التحرير)

٢ ــ فتح الباري : ٧ / ٣٤١ ــ ٣٤٢ ، صحيح مسلم ، رقم ٨٥٦ .

عنه) (١) . ومما يؤكد هذا ماثبت في صحيح مسلم من قول رسول الله ﷺ : « لايدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها . الحديث » (٢) .

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : (والرضى من الله صفة قديمة فلا يرضى إلا عن عبد علم أنه يوافيه على موجبات الرضى ومن رضي الله عنه لم يسخط عليه أبداً .. فكل من أخبر الله عنه أنه رضي عنه فإنه من أهل الجنة وإن كان رضاه عنه بعد إيمانه وعمله الصالح فإنه يذكر ذلك في معرض الثناء عليه والمدح له ، فلو علم أنه يتعقب ذلك بما يسخط الرب لم يكن من أهل ذلك) (٣) .

وقال ابن حزم : (فمن أخبرنا الله عز وجل أنه علم مافي قلوبهم ، ورضي الله عنهم ، وأنزل السكينة عليهم ، فلا يحل لأحد التوقف في أمرهم ، أو الشك فيهم البتة) (٤) .

ومن الأحاديث الواردة في عدالتهم مايلي :

١ ــ عن أبي سعيد قال : كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء فسبه خالد فقال رسول الله ﷺ : « لا تسبوا أحداً من أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ماأدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه » (٥) رواه مسلم .

قال ابن تيمية في الصارم المسلول : (... وكذلك قال الإمام أحمد وغيره : كل من صحب النبي ﷺ سنة أو شهراً أو يوماً أو رآه مؤمناً به فهو من أصحابه ، له من الصحبة بقدر ذلك) (٦).

٢ ــ وروى أبو موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال : « النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء مايوعدون ، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أنا أتى أصحابي مايوعدون » رواه مسلم في فضائل

١ ــ الصواعق المحرقة ، ص ٣١٦ .
٢ ــ مسلم بشرح النووي : ١٦ / ٥٨ .
٣ ــ الصارم المسلول ، ص ٥٧٧ ــ ٥٧٨ .
٤ ــ الفصل في الملل والنحل : ٤ / ١٤٨ .
٥ ــ شرح مسلم : ١٦ / ٩٢ ــ ٩٣ .
٦ ــ الصارم المسلول ، ص ٥٨١ .

الصحابة ، باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأمته .

٢ ــ منزلة الصحابة لايعدلها شيء :

لابد من تعظيم الصحابة ومعرفة أقدارهم ولو كان اجتماعهم به ﷺ قليلاً .

قال الحافظ ابن حجر ذاكراً مايدل على ذلك : (فمن ذلك ماقرأت في كتاب أخبار الخوارج تأليف محمد بن قدامة المروزي ، قال : كنا عنده (أي أبي سعيد) وهو متكيء فذكرنا علياً ومعاوية فتناول رجل معاوية ، فاستوى أبو سعيد الخدري جالساً ــ فذكر قصته حينما كان في رفقة مع رسول الله ﷺ فيها أبو بكر ورجل من الأعراب ــ إلى أن قال (أبو سعيد) : ثم رأيت ذلك البدوي أتي به عمر بن الخطاب وقد هجا الأنصار فقال لهم عمر : لولا أن له صحبة من رسول الله ﷺ ماأدري مانال فيها لكفيتكموه) [١] قال الحافظ : ورجال هذا الحديث ثقات [١] .

فقد توقف عمر رضي الله عنه عن معاتبته فضلاً عن معاقبته لكونه علم أنه لقي النبي ﷺ ، وفي ذلك أبين شاهد على أنهم كانوا يعتقدون أن شأن الصحبة لا يعدله شيء [١] .

روى البزار في مسنده بسند رجاله موثوقون من حديث سعيد بن المسيب عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله اختار أصحابي على الثقلين سوى النبيين والمرسلين » [١] .

حدثنا وكيع قال : سمعت سفيان يقول : في قوله تعالى : ﴿ قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ﴾ قال : هم أصحاب محمد ﷺ [١] .

فهذا الاصطفاء والاختيار أمر لايتصور ولايدرك ولا يقاس بعقل ومن ثم لامجال لمفاضلتهم مع غيرهم مهما بلغت أعمالهم .

قال ابن عمر : (لاتسبوا أصحاب محمد ، فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره) ، وفي رواية وكيع : (خير من عبادة أحدكم

١ ــ الإصابة ١ / ١٢ .

أربعين سنة ، رواه أحمد في فضائل الصحابة وابن ماجة وابن أبي عاصم بسند صحيح قاله الألباني [1] .

من كل ماسبق ذهب جمهور العلماء إلى أن فضيلة الصحبة لايعدلها عمل لمشاهدة رسول الله ﷺ ، أما من اتفق له الذب عنه والسبق إليه بالهجرة أو النصرة أو ضبط الشرع المتلقى عنه وتبليغه لمن بعده فإنه لايعدله أحد ممن يأتي بعده ، لأنه مامن خصلة (إلا للذي سبق بها مثل أجر من عمل بها من بعده ، فظهر فضلهم) [2] .

قال الإمام أحمد رحمه الله في عقيدته : (فأدناهم صحبة هو أفضل من القرن الذين لم يروه ولو لقوا الله بجميع الأعمال) [3] .

وقال النووي : (وفضيلة الصحبة ولو لحظة لايوازيها عمل ولاتنال درجتها بشيء ، والفضائل لاتؤخذ بقياس ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) [4] . أيضاً التزكية الداخلية لهم من الله عز وجل العليم بذات الصدور مثل قوله تعالى : ﴿ فعلم مافي قلوبهم ﴾ وقبول توبتهم : ﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار ﴾ الآية ، ورضاه عنهم : ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾ .. الخ ، كل ذلك اختصوا به ، فأنى لمن بعدهم مثل هذه التزكيات ؟

لكن يقول قائل [5] : لقد وردت بعض الروايات الدالة على خلاف ماذكرت مثل قوله ﷺ في حديث أبي ثعلبة : « تأتي أيام للعامل فيهن أجر خمسين ، قيل : منهم أو منا يارسول الله ؟ قال : بل منكم » [6] .

وقوله ﷺ في حديث أبي جمعة قال : قال أبو عبيدة : يارسول الله ،

---

١ ــ فضائل الصحابة ١ / ٥٧ ، ٦٠ ، شرح الطحاوية ، ٥٣١ .
٢ ــ فتح الباري ٧ / ٧ .
٣ ــ شرح أصول اعتقاد أهل السنة : اللالكائي ١ / ١٦٠ .
٤ ــ مسلم بشرح النووي ١٦ / ٩٣ .
٥ ــ من أشهر من قال بذلك الإمام ابن عبد البر والاستدلال المذكور هو من أقوى استدلالاته ، والجمهور على خلاف قوله كما أشرنا .
٦ ــ رواه أبو داود : (٤١ ، ٤٣) ، والترمذي ٢ / ١٧٧ ، وابن ماجه (٤٠١٤) وابن حبان (١٨٥٠) قال الترمذي : حديث حسن .

أحد خير منا ؟ أسلمنا معك ، وجاهدنا معك ، قال : « قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني » [1] . فكيف الجمع بين هذه الروايات وماذكر سابقاً ؟.

أجاب العلماء عن ذلك بعدة أجوبة أهمها :

١ ـ حديث « للعامل فيهن أجر خمسين » لايدل على الأفضلية لأن مجرد زيادة الأجر على بعض الأعمال لايستلزم ثبوت الأفضلية مطلقاً .

٢ ـ أن المفضول قد توجد فيه مزايا وفضائل ليست عند الفاضل ولكن من حيث مجموع الخصال لايساوي الفاضل .

٣ ـ وكذلك يقال الأفضلية بينهما (إنما هي باعتبار مايمكن أن يجتمعا فيه وهو عموم الطاعات المشتركة بين سائر المؤمنين ، فلا يبعد حينئذ تفضيل بعض من يأتي على بعض الصحابة في ذلك ، أما مااختص به الصحابة رضوان الله عليهم وفازوا به من مشاهدة طلعته ﷺ ، ورؤية ذاته المشرفة المكرمة ، فأمر من وراء العقل إذ لايسع أحداً أن يأتي من الأعمال وان جلبت بما يقارب ذلك فضلاً عن أن يماثله) [2] .

٤ ـ أما حديث أبي جمعة فلم يتفق الرواة على لفظه ، فقد رواه بعضهم بلفظ الخيرية كما تقدم ، ورواه بعضهم بلفظ قلنا يارسول الله هل من قوم أعظم منا أجراً ؟ أخرجه الطبراني . قال الحافظ في الفتح : (واسناد هذه الرواية أقوى من إسناد الرواية المتقدمة ، وهي توافق حديث أبي ثعلبة وقد تقدم الجواب عنه ، والله أعلم) [3] .

وأخيراً ينبغي التنبيه في آخر هذه الفقرة إلى أن الخلاف بين الجمهور وغيرهم في ذلك لايشمل كبار الصحابة من الخلفاء وبقية العشرة ومن ورد فيهم فضل مخصوص كأهل العقبة وبدر وتبوك .. الخ . وإنما يحصل النزاع فيمن لم يحصل له إلا مجرد المشاهدة ولذلك استثنى الإمام ابن عبد البر أهل بدر والحديبية [3] .

١ ـ رواه أحمد والدارمي والطبراني وصححه الحاكم ، قال ابن حجر : اسناده حسن ، الفتح ٧ / ٦ .
٢ ـ الصواعق المجرقة ، ٣٢١ .
٣ ـ الفتح ، ٧ / ٧ .

٣ ـــ أنواع سب الصحابة ، رضي الله عنهم ، وحكم كل نوع :

السب : هو الكلام الذي يقصدبه الانتقاص والاستخفاف ، وهو مايفهم من السب في عقول الناس على اختلاف اعتقاداتهم كاللعن والتقبيح ونحوهما (١) .

وسب الصحابة رضوان الله عليهم دركات بعضها شرٌ من بعض ، فمن سب بالكفر أو الفسق ، ومن سب بأمور دنيوية كالبخل وضعف الرأي ، وهذا السب إما أن يكون لجميعهم أو أكثرهم ، أو يكون لبعضهم أو لفرد منهم ، وهذا الفرد إما أن يكون مما تواترت النصوص بفضله أو دون ذلك .

وإليك تفصيل وبيان أحكام كل قسم :

١ ـــ من سب الصحابة بالكفر والردة أو الفسق جميعهم أو معظمهم فلا نشك في كفر من قال بذلك لأمور من أهمها :

أ ـــ أن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق ، وبذلك يقع الشك في القــرآن والأحاديث لأن الطعن في النقلة طعن في المنقول .

ب ـــ لأن في ذلك إيذاءاً له ﷺ لأنهم أصحابه وخاصتــه فسب أصحاب المرء وخاصته والطعن فيهم يؤذيه ولاشك ، وأذى الرسول ﷺ كفر كما هو مقرر .

ج ـــ أن في هذا تكذيباً لما نص عليه القرآن من الرضى عنهم والثناء عليهم (فالعلم الحاصل من نصوص القرآن والأحاديث الدالة على فضلهم قطعي) (٢) ، ومن أنكر ماهو قطعي فقد كفر .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية مبيناً حكم هذا القسم : (.. وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفراً قليلاً لايبلغون بضعة عشر نفساً أو أنهم فسقوا عامتهم فهذا لاريب أيضاً في كفره لأنه مكذب لما نصه القرآن في

---

١ ـــ الصارم المسلول ، ٥٦٦ .
٢ ـــ الرد على الرافضة ، ١٩ .

غير موضع من الرضى عنهم والثناء عليهم ، بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين .. إلى أن قال : ... وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام) (١) .

وقال الهيثمي رحمه الله : (... ثم الكلام (أي الخلاف) إنما هو في سب بعضهم أما سب جميعهم ، فلاشك في أنه كفر) (٢) .

ومع وضوح الأدلة الكلية السابقة ذكر بعض العلماء بعض الأدلة التفصيلية ومنها :

١ ــ مر معنا تفسير العلماء للآية الأخيرة من سورة الفتح ﴿ محمد رسول الله ... إلى قوله : ليغيظ بهم الكفار ﴾ الآية . استنبط الإمام مالك رحمه الله من هذه الآية كفر من يبغضون الصحابة لأن الصحابة يغيظونهم ومن غاظه الصحابة فهو كافر ، ووافقه الشافعي وغيره (٣) .

٢ ــ وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « آية الإيمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار » وفي رواية : « لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق » ... ولمسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « لايبغض الأنصار رجل آمن بالله واليوم الآخر » ... فمن سبهم فقد زاد على بغضهم فيجب أن يكون منافقاً لايؤمن بالله ولا باليوم الآخر (٤) .

٣ ــ ومن ذلك ماثبت عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه ضرب بالدرة من فضله على أبي بكر ثم قال عمر : أبو بكر كان خير الناس بعد رسول الله ﷺ في كذا وكذا ثم قال عمر : من قال غير هذا أقمنا عليه مانقيم على المفتري (٥) . وكذلك قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب : لايفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري (٦) .

(فإذا كان الخليفتان الراشدان

---

١ ــ الصارم المسلول ، ٥٩١ ، ٥٩٢ .
٢ ــ الصواعق المحرقة ، ٣٧٩ .
٣ ــ الصواعق المحرقة ، ٣١٧ ، تفسير ابن كثير ٤ / ٢٠٤ .
٤ ــ الصارم المسلول ، ٥٨٦ .
٥ ــ فضائل الصحابة ١ / ٣٠٠ ، وصححه ابن تيمية ، الصارم : ٥٩٠ .
٦ ــ فضائل الصحابة ١ / ٨٢ ، والسنة لابن أبي عاصم ٢ / ٥٧٥ .

عمر وعلي رضي الله عنهما يجلدان حد المفتري من يفضل علياً على أبي بكر وعمر ، أو من يفضل عمر على أبي بكر مع أن مجرد التفضيل ليس فيه سب ولا عيب ، علم أن عقوبة السب عندهما فوق هذا بكثير) [1] .

٢ ــ ومن سب بعضهم سباً يطعن في دينهم كأن يتهمهم بالكفر أو الفسق وكان مما تواترت [*] النصوص بفضله (كالخلفاء) فذلك كفر ــ على الصحيح ــ لأن في هذا تكذيباً لأمر متواتر . روى أبو محمد بن أبي زيد عن سحنون قال : من قال في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي أنهم كانوا على ضلال وكفر قتل ، ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل ذلك نكّل النكال الشديد [2] .

وقال هشام بن عمار : سمعت مالكاً يقول : من سب أبا بكر وعمر قتل ، ومن سب عائشة رضي الله عنها قتل ، لأن الله تعالى يقول فيها : ﴿ يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين ﴾ فمن رماها فقد خالف القرآن ، ومن خالف القرآن قتل [3] .

أما قول مالك في الرواية الأخرى : (من سب أبا بكر جلد ومن سب عائشة قتل ، قيل له : لم ؟ قال : من رماها فقد خالف القرآن) [4] . فالظاهر ـــ والله أعلم ــ أن مقصود مالك رحمه الله هنا في سب أبي بكر رضي الله عنه فيما دون الكفر ، يوضحه بقية كلامه عن عائشة رضي الله عنها حيث قال : من رماها فقد خالف القرآن . فهذا سب مخصوص يكفر صاحبه (ولايشمل كل سب) ، وذلك لأنه ورد عن مالك القول بالقتل فيمن كفر من هو دون أبي بكر [5] .

---

١ ــ الصارم المسلول / ٥٩١ .

* ــ بعض العلماء يقيد ذلك بالخلفاء والبعض يقتصر على الشيخين ومن العلماء من يفرق باعتبار تواتر النصوص بفضله أو عدمها ولعله الأقرب والله أعلم ، وكذلك البعض ممن يكفر ساب الخلفاء يقصر ذلك على رميهم بالكفر ، والآخرون يعممون بكل سب فيه طعن في الدين .

٢ ــ الشفا للقاضي عياض : ٢ / ١١٠٩ .

٣ ــ الصواعق المحرقة / ٣٨٤ .

٤ ــ الشفا : ٢ / ١١٠٩ .

٥ ــ المصدر نفسه : ٢ / ١١٠٨ .

قال الهيثمي مشيراً إلى مايقارب ذلك عند كلامه عن حكم سب أبي بكر : (.. فتلخص أن سب أبي بكر كفر عند الحنفية ، وعلى أحد الوجهين عند الشافعية ، ومشهور مذهب مالك أنه يجب به الجلد فليس بكفر ، نعم ، قد يخرج عنه مامر عنه في الخوارج أنه كفر ، فتكون المسألة عنده على حالين ان اقتصر على السب من غير تكفير لم يكفر وإلا كفر) [1] .

وقال أيضاً : (... وأما تكفير أبي بكر ونظرائه ممن شهد لهم النبي ﷺ بالجنة فلم يتكلم فيها أصحاب الشافعي ، والذي أراه الكفر فيها قطعاً ..) [2] .

وقال الخرشي : (من رمى عائشة بما برأها الله منه ... ، أو أنكر صحبة أبي بكر ، أو إسلام العشرة ، أو إسلام جميع الصحابة ، أو كفّر الأربعة أو واحداً منهم كفر) [3] .

وقال البغدادي : (وقالوا بتكفير كل من أكفر واحداً من العشرة الذين شهد لهم النبي ﷺ بالجنة ، وقالوا بموالاة جميع أزواج رسول الله ﷺ وأكفروا من أكفرهن أو أكفر بعضهن) [4] .

والمسألة فيها خلاف مشهود ولعل الراجح ماذكرنا . وأما القائلون بعدم كفر ـــ من هذه حاله ـــ فقد أجمعوا على أنه فاسق لارتكابه كبيرة من كبائر الذنوب يستحق التعزير والتأديب على حسب منزلة الصحابي ونوعية السب . وإليك بيان ذلك :

قال الهيثمي : (أجمع القائلون بعدم تكفير من سب الصحابة على أنهم فساق) [5] .

وقال ابن تيمية : (قال إبراهيم النخعي : كان يقال شتم أبي بكر وعمر من الكبائر وكذلك قال أبو إسحاق السبيعي : شتم أبي بكر وعمر من الكبائر التي قال الله تعالى : ﴿ إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه ﴾ .. الآية وإذا كان شتمهم بهذه المثابة فأقل

---

١ ـــ الصواعق / ٣٨٦ .
٢ ـــ المصدر نفسه / ٣٨٥ .
٣ ـــ الخرشي على مختصر خليل : ٨ / ٧٤ .
٤ ـــ الفرق بين الفرق / ٣٦٠ .
٥ ـــ الصواعق المحرقة / ٣٨٣ .

مافيه التعزير لأنه مشروع في كل معصية ليس فيها حد ، ولا كفارة .. وهذا مما لانعلم فيه خلافاً بين أهل الفقه والعلم من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان وسائر أهل السنة والجماعة فإنهم مجمعون على أن الواجب الثناء عليهم والاستغفار لهم والترحم عليهم .. وعقوبة من أساء فيهم القول) [1] .

وقال القاضي (عياض) : وسب أحدهم من المعاصي الكبائر ، ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه يعزر ولا يقتل ... [2] .

وقال عبد الملك بن حبيب : (من غلا من الشيعة إلى بغض عثمان والبراءة منه أدب أدباً شديداً ، ومن زاد إلى بغض أبي بكر وعمر فالعقوبة عليه أشد ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ...) [3] .

فلا يقتصر في سب أبي بكر رضي الله عنه على الجلد الذي يقتصر عليه في جلد غيره لأن ذلك الجلد لمجرد حق الصحبة ، فإذا انضاف إلى الصحبة غيرها مما يقتضي الاحترام لنصرة الدين وجماعة المسلمين ، وماحصل على يده من الفتوح وخلافة النبي ﷺ ، وغير ذلك كان كل واحد من هذه الأمور يقتضي مزيد حق موجب لزيادة العقوبة عند الاجتراء عليه [4] ، وعقوبة التعزير المشار إليها لاخيار للإمام فيها بل يجب عليه فعل ذلك .

قال الإمام أحمد رحمه الله : (لايجوز لأحد أن يذكر شيئاً عن مساويهم ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا بنقص ، فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ، ليس له أن يعفو عنه ، بل يعاقبه ويستتيبه ، فإن تاب قبل منه ، وإن ثبت عاد عليه بالعقوبة وخلّده الحبس حتى يموت أو يراجع) [5] .

فانظر أخي المسلم إلى قول إمام أهل السنة فيمن يعيب أو يطعن بواحد

---

١ ــ الصارم المسلول : ٥٨٢ ــ ٥٨٣ .
٢ ــ مسلم بشرح النووي : ١٦ / ٩٣ .
٣ ــ الشفا : ٢ / ١١٠٨ .
٤ ــ الصواعق المحرقة / ٣٨٧ .
٥ ــ طبقات الحنابلة : ١ / ٢٤ .

منهم ووجوب عقوبته وتأديبه . ولما كان سبهم المذكور من كبائر الذنوب ــ عند بعض العلماء ــ فحكم فاعله حكم أهل الكبائر من جهة كفر مستحلها .

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله مبيناً حكم استحلال سب الصحابة : (.. ومن خص بعضهم بالسب فإن كان ممن تواتر النقل في فضله وكماله كالخلفاء فإن اعتقد حقية سبه أو إباحته فقد كفر لتكذيبه ماثبت قطعاً عن رسول الله ﷺ ، ومكذبه كافر ، وإن سبه من غير اعتقاد حقية سبه ، أو إباحته فقد تفسق لأن سباب المسلم فسوق وقد حكم البعض فيمن سب الشيخين بالكفر مطلقاً والله أعلم) (١) .

وقال القاضي أبو يعلى تعليقاً على قول الإمام أحمد رحمه الله حين سئل عمن شتم الصحابة ، فقال : ماأراه على الإسلام ، قال أبو يعلى : (فيحتمل أن يحمل قوله : ماأراه على الإسلام ، إذا استحل سبهم بأنه يكفر بلا خلاف ، ويحمل اسقاط القتل على من لم يستحل ذلك مع اعتقاده لتحريمه كمن يأتي المعاصي) ثم ذكر بقية الاحتمالات (٢) .

يتلخص مما سبق فيمن سب بعضهم سباً يطعن بدينه وعدالته وكان مما تواترت النصوص بفضله أنه يكفر ــ على الراجح ــ لتكذيبه أمراً متواتراً ، أما من لم يكفره من العلماء فأجمعوا على أنه من أهل الكبائر ويستحق التعزير والتأديب ولايجوز للإمام أن يعفو عنه ويزاد في العقوبة على حسب منزلة الصحابي ، ولا يكفر ــ عندهم ــ إلا إذا استحل السب ، أما من زاد على الاستحلال كأن يتعبد الله عز وجل بالسب والشتم فكفر مثل هذا مما لاخلاف فيه ونصوص العلماء السابقة واضحة في مثل ذلك . وباتضاح هذا النوع بإذن الله يتضح مابعده بكل يسر وسهولة ولذلك أطلنا القول فيه □

* يتبع *

---

١ ــ الرد على الرافضة / ١٩ .
٢ ــ الصارم المسلول / ٥٧٦ ، وراجع أيضاً : ٥٧٤ ــ ٥٧٥ .



هذه الخطبة القاها الدكتور الشيخ محمد أمين المصري رحمه الله في دمشق بتاريخ ٣٠ / ٢ / ١٣٨٤ الموافق ١٠ / ٧ / ١٩٦٤ ، وموضوع الخطبة لايزال حياً وبحاجة للتأكيد وكثير؛ ماسمعناه يؤكد ويكرر على هذا الموضوع ، وينتقد ماعليه المسلمين من الأنانية .

ووفاء للشيخ الداعية ننشر هذه الخطبة (وهي لم تنشر سابقاً ضمن خطبه وأحاديثه) لعل الله ينفع بها .

* * *

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .

أما بعد أيها الإخوة المؤمنون ، يقول الله تباركت أسماؤه في محكم تنزيله : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وماتنفقوا من شيء فإن الله به عليم ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وماتنفقوا من خير فلأنفسكم ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وماتنفقوا في سبيل الله من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون ﴾ .

وهكذا أيها الإخوة ، وهكذا أيها الأخ المؤمن ، لاتكاد تتلو بضع آيات من كتاب الله إلا وتجد حضاً كبيراً ، وتجد دعوة قوية تهيب بك أيها المؤمن أن تنفق في سبيل الله ، تنفق لمن ؟ إنك تنفق على أخ لك مثلك . ماالغرض

من ذلك ؟ الغرض من ذلك أن يكون هناك تعاطف بين المسلمين ، أن يكون هناك تراحم بين المسلمين ، حتى يكونوا كجسد واحد إذا اشتكى منه عضو واحد تداعى له سائر الجسد ، كل عضو ندب نفسه لمعونة هذا العضو كي لايكون في المسلمين شقي واحد ولا بائس واحد ولا محروم واحد . أيها الأخ الكريم : لاتتلو آية فيها دعوة إلى الصلاة إلا وتجد آية فيها دعوة إلى الزكاة ، ولا تتلو آية فيها دعوة إلى الإيمان إلا وتجد آية تُدعى فيها إلى الجهاد وآية ثالثة تدعى فيها إلى الإنفاق في سبيل الله .

قال تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾ . وقال تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ خافت من عظمة الله ، من كبرياء الله ، من سطوة الله ، من جبروت الله ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ .

أيها الاخوة : الأمة يجب أن تكون جسماً واحداً ، المجتمع يجب أن يكون بناءً واحداً . هنالك الضمان الاجتماعي ، هنالك التكافل الاجتماعي ، هنالك العدالة الاجتماعية ، كل ذلك مبعثه من الإيمان ، من الرحمة ، من حب المؤمنين ، لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه . والله لايؤمن والله لايؤمن والله لايؤمن من بات شبعان وجاره جائع .

أيها الأخوة : رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ، وكفرنا بكل مبدأ يغاير الإسلام ، كفرنا بكل نحلة تأتينا من ديار الأعداء ، وتركنا وهجرنا كل مذهب يغاير مذهب الإسلام ، إنما هو كفر وإيمان إنما هو ضلال وهدى ، إنما نستمسك بدين محمد ﷺ وندع كل شريعة باطلة . أيها الأخوة لانعرف ضماناً إلا ضمان الإسلام ، ولا نعرف تكافلاً إلا تكافل الإسلام ، ولانعرف عدالة إلا عدالة الإسلام ، أما ماوراء ذلك فألفاظ كاذبة ودعوات زائغة واشتراكيات منحرفة ضالة وذلك لأن الإسلام ينظر إليك على أنك إنسان على أن لك روحاً ، على أن فيك معاني الإنسانية ، تستطيع أن تعلو فوق الحيوانية ، تستطيع أن تسمو

فوق المادة ، تستطيع أن تؤمن بالله وتهب نفسك لله وتعيش في سبيل الله وتنفق مالك لله ، الإسلام أيها الأخوة يربيك على أنك إنسان تؤمن بالله وتؤمن باليوم الآخر وترضى بما أمر الله ، وتذر ماأمرك الله بتركه ، كل ذلك سهل عليك فتنفق مالك كله إن اقتضى الأمر في سبيل الله كما فعل أبو بكر حين جاء بماله كله فوضعه بين يدي الرسول في غزوة تبوك ، فقال له رسول الله : ياأبا بكر ماذا تركت لنفسك وأهلك ؟ قال : تركت لهم الله ورسوله . وجاء عمر بنصف ماله وجاء عثمان بشيء كثير جداً ووضعه بين يدي رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم ارض عن عثمان فإني راض عنه ، قدم آلاف الدنانير ومئات الإبل وهكذا جهز جيش العسرة .

الانطلاق عندنا من الإيمان ، من مبادئنا أن يكون الإنسان إنساناً ، أما الإنسان الذي لايعرف إلا شهوته ، لايعرف إلا طعامه ، لايعرف إلا شرابه ، لايعرف إلا منافعه ، إنسان مثل هذا يجب أن ينزع ماله وتوضع له القيود ويغل بالأغلال ، أما المؤمن فليس له ذلك . ترك الإسلام للمؤمن الحرية ، ترك لطاقاته أن تندفع ، ترك لإمكاناته أن تتبارى وأن تقوم بمشروعات ، إن إنساناً واحداً يستطيع أن يقوم أحياناً بما لاتستطيع أن تقوم به أمة . الناس كإبل مائة لاتكاد تجد فيها راحلة ، الأكثرية على الغالب بسطاء وسطاء تجد بينهم نابغة واحداً ، الإسلام لايقول لهذا الواحد نكبت حريتك ، نمنعك من التصرف ، نغل يديك ، بل نقول له : انطلق بقوتك ولكن أنت وقوتك وإيمانك وطاقاتك لله وفي سبيل الله وللأمة ، فإذا دق جرس الخطر تقدمت بنفسك ومالك . هذه تربية الإسلام ، تربية الإسلام إطلاق للقوى ، إطلاق للطاقات مع تربية القلب حتى يكون قلباً مؤمناً فإذا كان كذلك كان كل مالديه له ، كل سعيه كان في سبيل الله . نظرة الإسلام أن نطلق القوى ونربي القلوب ونعتبر الإنسان بشراً سوياً . نظرة أولئك ألا نعتبر الإنسان بشراً سوياً بل نفعياً أنانياً لاسبيل للرحمة إلى قلبه . لا تسمح له بالانطلاق ، ينطلق في سبيل نفسه وكبت غيره . أنا لا أدري هل أستطيع أن أفرق بين نظرتين نظرة الأمل بك أيها الإنسان ونظرة سوء الظن بك أيها الإنسان ، نظرة على أنك تؤمن بالله واليوم الآخر ، ونظرة على أنك قطعة من

الكون ألقيت وستنتهي ، هذه الحياة تكون منطلقاً لك ومسرحاً للذاتك أنت ، أما نظرة الإسلام فإنه أطلق وربى من الداخل ، أما نظرة أولئك فاعتبروا الإنسان حيواناً وبهيمة .

أيها الأخوة : أما الذنب فهو ذنبنا ، ذنبنا نحن المسلمين ، هل يصح أن يقال إن مجتمعنا مجتمع إسلامي ؟ لا . هل نمثل الإسلام تمثيلاً صحيحاً ؟ هل هذا المجتمع هو الذي وصفه الرسول ﷺ في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ؟ لا بكل أسف ، لا ليس الأمر كذلك إننا لانمثل الإسلام ، نحن الآن أنانيات محضة ، قلوب بعيدة متنافرة يصدق علينا مايقول أولئك كأننا والله لانؤمن بالله ولا نؤمن باليوم الآخر ، نحن لانمثل الإسلام ولا نستطيع أن ندافع عن الإسلام ولا نستطيع أن نذيع للملأ أن كلمة الله هي العليا لأن الناس ينظرون إلى الإسلام من خلال هذه النفوس الواهية المتواكلة الضعيفة المستخذية فلا نستطيع أن نقول هذا هو الإسلام ، فانظروا نحن قد جنينا إثمين :
أولاً : جنينا على أنفسنا وسنلاقي جزاء عملنا .
ثانياً : جنينا على سمعة الإسلام .

إن الناس ينظرون إلى الإسلام من خلال أعمالنا ومن خلال مجتمعنا ، هذا هو المجتمع الإسلامي فانظروا إلى الإسلام ، الذنب ذنبنا الإثم إثمنا ، الجريمة جريمتنا . لو كان هناك مجتمع واحد إسلامي في العالم كله لكان حجة على النظريات وحجة على المذاهب ، ولتبين للناس جميعاً أن الإسلام هو الكمال وأن ماتتخبطون به من نظريات ومذاهب هو الضلال والبطلان ، ولكن هؤلاء يتخبطون ويتنقلون بين المذاهب ولايظنون أن الإسلام لديه الحل إلا نفر يسير منهم ولكنهم قلة ، نفذت أبصارهم إلى ماوراء المجتمع الإسلامي وإلى الإسلام وحقيقته واستطاعوا أن يعرفوا الإسلام . لو كان هناك مجتمع إسلامي واحد لكان حجة على الشرق وحجة على الغرب ، ولكان مجتمعاً مثالياً .

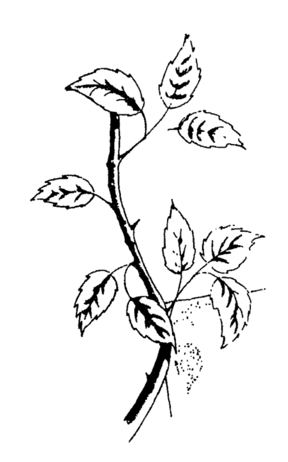
أيها الإخوة : لم يكن كذلك أسلافنا أصحاب رسول الله ﷺ نحن أيها الأخوة أصبنا بضعف ، وهذا الضعف الذي أصبنا به رضينا به وسوغنا لأنفسنا مانحن فيه وقلنا هذا هو الإسلام ، المؤمن لايبالي بما في المجتمع ، المؤمن لايهتم

بشؤون الأمة ، المؤمن لاينتدفع إلى الخير ، المؤمن لايجاهد في سبيل الله وفي سبيل إيقاف الشر عند حده ، كل واحد منا شأنه كذلك وهو يرى أنه مؤمن وهو يرى ألاّ طاقة له ، وهو يرى أن هذا قضاء الله ، وكل ذلك حيل ركبها الشيطان ، وسولتها النفوس ، وليس الواقع كذلك حينما نسمع آيات الله تجبهنا وتصدع وجوهنا نلتفت إلى حيلة أخرى ، نقول : لا ! ذلك لأصحاب رسول الله أما نحن المساكين أين نحن من أولئك ، الآيات تدعونا إلى الجهاد ، ونحن همتنا أدنى ، رضينا بالأدنى . رضينا بالمرتبة الدنيا وانتهى ذلك إلى أن مجتمعنا لايمثل مجتمعاً إسلامياً صحيحاً .

حين نزل قوله تعالى : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ لن تنالوا درجة البر ، مرتبة البر ، أن يقال إنك من أهل البر ، من الأبرار عند الله ، لن تنالوا هذه الدرجة حتى تنفق من كرائم أموالك وتنفق من طيبات ماكسبت ، تنفق ونفسك طيعة راضية بما تنفق ، درجة عالية لاتصل إليها بكل أسف . حين نزلت هذه الآية تبارى أصحاب رسول الله إليه ، يقول أحدهم : يارسول الله ، إن أحب مالي كذا وكذا أضعه صدقة . وجاء أبو طلحة ــ كما يروي الشيخان البخاري ومسلم ــ جاء إلى رسول الله ﷺ قال : يارسول الله سمعت قول الله تعالى ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ وإن أحب مالي إلي بستان اسمه بستان بيرحاء ، بستان من أطيب البساتين مقابل مسجد الرسول فيه عين ماء عذبة يدخل الرسول ﷺ يشرب من تلك العين يقول أبو طلحة : إن أحب مالي إلي بستان اسمه بستان بيرحاء وإني أجعله صدقة أرجو برها وذخرها يوم القيامة ، يقول رسول الله ﷺ : بخ بخ قد سمعت ماتقول إجعلها في الأقربين أو كما قال رسول الله ﷺ . سمع أبو طلحة قول الله تعالى : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ فبادر ونفذ ، لِمَ ذلك أيها الأخوة ؟ لأن الإيمان خالطت بشاشته قلبه وخالطت حلاوته قلبه . تربية أولئك خير من تربيتنا .

إن مجتمعنا لايمثل المجتمع الإسلامي الصحيح ، إن تربيتنا التي نشأنا عليها ليست تربية إسلامية صحيحة ، الأمر الأساسي التربية ، الأمر الأساسي المدرسة ،

وإن مسلمي هذه البلاد لاينفقون على المدارس وإن هذا ضعف كبير جداً . انفقوا على المدارس الإسلامية فكروا في هذا الأمر . هذا خير مايجب الاجتماع عليه وخير مايجب التقيد به ، نسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا ويعيذنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ويلهمنا الاستمساك بكتابه وسيرة نبيه ، أقول قولي هذا واستغفر الله □





عبد الفتاح سعد

تحت النفس شهوات وحظوظ شتى لو نظر البصير إليها لأنكر نفسه التي بين جوانحه . ومإنكار المرء لنفسه إلا وليد فترات المحاسبة والمراجعة للنفس وميولها . ومما جبلت عليه النفس حبها وولعها بثناء الآخرين وتقريظهم .

لذا تجد من الناس ناساً قد أجهدوا أنفسهم في الأعمال والطاعات الظاهرة بغية الثناء والمديح يحسبون أنهم على شيء ، ومافطنوا أنهم لاخلاق لهم .

وفئة أخرى ليست بأحسن حالاً من السابقة فهي ماتفتأ تتكلم عن إخلاصها وأنها تحب التخفي في أعمالها وطاعاتها وتذكر لذلك شواهد وقصص ، وتحذر من مغبة الوقوع في الرياء فيحصل لها الثناء والمديح لما يرى ويسمع عن إخلاصها في إخفاء أعمالها وتحذيرها من الرياء ، وهذه الفئة تخطىء إذ تذكر ذلك بل تنسى أن « من ظن في إخلاصه إخلاصاً احتاج إخلاصه إلى إخلاص » .

ومن الناس ناس يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا لذا تراهم ينتحلون أعمال الآخرين ويسرقون جهود المبدعين حتى يتحول الثناء إليهم من بعد ذلك ...

وعلى شاكلة هؤلاء من يدلسون من حيث يدرون أو لايدرون فهم إن وجدوا نثراً رائعاً أو نظماً جيداً أو حكمة بليغةً من مصدر أصلي في كتاب ما ذكروا المصدر الأصلي وتجاهلوا أو ذهلوا عن وجادتهم من ذلك الكتاب وكأنهم

بالفعل قد رجعوا إلى المصدر الأصلي ، وهؤلاء لايختلفون عن السابقين إلا قليلاً ، لأن الناظر سيثني على جهودهم في الرجوع إلى ذلك المصدر الأصلي وسيحمدون ولاريب بما لم يفعلوا . والنفس في أثناء مرضها بتلك الشهوة لاتفطن إلى أخلاط من شهوات خفية تتولد لتحقيق تلك الشهوة الكبرى ..

فمن ذلك ترى النفس تحب ذم مخالفيها وبخس حقوقهم وإنزالهم في غير منازلهم وتتجاهل حسناتهم وفضائلهم . فالشهوة الأولى أوقعت النفس في شهوات أخرى ، ولعلك ترى أناساً ينتصرون لأقوالهم وآرائهم عن طريق توهين آراء الآخرين أو نسبتهم إلى ضحالة في الرأي وسطحية في التفكير ، أو ضيق في الأفق وعدم شموله ، إلى آخر تلك الاتهامات وكأنها بذلك تومىء إيماء أنها صاحبة النظرة الثاقبة والآراء السديدة ، فينال رأيها المديح والإطراء .

وقد تعظم علائم المرض ، ويتضخم هذا الورم السرطاني ، فيصرف صاحبه عن الأعمال والطاعات الخفية البعيدة عن المحيط الخارجي ، فلا قيام لليل ولا صيام تطوع ، ولا صدقة تخفيها يمينه عن شماله . ولعل السبب أن الدافع للعمل لدى تلك النفس هو المحيط الخارجي وبغية ثنائه وإطرائه ، فإذا غاب المحيط الخارجي . فما الباعث إذن على العمل ؟؟

ولن نبعد عن الشهوة الأولى كثيراً عندما نرى من يدعون علم مالا يعلمون ، فلعلهم قرأوا مقدمة كتاب وخاتمته وفهرس المحتويات ويزعمون بعد ذلك علماً بالكتاب وإدراكاً لمضمونه حتى إذا جمعهم مجلس مع الناس ورأى الناس منهم تلك الادعاءات انبهروا فأثنوا عليهم وأشاروا إليهم بالبنان : هؤلاء هم القراء !

ولا تقف تلك الشهوة عند ذلك الحد ، بل تمضي بصاحبها إلى الجدال والمخاصمة بغية الانتصار لتلك النفس ، أو قل : بغية إرضاء تلك الشهوة الخفية ..

والذين يقعون في ربقة تلك الشهوة يجهدون أنفسهم تفكيراً في أحسن السبل وأحسن الأساليب وأحسن الكلمات .. الخ . ثم يبررون ذلك بقولهم : نريد كسب ثقة الآخرين وأن نكون عند حسن ظنهم ، وهم في الحقيقة يريدون التشبع بثنائهم ، ومن ثم يصلون إلى حظوظ ومناصب .. الخ .

ألا ترى معي كم من الوقت يمضي ؟ وكم من الجهد يضيع من أجل إشباع تلك الشهوة ؟ ولا إخالك عزيزي القارىء تظنها دعوة إلى التكاسل والخمول وعدم إتقان العمل ، وإنما هي دعوة إلى سبر المقاصد والنيات والحذر من أخطار تلك الشهوات . ومتى أصابت تلك الشهوة من النفس مقتلاً ؛ ترى صاحبها يحب المادحين والمثنين ، ويبغض أو ــ على الأقل ــ لايلتفت إلى من يمحضه النصح والتوجيه . فكم من طالب شهرة خر صريعاً قبل الاشتهار مع التحذير والتوجيه من الناصحين . وكم من طالب رياسة ومجد وسوءدد تحركه تلك الشهوة فتهون عليه المبادىء والقيم ، ويتنازل عن كثير . والله المستعان ...

ولما فقه سلفنا الصالح قوله تعالى ﴿ فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ﴾ [النجم / ٣٢] استشعروا خطر تلك الشهوة فملكوا قياد نفوسهم وأطفأوا نيران تلك الشهوة قبل الاستفحال ، ولما علموا آثار المصطفى ﷺ طبقوها على أنفسهم فما تأبت عليهم غرائزهم وشهواتهم بل خرجت نفوسهم من حظوظها . ألا تسمع عمر رضي الله عنه يقول : « رحم الله امرءاً أهدى إلي عيوبي » . وكم من السلف الصالح من جاءته الرياسة والقضاء منقادين فأباهما ، بل قال سفيان الثوري مربياً اتباعه ومن بعدهم : « مارأيت الزهد في شيء أقل منه في الرياسة » [١] .

ومازالت أصداء قوله عليه الصلاة والسلام : « إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب » [٢] يتردد في نفوسهم وتستقيم عليه جوارحهم □

١ ــ العوائق / ٨٧ .
٢ ــ سير أعلام النبلاء : ١ / ٣٨٨ .

متابعات.. ومطالعات

إعداد : يحيى محمد رسام

خصصت مجلة الهلال المصرية عددها الأخير (ديسمبر ٨٩ م) « كعدد تذكاري لعقد الثمانينات .. عمالقة .. وأحداث عامة » ، وقد احتوى العدد على بعض القضايا الأدبية الجديرة بالإشارة والتعقيب والتعليق ومن ذلك مايلي :

القضية الأولى : محمود شاكر ... منجم الأصالة العربية :

نشرت المجلة كلمة قصيرة عن الأستاذ الأديب محمود محمد شاكر ، تعتبر بحق شهادة صدق ، نوردها حتى يطلع القارىء الكريم ــ ممن لايتابع أمثال هذه المجلات ــ مع شيء من الاختصار :

قالت المجلة تحت عنوان : « محمود شاكر .. منجم الأصالة العربية » :

« شهدت حقبة الثمانينات من هذا القرن اعترافاً متتابع الخطوات ، بمكانة الأديب العربي الكبير محمود محمد شاكر ، بدءاً من منحه جائزة الدولة التقديرية في الأدب عن عام ١٩٨١ م ثم اختياره لعضوية مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٨٣ م ، وحصوله على جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب عام ١٩٨٤ م .. بصفته مفكراً إسلامياً بارزاً .

وقد تألق اسم الأستاذ محمود محمد شاكر في سماء الأدب العربي باعتباره أديباً شاباً في فترة الثلاثينات والأربعينات من هذا القرن وخاصة بعد صدور كتابه « المتنبي » الذي نشرته مجلة المقتطف في عدد خاص منها في عام ١٩٣٦ م ، فضلاً عن عشرات المقالات ، والقصائد الشعرية في مختلف الصحف والمجلات إلى بداية الخمسينات من هذا القرن ، حيث توقف لفترة عن الكتابة لينصرف إلى تحقيق العديد من أمهات كتب التراث العربي والإسلامي ، حتى استفزته بعض الظواهر الأدبية في بلادنا ، فامتشق قلمه في مجلة « الرسالة » من جديد في عام ١٩٦٤ م ، وأنشأ سلسلة من المقالات في الرد على ماكتبه لويس عوض في « الأهرام » عن رسالة الغفران للمعري ، وهي المقالات التي جمعها بعد ذلك الأستاذ شاكر في واحد من أهم كتبه وعنوانه « أباطيل وأسمار » .

وفي العام الماضي نشر كتاب « الهلال » للأستاذ محمود شاكر « رسالة في الطريق إلى ثقافتنا » التي أنشأها لتكون مقدمة للطبعة الثالثة من كتابه عن « المتنبي » وكان لها بدورها دوي هائل في الأوساط الأدبية والثقافية ... ولكن الكتابة والتحقيق والمعارك الأدبية لم تكن هي كل جهود الأستاذ محمود شاكر في خدمة الثقافة العربية ففي فترة كمونه في داره بمصر الجديدة معتزلاً الكتابة عاكفاً على نشر كتب التراث كان بيته قد شرع في التحول إلى « جامعة » يقصدها الدارسون من مختلف أرجاء الوطن العربي للتتلمذ على يديه ، ولا تزال كذلك إلى اليوم ، حتى استحق وصف المرحوم الشاعر الكبير محمود حسن إسماعيل له بأنه ، « كنز الثقافة العربية ، والمنجم الباقي لأصالتها العريقة » [1] .

كانت هذه الكلمة ــ الصادقة ــ والتي شكلت صفحة واحدة فقط من صفحات الهلال والتي تقترب من مئتي صفحة بمثابة شهادة حق في حق الأستاذ محمود شاكر باعتباره أحد العمالقة في عقد الثمانينات

---

١ ــ الهلال ، ديسمبر ٨٩ م ، ص ١٣ .

والذي خصص العدد للحديث عنهم .. ومجلة الهلال ، والتي أنشئت لمحاربة الأصالة ، وتأصيل التبعية ، بدأت منذ فترة ليست قصيرة تفسح المجال لنشر بعض المواد الإيجابية ..

وجدير بالذكر أن الأستاذ محمود شاكر حفظه الله كان قد أطلق على « لويس عوض » في مقالاته بمجلة « الرسالة » (صبي المبشرين أجاكس عوض) .. وإذا كانت المجلة قد أحسنت عندما أشارت إلى سبب عودة الأستاذ شاكر للكتابة في الستينات وذلك : « عندما أستفزته بعض الظواهر الأدبية في بلادنا » . فإنها لم تشر إلى الأسباب التي جعلت اسمه يتألق في سماء الأدب ، وهو لما يزال أديباً شاباً ، في فترة الثلاثينات والأربعينات .. وماأغفلت المجلة ذكره هو أعظم دور لعبه الأستاذ محمود شاكر حينذاك ، وهو انتصابه بشجاعة لمنازلة عميد الأدب طه حسين عندما افتري على الشعر الجاهلي ، مدعياً عدم جاهليته وأنه من صنع المسلمين ليفسروا قرآنهم ، وقد فضحه الأستاذ شاكر على الملأ بعد ماأبان بأن هذه المقولة إنما سطا عليها الدكتور طه حسين ، وادعاها لنفسه بينما هي في الأصل دعاية استشراقية تولى كبرها المستشرق المشهور مرجليوت .

ثم نازله أخرى ، عندما تجرأ الدكتور طه حسين وبوقاحه فريدة ، فسطا على كتاب « المتنبي » الذي أشارت إليه المجلة وأعاد إخراجه باسم « مع المتنبي » .

وقد ذكر كل ذلك الأستاذ شاكر في مقدمة كتابه « المتنبي » بأسلوبه الرائع ، وجدير بكل شاب مسلم غيور أن يقتني هذا الكتاب ويعيد قراءة المقدمة الطويلة ، والتي لو أخرجت لوحدها لكانت كتاباً كاملاً ... ففيها من كشف أساليب أدباء الحداثة الكثير مما لازال يمارسه الكثير منهم في ساحة الثقافة العربية ..

القضية الثانية : رأي ناقد كبير في أدب الثمانينات :

لعل من أهم المواد التي نشرتها « الهلال » ضمن عددها التذكاري

المشار إليه ، ذلك المقال الذي خصصته للحديث عن « مستقبل الأدب .. في بلاد العرب » ونظراً لأهمية الموضوع ، فقد انتدبت المجلة للكتابة حوله الأستاذ الدكتور : شكري محمد عياد والذي كتب مقالاً رائعاً ، يعد تقويماً جاداً ، ومنصفاً للأدب العربي في الثمانينات ، ونظراً لأن المقال قد احتوى على لطائف وطرائف كثيرة كلها جدير بالقراءة الواعية المتأنية ، فقد رأينا أن نختار أهمها ونسلط عليها مزيداً من الأضواء ، ونضعها في إطارها الصحيح الذي ينبغي أن توضع فيه .

اللطيفة الأولى : اعترف الأستاذ الدكتور عياد ، بعجزه عن متابعة ماينشر سواءً في مجال الدراسات الأدبية والنقدية الأكاديمية « رسائل الماجستير والدكتوراه » والتي يقول عنها « والحمد لله على أن معظمها يبقى محصوراً في طبعته المحدودة ، والتي تكفي لحصول أصحابها على الدرجة » « أو ماتنشره المجلات الأدبية « الشهرية » أو « الفصلية » من دراسات مبتدأة أو مترجمة أو مقتبسة وأن ذلك ناتج عن ضيق وقته كما قال .

ونحن مع تقديرنا لهذا الاعتراف ، إلا أن وجه الشاهد هو فيما قاله بعد ذلك مباشرة عندما خاطب القارىء بقوله : « وإذا كان ضيق الوقت عذراً غير كافٍ في نظرك ، فهل يشفع لي عندك ، أن ماأقرأه من القسم الأول رسائل الماجستير والدكتوراه يصيبني عادة « بغثيان شديد » وأن ماأقرأه من القسم الثاني ــ ماتنشره المجلات الأدبية الشهرية والفصلية ــ يجعلني عادة أشعر بالغباء الشديد .. » انتهى .

والذي نريد قوله هنا أن رأي الأستاذ الدكتور عياد له أهمية خاصة

في تقويم أدب الثمانينات ويمكن أن ينسحب على الأدب الحديث في العقود الأخيرة ، وأغلبه أدب علماني حداثي ، لأنه كلام خبير ، فالأستاذ الدكتور كما رأيت معدود في كبار النقاد المعاصرين وأشهرهم ، وله مكانته التي لاتنكر ، بدليل أن « الهلال » طلبت منه أن يكتب لها عن « مستقبل الأدب .. في بلاد العرب » وبالتالي فالرأي السابق ليس كلاماً لأحد علماء الدين ، أو خطباء المساجد حتى يتهم من قبل بعض الأدباء بالتحيز ، أو أنه يسل سيف الإرهاب .. ولكنها الحقيقة المرة التي يجب أن يسلم بها الأدباء من القوميين والعلمانين والحداثيين الذي عناهم الأستاذ أن أدبهم يصيب قارئه « بالغثيان الشديد » ليس ذلك فحسب ، ولكنه أيضاً « يشعر بالغباء الشديد » ولذلك فقد اعتذر الأستاذ الدكتور عن الكتابة عن هذا الأدب الذي يطبع سواءً كرسائل ماجستير أو دكتوراه ، أو ماتنشره المجلات الأدبية الشهرية والفصلية قائلاً :

« كيف أكتب إذاً عن شيء لا أقرؤه وإذا قرأته (لا أستسيغه ، أو لا أفهمه ؟) هل أكون كعابر الطريق الذي تسأله عن مكان ما ، لأنك تفترض فيه العلم ، فيصفه لك ، لتتبين بعد أن تكل قدماك ويتصبب عرقك أنه أبعدك عن المكان المقصود أميالاً كثيرة ، وكنت على بعد خطوات منه » .

اللطيفة الثانية : إن أمثال الدكتور الناقد الكبير شكري عياد ، « لايستسيغ ذلك الأدب ، ولا يفهمه » .. والدكتور غير متهم في قدرته على الفهم ، ولكنه فعلاً أدب لايستساغ ولا يفهم .. وأهمية هذا الكلام أنه يبطل دعوى أدباء الحداثة ، والتي يكررونها دائماً وهي أنهم « لايكتبون أدباً لايفهم » وأن العيب ليس فيهم ، لكن العيب في القارىء الذي لايفهم أدبهم ، أو الأصح « مغزى إبداعهم » .. ولأن تلك الدعوى باطلة ، كشف زيفها النقد المحايد والمنصف « والشجاع » ولأن الأستاذ يعرف قدر نفسه ، ويحترمها فهو ليس مستعداً للكتابة عن مثل هذا الأدب ، لأن في ذلك تضليلاً للقارىء ..

والذي سوغ للأستاذ الدكتور إعلان تقويمه ذاك أنه ناقد محايد ومنصف وشجاع ، وليس من أدباء

الطوائف الأدبية ، الذين يتعصبون « لإبداع » الشعراء والقصاص المنتمين ، فيعددون مزايا ، ويشيرون إلى نواحي « الجمال والإبداع » فيه ، حتى لو كان خالياً من كل جمال ، أو إبداع ، بل حتى لو كان لايستساغ ، ولايفهم ، ويثير الغثيان ، ولذلك فقد أكد الأستاذ عياد ، حقيقة مهمة في نهاية كلامه السابق هي أن ماينشر في هذه المجالات « ليس الأنضج فنياً ، أو الأصدق تعبيراً عن زمنه » ؟!

اللطيفة الثالثة : فإن سؤالاً يفرض نفسه هنا ، هل كل ذلك هو الأدب العربي في الثمانينات ، أم أن هناك نوعاً آخر من الأدب ، هو أنضج فناً ، وأصدق تعبيراً عن زمنه ، ولكنه يُتجاهل ويُعزل عن الجماهير ، لأن الطائفية الأدبية المتربعة على عرش الصحافة ووسائل الإعلام في دنيا العروبة تضرب حوله أستاراً من التعتيم والحصار حتى تخنقه ، فلا يعرفه أحد .. وللإجابة على هذا السؤال والذي لايقل أهمية عما سبقه ، نصحبك عزيزي القارىء معنا في رحلة قصيرة جداً لنقرأ معاً هذه الفقرات الثلاث المختارة من مقال الدكتور عياد السابق :

١ ــ قال الأستاذ وهو يتحدث عن الموقف السلبي الذي تلعبه الصحافة سواء اليومية أو الأسبوعية في بلادنا العربية والتي يفترض فيها كما يرى الدكتور أن : « تقوم بدور الوسيط بين الكتّاب والمجلات الأدبية والعلمية المتخصصة ، من ناحية ، وبين وسائل الإعلام الجماهيرية المسموعة والمرئية من ناحية أخرى .. وهذا مايلاحظ ــ ومازال الكلام للدكتور ــ في صحافة البلدان المتقدمة ونفتقده في صحافتنا » ثم يقول : « وهكذا تسهم صحافتنا بموقفها السلبي من (**الثقافة الراقية**) في تدني المادة الثقافية التي تقدمها الإذاعة والتلفزيون على الخصوص بل وتشترك معهما في التدني » ثم يقول مباشرة : « أما (**الأدب**) فيبقى معزولاً عن الجماهير ، ومن ثم تتكون له في بلادنا العربية المنكوبة بالطائفية طائفية أخرى من نوع عجيب « طائفية الأدباء .. » .

٢ ــ وأما عن دور الطائفية الأدبية في إفساد الأدب والأدباء خاصة الشبان منهم ، قال : « فالطائفية الأدبية هي المسئولة في تقديري عن رواج

النزعات الشكلية بين الأدباء الشبان ، إن لغة « القصة الحديثة » هي أشبه باللغات السرية التي تتفاهم بها فئة من الناس تريد أن تخلق لنفسها عالماً خاصاً منعزلاً عن عالم الناس ، وكثيراً مايكون هذا العالم الخاص « بريئاً وساذجاً ، ليس فيه أكثر من الانفلات من العالم المادي البشع .. ولكن الطائفية الأدبية في أحيان أخرى توجه لخدمة طائفية أخرى زرقاء الناب تقطر سمّها رويداً ، رويداً ، لتحول الشباب المتحمس للحداثة إلى خونة وجواسيس » .

٣ ــ هناك تحالف بين النزعات الشكلية في الأدب ، وبين طائفة النقاد ، في نفس الوقت الذي يُتجاهل فيه الإبداع الحقيقي .. قال : « والنزعات الشكلية عند بعض المبدعين تحظى بالعناية كلها من طائفة النقاد المخصصين ، إذاً لا « تباعد » هنا ، بل تحالف وثيق !! ولكنه تحالف يتم على حساب الإبداع الذي يجري في حضن المجتمع ، فهذا الإبداع يُتجاهل حتى حين يأتي من قبل أدباء استطاعوا أن يرسخوا أقدامهم ، ويدعموا شهرتهم في أدوار سابقة والإغراء قوي ، إنه إغراء « العلمية » من ناحية و « العالمية من ناحية أخرى » ..

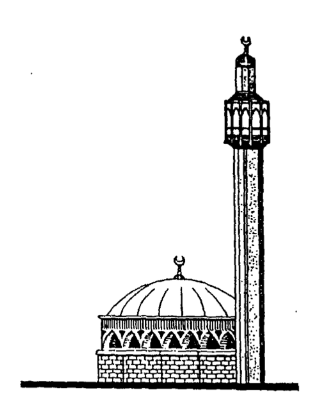
وقد وضح للقارىء ــ أو لعله قد أدرك أي نوع من الأدب هذا الذي يُتجاهل ويُعزل عن الجماهير وتقف منه الصحافة الطائفية موقفاً سلبياً فلا تسمح بنشره إنه الذي وصفه الدكتور « بالثقافة الراقية » .

ووصفه أيضاً **بالأدب** هكذا معرفاً في قوله : « أما الأدب فيبقى معزولاً عن الجماهير » .

ووصفه ثالثاً : **بالإبداع الحقيقي** في الفقرة الثالثة عندما قال : « بأن النزعات الشكلية تحظى بالعناية من النقاد ، بل بينهما تحالف ولكنه يتم على حساب الإبداع الذي يجري في حضن المجتمع ، فهذا الإبداع يُتجاهل حتى وإن جاء من قبل أدباء كبار مشهورين ولهم مكانتهم ، ولكنه مادام يناقض أدب الحداثة أو أدب الطائفية فلا يسمح بنشره ، وستمنع الجماهير من معرفته .

فهل يصح لنا أن ندعي بأن الدكتور عياد يريد بكل ذلك : الأدب الحق ، لا المزيف ، أدب الفضيلة لا الرذيلة ، الأدب الأصيل لا المستورد ، الذي يجلب السعادة ، لا الذي يثير الغثيان ، والاشمئزاز ، الأدب الذي يحاربه الحداثيون ، وأدباء الطوائف ، وتتجاهله الصحافة المدفوعة الحساب من خارج الحدود أو من داخلها ولكن بإيعاز وتوجيه من الخارج ..

نظن أننا قد وضعنا النقاط على الحروف ، وأشرنا إلى الحقيقة بوضوح ، أما الأستاذ الدكتور ، فقد أشار إشارات هنا وهناك ووضع مايقصده بين كلام كثير ، واكتفى بالتلميح دون التصريح وهو معذور لأنه كان يقفز على الأشواك .. ولذلك فقد كان نبيهاً جداً عندما كتب مقالته تلك تحت عنوان صغير « القفز على الأشواك » □





علي محمد

قالـوا سلـوت عـن القـريض فقـلت هـل
تسلـو الطيـور طبيعـة الطيـران ؟
تـهبُ النـورودُ إلـى النسائـم عطرهـا
مـن غيـر مامـنٍّ ولا إحسان
ويزمجـر الإعصار خِلْقَـة ربـه
ويغـرد القُمْـري فـي الوديـان
ويرتـل الشلالُ إيقـاعَ الهـوى
ترتيـلَ خِـلٍ بـارع ولهـان
وتفتـح الأزهـار عنـد ربيعهـا
ويذيبهـا كمـداً خريـف دان
والشعـر عنـدي ضحكـة رنانـة
وتـأوه الثكلـى علـى الولـدان
إنـي طليـق بيـد أنّ أحبتـي
فـي قـبضة الطغيـان منـذ زمـان

يتعاورون الذل والبطش الذي
قد صار فناً باهظ الأثمان

فإذا غفوت أرى جمال وجوههم
وإذا صحوت تهدني أحزاني

فألوذ بالأحلام والأمل الذي
أرخى عليّ ملاءة السلوان

وأبيت في المحراب أدعو راجياً
فرج الكريم العادل المنان

وأظل أبكي إخوتي وأحبتي
حتى يسيل الدمع أحمرَ قان

هل يحسن المهزوم إلا عبرة
بعد الضياع وفرقة الإخوان ؟

ماذا أؤمل بعد فرقة إخوتي
وتبادل اللعنات بالأطنان ؟

ماذا أؤمل بعد أن عُبد الهوى
وتعلق الزهاد بالرنان (1)

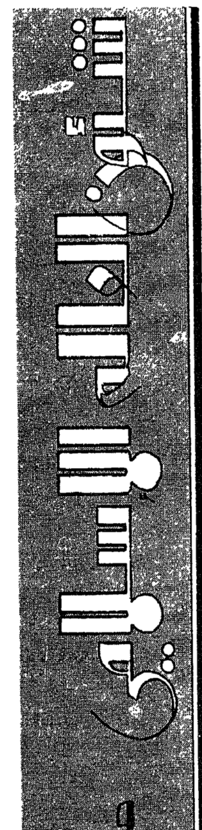
ملك الزمام أرانب وضفادع
تهوى النقيق وبسمة السلطان

وتخلت الأبطال عن درب الفدا
فتفرد الأقزام في الميدان

فإلى متى يبقى النحيب شعارنا
ونحمل الأخطاء للطليان ؟

---

١ ـ الرنان : الأصفر الرنان وهو الذهب ، كناية عن المال .



- □ الانتفاضة في عامها الثالث
- □ المسلمون في أوربا
- □ ألبانيا آخر حبة في عنقود الشيوعية في أوربا

الانتفاضة في عامها الثالث

كنا ولانزال نعتقد أن الصراع الذي يدور على أرض فلسطين المباركة إنما هو صراع حضاري بين الإسلام واليهودية الصهيونية ومن ورائها أوربا وأمريكا ، وهو صراع طويل ، تعرضت له بلاد الشام سابقاً خلال قرنين من الزمان (٤٩١ — ٦٨٩ هـ) .

وفي هذا العصر استطاع اليهود تثبيت أقدامهم في فلسطين . واستطاعوا بالتخطيط والإعلام جرّ شعوب وحكومات أوربا وأمريكا لمساعدتهم ، ومقابل كل هذا الدعم والزخم كان العجز والفشل والتفرق والتمزق ممن ادعى التصدي لإسرائيل ، وبعد الهزائم المتكررة وبعد الوعود والانتظار الذي لم يأت بطائل ، وبعد المحاولات الدائبة للمتاجرة بقضية من أعز القضايا عند المسلمين ، بعد هذا قام الشعب الفلسطيني بثورته ضد الاحتلال والقهر والذل ، فهو لا غيره الذي يعيش المعاناة اليومية ، وكانت الشرارة الأولى من غزة ومن مساجد غزة ، وكان الجيل الذي ولد وعاش هذه المعاناة أقوى مراساً وأقدر على العطاء من الجيل الذي عاش معاناة الإقامات ووثائق السفر والعمل في البلاد القريبة أو البعيدة ، هذا الجيل هو الذي وقف يتحدى إسرائيل ، ولكن كوامن التضحية موجودة عند الجميع وخاصة إذا كانت على أساس ديني ، فعندما بدأت الانتفاضة ، اشترك فيها الجميع ، رجالاً ونساءً ، صغاراً وكباراً ، وبرز الشباب المسلم يعلم الناس أن القتال يجب أن يكون في سبيل الله ، حتى لاتتحول التضحيات إلى أهداف أرضية وتوقع الناس أن تستمر هذه الانتفاضة أياماً أو أسابيع ثم تنتهي بالقمع الإسرائيلي ، ولذلك فلاداعي للمخاطرة والخسائر ، وأخطأت التوقعات ، فهاهي المقاومة تدخل عامها الثالث ، وقد سألنا بعض القراء عن حقيقة هذه الانتفاضة ، وهذا السؤال وإن كان غريباً ولكن نقول له : إن الشعب الفلسطيني هو الذي

قام بها ، وهو شعب مسلم ، وكانت بدايتها من مساجد غزة ، والشباب المسلم في غزة والضفة من أعمدة الانتفاضة ، ومايحدث الآن في فلسطين هو جزء من صراع طويل ، ونحن لانتوقع في الظروف الدولية الراهنة إزالة دولة إسرائيل ــ وإن كنا نتمنى ذلك ــ ولكن إضعاف هذا العدو هو مقدمة لزواله إن شاء الله ، وإذا كانت الانتفاضة تضم أصنافاً شتى من الناس وليست راية الجميع راية إسلامية ، إلا أنها أوجدت تغيرات إيجابية في بنية المجتمع الفلسطيني الرازح تحت الاحتلال ومن هذه الإيجابيات :

١ ــ ازدادت الألفة والمحبة بين الناس ، وازداد التضامن والتكافل الاجتماعي ؛ ونسي الناس الخصومات والمشاكل واشتغلوا بعدو واحد ، بل إنهم في الخصومات في كثير من الأحيان أصبح مرجعهم العلماء (مثل الشيخ أحمد ياسين فك الله أسره) .

٢ ــ تُركت كثير من العادات السيئة في الأقوال والأفعال .
٣ ــ رجع كثير من الناس إلى دينهم وامتلأت المساجد وبعضهم ــ خاصة من الذين بقوا داخل فلسطين المحتلة منذ عام ١٩٤٩ ــ لم يكونوا يعرفون عن الدين شيئاً ، عادوا الآن إلى المساجد .

٤ ــ كسر حاجز الخوف من اليهود ، بل إن مايقوم به الشباب الصغار في فلسطين يدل على شجاعة وبطولة تدعو إلى الإعجاب .

٥ ــ خسائر اليهود : أكدت إحصائية فلسطينية أن خسائر العدو هي قتل (٧٢) جندياً و (٢١) مستوطناً وجرح وإصحابة أربعة آلاف جندي ، وإعطاب وإتلاف ٤٩٩٥ سيارة عسكرية و (٢٠٠٠) سيارة للمستوطنين ، و (٢٥٠) مكتباً وإدارة . وتقدر الخسارة التي تكبدتها إسرائيل خلال عامي الانتفاضة بـ ١٧ مليار دولار .

٦ ــ توقف المد الاستيطاني الصهيوني فلم نعد نسمع عن إنشاء مستعمرات جديدة في الضفة الغربية .

وكل هذا لايعني أن الانتفاضة لاتعاني من سلبيات أو مشاكل ، فمثل هذا التحدي الكبير لابد أن يوجد بعض السلبيات ، فقد استخدمت إسرائيل سلاح

الاقتصاد ، وحاصرت الناس بهذا السلاح ، وإذا كان الشعب استطاع التعاون والتكامل حتى الآن فهو لايستطيع إلى مالا نهاية ، واستخدمت إسرائيل سلاح التفريق بين الإسلاميين وغيرهم ولكنها فشلت ، واستخدمت أصحاب النفوس المريضة في التجسس وغير ذلك ، ونجحت نوعاً ما وتصدى المسلمون لمن يتعاون مع العدو بالمحاكمات العادلة .

وإذا كان في الانتفاضة العلمانيون وغيرهم فنحن نريد من الإسلاميين أن يكونوا هم الأقوى ليقودوا الشعب الفلسطيني إلى العزة والكرامة ، ولا يكون ذلك إلا باتحاد كلمة المسلمين ووعيهم السياسي حتى لاتسرق الجهود وينصب نفسه لقيادة الشعب من لم يضحِّ يوماً من الأيام .

وعلى الشعب الفلسطيني بشكل عام أن لا يسمح بسرقة جهوده ويحولها لمكاسب رخيصة أصحاب السلام الهزيل .

إن مايفعله أطفال الحجارة وشباب الإسلام في فلسطين هو مرحلة من الصراع كما قلت ، ويجب أن تستمر هذه المرحلة ولا تذهب هدراً □

المسلمون في أوربا

نشرت مجلة الجمعية الجغرافية الملكية مقالاً مفصلاً عن ظاهرة تواجد المسلمين في أوربا الغربية وأعدادهم ونظرة الغرب إليهم ، ولأهمية المقال نقتطف منه مايلي :

تشهد أوربا الغربية من بعد الحرب العالمية الثانية غزواً إسلامياً جديداً يختلف كلياً عن سابقه ، فالغزو الجديد لا تقوده الجيوش التي صقلتها الحروب [1] ، بل عوضاً عن ذلك هو تحرك هادىء ويأتي متدرجاً أحياناً من المسلمين القادمين من شمال أفريقيا والشرق الأوسط وجنوب آسيا ، حيث يأتي المبعدون من تلك المناطق إلى أوربا بحثاً عن آمال جديدة وفرص عمل .

ليس هناك أسلوب دقيق لمعرفة كم من المسلمين يعيشون في أوربا الغربية اليوم ، فبعضهم قدم قبل عدة عقود من الزمن وهم الآن مواطنون ضمن المجموعة الأوربية ، والبعض الآخر ولد في أوربا من عائلة آسيوية أو أفريقية . كما أن منهم أوربيون بيض اعتنقوا الإسلام ، بالإضافة إلى صنف رابع وهم الذين هاجروا إلى هذه الدول بصورة غير قانونية وهم لذلك يعيشون على هامش المجتمع خشية الاعتقال والطرد .

إن معرفة حجم تواجد المسلمين في أوربا أمر شاق جداً ذلك أن الدول الأوربية ومنظماتها لم تضع بعد نظاماً معيارياً تتمكن من خلاله من إجراء عملية الإحصاء ، فبعض الدول عندها سجلات للأجانب إلا أنها لاتأخذ بعين الاعتبار قضية

---

١ ــ يقصد الكاتب فتح المسلمين لأسبانيا .

الدين في إحصاءاتها وبذلك لايكون في سجلاتها إشارة إلى حجم المسلمين . إلا أنه وعلى أية حال ، وبناء على إحصاءات المجموعة الأوربية والمنظمات الخيرية وشخصيات أكاديمية بارزة فإن عدد المسلمين في أوربا الغربية يقدر بـ (٧ر٥) مليون ، وهنا يجب التأكيد على أن هذا الرقم لايمثل إلا تخميناً تقريبياً وأن الرقم المذكور قد يصل وفقاً لمصادر أخرى إلى (١٢) مليون .

وتشكل فرنسا وألمانيا الغربية والمملكة المتحدة لوحدها موطناً لما لايقل عن خمسة ملايين مسلم . إلا أن ظروف تواجد هذا الكم تتفاوت جذرياً من دولة إلى أخرى ، ففي المملكة المتحدة أصبح عدد كبير من المهاجرين من باكستان والهند وبنغلاديش مواطنيين بريطانيين ، وشهدت الساحة الاقتصادية نمو أكبر فئة مسلمة مالكة للمنازل والمحالّ التجارية ، وفي شهر أيلول (سبتمبر) من العام الماضي قامت مجموعة من المسلمين (البيض والسود) بتشكيل الحزب الإسلامي البريطاني الذي يعتبر الأول من نوعه في أوربا والذي يتخصص بشؤون المسلمين .

إن الثقة التي دفعت المسلمين في بريطانيا إلى الإقدام على أعمال كهذه قد تعكس مقداراً أكبر من التسامح من جانب المجتمع البريطاني بعمومه . ويعلق جون سولت الدكتور في جامعة لندن والجغرافي المتخصص في حقل الهجرة الجماعية على هذه الظاهرة فيقول : (هناك انقسام حضاري بين المهاجرين أو المهاجرين سابقاً وبين أفراد المجتمع الأصليين في كل من فرنسا وألمانية الغربية ، وهو أمر لاوجود له في بريطانيا [١] . كما أن قضية البريطانيين السود هي حقيقة مقبولة منذ فترة طويلة . وفي فرنسا مواطنون فرنسيون نتيجة التزاوج بين الفرنسيين البيض وبين أهل المستعمرات السوداء ، أما وجود ألمان سود فهذا غير وارد البتة .

إلا أن جغرافيين متخصصين آخرين يخالفون هذا التفسير الذي قدمه الدكتور سولت ، حيث تقول الدكتورة حولي وهي باحثة رفيعة المستوى في

١ ــ لا نعتقد أن هذا الكلام دقيق ، فإذا كان أكثر المهاجرين مسلمون فلابد أن يوجد التمايز الثقافي .

مركز بحوث العلاقات العرقية التابع لجامعة ووريك ، تقول في مقابلة أجريت معها مؤخراً : (إن المجتمع البريطاني لم يمنح البدائل الكافية للمسلمين ، قد يكون المسلمون في بريطانيا مواطنين حقاً ، إلا أن معدلات البطالة مازالت هي الأعلى بين صفوفهم ، كما أنهم مازالوا معزولين عن التيار العام في المجتمع ، أما في فرنسا فإن أيدلوجية الثورة هناك تنص على تحقيق المساواة في الحقوق بالنسبة للجميع) [1] .

وفي الوقت الذي يتصدر فيه مسلمون بريطانيا الدور في مضمار النشاط الإسلامي فإن هذا النشاط الجديد أخذ في اكتساح معظم دول أوربا الغربية . فقد ارتفعت مآذن المساجد والمراكز الإسلامية في معظم المدن الرئيسية ، وقد أصبحت قضايا المساواة في الحقوق وفرص العمل وتحقيق الاستقلال الثقافي والديني من الأمور الأساسية التي يطالب بتحقيقها المسلمون عبر القارة الأوربية .

وتضيف الدكتورة جولي قائلة : (إن هذه النهضة الجديدة التي يشهدها الإسلام على نطاق عالمي تُعزى جزئياً إلى الأحداث في الشرق الأوسط التي منحت الإسلام مكانة بارزة في الصحافة العالمية وجعلته موضع اعتزاز وافتخار . إلا أنها ــ أي النهضة ــ في الوقت ذاته تأتي كإفراز لذلك التمرد من جانب المسلمين ضد الصورة العنصرية والثقافية المفروضة عليهم من جانب المجتمع الأبيض .

وعلى الرغم من أن ظاهرة الوعي الإسلامي الحديثة أصبحت منتشرة في جميع أنحاء أوربا ، إلا أن ظروف هجرة المسلمين تختلف إلى حد كبير من بلد إلى آخر . ففي بريطانيا ترجع أصول كثير من المهاجرين فيها إلى مستعمراتها الهندية السابقة التي حكمتها بريطانيا إبان عهد الامبراطورية ، ولقد كانت هجرة هؤلاء منذ البداية مرتبطة بمسألة الحصول على الجنسية البريطانية . أما في فرنسا فإن الجزء الأكبر من هجرة المسلمين إليها كان قد حدث في السبعينات عندما استقدمت البلاد العمالة الأجنبية ــ ومعظمهم من الرجال ــ بصورة رئيسية من

---

١ ــ هذا نظرياً وأما عملياً فالتعصب في فرنسا أشد منه في بقية الدول .

الجزائر التي كانت قد نالت استقلالها ، إلا أن هؤلاء المهاجرين كانوا على علم مسبق بأنه سوف يكون لهم الحق في العمل في فرنسا إلا أنه لايسمح لهم بحال إلحاق أفراد عوائلهم بهم .

أما ألمانيا الغربية التي كانت قد جُردت من مستعمراتها بعد الحرب العالمية الأولى فقد كانت أكثر صرامة في قوانين الهجرة . فالحكومة الألمانية شجعت ومنذ فترة طويلة استقدام الأيدي العاملة التركية ، إلا أنها جعلت لهم الأمر واضحاً منذ البداية بأنهم لن يكونوا مواطنين ألمان أبداً ، وأنه يتعين عليهم يوماً ما الرجوع إلى بلادهم . وبطبيعة الحال فإن كثيراً من العمال الأتراك « الضيوف » لم يرجع إلى تركيا كما كان مخططاً له على الرغم من ظروف العيش المتواضعة جداً التي يعيشونها في النزل التي تنفق على إدارتها الحكومة . كما أن كثيراً منهم لايملك تصريح الإقامة ويحاول التواري عن الأنظار خشية إلقاء القبض عليه ومن ثم الإبعاد . إن الدافع الحقيقي وراء هذه السلوكيات قد يبدو سهل المعرفة ، ذلك هو استمرار الاضطرابات الاجتماعية والركود الاقتصادي الذي تشهده تركيا في هذه المرحلة .

لقد أدى تواجد العمالة التركية في ألمانيا إلى ردود فعل عنصرية من جانب الألمان البيض ، وإن ردود الفعل هذه قد تنامت خلال السنة الماضية كنتيجة للنظرة التي ينظر بها أحياناً إلى مسلمي أوربا على أنهم يشكلون خطراً أصولياً بسبب حملات احتجاجهم المستمرة ضد نشر كتاب سلمان رشدي ، ففي الانتخابات الأوربية التي جرت في شهر حزيران (يونيو) من العام الماضي حصل الحزب اليميني المتطرف في ألمانيا على نسبة ٧٪ من الأصوات بعد الحملة التي قادها من أجل طرد العرب والأتراك بالقوة من البلاد . ولم يدع رئيس الحزب الجمهوري أي شكوك تحيط بموقفه تجاه الدور الذي يلعبه مليونا مسلم في ألمانيا ، فقد صرح حديثاً (لن ترفرف راية الإسلام الخضراء يوماً فوق ربوع ألمانيا ، ولن نكون بيتاً لفقراء دول حوض البحر المتوسط) .

كما أن فرنسا كانت قد شهدت هي الأخرى تنامياً في قوة حزب الجبهة القومية اليميني المتطرف ذي الاتجاهات العنصرية والمناهض لعمليات الهجرة .

وكان رئيس الحزب قد حذر من غزو إسلامي جديد لأوربا مقترن بالعنف يشابه ماكان قد جرى في العصور الماضية . وعلى الرغم من هذه المزاعم التي لايتقبلها العقل ، فقد كانت نسبة الأصوات التي حصل عليها الحزب في الجولة الأولى من الانتخابات الرئاسية الفرنسية في عام ١٩٨٨ هي واحد إلى سبعة .

ولقد ارتفعت في فرنسا ــ كما هو الحال في باقي دول أوربا ــ نسبة حوادث الاعتداء على المسلمين ، إلا أن نسبة المواليد بين المسلمين ارتفعت هي الأخرى . يقول الدكتور ج . بيتش المتخصص في حقل الهجرة وإحصاء السكان في جامعة أوكسفورد : (إن نسبة المواليد بين المهاجرين تفوق إلى حد كبير نظيرها بين السكان الأصليين ، والواقع هو أن تعداد المهاجرين سوف يستمر بالنمو حتى في حالة إقفال الباب أمام هجرات مستقبلية) .

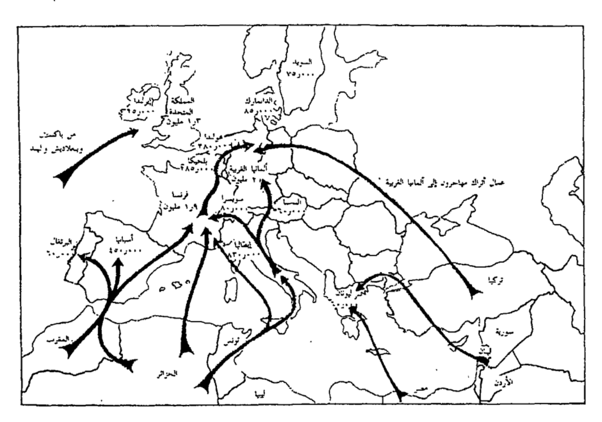
وعلى الرغم من إقفال تلك الدول الأوربية أبواب الهجرة أمام العمالة الأجنبية منذ فترة طويلة ، إلا أن الهجرة غير القانونية مازالت مستمرة وبمعدلات تنذر بالخطر ، وتشكل أسبانيا وإيطاليا المحطة الأولى للهجرة غير القانونية القادمة في غالبيتها من شمال أفريقيا ، وذلك لسهولة الدخول نسبياً إلى هاتين الدولتين ، ومنهما يواصل المهاجرون رحلتهم شمالاً باتجاه دولة أوربية أخرى .

وعلى الرغم من النمو المطرد في تعداد المسلمين في أوربا فإن بروز تيار إسلامي أصولي متعصب في أوربا الغربية غير وارد ولا يتنبأ به إلا عدد قليل من المتخصصين في حقل الاجتماع والجغرافية ، كما يرى آخرون أن النهضة الإسلامية التي تشهدها أوربا اليوم هي نتيجة صياغة سيئة لقوانين الهجرة التي كانت قد صيغت قبل عدة عقود من الزمن .

وبغض النظر عما إذا كان الأمر في صالح أوربا أم لا ، فإن أوربا الغربية قد باتت خليطاً معقداً من المجتمعات المختلفة عرقياً وحضارياً ، وقد وصلت الشعوب الأوربية بذلك إلى نقطة اللاعودة .

إن الطريق الأمثل لإيجاد مجتمع متجانس مستقبلاً يكون في دمج مسلمي أوربا في المجتمع على نطاق واسع (1) . إن استمرار تواجد الأحياء التي يتمركز فيها أبناء الدين الواحد أو العرق الواحد لايؤدي إلا إلى انكماش وانزواء هذه الأقلية المتنامية الحجم ، وإلى إبراز التوترات بين شعوب أوربا المتعددة الخلفيات الحضارية □

مجلة الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية ، كانون أول / ١٩٨٩ م



خريطة توضح عدد المهاجرين المسلمين في أوربا والأماكن التي قدموا منها (عن مجلة الجمعية الجغرافية)

---

١ ـــ هذا مايرغبه الأوربيون ، أن ينصهر المسلمون في الثقافة الغربية ولكن الواقع أن كثيراً منهم لم ينصهر ، وبعضهم عاد إلى وعيه بالهوية الإسلامية ، والغربيون يطالبون بما ليس من حقهم فما الذي يضرهم من محافظة المسلمين على انتمائهم ؟ وليس صحيحاً أن بقاء المسلمين على دينهم يوجد توترات بين شعوب أوربا ، وهذا تهويل وتحذير من المجلة إلى الحكومات الغربية .

ألبـــانيـــا

آخر حبة في عنقود الشيوعية في أوربا

مع اكتمال مسلسل انهيار الأنظمة الشيوعية في دول الكتلة السوفيتية والتي كانت رومانيا آخرها ، تكون ألبانيا هي الدولة الوحيدة في أوربا التي مازال يتسلط على شعوبها نظام ماركسي ، هذا إذا ما استبعدنا الاتحاد السوفييتي الذي منه بدأت شرارة الشيوعية الأولى وفيه انطفأت .

وألبانيا دولة مسلمة ، دخلها الإسلام إبان الفتوحات العثمانية في أوربا ، يبلغ عدد سكانها (٢٫٨٤) مليون ويشكل المسلمون ثلثي هذا العدد ومعظمهم من السُنّة ، وسيطر عليها الشيوعيون في أواخر الحرب العالمية الثانية وهي منذ ذلك اليوم دولة ذات نظام ماركسي منعزل عزلة شبه تامة عن باقي دول العالم ، يعتبر نفسه ــ أي النظام ــ الممثل الوحيد للشيوعية الحقيقية في العالم ، فهو لايعتد بأنظمة الاتحاد السوفييتي أو الصين أو يوغوسلافيا ، بل ولا يقيم علاقات دبلوماسية معهم . وتعتبر مدن ألبانيا هي الأمكنة الوحيدة في العالم التي مازالت تبقي على تماثيل ستالين في ميادينها العامة .

ومازال شعب ألبانيا المسلم يخضع لقوانين ماركسية صارمة ، فأطفال المدارس لازالوا يرددون قسم الولاء للشيوعية كل صباح ، ومعارضوا النظام لايجدون شفقة ولا رحمة ، وليس أمامهم إلا السجن أو الإعدام ، وعناصر قوات الأمن منتشرة في كل مكان ، والصحافة تخضع لرقابة صارمة ، أما مناطق الحدود فهي تزدحم بأبراج الأنوار الكاشفة التي تكشف كل من يحاول الفرار من البلاد ، فقضية غلق أسوار الدولة بهذه الكيفية تعتبر من المبادىء الأيدلوجية للنظام .

أما فيما يخص الجانب الاقتصادي من الحياة اليومية ، فإن فقدان السِّلع الأساسية والأغذية هو سمة السوق المحلية ، كما أن طوابير الناس التي تمتد لمسافات طويلة وتبدأ من الساعة السادسة صباحاً بحثاً عن رغيف خبز أو قطعة لحم تعتبر مشهداً يومياً مألوفاً . والنظام الاقتصادي لايتيح للفرد حق التملك باستثناء أشياء محدودة جداً ؛ فحيازة السيارة مازال من المحظورات على المواطن الألباني ، على الرغم من تمتع أعضاء الحزب بقيادة السيارات الفاخرة التي يصطحبونها معهم إلى منتجعاتهم الصيفية .

وعلى الرغم من هذا وذاك ، وعلى الرغم من القبضة الحديدية التي يحكم بها هذا البلد المسلم ، والستار الحديدي الذي يحجب عن العالم الخارجي كل مايحدث داخل هذا السجن الكبير ؛ فإن الأنباء المتسربة من هناك تشير إلى حدوث موجات سخط كبيرة بين أوساط الشعب ، وتقارير تتحدث عن خروج مظاهرات احتجاج كبيرة مضادة للحكومة في ١٤ / ١٢ / ١٩٨٩ م في إقليم سكوتاري ومدينة سكودر الشمالية هي الأولى من نوعها . وتشكل الجامعات والمعاهد ــ حيث نخبة الشباب المثقفين والمفكرين ــ بؤراً لموجات السخط والغليان الشعبي .

قد تبدو أعمال الاحتجاج والمظاهرات هذه ــ والتي نفتها الحكومة ــ صغيرة في حجمها ، إلا أنها على كل حال تمثل ثغرة في كيان النظام الشيوعي « الحقيقي » هناك وبداية الطريق لسقوط آخر قطع « الدومينو » الحمراء في أوربا .

صنداي كوروسبوندنت والتايمز ٢٤ / ١٢ / ١٩٨٩ م
دائرة المعارف البريطانية



أقدم رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحق شامير يوم ٣١ / ١٢ / ١٩٨٩ م على طرد عيزرا وايزمان الذي يشغل منصب وزير العلوم في الحكومة الائتلافية إثر تقارير تحدثت عن لقاء بينه وبين مسؤولين في منظمة التحرير الفلسطينية .

وتحدث شامير عبر شاشة التلفزيون قائلاً : « لو التزمت الصمت من جانبي فسأكون مشاركاً بالفضيحة » ومن المعروف أن القانون الإسرائيلي يحظر إجراء لقاءات مع أعضاء في المنظمة . وكانت تقارير في شهر حزيران (يونيو) الماضي قد ذكرت أن محادثات دارت بين وايزمان ومسؤولين كبار في منظمة التحرير في مدينة جنيف . كما ذكر وزير الشؤون العربية في حكومة شامير أن وايزمان كان قد أجرى اتصالات مع ياسر عرفات عن طريق طرف ثالث .

وقد نفى ياسر عرفات أن يكون أعضاء في المنظمة قد أجروا أي اتصالات مع وايزمان ، واعترف عرفات أن عدة أعضاء في المنظمة قد سعوا قبل عامين للالتقاء بالوزير المطرود إلا أنهم فشلوا !

وكالة الأنباء الفرنسية ٣١ / ١٢ / ٨٩

إسرائيل تتهيأ لتدفق اليهود السوفييت عليها

كان المسؤولون الإسرائيليون يتوقعون وصول حوالي ربع مليون يهودي إلى فلسطين المحتلة خلال الأعوام الثلاثة القادمة ، أما الآن فإنهم باتوا يتوقعون أن هذا العدد قد يصل إلى المليون ، هذا وإن ألف يهودي يصلوا أسبوعياً إلى إسرائيل قادمين من الاتحاد السوفييتي ، ويقول أحد المسؤولين في الحكومة الإسرائيلية : إن اليهود السوفييت يسارعون بالفرار في هذه المرحلة خوفاً مما قد تتمخض عنه حالة عدم الاستقرار التي يمر بها الاتحاد السوفييتي من موجة عداء للسامية .

وعلى صعيد الاستعدادات لاستقبال هذا العدد من القادمين ، أقرت الحكومة الإسرائيلية خطة لبناء (٢٠) ألف منزل وبرنامجاً لتوفير فرص عمل جديدة لأكثر من (٢٠) ألف عامل . ويرى رئيس الوزراء أن في الزيادة الكبيرة المرتقبة في عدد اليهود مبرراً إضافياً لرفضه منح تنازلات أقليمية للفلسطينيين .

ومما يذكر أن ١٠٪ فقط من اليهود السوفييت المهاجرين كانوا يختارجون الذهاب إلى إسرائيل في العقد الماضي ، إلا أن هذه النسبة قفزت إلى ٤١٪ في الشهر الماضي .

ويستبعد المسؤولون اليهود أن تؤدي هذه الزيادة المفاجئة في الهجرة إلى إحداث أي متاعب لإسرائيل ، ويعلق رئيس الوكالة اليهودية على هذا فيقول : علينا أن نتذكر بأن إسرائيل كانت قد ضاعفت عدد المواطنين اليهود في الفترة مابين عام ١٩٤٨ إلى ١٩٥١ م ليصل إلى ١ر٣ مليون بدون أي صعوبات ، فلماذا لايستطيع (٥ر٣) مليون يهودي استيعاب (١٠٠) ألف مهاجر سنوياً ؟.

الأندبندنت ١٢ / ١ / ١٩٩٠ م

الجدار الذي تحطم

محمد سليمان

عندما تعبر الحدود من ألمانيا الغربية وتضع قدمك في ألمانيا الشرقية تنتقل إلى عالم آخر ، عالم مختلف تماماً ، فجأة ترى الوجوه العابسة البائسة ، وجوه الجنود الموظفين الذين يخاف بعضهم بعضاً (فالتجسس من أهم مواصفات المجتمع الشيوعي) ومع ماحصل من التغيرات ولكن أثر التربية الشيوعية والإرهاب والتجويع لايزول بسهولة .

وإذا تقدمت خطوة أخرى واجتزت الحدود ، وبعد ساعات من المسير تطلب مكاناً ترتاح فيه قليلاً من وعثاء السفر ، ولكن هيهات ، فتستمر في السير حتى تصل برلين الغربية ، وهي جزيرة من الغرب في وسط ماسمي بالديمقراطيات الشرقية ، قال لي أحد الأصدقاء في برلين الغربية وهو بائع للفواكه والخضار : عندما دخل أهل برلين الشرقية لأول مرة ، ورأى الأطفال منظر البرتقال والعنب والموز لم يصدقوا ، كانوا يصيحون بأعلى أصواتهم : ماما هذا برتقال ، هذا عنب ، مساكين كانوا يرونه في الصور فقط ، يقول هذا الصديق : كان منظراً محزناً ، فالأب والأم لايستطيعان شراء هذه الفواكه لأنها مرتفعة الثمن بالنسبة لعملتهم ، فقلت له : هذه ألمانيا الشرقية فكيف بباقي دول أوربا الشرقية التي

هي أقل منزلة والحالة فيها أسوأ .

وعندما تصل برلين الغربية لابد أن تذهب لترى الجدار الذي تحطم ، الجدار الذي فصل بين أهل المدينة الواحدة بين الأقارب والجيران لأكثر من سبعة وعشرين سنة ، وكان الحراس يقتلون كل من تسول له نفسه بالهرب ، ولكنه الآن بلا حراس والناس يكسرون منه قطعاً للذكريات وفي بعض المناطق فتحوا ثغرة فيه ، لاشك إنها لحظات تاريخية ومنظر مؤثر في النفس ، لقد جرى التغيير بسرعة هائلة ، من كان يصدق أن هؤلاء الجنود الذين يقفون عند بوابه (بردنبرغ) يرون الناس يحطمون الجدار ولايكلمونهم ، بل إنك تنظر في وجوه الجنود وعيونهم تجد فيها نوعاً من الذل .

سبحان الله ، متى تتحطم الجدر عندنا ، هذه الحدود الوهمية التي رسمت لنا ، أو على الأقل متى تلغى التأشيرات والعوائق بين البلاد العربية والإسلامية ؟ □

تعريف وعرفان

إن من أصناف الناس من لايحظى بواسع شهرة ، ولا بكبير منصب ، ولكنه يعمل أعمالاً عظيمة ، وينجز مهام جساماً . ومن بين أولئك الناس الأخ العزيز الدكتور عبد الله الخاطر الذي فجعنا بوفاته ــ يرحمه الله ــ فجر يوم السبت ٢ / ٦ / ١٤١٠ هـ الموافق ٣٠ / ١٢ / ١٩٨٩ . وعرفاناً لجميل صنع هذا الأخ نكتب هذا التعريف الموجز سائلين المولى أن يتقبله ، ويتغمده بواسع رحمته ورضوانه .

تعريف :

هو الدكتور عبد الله بن مبارك بن يوسف الخاطر آل بو عينين التميمي من أهل الدمام بالمنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية ، ولد عام ١٣٧٥ هـ في مدينة الظهران ، وتخرج من كلية الطب جامعة الملك سعود بالرياض عام ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ثم عُين معيداً في كلية الطب جامعة الملك فيصل بالدمام ، وابتعث إلى بريطانيا للدراسات العليا في معهد مودزلي للطب النفسي في لندن عام ١٩٨٣ م . حصل على شهادة البور في الطب النفسي من جامعة لندن عام ١٩٨٥ م ثم حصل على شهادة البوبد الأردني في الطب النفسي من المجلس الطبي الأردني عام ١٩٨٧ م حيث عين استشارياً في الطب النفسي في كلية الطب جامعة الملك فيصل ، تزوج عام ١٣٩٩ هـ وله خمسة أولاد : ثلاثة أبناء وابنتان ، أكبرهم في الحادية عشرة وأصغرهم لايتجاوز ستة أشهر ، وابنه الأول اسمه مبارك .

عرفان :

لقد كان رحمه الله تعالى يعيش لدعوته الإسلامية ، ويحيا على البذل لها والتضحية في سبيلها ، والجهاد بكل سبيل لإعلاء كلمتها . وكثيرون هم الذين كان رحمه الله سبباً في هدايتهم وتوجيههم وتربيتهم على الإسلام ، سواء في بلده أو خارجها ، وعلى الأخص بريطانيا . وبالرغم من أنه لم يتخصص في الشريعة إلا أنه كان داعية لها ، وكان يسعى جهده من أجل العمل للإسلام فمن ذلك أنه أنشأ حلقة لدراسة العلوم الشرعية في عام ١٩٨٣ م في لندن باللغة العربية وباللغة الإنجليزية ، ووصل عدد المواظبين عليها إلى مايزيد على السبعين حيث أصبحت معلماً متميزاً للدعوة الإسلامية على منهج أهل السنة والجماعة هناك ، وانتقلت هذه الحلقة إلى المنتدى الإسلامي الذي كان هو أحد العاملين على إنشائه .

إن أسرة المنتدى الإسلامي والعاملين به ليشعرون بفراغ كبير بفقد الأخ الدكتور عبد الله الخاطر ، ويشاركون أهله وإخوانه ومحبيه ومعارفه العزاء والمواساة ، ويسألون الله له الرحمة والرضوان ، وأن يسكنه فسيح جناته في مقعد صدق عند مليك مقتدر وأن يحشره الله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

وبهذه المناسبة تقدم البيان كلمتين لاثنين من إخوانه الذين صحبوه وعرفوه عن قرب ، رحمه الله رحمة واسعة .

رثاء ووفاء

د . عبد الرزاق الحمد

أخ حبيب ، وخل وفي ، ذلك الذي وقع خبر فقده عليّ كالصاعقة ، وهزني فأربك كياني ، وصدمني فأخل توازني ، وأغمني فوق المصيبة غماً ، إذ كنت بعيداً فلم أتمكن من مواساة قلبي بنظرة أخيرة ولا بخطوة أخطوها في تشييع جثمانه ، وحضور جنازته ، أو حتى مشاركة أهله وأحبابه ومواساة نفسي بمواساتهم ، وتعزيتها بتعزيتهم .

لقد عرفته منذ أكثر من خمسة عشر عاماً حين كنا ندرس معاً في كلية واحدة ، وكانت بيننا أخوة في الله ، ومحبة وود عميق ، أسأل الله أن يدوم ذلك في يوم القيامة في ظل عرش الله تبارك وتعالى ، يوم تنقطع الوشائج ، وتتصرم العلائق ، إلا بين المتقين ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾ .

عرفته صاحب مبدأ وعقيدة تملأ عليه حياته وقلبه ، يعتز بها فوق كل شيء ، ويقف عند حدودها في كل شيء وكانت له مواقف مشرفة أعتز أنني أخ وصديق محب لصاحبها .

عرفته داعية إلى الله بنفسه وبما يملك أينما كان ، وحيثما حلّ ، فلم تخدعه الدنيا ، ولم تقعد به العقبات ، وأنشطته ومحاضراته شاهد على ذلك .

عرفته واسع الأمل ، كبير التفاؤل ، لاتقف غاياته وآماله عند نفسه ولا

عند الدنيا وأعراضها ، وعرفت فيه الطموح والعمل الجاد الدؤوب والصبر والاحتساب ، وأخيراً عرفته وفياً لإخوانه وأحبابه بعيداً عن الحقد والريبة والغل ، أحسبه كذلك .

ذلكم هو الأخ الحبيب **الدكتور عبد الله بن مبارك بن يوسف الخاطر** الذي وافاه أجله يوم السبت ٢ / ٦ / ١٤١٠ هـ ، غفر الله له ولنا ورحمه وعافاه وعفا عنه ، وأكرم نزله ، ووسع مدخله .

اللهم لاتفتنا بعده ، ولا تحرمنه أجره واغفر لنا وله .

ومن مشاعر الأخوة والمحبة والوفاء له كانت هذه القصيدة :

أدمع العين منهلّ السحاب	أيطفىء لوعتي طولُ انتحابي
وكيف وفي الفؤاد لها اعتلاج	من النيران يهدر كالعُباب
أكف الدمع عن عيني كأني	أجرَّم أو أهدد بالعقاب
وفي نفسي من اللأواء شيء	يفتت شدةَ الصخر الصِّلاب
تكاد جوانحي من فرط حزن	من الزفرات تُضْرَم بالتهاب
وزاد من البلية في مصابي	غيابي عن شهودك واغترابي
وأني لم أُمَتَّعْ منك عيني	وماغبرت وجهي للثواب
يكاد القلب من أسف عليه	يواسيني بطيفك عن عتابي
فمن لوم وأحزان توالى	كضرب البيض أو طعن الحراب
فصارتْ لوعتي تورى بقلبي	ومنها القلب يرمي بالشهاب
كما البركان لاينفك حتى	يحمحم في الفضاء وفي الهضاب
فلا دمعي سيطفىء نار حزني	ولا كتمي يخفف من مصابي
فحسبي أن من أبكيه شهم	عفيف القلب واليد والثياب
له في الحق سبق والتزام	مواقفه على نهج الكتاب
صدوق ماتراه أخا نفاق	جزيل البذل من غير اطِّلاب
يعيش من التفاؤل في خضم	من الآمال ممتد الرحاب
له جَلَد على الغايات حتى	ليجنيها على رغم الصعاب

سليم الصدر رغم « الربو » فيه ... تنزه أن يدنسَ بارتياب
وفيُّ الود مرضيُّ السجايا ... بدهر عمه طبع الذئاب
غدا للدعوة الغراء سيفاً ... ينال العز في هجر القراب
فلست تراه إلا في هواها ... حثيث الخطو ينعم في الجواب

* * *

أعبد الله رحت وأنت غض ... طريُّ العود ريانُ الشباب
فإن أبكي عليك فذاك ضعفي ... ونبل الضعف في حُب الصحاب
وإن أغلو بمدحك إن عذري ... علوك في فؤادي في الجناب
وإن منا وجدت له عيوباً ... وعيبك في المناقب كالسراب
عليك الرحمة المهداة تترى ... كعبق المسك في الظل الرطاب
دواماً ماتعاقبت الليالي ... ومادرج النسيم على التراب
ويجمعنا بظل العرش ربي ... إذا انفصمت عرى يوم الحساب
أرى الأحياء يقصر عن مداهم ... بأن الموت ذو ظفر وناب
وما أعياه من شيب حجاهم ... ولا أعياه من غض تصاب
وكل الناس تترى في قطار ... وإن جهلوا بساعات الركاب
فمن يضع الحياة على هواه ... بمرح حسرة سوء العذاب
ومن تكن المعالي في مناه ... لنصر الدين يسعد في المآب

* * *

أخا الإسلام ماالغايات إلا ... جهاد للشهادة في احتساب
ترفع عن معاقرة الدنايا ... وعن غدر وغل واضطراب
وأفسح للسماحة كل صدر ... بحب أخيك معلول الرضاب
فما الآجال تفسح باختلاف ... وأعداء الشريعة كالعقاب
طواغيت الخيانة قد تداعوا ... بنهش لحومنا مثل الكلاب
ونحن على التحزب والدعاوى ... نعد جيوشنا يوم الضراب
وأسباب الفلاح لنا اتحاد ... وإعداد وصبر في الطلاب
وفي الأحداث معتبر ولكن ... قليل من يوفق للصواب

كنت قدوة وستبقى رحمك الله

خالد عبد الله أحمد

كان للأخ الفاضل الكريم عبد الله بن مبارك الخاطر رحمه الله تعالى جوانب مشرقة في حياته ، وستبقى مضيئة بل أكثر إضاءة بعدما جاءه الأجل وانتقل إلى خير مما كان عليه . فرحمه الله رحمة واسعة ونور عليه في قبره ، ونعمَّه في برزخه ويوم القيامة ، يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وبحكم قربي من الأخ رحمه الله تعالى ، فإنه وبحق قد كان في محل من يصلح للاقتداء به ، وهذه جوانب قد رأيتها في حياة الأخ ، واستفدت منها وستبقى إن شاء الله موضع استفادة لكل طالب حق .

أولاً : الشعور بواجب الفرد تجاه أمته ودينه ، فلقد كان رحمه الله ذا همة عالية في تسهيل أمر المصلحة العامة والتي كانت مقدمة على المصلحة الخاصة ، وهذه خصلة عظيمة يحتاجها كل داعية حتى يسير إلى بر الأمان ، ويصدق عليه قول صاحب الظلال في الصحابة : إنهم قد خلصوا نفوسهم من حظ نفوسهم .

ثانياً : إثبات شمولية هذا الدين الرباني العظيم ، فلقد تخصص رحمه الله تعالى في دراسة الطب النفسي حتى استطاع أن يحصل على الزمالة (ماتعادل درجة الدكتوراه) فكان أن سخر هذه الدراسة لخدمة المسلمين

فجاءت مقالاته في هذه المجلة (مجلة البيان) عن مشاهداته في بريطانيا ، وسجلت له محاضرات قيمة تربوية لها صبغتها الشرعية وهي كالآتي :

١ ــ مداخل الشيطان على الصالحين .
٢ ــ كيف أستفيد من الطب النفسي ؟
٣ ــ ماذا يحصل إذا التزمت بديني ؟
٤ ــ الهزيمة النفسية عند المسلمين .
٥ ــ الحزن والاكتئاب .
٦ ــ فن التعامل مع الإنسان .
٧ ــ المخدرات .

وكأنه كان يهيب بأصحاب التخصصات غير الشرعية : إنه بالإمكان خدمة دينكم ومنهجكم من خلال تخصصاتكم .

ثالثاً : الواقعية التي نلمسها جميعاً من عناوين محاضراته رحمه الله ، حيث كانت منطلقة من واقع الناس واحتياجاتهم وهكذا الإيجابية فيما ننقله إلى الناس ونطرحه بين أيديهم ، فإلى الخطباء والوعاظ والكتاب والمحاضرين ، إلى كل أولئك وغيرهم لتكن منطلقاتكم واقعية لتصيب الهدف وتقترب منه .

رابعاً : صبره وتحمله لما يريد أن يصل إليه ، فقد كان يأخذ بما يسمى بسياسة النفس الطويل ، فالأعداء يكيدون ، ووعد الله قائم لامحالة ، والمستقبل لهذا الدين كما وعد الله ورسوله ﷺ ، فكيف يمكن لداعية أن يبقى على ماهو عليه إن كان ممن يستعجل الثمرة ؟

خامساً : حين شُيِّعت جنازة الأخ رحمه الله ، ورأيت الجمع الغفير من صغير وكبيرٍ بين باك مشدوهٍ أيقنت قول القائل : (إنك لن تسع الناس بمالك ولكن بحسن خلقك) فلقد كان والحق يقال سمحاً طيب المعشر مع أهله ،

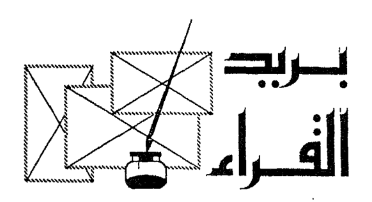
وأبنائه ، ومن يكبره ويصغره سناً ، ففاز بحب الناس ، فكانت بشرى خير لمن عرفه ، وذلك لأن الله يقول : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ﴾ وكما جاء في السنة في بيان أن أهل الصلاح يوضع لهم القبول في الأرض .

وفي الختام ، أسأل الله العلي القدير والمحي المميت أن يرزق الأخ درجات الأنبياء والصديقين والشهداء ، وأن لايحرمنا من أن نجتمع به وأمثاله من أهل الخير والصلاح في ظلال على سرر متقابلين ، آمين □

* * *

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول عز وجل مالعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيّه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة » .

رواه البخاري



الأخ محمد فرحان محمد ــ الإسماعيلية ــ مصر :

كتب إلينا يشرح إعجابه بمجلة البيان وماتقدمه من فكر إسلامي أصيل ، وماتهتم به من شؤون العالم الإسلامي . وإذ يبدي تعاطفه وإعجابه بما يعرض فيها عن أرتيريا والفلبين ... إلا أنه يعتب علينا لعدم تناولنا لقضية أفغانستان وفلسطين ، وكذلك إهمالنا لأخبار الطلبة المسلمين الدارسين في أوربا ، والمسلمين الجدد ، وأخبار المراكز الإسلامية في أوربا ونشاطها بين الأوربيين ... وجواباً على ذلك نقول :

١ ــ نشكر الأخ الكريم على رسالته اللطيفة التي تعبر عن الثقة والاهتمام بالجهد المقدم ، ونشكره أيضاً لما احتوت عليه رسالته من نصح ونقد .

٢ ــ وفيما يتعلق بقضية أفغانستان فقد كتبنا عن ذلك ماأعاننا الله عليه في الأعداد السابقة ، ومنذ البداية تعرضنا لإيجابيات الجهاد الأفغاني ونبهنا على الأخطار والأخطاء التي تعرقل مسيرة هذا الجهاد .

أما قضية فلسطين فصحيح أن ماكتبناه عنها قليل ــ مع أنها ــ قضية المسلمين الأولى ، ونحن نعتقدها كذلك ، ولكن نرجو المعذرة عن ذلك ؛ وتجد في هذا العدد فقرة عن فلسطين ، ولكن ليعلم الأخ الكريم (أنه ليس كل مايعلم يقال) وفي فمنا فيما يتعلق بقضية فلسطين ماء ، وهل ينطق مَنْ في فيه ماء ؟!

٣ ــ أما القضايا الأخرى فنرجو أن نتعرض لها أو لبعضها في المستقبل إن شاء الله □

الأخ ياسين أحمد ياسين ــ الأردن :

أرسل يقترح الكتابة عن آيات من سورة الأنفال ، وأن نكتب عن منهج الدعوة في المسجد والبيت ، وخاصة تربية الأطفال ، ونحن إذ نشكر الأخ ياسين على حمله لهموم الدعوة وثقته بالبيان ، نأمل أن نلبي رغبته وهي رغبتنا أيضاً في الكتابة حول المواضيع المذكورة ، فجزاه الله خيراً .

الأخ حسن اكنتايو ــ المغرب :

أرسل إلينا يؤكد أن المجلة قد لاقت صدى طيباً بين صفوف الشباب الذين يحملون في قلوبهم العزة والحمية للإسلام ، كما يذكر أن مقالات الشيخ عبد العزيز القارىء بشكل خاص قد لاقت اعجاباً وترحيباً بين صفوف القراء ، وأن الشباب بحاجة ماسة إلى مثل هذه الدراسات . ونشكر الأخ حسن على جهوده وثقته وأما بالنسبة للاشتراك والحصول على الأعداد السابقة فسنرسل لك رسالة تفصيلية حول هذا الموضوع .

الأخت نبيلة لاندر ــ الجزائر :

نشكرك على ثقتك بالمنتدى ، وسيصلك إن شاء الله الأعداد التي ذكرت من البيان ، وفقك الله لما يحبه ويرضاه .

الأخت سناء حسن علي ــ مصر :

أرسلت لنا قصة تحولها من النصرانية إلى الإسلام وقد نشرت هذه القصة في جريدة (المسلمون) وندعو الله أن يثبت الأخت على الإيمان ويقويها على طاعة الله ، وشكراً على رسالتها .

تحت الطبع

من إصدارات المنتدى ـ الكتاب الثالث

التجديد في الإسلام

الجزء الأول

اقرأ في العدد القادم

ـ التسعير في الفقه الإسلامي .

ـ العبث الأمريكي في القضية الأرتيرية .

ـ نظرة في منهج تاريخ الأدب .



بعثات التنقيب تزوير في التراب والحجارة

وأخيراً جاء التاريخ يحسم الجدل الدائر حول تكاثف حركات التبشير في الخليج ، فبعد أن حفرت بعثات التبشير أوكارها في أطراف الجزيرة العربية مستعينة بغفلة المسلمين أولاً ، وبالمستعمرين ثانياً ، وبغض نظر المنتفعين ذوي النظرة القصيرة ثالثاً ؛ تحاول أن تلفق لوجودها هناك أسانيد تضفي على هذا الوجود صفة قانونية ، والأسانيد موجودة وهي هناك في بعثات التنقيب عن الآثار ، وبعثات التنقيب وبعثات التبشير منذ كانت وبخاصة في العالم الإسلامي خطان متوازيان ومتساندان بل ومتداخلان في أحيان كثيرة .

والشهادة التي جاءت لتحسم هذا الجدل قدمتها البعثة الفرنسية للتنقيب عن الآثار في الكويت ، حيث « اكتشفت هياكل أثرية لكنيسة قديمة (!) في منطقة القصور بجزيرة فيلكا » [1] .

والاكتشاف كان عرضياً ، أي إن بال المنقبين المعروفين بالموضوعية كان خالياً من البحث عن كنيسة ! هل تريد دليلاً ؟ تابع الخبر : « .. إن البعثة الفرنسية نقبت عن أجزاء الكنيسة في السنوات الماضية دون أن تعرف بأنها كنيسة (!) إلا أنها اكتشفت في حملتها لهذا العام .. الأجزاء المتبقية التي تدل على أنها لكنيسة (ياللغرابة) بجميع تفاصيلها الصغيرة ، خصوصاً في الجانب الهندسي والمعماري » . (أرأيت !) .

وليس هذا فحسب فالشهادة الترابية والحجرية تخبرنا بما هو أكثر ! فتشهد : « على أن الكنيسة ظلت تعمل حتى العصر العباسي (أوله أو آخره ؟!) ولزيادة الاطمئنان حتى لايتسرب الشك إلى هذا الخبر فهو مدعم بتأكيد البعثة الفرنسية التي (محلها الصدق) « والتي أكدت أن الكنيسة هجرت في فترات متقطعة (!) وأعيد استخدامها فيما بعد » (!) .

وقاصمة الظهر تأتي في نهاية الخبر فالبعثة « لم تستبعد احتمال (تقول : احتمال ، فشعارها مخافة الله والبحث العلمي) أن تكون الكنيسة قد حولت فيما بعد إلى مسجد (ياحرام !) وأن البعثة قد حاولت إثبات ذلك بالتنقيب في أحد الجوانب إلا أن الدلائل لم تحسم هذا الافتراض » .

لقد شهد تاريخ المسلمين كثيراً من تزوير اليهود والنصارى قديماً وحديثاً ، ولعل هذه الحوادث تذكرنا بحادثة قديمة حين أظهر اليهود في بغداد كتاباً محفوراً على قطعة من نحاس ، وزعموا أن الرسول ﷺ كتبه ليهود خيبر وأسقط عنهم الجزية ، وشهد على ذلك من الصحابة سعد بن معاذ ، ومعاوية بن أبي سفيان وطلبوا إسقاط الجزية عنهم بناء على ذلك . ولكن كان في المسلمين علماء يكشفون عن هذا الزيف حيث عرض الكتاب على الخطيب البغدادي ، فأثبت أنه مزور بدليلين تحملهما الوثيقة المزعومة وهما أن معاوية أسلم يوم فتح مكة في السنة الثامنة وفتح خيبر كان سنة سبع ، وسعد بن معاذ مات بعد غزوة الخندق سنة خمس قبل فتح خيبر .

فمن لنا اليوم من العلماء حتى يكشف هذا العبث الذي يُقدم إلى أجيالنا المسلمة على أنه تاريخ موثق ؟!☐

---

١ ـــ جريدة القبس ١٣ / ١٢ / ١٩٨٩ م .



العدد السادس والعشرون : شعبان / ١٤١٠ هـ ــ آذار (مارس) ١٩٩٠ م

مجلة إسلامية شهرية جامعة
تصدر عن

المنتدى الإسلامي

لندن

رئيس التحرير

محمـــد العبـــدة

المراسلات والاشتراكات

AL-MUNTADA AL-ISLAMI TRUST

7 Bridges Place, Parsons Green
London SW6 4HR U.K.
Tel.: 01-731 8145
Fax.: 01-736 4255

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتوى

حوار الأقرباء أم البعداء ؟

دعا مركز دراسات الوحدة العربية إلى ندوة في القاهرة مابين ٢٥ ــ ٧ أيلول /١٩٨٩ وتحت عنوان (الحوار القومي ــ الديني) وقد حضر هذه الندو عدد غير قليل من الكتاب القوميين الذين يرون الصلة مابين العروبة والإسلام، بدأوا بالتكلم عن الإسلام ودوره الحضاري، كما حضرها القوميون العلمانيو وبعض الإسلاميين والمشايخ، وكانت الموضوعات تدور حول تطبيق الشري الإسلامية، ومحاور الالتقاء والتفاهم بين العروبيين والإسلاميين، والأزمة التي تم بها الأمة ودور المفكرين في هذه الظروف، وقد نشرت مجلة المستقبل العري بعضاً من الأوراق التي قدمت للندوة، كما نشرت جريدة الشرق الأوسط اليوم ملخصاً ليوميات الندوة.

ولنا على هذه الندوة الملاحظات التالية:

١ ــ إن فكرة الحوار والتواصل، وسماع الأطراف من بعضها، والتعرف عل الفكر الآخر، شيء جيد ولا غبار عليه بشرط أن يكون الرائد إلى ذلك هو التوص إلى الحق وليس الترف الفكري. وجميل أن يتراجع الناصريون والقوميون ويعتر بقصورهم السابق في دراستهم للإسلام، وأن التيار القومي عندما حكم أب الإسلام وبطش بدعاته، ونرجو أن تتوضح الصورة أكثر في المستقبل ويعتر بأن عبد الناصر أساء للعروبة والإسلام.

٢ ــ من الواضح أن كثيراً ممن شاركوا في هذه الندوة كانوا يطرحون حلو

توفيقية وسطية مابين الإسلام والقومية العلمانية، وكأن لسان حالهم يقول: قربوا خطوة ونقرب أخرى، حتى نلتقي في منتصف الطريق، فالأستاذ محمد فائق (وزير إعلام مصري سابق) ينتقد النظرة السلفية التي تريد إعادة عجلة التاريخ إلى الوراء؟!

والأستاذ فريد عبد الكريم يدعو إلى عدم إقحام الدين كل دائرة من دوائر نشاطنا. والدكتور عصام نعمان ركز على أنه لاعصمة للفقهاء (لم يقل بعصمتهم أحد من المسلمين) ولكنه يريد أن يقول أن باب الاجتهاد مفتوح للجميع، وبمثل هذا قال مسعود الشابي واتهم الإسلاميين بأنهم يحتكرون المرجعية الدينية. والدكتور محمد عمارة يجوز أن يتولى القضاء الإسلامي رجل غير مسلم لأنه منفذ للقانون فقط.

وقد طالب الدكتور رضوان السيد كل طرف بالتنازل: « فعلى القوميين التقدميين أن يسقطوا من أجل الحوار شرطهم العلماني الذي يفصل أمتنا عن تاريخها، وعلى الإسلاميين أن يسقطوا من أجل الأمة شعار تطبيق الشريعة الذي يشرذمهم في الراهن ولايجمع » [١] ودعا فهمي هويدي للالتقاء حول موضوع الحرية وحقوق الإنسان والقضية الفلسطينية كقضايا متفق عليها الآن بين الطرفين.

هذا الطلب حول التنازلات يأتي من طرف القوميين رغم أن موقفهم ليس هو الأقوى، وهم الذين طلبوا الحوار ودعوا إليه ومع ذلك فإنهم يشترطون على الطرف الآخر (الإسلاميين) أن يكون متنوراً ويؤمن بالديمقراطية والتعددية، أي أنهم يريدونه إسلامياً عصرانياً يتنازل لهم ويلتقي معهم في منتصف الطريق، وإذا كانو جادين في الحوار فلماذا لايسمعون من الطرف الأقوى على الساحة؟ وقد أحسن الدكتور رضوان السيد في الرد عليهم عندما قال: « إذا كنتم تقصدون لجوء بعض الحركات الإسلامية إلى العنف، فإن الماركسيين الجدد هم أول من دعا إلى الحرب الشعبية الداخلية، ولم تتهموهم بالظلامية وعدم الاستنارة » [٢].

---

١ ـــ مجلة المستقبل العربي، العدد ١٣٠، الصادر في شهر ١٢ / ١٩٨٩ .
٢ ـــ المستقبل العربي / ١٣٠ .

٣ ــ إن شعارهم الذي رفعوه هو (الحوار القومي ــ الديني) ولم يقولوا (القومي ــ الإسلامي) وهذا مقصود طبعاً لأن الديني تعني أي دين، وفيه أيضاً تحجيم للإسلام على أنه (نِحْلةٌ) أو مذهب يستفاد منه روحياً واجتماعياً، والكل يعلم أن الإسلام دين شامل مهيمن، مكون للأمة من جميع جوانبها.

٤ ــ إن ملاحظاتنا هذه لاتعني السلبية أو النقد، فبعض المشاركين تكلموا كلاماً جيداً ــ وإن من وجهة نظرهم ــ ولكنه يتصف بالرزانة والتعقل، وإذا كانوا سيساعدون فعلاً في إزالة القهر المفروض على المسلمين فهذا شيء طيب، ونريد منهم التدليل على هذا لأن الإسلاميين ذاقوا من الاتجاه القومي الويلات، وكلام فهمي هويدي أن الإسلاميين وقعوا في أسر الماضي، وإن كان فيه شيء من الصحة ولكن هل يريد منهم نسيان هذا والمؤمن لايلدغ من جحر واحد مرتين.

٥ ــ بعد فترة من انتهاء هذه الندوة سئل أحد الدعاة الإسلاميين عن رأيه في الحوار مع العلمانيين، فرحب بهذا كثيراً، بل دعا إلى الحوار مع الكل، مع المستشرقين والفاتيكان... وليس هذا مجال التعليق على جدوى أو أهمية مثل هذه الحوارات، ولكن أليس من الأجدى والأولى الدعوة إلى الحوار مع الفصائل الإسلامية ودعوتهم إلى التعاون والتقارب والتنسيق، وإذا كنا غير متحفظين على أي حوار نافع فأصحاب المنهج الواحد أولى بالمعروف.

التوبة

إعداد: عادل التل

المعنى اللغوي :

التاء والواو والباء في أصل اللغة، كلمة واحدة، تدل على الرجوع. قال في اللسان: التوبة: الرجوع عن الذنب، والتوب مثله. قال ابن منظور: أصل تاب عاد إلى الله ورجع. ومعنى تاب الله عليه: أي عاد عليه بالمغفرة.
التواب بالنسبة لله تعالى تعني: كثرة قبوله توبة العباد حال بعد حال، أما بالنسبة للعبد: العبد الكثير التوبة، ومن الألفاظ التي تشارك هذا اللفظ بالمعنى : ثاب ، وأناب ، وآب.

المعنى الاصطلاحي:

يجتمع الاستغفار والتوبة في كثير من الدعاء، وطلب المغفرة يعني طلب الستر ففي اجتماع ذلك مع التوبة يكون المعنى متكاملاً لذلك كان رسول الله ﷺ يكثر من الدعاء: « والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة » رواه البخاري.

شرائط التوبة :

١ ــ ترك الذنب لقبحه : أي بالإقلاع عن المعصية سواء كانت من الكبائر أو من

الصغائر، والأصل أن يكون ترك الذنب قد جرى بإرادة حرة وإلا لم تعتبر توبة إذا كانت بطريق القهر أو العجز.

٢ ــ الندم على مافرط: وهو أن يندم المذنب على فعلته التي تركها ويشعر بالحزن والأسف كلما ذكرها وهو مهتم بذلك لشعوره بعظم الذنب وقبحه وإدراكه مبلغ التفريط الذي صدر منه.

٣ ــ العزيمة على ترك المعاودة: وهي النية التي تنشأ في قلب التائب تحقق صدقه بالتوبة وهي بمثابة العهد الذي يقطعه بعدم الرجوع إلى الذنب وتحول الإرادة من المعصية إلى الطاعة.

٤ ــ تدارك ماأمكنه من الأعمال: إذا كانت التوبة من معصية كانت بين العبد وربه فإن كانت متعلقة بتقصير في صيام أو زكاة أو غير ذلك، فلابد من تأدية العمل موضوع التقصير حسب المطلوب شرعاً. وأما إذا كان الذنب متعلق بحق الناس. فلابد من التحلل منهم وطلب الصفح أو إرجاع الحق إلى أصحابه إذا كان مادياً. وتكون التوبة تامة إذا تحقق معها الاتجاه نحو الطاعة والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿ ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً ﴾.

موضوع التوبة:

تشمل التوبة جميع الذنوب الصغيرة والكبيرة، وقد روى أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تبارك وتعالى: « ياابن آدم إنك مادعوتني ورجوتني غفرت لك على ماكان فيك ولا أبالي، ياابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني، غفرت لك ولا أبالي، ياابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لاتشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة » صحيح رواه الترمذي.

ولابد من التساؤل إلى متى تصح التوبة ؟ قال تعالى: ﴿ إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً، وليست التوبة للذين يعملون السوء بجهالة حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار، أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً ﴾ [النساء / ١٧، ١٨].

روى ابن ماجة والترمذي بإسناد حسن قال رسول الله ﷺ: « إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر ».

أما الجهالة فقد روى ابن جرير عن قتادة عن أبي العالية أنه كان يحدث أن أصحاب رسول الله ﷺ كانو يقولون : كل ذنب أصابه عبد فهو جهالة. وقال مجاهد وغير واحد: كل من عصى الله تعالى خطأ أو عمداً فهو جاهل حتى ينزع عن الذنب.

وقال تعالى: ﴿ ياأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار... ﴾ ذكر القرطبي في التفسير أقوالاً للعلماء في معنى التوبة النصوح:

١ ــ هي التي لاعودة بعدها كما لايعود اللبن إلى الضرع، وروي عن ابن مسعود بسند صحيح (كما ذكر ابن حجر) مثل ذلك. وعن عمر وأبي معاذ أيضاً.

٢ ــ قال قتادة النصوح: الصادقة الناصحة، وقيل الخالصة، يقال: نصح أي أخلص له القول.

٣ ــ قال الحسن: النصوح أن يبغض الذنب الذي أحبه ويستغفر إذا ذكره.

من أحكام المصطلح:

إن الإسلام لايغلق الأبواب في وجه الخاطئين ولايطردهم من الجماعة إن أرادوا أن يعودوا إليه متطهرين، بل يفسح المجال لهم ويبين لهم الطريق ويشجعهم على سلوكه، فلاحرمان من رحمة الله لمن لجأ إليه، وذلك كما يفعل أصحاب الديانات الأخرى حيث يقوم رجال الدين بطرد بعض الأفراد من الرحمة.

والتوبة واجبة على الفور ولايجوز تأخيرها سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة، والتوبة من مهمات الإسلام وقواعده المتأكدة.

يقول تعالى ذكره: ﴿ وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ وقال أيضاً: ﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ . ويقول رسول الله ﷺ : « سيد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك مااستطعت، أعوذ بك من شر ماصنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنه لايغفر الذنوب إلا أنت » رواه البخاري وابن ماجه والنسائي.

مدرسة طارق بن زياد

محمد سليمان

عندما وصلنا إلى مدينة (هلموند) في هولندا، والتي تبعد عن العاصمة أمستردام حوالي (١٣٠ كم)، كان القائمون على المسجد يرددون كثيراً (المدرسة الإسلامية)، فسألتهم عن هذه المدرسة، فقالوا: الأفضل أن تراها وهي قريبة في مدينة مجاورة اسمها (إندهوفن)، وفي اليوم التالي اتجهنا إلى المدرسة التي أطلقوا عليها اسم (طارق بن زياد)، وهي مدرسة ابتدائية متكاملة بفصولها ومرافقها قدمتها الدولة للجالية الإسلامية في هذه المدينة.

تجولنا في فصولها ومرافقها، وكان كل شيء يوحي بأنها إسلامية، ثم كان هذا الحوار مع أخوين من الجالية العربية المغربية وهما من الأعضاء الخمسة المشرفين على المدرسة:

ـ كيف بدأت قصة المدرسة؟

ـ كنا نعاني كثيراً من خطر ضياع الأطفال في المجتمع الغربي، فأسسنا مسجداً للصلاة بالاشتراك مع الإخوة الأتراك، وبدأنا بتعليم الأطفال القرآن الكريم في هذا المسجد في عطلة نهاية الأسبوع، ثم ضاق المسجد بنا فانتقلنا إلى مكان أوسع وفكرنا في زيادة حصص اللغة العربية، وكنا نعاني من عدم وجود مدرسين مؤهلين، وفي عام ١٩٨٦ تفاقمت مشاكل الاختلاط في المدارس، وكنا نذهب كمندوبين عن الجالية نناقش هذه المشاكل مع إدارة المدرسة، ثم تكلمنا مع البلدية حول خصوصية المسلمين وثقافتهم، فقالوا: هذا قانوننا، وإذا كنتم تريدون غير هذا فابحثوا عن مدرسة خاصة بكم، وقال أحد الموظفين في البلدية: عندي القانون

الذي يسمح لكم بمدرسة خاصة بكم، من هنا بدأت الفكرة، ذهبنا إلى البلدية نبحث معهم الموضوع، وطلبنا من بعض الهولنديين مساعدتنا فقالوا: إذا كنتم تستطيعون صعود الجدار فابدأوا، ولكننا لم نيأس.

ــ كم من الوقت استمر هذا البحث؟

ــ حوالي ثمانية أشهر، في ٨٧/٣/٣١ دفعنا الطلب إلى البلدية، وبعد شهر وجدنا تجاوباً وسجلنا أنفسنا كجمعية، وقدمنا لهم قائمة بأسماء الأطفال الذين يرغب الآباء في تدريسهم في مدرسة إسلامية، وافق المجلس البلدي بعد مناقشات حادة فيما بينهم، ثم وافقت المحافظة والوزارة بعد ضمان من مؤسسات تعليمية.

ــ هل يعني هذا أن الوزارة وافقت على تقديم البناء وكل تكاليف المدرسة ورواتب المدرسين والموظفين؟

ــ نعم، ولكن نحن ندفع تكاليف النشاط فقط.

ــ متى افتتحت المدرسة؟

ــ في ٨٨/٨/١٤ وكان عدد الأطفال الذين سجلوا (١٦٠) طفلاً تتراوح أعمارهم مابين (٤ ــ ٨) سنوات ولكن الذين حضروا فعلاً كانوا (٤٥) ثم زاد العدد بعد شهر إلى (١٠٤) والمدرسة الآن تحوي فصلين حضانة وثلاثة سنوات ابتدائي.

ــ من المشرف الفعلي على المدرسة؟

ــ لجنة مؤلفة من خمسة أعضاء كلهم مسلمون ومن جنسيات مختلفة، وهم الذين يشرفون على المناهج.

ــ كم عدد المدرسين المسلمين؟

ــ عندنا ثلاثة مدرسين للدين واللغة، ومدرسة هولندية مسلمة.

ــ والبقية؟

ــ المدير هولندي وهو متجاوب معنا تماماً لأنه جاء حسب الشروط التي أعلن عنها، وبقية المدرسين هولنديون أيضاً.

ــ هل تحذف بعض الفقرات من المناهج التي تخالف الإسلام؟

ــ نعم، مثل كتاب القراءة، هناك صفحات عن أعياد النصارى اتفقنا مع المدير على حذفها.

ـــ ودروس الموسيقى؟

ـــ ليس هناك درس موسيقى، وعوضنا عن هذا بتعليمهم الأناشيد، ويتعلمون التجويد طبعاً، وعندما جاء المفتش سمع من الطلاب وهم يقرأون فأعجبه ذلك.

ـــ هل هذه أول مدرسة من نوعها في هولندا، أعني مدرسة حكومية إسلامية؟

ـــ نعم، وقد فتحت بعدها مدرسة في أمستردام تشرف عليها الجالية المصرية، ومدرسة في روتردام تشرف عليها الجالية التركية، ونتوقع في هذه السنة أن يصل عدد المدارس الإسلامية إلى سبع عشرة مدرسة.

ـــ هل تخططون لتأهيل مدرسين؟

ـــ بعد إنشاء هذه المدارس، بدأ بعض الشباب بالتوجه نحو التأهيل التعليمي، ولكن في أمستردام هناك كوادر من الإخوة الأتراك متخصصون في التدريس.

ـــ هل تجدون مضايقات من الشعب الهولندي؟

ـــ في البداية، حصلت مضايقات، أحرقوا المكتب وهددوا بالهاتف والرسائل.

ـــ هل هو حزب عنصري؟

ـــ نعم ولكنهم لايصرحون بهذا، والآن استقرت الأمور وليس هناك مشاكل.

شكرت الأخوة في (اندهوفن) و (هلموند) على هذا اللقاء وهذا التعرف على المدارس الإسلامية، والتي تشكل إحدى الحاجات الرئيسية للجالية الإسلامية في أوربا، وأظن أن الدعم الذي يلقاه المسلمون في هولندا لتأسيس مدارس إسلامية لايوجد مثيل له في باقي دول أوربا.

إن إبعاد التأثير الغربي عن أطفال المسلمين من أهم مايجب العناية به، وهو هدف من أهداف المنتدى الإسلامي، كما أن موضوع التعليم بشكل عام هدف من أهداف مجلة البيان.

وقفة مع الدعاة

عبد اللطيف الوابل

إن المتأمل في حال الأمة الإسلامية اليوم وماوصلت إليه من فرض نفسها على الواقع حتى أصبحت ترى أفواجاً من الشباب يلتزمون في دين الله سراعاً في قوة وحماسة وعزم؛ يجد في نفسه أملاً قوياً ويحس في صدره بفرحة غامرة، وحين يمد خطوه قليلاً فيدخل في خضم هذه الأمواج المباركة يقف متألماً حزيناً إذ يرى الأمراض الصغيرة الخطرة تصيب بعض هذه الأفواج الموعودة بنصر دين الله، هي صغيرة ويمكن تلافيها حين يتيقظ لها ذوو الألباب وهي خطرة لأنها سرعان ماتنتشر في صفوف الدعاة كانتشار النار في الهشيم فتهدم هذا البنيان المبارك وتهلكه، ويتذكر المرء قول الشاعر:

أرى خلل الرماد وميض جمر ... ويوشك أن يكون لها ضرام

فإن النار بالعودين تذكى ... وإن الحرب أولها كلام

ولما كان الخلل في ضبط الكلام وعدم الالتزام بمنهج الإسلام في استقامة اللسان من أهم أسباب هدم صفاء الأخوة ونقاء المحبة، بل من أهم أسباب تقويض البنيان وضياع الجهود وتفرق الكلمة أحببت أن أذكر هذه الأفواج المباركة ببعض معالم هذا المنهج وذكر بعض الأمثلة مما يحصل في صفوف الدعاة ثم أبين مايحصل من جراء الانحراف عن

الالتزام بهذه المعالم الواضحة، مع يقيني بأن كثيراً منها قد لايخفى على أغلب طلبة العلم والدعاة ولكن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يلزم المرء بنصح إخوانه وتذكيرهم براءة للذمة وحرصاً على جمع القلوب ووحدة الكلمة.

وقبل البدء في الحديث عن هذه الأمور أحب أن أنقل كلمة للأستاذ سيد قطب رحمه الله حين تطرق لظلال قول الله سبحانه ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً﴾، يقول رحمه الله: « فالشيطان ينزغ بين الإخوة بالكلمة الخشنة تفلت، وبالرد السيء يتلوها فإذا جو الود والمحبة والوفاق مشوب بالخلاف ثم بالجفوة ثم بالعداء.. والكلمة الطيبة تأسو جراح القلب وتندي جفافها، وتجمعها على الود الكريم ».

أولاً: منهج الإسلام في استقامة اللسان:

١ ــ اختيار أحسن اللفظ وأجمله حين الكلام سواء كان ذلك في محاضرة أو موعظة أو نقاش علمي أو نقد بناء أو نصيحة صادقة أو غير ذلك لأن في ذلك كله أماناً من نزغات الشيطان وتسويله.

٢ ــ الإمساك عن الكلام إلا لمصلحة راجحة والتحرز الشديد من الكلمة وحصرها في نطاق ضيق، يقول الإمام النووي رحمه الله: اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاماً ظهرت فيه المصلحة، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة، فالسنة الإمساك عنه، لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام، أو مكروه، وذلك كثير في العادة، والسلامة لايعدلها شيء. وكم كلمة أشعلت حروباً وأوقدت عداوة الدهر بكامله.

٣ ــ وزن الكلام وضبطه والتأمل فيه وفي عواقبه قبل إخراجه وعدم التسرع فالكلمة إذا خرجت لم تعد.

٤ ــ القول بالعدل والصدق وإن كان ذلك على أقرب قريب سواء كان ذلك مختصاً بالأفراد أو الجماعات أو المؤسسات الإسلامية، والحذر كل الحذر من مسايرة الحماس والعواطف الجياشة وخاصة

في المحافل العامة وعلى منابر النصح والإرشاد.

٥ ــ البعد عن تحريف الكلام وليه والمغالطة فيه وأن يكون كلامه لإخوانه واضحاً صريحاً غير محتمل للتأويلات للشحناء والبغضاء والتدابر وانعدام الثقة.

٦ ــ الالتزام بالقول وتصديقه بالفعل وعدم الفصل بينهما.

٧ ــ ترك الجدل والمراء وكل صنف من أصناف الكلام المؤدية إلى فساد القلوب وشحناء الصدور من لمز أو همز أو غمز مع اللين في القول لإخوانه المؤمنين وترك الغلظة والفحش.

٨ ــ محاسبة النفس على كل كلمة خرجت والنظر في عاقبتها والخشية من الله سبحانه حين السؤال ووزنها بميزان الله أهي مما يرضي الله أم مما يسخطه، فإن كانت الثانية أتبع السيئة بالحسنات.

٩ ــ التحلي بلباس التقوى في كل حال من أحوال الكلام فإن الله هو المطلع وهو الذي سيحاسب، كيف وقد قال سبحانه: ﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴾.

ثانياً: بعض الأمثلة الناتجة عن عدم الالتزام بهذه المعالم:

قبل البدء في ذكر هذه الأمثلة أود أن أنبه أن ذكري لها ليس من باب الشماتة وإنما من باب بيان عيوبنا حتى نصلحها ونتناصح بيننا حتى يستقيم البناء ولأجل أن يتنبه لها المربون المصلحون فيحفظون بتجنبها هذا البناء الشامخ ويسدون الباب على أعداء الإسلام من المنافقين ممن يتربصون بهم الدوائر ويسعون في إشعال نار الفتنة بين أفراد الحركات الإسلامية الملتزمة بمنهج السلف الصالح.

١ ــ أصبحت أعراض كثير من الدعاة لحماً طرياً يؤكل بالليل والنهار فالغيبة تُعمل خنجرها في لحوم الدعاة إلى الله وبألسنة من ؟ إنها ألسنة إخوانهم وأحبابهم وصدق من قال:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة
على المرء من وقع الحسام المهند

فترى طالب العلم يدرس في نهاره بل ويذكّر الناس بتحريم الغيبة ويتلو

عليهم قول الحق سبحانه : ﴿ ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم ﴾ ثم يجلس مع صاحبه في المساء الساعات الطويلة لا على صحيح البخاري أو صحيح مسلم أو أمر يهم شأن المسلمين بل على ذكر فلان الداعية وماذا له وماذا عليه وهكذا حتى يجر الحديث بعضه بعضاً فلا ينتهي مجلسهم إلا وقد قاموا عن مثل جيفة حمار، ضيعوا أوقاتهم وتحملوا أوزار غيرهم وهتكوا أعراض إخوانهم، ولو كان هذا الحديث لمصلحة شرعية راجحة لكان الأمر يسيراً، لكنه أصبح كالفاكهة يتفكه بها. فأين أولئك من قوله سبحانه : ﴿ مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ ومن قول الرسول ﷺ : « وهل يكب الناس في النار على وجوههم ــ أو قال على مناخرهم ــ إلا حصائد ألسنتهم ».

٢ ــ الرجم والتخرص دون تبين أو تمحيص ومعرفة، فتسمع أحياناً في مجتمع الدعاة ألفاظاً عجيبة قد لاتسمعها من عوام الناس فترى بعضهم يصف بعضاً « لأنه لم يوافق هواه أو ليس على شاكلته » بأنه عميل وذاك جاهل، وهذه المؤسسة مشبوهة، وتلك مجلة فيها كيت وكيت، وهكذا تتوالى الألقاب والأوصاف والله قد خاطب المؤمنين بقوله: ﴿ ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين ﴾، وفي الحديث : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث »، ويقول ﷺ في حديث أبي هريرة: « إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى مايلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لايلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم » ويقول الحسن البصري رحمه الله: « ماعقل دينه من لم يحفظ لسانه ».

٣ ــ بخس الناس أشياءهم وترك العدل في القول فتسأل فلاناً الداعية عن كتاب معين أو مركز إسلامي أو مجلة أو عن داعية آخر أو غير ذلك فيحدثك ويجيبك حسب هواه ورغبته فإن كان السؤال عن أمر موافق لهواه رفعه فوق السماء وإلا كال له الشتم والمذمة، وأقل أحواله

أن يطلب منك غض الطرف عنه وعدم الالتفات إليه فأين المسكين من قول الله سبحانه: ﴿ ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ﴾ وقوله: ﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ﴾، وقوله: ﴿ ولايجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ وحين بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحه يخرص على أهل خيبر ثمارهم وزروعهم فأرادوا أن يرشوه ليرفق بهم فقال: « والله لقد جئتكم من عند أحب الخلق إلي ولأنتم أبغض إلي من أعدادكم من القردة والخنازير ومايحملني حبي إياه وبغضي لكم على ألا أعدل فيكم، فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض ».

٤ ــ مخالفة العمل للقول... فترى مجموعة من الدعاة يتفقون على أمر بينهم لمصلحة الدعوة ومن باب.. التعاون على البر والتقوى وماإن يتفرقوا إلا وقد خالف العمل القول وامتثل كل منهم المثل السائد: (كلام الليل يمحوه النهار) بل إنك تسمع أحياناً داعية يذكر الناس في محاضرة أو موعظة أو مجلس فينتقد حالة مرضية في مجتمع الدعوة وسرعان ماتراه يقع فيما نهى عنه قبل أن ينهي محاضرته وكأن الأمر أصبح مألوفاً ومعتاداً، والله قد مقت من هذا وصفه بقوله: ﴿ ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون ﴾.

وأمر بالوفاء بالعهود والمواثيق فقال: ﴿ وبعهد الله أوفوا ﴾، وقال: ﴿ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً ﴾.

٥ ــ الوقوع في النميمة والتخصص في إفساد القلوب عن طريق اللسان الذي خلقه الله لذكره وتلاوة كتابه، فترى أقواماً قد تخصصوا في الإيقاع بين الدعاة وطمس معالم الود والصفاء وماعلموا أنه لايدخل الجنة نمام وأن شر الناس من يسعى بينهم بالنميمة، فليتذكر أولئك قول الله سبحانه: ﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون. يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين ﴾.

٦ ــ عدم الاتزان في القول والتردد بين الإفراط والتفريط فيوماً

يذكر فلاناً الداعية فيرفعه فوق منزلته التي هو فيها حتى كأنك ترى صحابياً من خيرة أصحاب محمد ﷺ، وحين يتغير الهوى وتزول المصالح ترى ذاك الذي كان في الأفق قد نزل إلى الحضيض، وهذا كله نتيجة الشطط والبعد عن الحق وميزان العدل.

٧ ــ تفسير النصيحة على غير وجهها وتقديم الظن السيء على حسن النية مما تسبب في انعدام النصح وتركه بين الدعاة إلى الله. فحين يأتي الناصح ليقول حقاً يتبادر لذهن المنصوح أولاً الظن السيء ، والتفسير المغلوط، فلا يقبل النصح بل ربما قال له أنا أعرف بحالي! وكأن المسكين معصوم عن الخطأ والزلل.

ولانشك بأن الدعاة إلى الله سبحانه بشر وأنهم يخطئون ويذنبون، لكن حين تصبح بعض هذه الأمثلة ظواهر تراها بالليل والنهار، هنا يحتاج الأمر إلى لفت الأنظار وشد الانتباه لمعالجة هذه الظواهر المرضيـة، والكيس من دان نفسه وحاسبها، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

ثالثاً : عواقب البعد عن معالم منهج الإسلام في ضبط اللسان :

١ ــ التباعد والتباغض بين الدعاة إلى الله وعدم استفادة بعضهم من بعض وخاصة إذا كانوا من مدارس مختلفة.

٢ ــ انعدام الثقة في صفوف الدعاة مما تسبب في حيرة كثير من الشباب لأنه لم يعد يعرف الصادق من غيره فذاك يثني على فلان، وذاك يرد، ومن هنا كثرت المدارس وتعددت الطرق وتباعدت القلوب.

٣ ــ انعدام البركة وتأخر الثمرة وهذا نتيجة عدم الالتزام الصادق بأمر الله ومنهجه. فكم ترى من الدعاة وكم تبذل من جهود فإذا بحثت عن الثمرة وجدتها لاتتناسب مع هذه الجهود، بل والمصيبة أنك ترى أحياناً ثمرات لكنها تقطف بأيدي الأعداء وصدق الله إذ يقول: ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾.

٤ ــ كثرة قالة السوء في صفوف الدعاة لأن الذي لايحمي بيته ويحفظه يصبح مرتعاً للصوص حتى لاتكاد تميز بين اللص وصاحب الدار

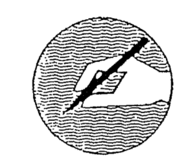
وهكذا نرى اليوم في صفوف الدعاة أنواعاً من المنافقين وقالة السوء، يظن من لافطنة له أنهم من رواد هذه الصحوة المباركة. ولهذا أصبح ستار الدعوة سهل الاختراق من كثير من أعداء الإسلام.

٥ ـــ غياب النقد والمراجعة والتناصح لأنه قد اختلطت المفاهيم فلم يعد يفرق الداعية بين النقد البناء والنصح الصادق وبين السب والشتم والتخرص وهكذا تضيع الجهود والتجارب دون استفادة من الدروس وأخذ العبر وتصحيح المسار.

٦ ـــ ضعف التخطيط وضياع الجهود على المستوى العام للدعوة وانعدام عنصر التعاون الشامل بين الحركات الإسلامية ولو على أقل الأمور في الخطوط العامة، فذاك يبني وأخوه يهدم مابنى وهذا يتعامل مع إخوانه بأسلوب سياسة الشرق والغرب، فكيف يحصل التخطيط الشامل والتعاون والتنسيق وبأي حال يمكن أن تصب جهود الدعاة كلها في مصب واحد؟

٧ ـــ قسوة القلوب وصدؤها وبلادة الحس وعدم الشعور بالإثم فأصبحت ترى أقواماً اعتادوا على الانحراف عن هذه المعالم فلا يؤثر فيهم نصح ولا يمنعهم تخويف بالله، فإن نصحت لاتجد إلا قبولاً بارداً وعاطفة سريعة الانطفاء وعزيمة كاذبة على ترك هذا الخلق الذميم سرعان ماتنتهي ويردها قلبه القاسي.

فإليك أخي الداعية أسوق هذه التذكرة وتلك الالتفاتة لعلها تصادف قلباً قد آلمه مايرى من حال الدعاة فتتمكن فيه النصيحة ويتذكر مانسي ويحملها لغيره نصحاً لله وفي ذات الله فإن المرجع هو إلى الله وحده والسؤال سيكون في القبر لك وحدك حين الظلمة والوحشة، فاتق الله واخشَ يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار.



خواطر في الدعوة

بين الشيوخ والشباب

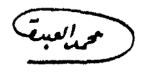
لا أعتقد أن التشدد أو التساهل كلمتان مناسبتان لوصف داعية إسلامي أو اتجاه إسلامي، فالرسول ﷺ غضب غضباً شديداً عندما رأى معاذاً رضي الله عنه يطيل في القراءة في الصلاة وهو إمام وقال له: أفتان أنت يامعاذ؟ فالمتشدد يوحي للناس بشكل غير مباشر أن هذا هو الإسلام، وقد يصرف بعض الناس عن الخير، والمتشدد كأنه يتمنى في داخله لو أن الإسلام أمر بهذا أو شدد في هذا، وهو في هذه الحال يضيق على نفسه وعلى المسلمين، ويحاول أن يفهم النصوص فهماً خاصاً، وقل مثل ذلك في المترخص أو أكثر فهو يحاول التهرب من النصوص أو الالتفاف عليها، ويتقرب من الناس ويشعرهم أن الإسلام ليس بالذي يتصورونه، ويضغط عليه أقوام يريدون (فتاوى) جاهزة تناسبهم، فإذا استجاب يطلبون منه أكثر، ودين الله بين الغالي والجافي، وأظن أن المسلم يعرف هذا من نفسه إذا راقبها، وبحث في داخلها، هل يميل إلى التشدد لشهوة في نفسه أم لا؟ وكلا الطرفين فيه شهوة خفية.

التقيت بشباب يميلون إلى التشدد، لا نتهمهم في إخلاصهم وحبهم لهذا الدين، وحبهم لنشره بين الناس وتطبيقه منهجاً وسلوكاً، ولكنهم أتوا من قبل قراءاتهم للكتب وقلة العلماء الربانيين الذين يوجهونهم ويوضحون لهم كل مسألة، صغرت أم كبرت، فظهر لهم بعد طول القراءة، أن هذا من السنة، وهذا من السنة ولايفرقون بين السنة التي نؤمر بها على وجه المتابعة والتعبد والمشروعية، وبين

السنة التي فعلها الرسول ﷺ على وجه العادة في قومه وكونه بشراً، وإلى هؤلاء نقول: أرفقوا بأنفسكم وبالمسلمين؛ نحن لاندعوكم إلى التساهل أو ترك شيء من الإسلام، ولكن تأكدوا قبل أن تلتزموا بشيء أو تلزموا الناس، تأكدوا من مشروعيته، ثم كيفية عرضه على الناس، وإلا جاءت النتائج بعكس ماتؤملون، إنكم تريدون الخير للمسلمين، وتجدون الإعراض عنكم.

وفي الأسبوع الذي التقيت فيه بهؤلاء الشباب قرأت مقابلة في إحدى الصحف لأحد الشيوخ الدعاة، تكلم فيها عن المرأة وصب جام غضبه على الإسلاميين الذين يخنقون أنفاسها، ولايبرزونها لتكون قائدة من قواد العمل الإسلامي، ويقول : « ورغم أن المرأة ذهبت للجامعة وخرجت للعمل والسوق، ولكنها لاتزال محرومة من الصلاة في المساجد (يقصد الصلوات الخمس) ».

نحن لانقلل من أهمية فهم المرأة للإسلام ودورها في ذلك، ولكن لماذا يستدرج الدعاة دائماً للكلام عن المرأة وكأنها هي المشكلة الرئيسية، فإذا حلت هذه المشكلة حلت كل المشاكل، وهذا ديدن الصحفيين، يريدون (الفتاوى) التي تعجبهم لينشروها بين الناس، وفي تلك المقابلة قال الشيخ: « إن الديمقراطية المعاصرة هي الشورى الإسلامية » هكذا وبكل بساطة وسهولة. مع أن الخلاف بينهما كبير (وليس هذا مجال تفصيله) ولكنه لو قال إن الإسلام يكره الاستبداد؛ والديمقراطية ــ على مافيها من خلل كبير وهذا يعترف به الغربيون ــ هي أفضل من النظم الدكتاتورية لكان كلامه صحيحاً. أما أن تكون الديمقراطية التي تمارس الآن هي الشورى الإسلامية أو صنواً لها فهذا تساهل، والفتوى أمانة برقاب العلماء، والصراط المستقيم الأعدل هو المطلوب.



الاعجاز التشريعي

د. عابد السفياني

لاعجب أن تتشكل خيوط الاعجاز التشريعي، والاعجاز الكوني، فالله هو صاحب الخلق والأمر، وإن من أبرز ملامح هذه المشاكله مايلي:

١ ـــ الكون خلقه الله وقدر فيه طاقاته، فبقدر مايتعامل الإنسان معها بقدر مايستخرج منها، فالماء طاقة مقدرة في الأرض، إذا استخرجها الإنسان فإنما استخرج طاقة كامنة يسر الله لها استخراجها ولكنها ليست خلقاً جديداً مستأنفاً في الأرض: ﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ﴾ [فصلت/٩، ١٠].

وفي هذه الآية دلالة على أن الله جعل في هذه الأرض جميع ماتحتاجه البشرية من الطاقات، وكل جيل يستخرج

منها مايطيق حسب قدراته ونشاطه ومبلغه من العلم، وكذلك هذه الشريعة، جاءت نصوص الوحي بها متضمنة معاني لاحصر لها، فقد جعلها الله شاملة لما يشاء أن يعلمه للبشر في جميع أجياله، وكل جيل يعلم منها مايحتاج إليه في جميع شؤونه، فيستخرج منهاجاً يحكم حياته كلها، فيحفظ له هذا المنهج عقيدة صحيحة ـ فيسلم من التخلف العقيدي وهو الارتكاس إلى الجاهلية البشرية ـ ويحفظ حياته الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية فتتحقق حينئذ العبادة في هذه الأرض وهي المهمة التي خلق الله الإنسان من أجلها.

يأتي كل جيل ليرتبط بهذه الشريعة، ويجد علماؤه فيها كل مايحتاجه في تلك الأمور ـ وليس شيئاً من ذلك قد أنزل إنزالاً جيداً مستأنفاً، كلا، وإنما هو متضمن في هذه الشريعة، تماماً كما هو الشأن في هذا الكون فيقف كل جيل ليجد مايحتاجه من الطاقات في هذا الكون مدخراً له، ويجد المنهج الصحيح الذي يحكم له جزئيات حياته مدخراً له في هذه الشريعة فيعلم أن له رباً خلق له كوناً يعيش فيه ليستخرج طاقاته، وإلهاً أنزل له شريعة ليستخرج منها مايبصره بالمنهج الصحيح، وهذه أول ملامح تلك المشاكلة بين الإعجاز الكوني والإعجاز التشريعي.

٢ ـ إن هذا الكون لاتضاد فيه ولا تناقض بل هو صنعة محكمة مبدعة وهذا هو الإعجاز الذي يقابله إعجاز تشريعي حيث أنزل الله شريعته لاتضاد فيها ولا تناقض ولا اضطراب، بل هي قول محكم.

وملامح هذه المشاكلة تظهر في مثل قوله تعالى: عن بيان امتناع هذا الكون عن الفساد والاضطراب: ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ [الأنبياء / ٢٢].

نعم لو كان في السماء والأرض آلهة إلا الله لاقتضى ذلك أن تتعدد الإرادات في تدبير هذا الكون، فهذا يسير القمر إلى جهة، وآخر يأمره بضدها، وهذا يريد الشمس جارية، وذاك يريدها ساكنة، وحينئذ يقع الفساد، فلايمكن أن تتعدد الآلهة ـ وكل إله يستحق الألوهية ـ كلا لو كان كذلك لفسدت السموات والأرض.

وشريعة الله التي هي كلامه

المعجز ووحيه إلى نبيه لايمكن أن تتعارض ولذلك قال تعالى: ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ [النساء / ٨٢].

نعم لو كان القرآن من عند غير الله لوجدنا فيه ذلك الاختلاف، فلما لم نجد قطعنا حينئذ أنه من عند الله، مثل سلامة الكون من الفساد دلنا ذلك على أنه من خلق الله، وهذا وذاك هو سند الثبات في هذا الكون وفي هذه الشريعة إلى أن تقوم الساعة فيقدر الله حينئذ مايشاء، والثبات هو من أهم معالم الإعجاز التشريعي والإعجاز الكوني.

٣ ــ من مظاهر الإعجاز في الكون أنك تجده متجدداً معطاء بفضل من الله، والإنسان يستثمر ذلك العطاء، وكلما اتجه الإنسان إلى الاستثمار الصحيح وجد خيراً كثيراً بإذن الله، وفي هذا الكون طاقات كلية ثابتة يستخرج منها الإنسان ــ عن طريق الاستثمار الصحيح ــ طاقات جزئية لاحصر لها، ولذلك يختلف البشر في إمكان الحصول على ذلك مابين مستكثر ومستقل، وقد حمّل الله الإنسان هذا الجهد ليكابد الحياة ويعمل ويُعمّر الأرض فتتحقق العبادة بإقامة الخلافة فيها.

والإنسان في كل ذلك ليس خالقاً ولا منشئاً حتى وإن اكتشف، لأن أصل الخلقة لله سواء في الكون أو الإنسان، وجهد الإنسان إنما هو اكتشاف لما يسره الله له حسب السنن الربانية.

وكذلك هذه الشريعة ــ التي هي وحي من الله ــ جعلها سبحانه متضمنة لكليات تشريعية تحفها جزئيات تشريعية كذلك، ثم كلف الأمة المتبعة لهذه الشريعة أن تجهد جهدها في إقامة فرض الكفاية وهو التعلم، وتهيئة طائفة منها لتقوم بمهمة التعليم والاجتهاد وذلك كله فرض كفاية، وعلى الأمة العمل لإقامته، وهؤلاء المجتهدون يستثمرون تلك الكليات التشريعية، وقد علموا منها ومن تلك الجزئيات كيف يتم الاستثمار وتتحقق مقاصد الشريعة، وحينئذ يتحقق لكل جيل عن طريق ــ المجتهدين ــ الحكم في مسائل لايمكن حصرها البتة، وهذا هو غاية الاستثمار للكليات

التشريعية (١)، وهذا الاستثمار اكتشاف لحكم الله، وليس إنشاء ولا تشريعاً تماماً كما تبين لنا في الإعجاز الكوني، ذلك أن الله وحده هو الخالق والمشرع والآمر سبحانه لا إله إلا هو.

٤ ــ من مظاهر الإعجاز الكوني أنك تجد شجرة واحدة ــ وهي آية من آيات الله ــ تتفرع عن أصلها فروع كثيرة جداً، وتجد أيضاً أنواعاً كثيرة من المخلوقات ــ كالهواء والبذر والتربة.. ــ تجتمع لتخرج ــ بإذن الله ــ الزرع بجميع أجناسه، الذي يصلح لسد كثير من حاجات الإنسان.

وإنك لتجد هذه الملامح في الإعجاز التشريعي:
فمثلاً إذا تأملت في العموم اللفظي وجدته كأصل الشجرة الواحدة تقوم عليها تلك الفروع الكثيرة، فاللفظ العام يشتمل في دلالته على فروع كثيرة، أصله لفظ واحد وفروعه لاتنحصر.

وإذا نظرت في مثال آخر وهو العموم المعنوي وجدت جزئيات من الشريعة قد اجتمعت من كل مكان على معنى واحد، فأصبح هذا المعنى جنساً ينتج لنا أحكاماً خاصة بمسائل كثيرة بل يصبح مثل العموم اللفظي، فهناك لفظ عام تبنى عليه فروع شتى، وهنا جزئيات كثيرة يخرج منها أصل واحد يُحكم به على جزئيات لاتنحصر، فهل رأيت مثل هذا الإعجاز، شجرة واحدة في الأصل تنمو فروعها وتتكاثر، وجزئيات متناثرة ــ من تراب وماء وهواء وبذور ــ تجتمع لتخرج بإذن الله شجرة ذات فروع كثيرة، عمومات لفظية ــ هي عمدة الشريعة ــ يتفرع عن كل واحد منها فروع لاتنحصر، وجزئيات كثيرة يتفرع عنها فروع كثيرة جداً تشابهها في الحكم ــ عن طريق القياس الشرعي ــ وهذه الجزئيات تجتمع مرة أخرى لتنتج العموم المعنوي فيحكم به على فروع لاتنحصر.

هكذا في دورة تشريعية معجزة

---

١ ــ نتحدث هنا عن الوضع السوي الذي خلق الله الإنسان له، وإلا فإن هناك أجيالاً تنحرف عن مقصد الإعجازين الكوني والتشريعي فلاهي استثمرت طاقات الكون، ولاهي اتبعت الشريعة، وهذه الحالة السيئة مرت بأجيال كثيرة جداً من أجيال البشرية.

لأجد لها شبيهاً إلا تلك الدورة الفلكية أو دورة الزروع والثمار المعجزة في الخلقة، التي تظنها قد تقف فينقطع عطاؤها، فكلما طاف بك طائف من شك أبصرتها تنطلق في دورة جديدة تبدد تلك الشكوك، هذه دورة الإعجاز الكوني الذي يقول الله عنها متحدياً البشر في جميع العصور: ﴿ هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين ﴾ [لقمان/١١].

وهذه هي دورة الإعجاز التشريعي الذي يقول الله عنها متحدياً كذلك: ﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً ﴾ [الكهف/١٠٩].

أقول ــ والله أعلم بمراده ــ إن هذه الشريعة وهي كلام الله لاتنفد أبداً ــ مهما قدر الله أن يخلق من الأجيال على هذه الأرض وسيجد فيها كل جيل مايحتاجه يستنبطه منها علماؤه ــ فلا تنفد أبداً، بل ينفد البحر دون أن ينفد منها شيء.



فقه

التسعير في الفقه الإسلامي

عثمان جمعة ضميرية

ماحكم التسعير ، وهل هو جائز إطلاقاً ، أو محرم إطلاقاً ، أو يجوز في حين دون آخر ، ومتى يجوز ومتى لايجوز ؟ هذا ماسنبحثه بشيء من الإيجاز ، نبين فيه آراء العلماء ومستندهم ، ليظهر الرأي الراجح ، بتوفيق الله تعالى .

ـــ ١ ـــ

التسعير في اللغة هو : تقدير السعر ، أو هو الذي يقوم عليه الثمن ، وجمعه : أسعار ، وقد أسعروا وسعَّروا بمعنى واحد ، أي : اتفقوا على سعر .

وقال الفيومي في المصباح المنير : سعَّرْتُ الشيء (تسعيراً) : جعلت له (سعراً) معلوماً ينتهي إليه ، و (أسْعَرْتُه) بالألف ، لغةٌ ، وله (سعر) إذا زادت قيمته ، وليس له (سِعْرٌ) إذا أفرط رخصه [(١)] .

وفي الاصطلاح الفقهي : اختلفت عبارات الفقهاء في تعريفه ، وفيما يلي بعض تعريفاتهم :

١ ـــ عرف القاضي البيضاوي السعر بأنه : القيمة التي يشيع البيع عليها في الأسواق ، والتسعير : تقدير هذه القيمة [(٢)] .

١ ـــ انظر المصباح المنير: ٢٧٧/١، وراجع مادة « سعر » في لسان العرب وأساس البلاغة.
٢ ـــ رسائل مفتي زادة، نقلاً عن: الملكية في الشريعة، د. عبد السلام العبادي: ٣٠١/٢.

٢ ــ وبين ابن القيم حقيقة التسعير ، فقال : إنه إلزام بالعدل ومنع عن الظلم ، وهو يشمل تسعير السلع والأعمال ، ويتفق في هذا مع شيخه ابن تيمية ، رحمه الله [١] .

٣ ــ وعرف الشوكاني التسعير بأنه : أمر السلطان ونوابه ، أو كل من ولي من أمور المسلمين شيئاً ، أهل السوق ألا يبيعوا أمتعتهم إلا بسعر كذا ، فيمنعون من الزيادة أو النقصان لمصلحة [٢] .

ــ ٢ ــ

وقد ذهب جمهور العلماء : أبو حنيفة والشافعي وأحمد ، إلى أنه لايجوز للحاكم أن يسعر على الناس مطلقاً ، وإن فعل ذلك يكون فعله هذا إكراهاً يكره معه البيع والشراء ، ويمنع صحة البيع عند بعضهم .

وذهب المالكية إلى جواز التسعير في الأقوات مع الغلاء ، وقالوا : ليس لمن أتى السوق ، من أهله أو من غير أهله ، أن يبيع السلعة بأقل من سعرها ، ويمنع من ذلك . وله أن يبيع بأكثر .

وذهب بعض العلماء ، كسعيد بن المسيب ، وربيعة بن عبد الرحمن : إلى جواز التسعير مطلقاً .

وذهب كثير من العلماء ، كمتأخري الحنفية وبعض الحنابلة ، كابن تيمية وابن القيم إلى جواز التسعير في أحوال خاصة ، بل وإلى وجوبه أحياناً أخرى [٣] .

ويمكن تصنيف هذه المذاهب والأقوال ورجعها إلى مذهبين اثنين: مذهب القائلين بتحريم التسعير ومنعه، ومذهب القائلين بجوازه.

---

١ ــ الطرق الحكمية، لابن القيم، ص (٣٨٧)، طبعة محي الدين عبد الحميد.

٢ ــ نيل الأوطار للشوكاني: ٥ / ٣٣٥، دار الجيل، بيروت.

٣ ــ انظر: الهداية للمرغيناني مع فتح القدير والعناية: ١٢٧/٨، بدائع الصنائع ٢٩٧/٦، حاشية ابن عابدين: ٣٩٩/٦ ــ ٤٠٠، المغني لابن قدامة: ٢٣٩/٤ ــ ٢٤٠، منتهى الإرادات: ١٥٩/٢، الأحكام السلطانية للماوردي: ص (٢٥٦)، المحلى لابن حزم: ٦٧٢/٩، سبل السلام للصنعاني: ٣٢/٣.

استدل المانعون للتسعير بأدلة ، منها مايأتي :

١ ـ حديث أنس رضي الله عنه ، قال : غلا السعر في المدينة على عهد رسول الله ﷺ ، فقال الناس : يارسول الله غلا السعر ، فسعِّر لنا : فقال رسول الله ﷺ : « إن الله هو المسعِّر ، القابض الباسط الرازق ، وإني لأرجو أن ألقى الله عز وجل ، وليس أحد منكم يطلبني بمظلمة في دمٍ ولا مال » [١] .

وجه الدلالة في هذا الحديث من وجهين :

أحدهما : أنه لم يسعِّر وقد سألوه ذلك ، ولو جاز لأجابهم إليه .

الثاني : أنه علَّل الامتناع عن التسعير بكونه مظلمة ، والظلم حرام [٢] .

٢ ـ مارواه مالك في الموطأ عن سعيد بن المسيب : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرَّ بحاطب بن أبي بلتعة ، وهو يبيع زبيباً له في السوق ، فقال له عمر : إما أن تزيد في السعر ، وإما أن ترفع من سوقنا [٣] . فلما رجع عمر حاسب نفسه ، ثم أتى حاطباً في داره ، فقال : إن الذي قلت لك ليس عزمة مني ولا قضاء ، إنما هو شيء أردت به الخير لأهل البلد ، فحيث شئت فبع ، وكيف شئت فبع . وقال مالك : لو أن رجلاً أراد فساد السوق فحطَّ عن سعر الناس ، لرأيت أن يقال له : إما لحقت بسعر الناس ، وإما رفعت ، وأما أن يقال للناس كلهم ـ يعني لاتبيعوا إلا بسعر كذا ـ فليس ذلك بالصواب [٤] .

٣ ـ قال الشافعي رحمه الله : إن الناس مسلطون على أموالهم ، ليس لأحد أن يأخذها ، أو شيئاً منها ؛ بغير طيب أنفسهم إلا في المواضع التي يلزمهم الأخذ فيها ، وهذا ليس منها . والله تعالى يقول : ﴿ لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل

---

١ ـ أخرجه أبو داود في الإجازات، باب التسعير: ٩٢/٥، والترمذي في البيوع، باب ماجاء في التسعير، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في التجارات، باب من كره أن يسعِّر: ٤٧١/٢ ـ ٤٧٢، وصححه ابن حبان، ص (٢٧١) من موارد الظمآن، وعزاه في تحفة الأحوذي لأبي يعلى والبزار.

٢ ـ المغني لابن قدامة: ٢٤٠/٤، وانظر: سبل السلام: ٣٢/٣.

٣ ـ الموطأ للإمام مالك، ص (٢٧٩) من رواية الإمام محمد بن الحسن، و (٦٥١) من رواية يحيى الليثي.

٤ ـ انظر: الطرق الحكمية لابن القيم، ص (٢٩٨)، المغني: ٢٤٠/٤، المحلى لابن حزم: ٦٧٣/٩.

إلا أن تكون تجارة عن تراضٍ منكم ﴾ [النساء/٢٩] (١).

وقال قاضي زاده الحنفي : إن الثمن حق العاقد ، فإليه تقديره ، فلا ينبغي للإمام أن يتعرض لحقه ، إلا إذا تعلق به دفع ضرر العامة [٢] .

٤ ــ التسعير سبب الغلاء ، لأن الجالبين إذا بلغهم ذلك لم يقدموا بسلعهم بلداً يكرهون على بيعها فيه بغير مايريدون ، ومن عنده البضاعة يمتنع من بيعها ويكتمها ، ويطلبها أهل الحاجة إليها فلا يجدونها إلا قليلاً ، فيرفعون في ثمنها ليصلوا إليها ، فتغلو الأسعار ويحصل الإضرار بالجانبين : جانب المُلاّك ، في منعهم من بيع أملاكهم ، وجانب المشتري في منعه من الوصول إلى غرضه ، فيكون حراماً [٣] .

ــ ٤ ــ

وبالنظر في هذه الأدلة التي سبقت يتبين أنها لاتدل على المنع من التسعير كقاعدة عامة في كل الأحوال والظروف ، ولكنها تدل على المنع من التسعير في الأحوال العادية التي يكون التسعير فيها مجحفاً بحق البائع أو العامل الذي يقوم بما يجب عليه من امتناع عن الاحتكار أو التواطؤ لإغلاء الأسعار ورفعها ، وذلك أن الامتناع عن التسعير جاء معللاً ، والأحكام تدور مع العلة وجوداً وعدماً .

● فالحديث الشريف يبين أن الرسول ﷺ امتنع عن التسعير نظراً لأن فيه مظلمة ، وذلك لأنه لم يكن هناك مايقتضي التسعير في ذلك الوقت . لأن ارتفاع الأسعار لم يكن بفعل التجار واحتكارهم ، وإنما كان ذلك نتيجة لعوامل أخرى لادخل فيها لهم [٤] .

١ ــ الطرق الحكمية، ص (٣٠٠).
٢ ــ العناية للبابرتي على الهداية للمرغيناني: ١٢٧/٨.
٣ ــ المغني لابن قدامة: ٢٤٠/٤.
٤ ــ انظر: الخراج لأبي يوسف، ص (٥٢ ــ ٥٣).

● وقد رد شيخ الإسلام احتجاجهم بالحديث وبين علة امتناع النبي ﷺ عن التسعير فقال : « وإنما لم يقع التسعير في زمن النبي ﷺ بالمدينة ؛ لأنهم لم يكن عندهم من يطحن ويخبز بكراء (أجرة) ، ولا من يبيع طحيناً وخبزاً ، بل كانوا يشترون الحبَّ ويطحنونه ويخبزونه في بيوتهم ، وكان من قدم بالحب لايتلقاه أحد ، بل يشتريه الناس من الجلابين ، ولهذا جاء في الحديث : « الجالب مرزوق ، والمحتكر ملعون » [1] ، وكذلك لم يكن في المدينة حائك ، بل كان يقدم عليهم بالثياب من الشام واليمن وغيرهما ، فيشترونها ويلبسونها » [2] .

وقال أيضاً : « من احتج على منع التسعير مطلقاً بقول النبي ﷺ : « إن الله هو المسعر ... » قيل له : هذه قضية معينة ، وليست لفظاً عاماً ، وليس فيها أن أحداً امتنع من بيع ماالناس يحتاجون إليه ، ومعلوم أن الشيء إذا قلَّ رغب الناس في المزايدة فيه ، فإذا بذله صاحبه ، كما جرت به العادة ، ولكن الناس تزايدوا فيه ـــ فهنا لا يسعِّر عليهم .

ثم ضرب أمثلة على جواز إخراج الشيء عن يد مالكه بعوض المثل ، وقال : والمقصود أنه إذا كان الشارع يوجب إخراج الشيء من ملك مالكه بعوض المثل لمصلحة تكميل العتق ، ولم يمكن المالك من المطالبة بالزيادة على القيمة ، فكيف إذا كانت الحاجة بالناس إلى التملك أعظم وهم إليها أضرُّ ؟ مثل حاجة المضطر إلى الطعام والشراب واللباس وغيره [3] .

وقال الإمام أبو بكر بن العربي في شرحه لجامع الترمذي : « وقال سائر العلماء بظاهر الحديث ، لايسعر على أحد . والحقّ : التسعير ، وضبط الأمر على قانون لاتكون فيه مظلمة على أحد من الطائفتين ، وذلك قانون لايعرف إلا بالضبط للأوقاف ومقادير الأموال . وماقاله النبي ﷺ حقٌّ ، ومافعله حكمٌ ،

---

١ ـــ أخرجه ابن ماجه في التجارات: ٧٢٨/٢، وفي إسناده: علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف، وعزاه في نصب الراية: ٢٦١/٤ لاسحاق بن راهويه والدارمي وعبد بن حميد وأبو يعلى في مسانيدهم، والبيهقي، ورواه العقيلي في الضعفاء، وأخرج مسلم في البيوع، باب تحريم الاحتكار في الأقوات عن معمر بن عبد الله العدوي: « لايحتكر إلا خاطيء ».

٢ ـــ الطرق الحكمية، ص (٢٩٨)، آراء ابن تيمية في الدولة... للأستاذ محمد المبارك، ص (١٢١).

٣ ـــ الطرق الحكمية، (٣٠٣ ـــ ٣٠٤).

لكن على قوم صحَّ ثباتهم، واستسلموا إلى ربهم. وأما قوم قصدوا أكل أموال الناس والتضييق، فباب الله أوسع وحكمه أمضى » [1].

● وأما ماروواه الإمام مالك في الموطأ ، من قصة عمر بن الخطاب مع حاطب ابن أبي بلتعة فيرى بعضهم : أنه يتعلق بالبيع بأقل من ثمن المثل ، وعندئذ فلايجوز للحاكم أن يتدخل في تحديد السعر ، لأنه إنما يتدخل بالتسعير إذا عرضت السلعة بأكثر من ثمن المثل لما في هذا العرض من استغلال لحاجة الناس ، وأما إن عرضت بأقل من السعر فلا يجوز التدخل .

● فإن قيل : في هذا ضرر على أهل السوق . فالجواب : ان هذا باطل ، بل في قولكم أنتم الضرر على أهل البلد كلهم ، وعلى المساكين ، وعلى هذا المحسن إلى الناس ، ولاضرر في ذلك على أهل السوق ، لأنهم إن شاؤوا أن يرخصوا كما فعل هذا فليفعلوا ، وإلا فهم أملك بأموالهم ، كما أن هذا أملك بماله [2] .

وقال ابن رشد في البيان والتحصيل : لايلام أحد على المسامحة في البيع والحطيطة فيه ، بل يشكر على ذلك إن فعله لوجه الناس ، ويؤجر إن فعله لوجه الله تعالى [3] .

● وأما أن الناس مسلطون على أموالهم ، فهذا صحيح ، ولكنه ليس على إطلاقه ، إذ هناك قواعد أخرى تحكم على هذا الأصل ، كقاعدة رفع الضرر ، وقاعدة المصلحة العامة ووجوب تقديمها على المصلحة الخاصة ، كما أن الرضا لايعتبر في بعض الحالات التي يتعارض فيها هذا مع مصلحة عامة . كما أن التسعير لايخالف آية الرضا في التعامل .

الخلاصـــة : وبهذا تبين أن التسعير ليس فيه مخالفة للحديث الشريف ولا للآية الكريمة

---

١ ــ عارضة الأحوذي شرح الترمذي، لابن العربي.
٢ ــ المحلى لابن حزم: ٦٧٤/٩.
٣ ــ شرح الزرقاني على الموطأ: ٢٩٩/٣.

التي استدل بها المانعون للتسعير ، كما أن فيه مصلحة عندما تدعو الحاجة إليه، لذلك أجازه الحنفية أيضاً : « إذا تعلق به رفع ضرر العامة ، فإذا كان أرباب الطعام يتحكمون ويتعدُّون عن القيمة تعدياً فاحشاً كالبيع بضعف القيمة ، وعجز القاضي عن صيانة حقوق المسلمين إلا بالتسعير ، فحينئذ لابأس بمشورة من أهل الرأي والبصيرة ، إذا تعدى أرباب القوانين وظلموا العامة ، فيسعر عليهم الحاكم دفعاً للضرر عن المسلمين ، بناء على ماقاله أبو يوسف ، فإنه اعتبر حقيقة الضرر، إذ هو المؤثر في الكراهة » (1) .

كما أجازه الشافعية أيضاً عند الاضطرار ، كما نقل ذلك عنهم ابن تيمية وابن القيم ، حيث يقول ابن القيم رحمه الله : « وأبعد الأئمة عن إيجاب المعاوضة وتقديرها هو الشافعي ، مع هذا فإنه يوجب على من اضطر الإنسان إلى طعامه أن يبذله بثمن المثل ، وتنازع أصحابه في جواز تسعير الطعام إذا كان بالناس حاجة إليه ، ولهم فيه وجهان » (2) .

— ٥ —

● وبهذا أصبح التقارب حاصلاً بين المجيزين للتسعير والمانعين ، لأن التسعير إذا كان ظلماً ، والحاجة لاتدعو إليه فهو غير جائز ، ولا ينبغي لولي الأمر أن يفعله . وإن كان فيه مصلحة ورفع ضرر عن العامة جاز لولي الأمر ، بل وجب عليه ذلك إن تعين طريقاً لتحقيق المصلحة .

وهذا هو ماحرره ابن القيم وبسطه وأقام الأدلة عليه حيث قال : « ... وأما التسعير ؛ فمنه ماهو محرم ومنه ماهو عدل جائز ، فإذا تضمن ظلم الناس ، وإكراههم بغير حق على البيع بثمن لا يرضونه ، أو منعهم مما أباح الله لهم فهو حرام ، وإذا تضمن العدل بين الناس مثل إكراههم على مايجب عليهم من المعاوضة بثمن المثل ، ومنعهم مما يحرم عليهم من أخذ الزيادة على عوض المثل

---

١ ــ انظر: الهداية وشروحها، ١٢٧/٨، حاشية ابن عابدين: ٤٠٠/٦ ــ ٤٠١.
٢ ــ الطرق الحكمية، ص (٣٠٧)، آراء ابن تيمية، ص (١٢٤)، وظاهر الأحاديث لاتفرق بين الطعام وغيره، والضرر يكون بإغلاء ثمن الطعام وغيره من الحاجيات.

فهو جائز ، بل واجب .

فأما القسم الأول : فمثل ماروي عن أنس : غلا السعر على عهد رسول الله ﷺ ... ، فإذا كان الناس يبيعون سلعهم على الوجه المعروف من غير ظلم منهم وقد ارتفع السعر ــ إما لقلة الشيء وإما لكثرة الخلق ــ فهذا إلى الله ، فإلزام الناس أن يبيعوا بقيمة بعينها إكراه بحق .

وأما الثاني : فمثل أن يمتنع أرباب السلع من بيعها ــ مع ضرورة الناس إليها ــ إلا بزيادة على القيمة المعروفة ؛ فهنا يجب عليهم بيعها بقيمة المثل ، ولا معنى للتسعير إلا إلزامهم بقيمة المثل ، والتسعير هاهنا إلزام بالعدل الذي ألزمهم الله به ، فالتسعير في مثل هذا واجب بلا نزاع ، وحقيقته إلزام بالعدل ومنع من الظلم ، وهذا كما أنه لايجوز الإكراه على البيع بغير حق ، فيجوز أو يجب الإكراه عليه بحق .

ــ ٦ ــ

إلا أن التسعير ليس قاعدة عامة في المعاملات المالية ــ كما سبق ــ فلا يلجأ إليه ولي الأمر إلا إذا دعت الحاجة ، وقد ذكر بعض الباحثين أربع حالات تتدخل فيها الدولة بتسعير السلع ، بل بإجبار أصحابها على بيعها ، وهي نموذج لحالات أخرى تتحقق المصلحة فيها بالتسعير :

١ ــ حاجة الناس إلى السلعة .
٢ ــ الاحتكار .
٣ ــ حالة االحصر (حصر البيع بأناس مخصوصين) .
٤ ــ حالة تواطؤ البائعين [1] .

---

١ ــ انظر الطرق الحكمية، ص (٢٨٥ ــ ٢٨٧).

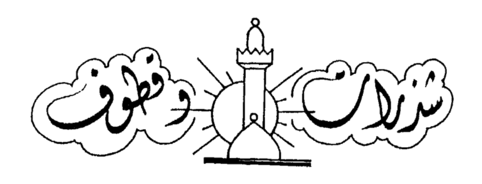
فإذا اقتضت المصلحة والعدل التسعير ، فإن واجب ولي الأمر أن يفعل ذلك ، ولكن يجب أن يحقق هذا السعر العدالة ، وأن لايكون مجحفاً بأحد الطرفين : البائع والمشتري ، وأن لايدخل على أحدهما الضرر ، وبذلك يتحقق السعر الصالح الذي يسمح بعلاقات أخوية بين البائع والمشتري » [١] ، ولتحقيق ذلك يستعين بأهل الخبرة والرأي .

وقال ابن حبيب من فقهاء المالكية ، في صفة التسعير : « ينبغي للإمام أن يجمع وجوه أهل سوق ذلك الشيء ويحضر غيرهم استظهاراً على صدقهم ، فيسألهم : كيف يشترون ؟ وكيف يبيعون ؟ فينازلهم إلى مافيه لهم وللعامة سداد حتى يرضوا به ... وعلى هذا أجازه مَن أجازه . ووجه ذلك : أن بهذا يتوصل إلى معرفة مصالح الباعة والمشترين ، ويجعل للباعة في ذلك من الربح مايقوم بهم ولا يكون فيه إجحاف بالناس ... » [٢] .

وجماع الأمر : أن مصلحة الناس إذا لم تتم إلا بالتسعير سعّر عليهم تسعير عدل ، لا وَكْس فيه ولا شطط ـ لا نقصان ولا زيادة ـ وإذا اندفعت حاجتهم وقامت مصلحتهم بدونه لم يفعل . وبالله التوفيق □

---

١ ـ الإسلام والتنمية الاقتصادية، تعريب نبيل صبحي، ص (٤٤)، وانظر: المبادىء الاقتصادية والبناء الاقتصادي للدولة، ص (٧١ ـ ٧٦)، الهداية وشروحها في الفقه الحنفي: ١٢٧/٨.
٢ ـ انظر: المنتقى للباجي، شرح موطأ الإمام مالك: ١٩/٥.



إعداد : نجوى محمد الدمياطي

الخلق العظيم

قال الإمام أحمد حدثنا أسود، حدثنا شريك عن قيس بن وهب عن رجل من بني سواد قال: سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: أما تقرأ القرآن! ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ قال: قلت حدثيني عن ذاك، قال: صنعت له طعاماً، وصنعت له حفصة طعاماً، فقلت لجاريتي: اذهبي، فإن جاءت هي بالطعام فوضعته قبل فاطرحي الطعام، قالت: فجاءت بالطعام قالت: فألقته الجارية فوقعت القصعة فانكسرت (وكان نطع) قالت: فجمعه رسول الله ﷺ وقال : « اقتصوا، أو اقتصي (شك أسود) ظرفاً مكان ظرفك »، قالت : فما قال شيئاً.

تفسير القرآن العظيم ــ ابن كثير ٤ / ٤٠٢

المُشرِّع

في لغة العلم الشرعي فإن هذا المعنى لاتجد إطلاقه في حق النبي ﷺ، ولافي حق عالم من علماء الشريعة المطهرة، .. فلا يقال لبشر: شارع ولا مشرع،

وفي نصوص الكتاب والسنة إسناد التشريع إلى الله سبحانه وتعالى، قال تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً والذي أوحينا إليك ﴾.

وفي الحديث أنه ﷺ قال : « إن الله شرع لنبيكم سنن الهدى » رواه مسلم، لهذا فإن قصر إسناد ذلك إلى الله سبحانه وتعالى أخذ في كتاب علماء الشريعة على اختلاف فنونهم صفة التقعيد فلا نرى إطلاقه على بشر حسب التتبع.

معجم المناهي اللفظية ــ للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد

صراع اجتماعي

من أهم الحقائق المفترضة في صراعنا مع الجاهلية أنه صراع اجتماعي، قائم بين واقع إسلامي وواقع جاهلي.

وافتراض هذه الحقيقة يحتم أن يدخل المسلمون بتلك الصفة الاجتماعية في كل مراحل الصراع.. من لحظة الاستضعاف إلى فرصة التمكين ووقت الامتداد..

ففي بيت الدعوة تنشأ الحدود الفاصلة بين الصواب والخطأ بمقياس الدعوة في حياة الدعاة، مثل الحد بين زينة الله التي أخرج لعباده والترف المحظور، وبين السكن إلى الزوجة والركون إليها، وبين السعي المشروع للرزق والانشغال المنهي عنه بالمال، وبين الحب الفطري للذرية وبين الافتتان بها..

وفي بيت الدعوة تكون حياة الكفاح منبعاً للحب لايجف بين الزوجين، فالحياة في بيت الدعوة إما لحظة وداع وأمل، أو لحظة حنين وشوق، أو لحظة لقاء وفرحة، فهي حياة طيبة، وعيشة راضية، وعمر مبارك، ووقت مليء.

بيت الدعوة ــ رفاعي سرور

بحوث

اعتقاد اهل السنة في الصحابة
(٢)

محمد الوهيبي

٣ ــ ان سب صحابياً لم يتواتر النقل بفضله سباً يطعن في الدين... بينا في الفقرة السابقة رجحان تكفير من سب صاحبياً تواترت النصوص بفضله من جهة دينه. أما ان لم تتواتر النصوص بفضله فقول جمهور العلماء بعدم كفره، وذلك لعدم إنكاره معلوماً من الدين بالضرورة إلا أن يسبه من حيث الصحبة.

٤ ــ إن سب بعضهم سباً لايطعن في دينهم وعدالتهم... فلاشك أن فاعل ذلك يستحق التعزير والتأديب، ولكن وحسب مطالعتي لأقوال العلماء في المراجع المذكورة لم أر أحداً منهم يكفر فاعل ذلك « ولافرق عندهم بين كبار الصحابة وصغارهم ».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « .. وأما إن سبهم سباً لايقدح في عدالتهم ولا في دينهم مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن أو قلة العلم أو عدم الزهد ونحو ذلك فهو الذي يستحق التأديب والتعزير ولانحكم بكفره بمجرد ذلك،

وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من العالم » (١).

وذكر أبو يعلى من الأمثلة على ذلك : « اتهامهم بقلة المعرفة بالسياسة (٢).

ومما يشبه ذلك اتهامهم بضعف الرأي، وضعف الشخصية والغفلة وحب الدنيا ونحو ذلك وهذا النوع من الطعن تطفح به كتب التاريخ وكذلك الدراسات المعاصرة لبعض المنسوبين لأهل السنة باسم الموضوعية والمنهج العلمي وللمستشرقين أثر في غالب الدراسات من هذا النوع.

ولعل من المناسب هنا أن نقف وقفة قصيرة جداً نبين فيها فساد هذا المنهج وخطورة تطبيقه على تاريخ الصحابة، ونبدأ ذلك بالتعريف بالمنهج الموضوعي عند الغربيين، المنهج الموضوعي « أن يبحث الموضوع بحثاً عقلياً مجرداً بعيداً عن التصورات الدينية » (٣) ، فنقول رداً على ذلك:

١ ـــ المسلم لايمكن أن يتجرد عن عقيدته بأي حال من الأحوال إلا أن يكون كافراً بها (٤) .

٢ ـــ وكذلك نقول بالنسبة للتاريخ الإسلامي: إذا ثبتت الحوادث في ميزان نقد الرواية فبأي منهج نفهمها ونفسرها؟ إذا لم نفسرها بالمنهج الإسلامي فلابد أن نختار منهجاً آخر فنقع في الانحراف من حيث لانعلم .

وبناء على ذلك يجب أن نحذر من تطبيق هذا المنهج على تاريخ الصحابة ويجب أن نعلم أيضاً « أن مايسمى بالنقد العلمي أو الموضوعي لتاريخ الصحابة هو السب الوارد في كتب أهل البدع وفي كتب الأخبار، وتسميته بالمنهج العلمي لايخرجه عن حقيقته التي عرف بها عند أهل السنة، وأيضاً تسميته بذلك لاتعلى من قيمته، كما لايعلى من قيمته أن يردده كتاب مشهورون، وفيهم أولوا فضل وصلاح، وإنما كل

١ ـــ الصارم المسلول: ٥٩١.
٢ ـــ نفسه: ٥٧٦.
٣ ـــ راجع منهج كتابة التاريخ، العلياني ١٣٨ (بتصرف).
٤ ـــ راجع في تفصيل، وفي الرد على دعوى الموضوعية بحث مخطوط للدكتور محمد رشاد خليل، ص ٣٤ ـــ ٣٧.

مافعله المحدثون أن أحيوا هذا السب ــ الذي أماته أهل السنة لما كانت الدولة دولتهم (١).

والذي أوصي به نفسي وإخواني الباحثين في تاريخ الصحابة أن لايتخلوا عن عقيدتهم ــ ومنها الاعتقاد بعدالة الصحابة وتحريم سبهم ــ عند بحثهم، فالله الله أن يؤتى الإسلام من قبلهم، وليعلموا أن لأهل السنة منهجاً واضحاً في النظر إلى تلكم الأخبار كما سيأتي في آخر البحث.

٥ ــ سب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه... أجمع أهل العلم على أن من سب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه فقد كفر. قال القاضي أبو يعلى : « من قذف عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه كفر بلا خلاف. وقد حكى الاجماع على هذا غير واحد وصرح غير واحد من الأئمة بهذا الحكم فروي عن مالك « من سب أبا بكر جلد ومن سب عائشة قتل » قيل له : لم ؟ قال : من رماها فقد خالف القرآن (٢). وقال ابن شعبان في روايته عن مالك لأن الله تعالى يقول : ﴿ يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين ﴾ فمن عاد لمثله فقد كفر » (٣).

والأدلة على كفر من رمى أم المؤمنين صريحة وظاهرة الدلالة منها:

أ ــ ماستدل به الإمام مالك أن في هذا تكذيباً للقرآن الذي شهد ببراءتها، وتكذيب ماجاء به القرآن كفر. قال الإمام ابن كثير : « وقد أجمع العلماء رحمهم الله قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكره في هذه الآية فإنه كافر لأنه معاند للقرآن (٤)، وقال ابن حزم تعليقاً على قول الإمام مالك السابق : « قول مالك هاهنا صحيح، وهي ردة تامة وتكذيب لله تعالى في قطعه ببراءتها » (٥).

١ ــ راجع أيضاً البحث القيم للدكتور محمد رشاد خليل فمنه أخذت هذه الفقرة، ص ٥٥، ٥٧. وفي البحث المذكور أبرز المؤلف المنهج الصحيح للنظر في تاريخ الصحابة من خلال مذهب أهل السنة فجزاه الله خيراً.

٢ ــ الصارم المسلول، ٥٧١.

٣ ــ الشفا، م ٢، ص ١١٠٩.

٤ ــ ابن كثير ٢٧٦/٣، عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إن الذين يرمون المحصنات... ﴾ وذكر الاجماع في البداية والنهاية ٩٢/٨.

٥ ــ المحلى: ١١ / ٤١٥.

ب ــ أن فيه إيذاء وتنقيصاً لرسول الله ﷺ من وجوه دل عليها القرآن الكريم.

١ ــ فرق ابن عباس رضي الله عنهما بين قوله عز وجل : ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء... ﴾ الآية سورة النور، وبين قوله عز وجل : ﴿ إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات.. ﴾ الآية سورة النور، فقال عند تفسير الآية الثانية : « هذه في شأن عائشة وأزواج النبي ﷺ خاصة وهي مبهمة ليس فيها توبة. ومن قذف امرأة مؤمنة فقد جعل الله له توبة ثم قرأ ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء ﴾ إلى قوله ﴿ إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ﴾ فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لأولئك توبة. قال فهمّ رجل أن يقوم فيقبل رأسه من حسن مافسر » « فقد بين ابن عباس أن هذه الآية إنما أنزلت فيمن قذف عائشة وأمهات المؤمنين رضي الله عنهن لما في قذفهن من الطعن على رسول الله ﷺ وعيبه فإن قذف المرأة أذى لزوجها كما هو أذى لأبيها لأنه نسبة له إلى الدياثة واظهار لفساد فراشه. وان زنا امرأته يؤذيه أذى عظيماً... ولعل مايلحق بعض الناس من العار والخزي بقذف أهله أعظم مما يلحقه لو كان هو المقذوف » [١] .

٢ ــ وايذاء رسول الله ﷺ كفر بالإجماع، قال القرطبي عند قوله تعالى: ﴿ يعظكم أن تعودوا لمثله أبداً ﴾ النور، يعني في عائشة لأن مثله لايكون إلا نظير القول في المقول عنه بعينه، أو فيمن كان في مرتبة من أزواج النبي ﷺ، لما في ذلك من إذاية رسول الله ﷺ في عرضه وأهله وذلك كفر من فاعله » [٢].

ومما يدل على أن قذفهن أذى للنبي ﷺ ماخرجاه في الصحيحين في حديث الإفك عن عائشة قالت: فقام رسول الله ﷺ فاستعذر عن عبد الله بن أبي بن سلول قالت: فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: يامعشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي... فقوله : من يعذرني أي من ينصفني

١ ــ الصارم المسلول، ص ٤٥. تفسير القرطبي ٢٠٩/١٢، ابن كثير ٢٧٦/٣.
٢ ــ القرطبي: ٢٠٥/١٢.

ويقيم عذري إذا انتصفت منه لما بلغني من أذاه في أهل بيتي والله لهم. فثبت أنه ﷺ قد تأذى بذلك تأذياً استعذر منه وقال المؤمنون الذين لم تأخذهم حمية: مرنا نضرب أعناقهم فإنا نعذرك إذا أمرتنا بضرب أعناقهم، ولم ينكر النبي ﷺ على سعد استئماره في ضرب أعناقهم » (١).

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: « ومن يقذف الطاهرة الطيبة أم المؤمنين زوجة رسول رب العالمين ﷺ في الدنيا والآخرة لما صح ذلك عنه فهو من ضرب عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين ولسان حال رسول الله ﷺ يقول: « يامعشر المسلمين من يعذرني فيمن آذاني في أهلي » (٢) « والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير مااكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً واثماً مبيناً » الأحزاب / ٥٨، فأين أنصار دينه ليقولوا نحن نعذرك يارسول الله... »(٣).

٣ ـ كما أن الطعن بها رضي الله عنها فيه تنقيص برسول الله ﷺ من جانب آخر، حيث قال الله عز وجل: ﴿ الخبيثات للخبيثين.. ﴾ الآية من سورة النور، قال ابن كثير: « أي ماكان الله ليجعل عائشة زوجة لرسول الله ﷺ إلا وهي طيبة لأنه أطيب من كل طيب من البشر ولو كانت خبيثة لما صلحت له لاشرعاً ولا قدراً ولهذا قال تعالى : ﴿ أولئك مبرؤون مما يقولون ﴾ أي هم بعداء عما يقوله أهل الإفك والعدوان » (٤).

٦ ـ سب بقية أمهات المؤمنين..

اختلف العلماء في قذف بقية أمهات المؤمنين، والراجح الذي عليه الأكثرون كفر فاعل ذلك، « لأن المقذوفة زوجة الرسول ﷺ، والله تعالى إنما غضب لها لأنها زوجة رسول الله ﷺ فهي وغيرها منهن سواء » (٥).

وكذلك يكفر لأن في ذلك

---

١ ـ الصارم المسلول: ٤٧، ٤٩.
٢ ـ ٣ ـ رسالة في الرد على الرافضة ، ص ٢٥، ٢٦.
٤ ـ ابن كثير: ٢٧٨/٣.
٥ ـ البداية والنهاية ٩٣/٨.

تنقيص وأذى لرسول الله ﷺ بقذف حليلته (١)، وقد بينا ذلك عند كلامنا عن حكم من قذف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فليراجع.

أما إن سب أمهات المؤمنين سباً غير ذلك فحكمهن حكم سائر الصحابة على التفصيل المذكور سابقاً. والله أعلم.

٥ ـ لوازم السب

تيقظ السلف الصالح رضوان الله عليهم لخطورة الطعن في الصحابة وسبهم، وحذروا من الطاعنين ومقاصدهم، وذلك لعلمهم بما قد يؤدي إليه ذلك السب من لوازم باطلة تناقض أصول الدين.

فقال بعضهم كلمات قليلة لكنها جامعة أذكرها في مقدمة هذا البحث ثم أوضح ـ بعض الشيء ـ مايترتب على السب غالباً. وسأركز في الرد على السابة من القسم الأول والثاني ممن يزعمون كفر أو فسق مجموع الصحابة أو أكثرهم أو الطعن في عدالة من تواترت النصوص بفضله كالخلفاء رضي الله عنهم. قال الإمام مالك رحمه الله عن هؤلاء : « إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي ﷺ فلم يمكنهم ذلك فقدحوا في أصحابه، حتى يقال رجل سوء، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين » (٢)، وقال الإمام أحمد رحمه الله: « إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام » (٣). وقال أبو زرعة الرازي رحمه الله : « إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فأعلم أنه زنديق وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنة أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى، وهم زنادقة » (٤). وقال الإمام أبو نعيم رحمه الله : « فلا يتتبع هفوات أصحاب رسول الله ﷺ وزللهم

---

١ ـ الشفا: ١١١٣/٢، وراجع أيضاً الصواعق المحرقة/٣٨٧، المحلى ٤١٥/١١.
٢ ـ رسالة في سب الصحابة، ٤٧.
٣ ـ البداية والنهاية ١٣٩/٨.
٤ ـ الكفاية للخطيب البغدادي، ٩٧.

ويحفظ عليهم مايكون منهم في حال الغضب والموجدة إلا مفتون القلب في دينه » [1] ويقول أيضاً: « .. لايبسط لسانه فيهم إلا من سوء طويته في النبي ﷺ وصحابته والإسلام والمسلمين » [2]، وتحذير العلماء هنا عام يشمل جميع الصحابة ، وتأمل قول إمام أهل السنة : « يذكر أحداً من الصحابة بسوء » وقول أبي زرعه: « ينتقص أحداً.. » فحذروا من ينتقص (مجرد انتقاص) أو ذكر بسوء (وذلك دون الشتم أو التكفير) أحداً (وليس جميعهم) فماذا يقال فيمن يسب أغلبهم؟ وإليك أخي القارىء إيضاح بعض لوازم السب:

١ ــ يترتب على القول بكفر وارتداد معظم الصحابة أو فسقهم إلا نفراً يسيراً الشك في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، وذلك لأن الطعن في النقلة طعن في المنقول، إذ كيف نثق بكتاب نقله إلينا الفسقة والمرتدون ــ والعياذ بالله ــ ولذلك صرح بعض أهل الضلال والبدع ممن يسب الصحابة بتحريف الصحابة للقرآن والبعض أخفى ذلك، وكذلك الأمر بالنسبة للأحاديث النبوية، فإذا اتهم الصحابة رضوان الله عليهم في عدالتهم صارت الأسانيد مرسلة مقطوعة لاحجة فيها. ومع ذلك يزعم ــ بعض هؤلاء ــ إيمانهم بالقرآن، فنقول لهم يلزم من الإيمان به الإيمان بما فيه، وقد علمت أن الذي فيه أنهم خير الأمم وأن الله لايخزيهم وأنه رضي عنهم... الخ، فمن لم يصدق ذلك فيهم، فهو مكذب لما في القرآن ناقض لدعواه.

٢ ــ هذا القول يقتضي أن هذه الأمة ــ والعياذ بالله ــ شر أمة أخرجت للناس، وسابقي هذه الأمة شرارها، وخيرها القرن الأول كان عامتهم كفاراً أو فساقاً، وأنهم شر القرون [3]، كبرت كلمة تخرج من أفواههم.

٣ ــ يلزم من هذا القول أحد أمرين، اما نسبة الجهل إلى الله ــ تعالى عما

١ ــ الإمامة لأبي نعيم / ٣٤٤.
٢ ــ نفسه/٣٧٦.
٣ ــ انظر الصارم المسلول / ٥٩٢.

يصفون ـــ أو العبث في هــذه النصوص التي أثني بها على الصحابة، فإن كان الله عز وجل ـــ تعالى عن قولهم ـــ غير عالم بأنهم سيكفرون ومع ذلك أثنى عليهم ووعدهم الحسنى فهو جهل والجهل عليه تعالى محال، وان كان الله عز وجل عالماً بأنهم سيكفرون فيكون وعده لهم بالحسنى ورضاه عنهم عبث، والعبث في حقه محال [1]، ويتبع ذلك الطعن في حكمته عز وجل حيث اختارهم واصطفاهم لصحبة نبيه عليه الصلاة والسلام فجاهدوا معه وآزروه ونصروه واتخذهم أصهاراً له حيث زوج ابنتيه ذا النورين (عثمان) رضي الله عنه، وتزوج ابنتي أبي بكر وعمر، فكيف يختار لنبيه أنصاراً وأصهاراً مع علمه بأنهم سيكفرون؟!!

٤ ـــ لقد بذل رسول الله ﷺ جهوداً خارقة في تربية الصحابة على مدى ثلاثة وعشرين عاماً حتى تكون بفضل الله عز وجل المجتمع المثالي في خلقه وتضحياته وزهده وورعه فكان ﷺ أعظم مرب في التاريخ. ولكن بالعكس من ذلك فإن جماعة تدعي الانتماء إلى الإسلام ونبي الإسلام تقدم لهذا المجتمع صورة معاكسة تهدم المجهودات التي قام بها النبي ﷺ في مجال التربية والتوجيه، وتثبت له إخفاقاً لم يواجهه أي مصلح أو مرب خبير مخلص [2] لم يكن مأموراً من الله كما كان الشأن مع رسول الله ﷺ. انها ترى أن المجهودات الجبارة التي بذلها محمد ﷺ لم تنتج إلا ثلاثة (أو أربعة وفقاً لبعض الروايات) ظلوا متمسكين بالإسلام إلى مابعد وفاته ﷺ، أما غيرهم فقد قطعوا صلتهم بالإسلام ـــ والعياذ بالله ـــ فور وفاته ﷺ فأثبتوا أن صحبة النبي ﷺ وتربيته أخفقت ولم يعد لها أي تأثير.

وهذا الزعم يؤدي إلى:

أ ـــ اليأس من إصلاح البشرية.

ب ـــ وعدم الثقة بالمنهج الإسلامي وقدرتـه علـى التربيـة وتهـذيب الأخلاق.

ج ـــ وإلى الشك في نبوة محمد ﷺ. وذلك أن الدين الذي لم يستطع أن يقدم للعالم عدداً وجيهاً من نماذج عملية ناجحة بناءة،

---

١ ـــ انظر اتحاف ذوي النجابة: محمد بن العربي التباني / ٧٥.

٢ ـــ صرح بعض من تولى كبر تلكم المزاعم والتهم والضلالات أن رسول الله ﷺ لم ينجح وأن الذي ينجح في ذلك المهدي الغائب (أي مهديهم) راجع الرسل والرسالات للأشقر/ ٢١٢، ٢١٣.

ومجتمعاً مثالياً في أيام الداعي وحامل رسالته الأول، فكيف يستطيع أتباعه ذلك بعد مضي زمن طويل على عهد النبوة؟! وإذا كان المؤمنون بهذه الدعوة لم يستطيعوا البقاء على الجادة القويمة ولم يعودوا أوفياء لنبيهم ﷺ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، فلم يبق على الصراط المستقيم الذي ترك عليه النبي ﷺ أتباعه إلا أربعة فقط؛ فكيف نسلم أن هذا الدين يصلح لتزكية النفوس وبناء الأخلاق؟ وأنه يستطيع أن ينقذ الإنسان من الهمجية والشقاء ويرفعه إلى قمة الإنسانية؟ بل ربما يقال: لو أن النبي ﷺ كان صادقاً في نبوته لكانت تعاليمه ذات تأثير ووجد هناك من آمن به من صميم القلب ووجد من بين العدد الهائل ممن آمنوا به بعض المئات الذين ثبتوا على الإيمان، فإن كان أصحابه ـــ سوى بضع رجال منهم ـ منافقين ومرتدين ـ فيما زعموا ـ فمن دان بالإسلام؟ ومن انتفع بالرسول ﷺ؟ وكيف يكون رحمة للعالمين؟! (١).

العلم والعمل

قال حكيم لرجل يستكثر من العلم دون العمل :

« ياهذا إذا أفنيت عمرك في جمع السلاح ، فمن تقاتل به ؟ »

---

١ ـ صححه الألباني بطرقه وشواهده: السلسلة الصحيحة ١ / ٣٤.

لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

حكمت الحريري

« اللهم لاتعذب لساناً يخبر عنك، ولا عيناً تنظر إلى علوم تدل عليك، ولا قدماً تمشي إلى خدمتك، ولايداً تكتب في سبيلك، فبعزتك لاتدخلني النار ».

قلت : ويرحم الله عبداً قال آمينا.

هذا ماأورده الأستاذ النواوي في مقدمة كتابه « رؤية إسلامية في الصراع العربي الإسرائيلي ».

كم كان مؤثراً في نفسي ذلك الدعاء، وكم استوقفتني تلك الكلمات، فالدعاء توفيق من الله الذي تتم بنعمته الصالحات، يارب لاتعذب لساناً يخبر عنك... ولا يداً تكتب في سبيلك..

وإن من بين الأيادي التي كتبت في سبيل الله أحد الأفراد القلائل من الدعاة الذين باعوا نفوسهم لله ولم يسترخصوها لغير دين الله عز وجل، ذلك الداعية الذي صنف كتاب « الإسلام بين العلماء والحكام » ثم كان مصيره عليه رحمة الله مصير القلة الذين كان موضوع كتابه عنهم حيث كان معجباً بموقفهم وقد عمل بما علم، وماذكره نظرياً عاشه عملياً فهنيئاً لمن شرح صدره للإسلام.

فقد كتب عليه رحمة الله عن محنة كثير من العلماء العاملين وبين مواقفهم من الحكام عن سعيد بن

المسيب، وسعيد بن جبير، وجعفر الصادق، وأبي حنيفة، ومــالك، والشافعي، وأحمد، والبخاري، والعز بن عبد السلام، وشيخ الإسلام ابن تيمية، و... و..

ولقد هممت بوضع ملخص لذلك الكتاب في بضع صفحات ولكني وجدت أن الملخص يخل بالموضوع فلابد لمن أراد أن يعرف الحقيقة بعين اليقين، لابد له من الرجوع إلى الكتاب فالخلاصة لاتغني عن الأصل.

وأحببت إذا فاتني ذلك فـي « البيان » ــ أي ذكر الملخص ــ ألا أدع الفرصة تفوتني لأتحدث عن بعض المواقف التي ذكرها رحمه الله تعالى وأضيف إليها ماشاء الله لي أن أضيفه من ذلك.

ومن بين الذين كتب عن محنتهم ومواقفهم من الحكام، الإمام البخاري أمير المؤمنين في الحديث، الذي نذر حياته لجمع حديث رسول الله ﷺ، وتمييز صحيحه من ضعيفه، وطاف البلاد الإسلامية لهذا الغرض.

كانت محنة الإمام البخاري على يد أمير خراسان « خالد بن أحمد الذهلي » الذي طلب منه وهو في بلده بخارى أن يحضر إليه ليسمع أولاده منه، فأبى أن يذهب، وقال: في بيتي يؤتى العلم.

وأراد الأمير أن ينفر الناس عن السماع منه فلم يستجيبوا لذلك، ثم أمر بنفيه من بلده إلى « خرتنك » وهناك مرض ومات على أثر ذلك في ليلة عيد الفطر، رحمه الله تعالى.

ولكن الخير لاينقطع من أمة محمد ﷺ، وأصحاب المروءة والنخوة لم ينتهوا في هذه الأمة إلى يوم القيامة بحول الله وقوته. فعندما وصل خبر محنة البخاري إلى بغداد تضجر الناس واهتزت ضمائرهم وغضبوا لما نزل بالعالم الورع التقي الزاهد، وبقي الأمر في نفس الموفق بن المتوكل أخي الخليفة المعتمد، يتحين الفرصة المناسبة للانتقام لأمير المؤمنين في الحديث من ذلك الظالم.

ولما دخل موسم الحج وصل أمير خراسان خالد بن أحمد الذهلي إلى بغداد وما إن بلغ الموفق خبر وصوله حتى أمر باعتقاله مخفوراً ثم طرح في السجن حتى مات.

وأما سلطان العلماء العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى فله مواقف سجلها تاريخ الإسلام ولاتزال موضع فخر واعتزاز لكل من شهد لله بالوحدانية ولمحمد ﷺ بالنبــوة

والرسالة.

وأما شيخ الإسلام ابن تيمية فلم تكن محنته بأيسر من غيرها وماجرى له من محن وابتلاءات يطول الحديث عنها، وقد سارت بذكره الركبان رحمه الله تعالى، وماوجدت عالماً من العلماء المنصفين يكتب عن المجددين إلا وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية، ولم يكتب أحد عن الاعلام إلا وكتب عنه رحمه الله، وقد أفردت في سيرته مصنفات عظيمة، ولاحاجة بنا إلى ذكر شيء من سيرته أو محنته في هذا المقال، ولكنني أحيل على بعض ماكتبه عنه العلماء مثل: سير أعلام النبلاء للذهبي، والبيطار في كتابه « حياة شيخ الإسلام » والندوي.. والمودودي، وابن حجر.. وغيرهم كثير.

هذا ماذكره مصنف كتاب « الإسلام بين العلماء والحكام » رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

وأضيف إلى تلك السير محنة الإمام النووي رحمه الله تعالى وخلاصتها أن الظاهر بيبرس أراد أن يجمع المال من الناس لصد خطر التتار الزاحف على بلاد الشام، وكان يحتاج إلى المال والعتاد لمقابلة الغزاة وصدهم، وأخذ السلطان فتوى العلماء بتأييد عمله فكتبوا له وأفتوه بما أراد ماعدا الإمام النووي بقي متمسكاً برأيه ممتنعاً عن فتواه بهذا الأمر، وقد كان كثير النصح للسلطان، ولكن السلطان رد النصيحة في هذا الموضوع أي بجمع المال، فالخطر الداهم شديد وفساد التتار وتخريبهم لبغداد وغيرها لم يكن خافياً عليهم، وعندما وجده مصراً على عدم فتواه استدعاه، وهنا كان جواب النووي، ورده على السلطان عنيفاً وقال له:

« أنا أعرف أنك كنت في الرق للأمير بندقدار وليس لك مال ثم من الله عليك وجعلك ملكاً وسمعت أن عندك ألف مملوك، كل مملوك له حياصة من ذهب، وعندك مائة جارية لكل جارية حق من الحلي فإن أنفقت ذلك كله وبقيت مماليك بالبنود الصوف بدلاً من الحوائص، وبقيت الجواري بثيابهن، دون الحلي أفتيتك بأخذ المال من الرعية ».

فغضب الظاهر من جواب النووي وقال له: اخرج من بلدي ــ أي دمشق ــ فخرج إلى بلده نوى بحوران التي هي مسقط رأسه، فقال الفقهاء: إن هذا من كبار علمائنا وصلحائنا. وممن يقتدى به فأعده إلى دمشق، فرسم برجوعه، ولكن الشيخ امتنع، وقال : والله لأدخلها والظاهر بها فمات الظاهر

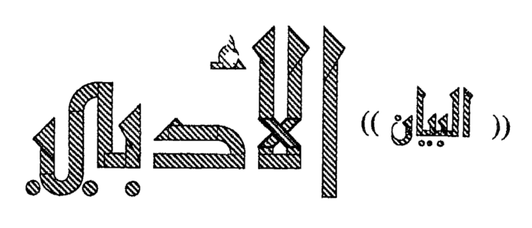
بعد شهر.

ومنذ بضعة عشر عاماً كان للشيخ محمد حسين الذهبي رحمه الله تعالى موقفاً شبيهاً بهذه المواقف، من حيث الرجولة والصدع بكلمة الحق وقد كلفه ذلك الموقف حياته، وأمثال الذهبي الذين قدموا أرواحهم في سبيل الله كثر نسأل الله أن يجعل أعمالهم خالصة لوجهه الكريم، ولكن لم تكن الشعوب التي شهدت موقف الذهبي وغيره في عصرنا، لم تكن مواقفها هي مواقف الشعوب التي عاصرت محنة النووي والعز بن عبد السلام وابن تيمية.

فلم تهتز ضمائرهم لإهانة هؤلاء العلماء وإيذائهم مثلما اهتزت ضمائر أولئك الناس في عهد النووي وغيره.

هذه أمثلة من تاريخنا الإسلامي العريق، و ﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾.





□ نظرة في منهج تاريخ الأدب

□ قوموا قياماً .. ثم افزعوا (شرح قصيدة)

□ شعر : الحرية

□ ذكريات : من مواسم الهجرة



د . عبد الله خلف

إن الناظر في كتب تاريخ الأدب الحديثة ليعجب مما يجده فيها من أحكام يصدرها مؤلفوها على المجتمعات الإسلامية الأولى، وماتشير إليه من شيوع مظاهر اللهو والعبث والمجون، علاوة على ماتضمنته من مبالغات في حديثها عن الجوانب السلبية في حياة الأفراد، مما يدفع المرء إلى التساؤل بإلحاح عن مدى صحة تلك الأحكام. ولاسيما أننا نرى أولئك الدارسين يشيرون إلى أنهم اعتمدوا في ذلك على مصادر مشهورة من كتب التراث، قاصدين إضفاء الصفة العلمية عليها، وإحاطتها بهالة من التوثيق.

وبذلك أصبحت كتب التراث بما تتضمنه من ثروة خبرية وهائلة مصدراً لكثير من الدراسات التي شوهت معالم التاريخ الإسلامي في جوانبه السياسية والاجتماعية والثقافية بسبب البعد عن المنهج العلمي في التعامل مع النصوص.

لقد تعرض تاريخنا منذ العصور الأولى ولازال يتعرض لحملة تشويه كبرى، تمثلت قديماً في وضع طائفة كبيرة من الأخبار والحكايات التي تخدم أهل الأهواء على اختلاف اتجاهاتهم، وتمثلت في العصر الحاضر في الدراسات التي استندت إلى تلك الأخبار، ولم يعد من العسير على الذين يتبنون آراء شاذة، أو يريدون تشويه معالم الصورة المشرقة لتاريخنا أن يجدوا من الأخبار مايسندون به وجهات نظرهم. كما أن كثيراً من الباحثين الذين لم ينطووا على نوايا سيئة وقعوا في

التحليط، ووصلوا إلى نتائج غير سليمة، بسبب تأثرهم بدراسات الآخرين من جهة، وبسبب عدم اتباعهم منهجاً علمياً يُمكنهم من الاستفادة من التراث من جهة أخرى.

ويكاد يكون من المتفق عليه أن كتب التاريخ والأدب التراثية تحتوي على عدد كبير من الأخبار والحكايات الباطلة، وأن الذين صنفوا في هذين الموضوعين حشدوا في كتبهم ماوصل إليهم منها دون تمحيص إلا في القليل النادر. وممن أشار إلى ذلك أبو بكر بن العربي الذي حذر من روايات المؤرخين وأهل الآداب لما يتضمنه كثير منها من الاستخفاف بالسلف (١)، ويقول ابن تيمية بعدما أثنى على أهل الحديث (٢): « بخلاف الأخباريين فإن كثيراً مما يسندونه عن كذاب أو مجهول، وأما مايرسلونه فظلمات بعضها فوق بعض ».

وأخذ النووي على ابن عبد البر حكايته عن الأخباريين، لأن الغالب عليهم الإكثار والتخليط (٣).

ولم يقتصر التحذير من روايات الأخباريين على العلماء، فقد نص على هذا كثير من الأدباء. يقول الجاحظ مصوراً سهولة الكذب على الرواة وسهولة نشره(٤) : « وماهو إلا أن ولد أبو مخنف حديثاً، أو الشرقي بن القطامي، أو الكلبي، أو ابن دأب، أو أبو الحسن المدائني، ثم صوره في كتاب وألقاه في الوراقين إلا رواه من لايحصل ولايتثبت ولا يتوقف، وهؤلاء كلهم يتشيعون ».

ويقول أحمد أمين (٥) : « وجاء حماد وخلف الأحمر ــ كما سبق ــ وأمثالهما فعدوا من الظرافة أن يتزيدوا، وتسابقوا في الوضع، واستغلوا إعجاب الناس بالجديد الذي لم يسمع من قبل... فكان من ذلك ماأدركه المفضل الضبي من أن تمييز الصحيح من غير الصحيح أصبح بعد هؤلاء الكذبة المهرة عسيراً

---

١ ــ العواصم من القواصم / ٢٦٠.
٢ ــ مجموع الفتاوى ٤٧٩/٢٧.
٣ ــ الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوي / ١١٦.
٤ ــ كتاب البغال المطبوع ضمن رسائل الجاحظ ٢٢٥/٢ ــ ٢٢٦.
٥ ــ ضحى الإسلام ٣١٥/٢ ــ ٣١٦.

محالاً .

وتحدث زكي مبارك عن كتاب الأغاني مشيراً إلى خلق الأصفهاني الذي كان مسرفاً في اللذات والشهوات مما دفعه إلى الاهتمام بأخبار الخلاعة والمجون، وإهمال الأخبار التي تصور الجوانب الجادة في حياة الأفراد والمجتمعات. ثم ذكر أن هذا الأمر أفسد كثيراً من آراء المؤلفين الذين اعتمدوا عليه[1] ، والأصفهاني نفسه الذي يعد كتابه أضخم مجموعة أخبارية في تاريخ الأدب يصرح بأن منهجه يقوم على جمع كل ماروواه الناس وتداولوه، ولو كان كذباً، لئلا يشذ عن الكتاب شيء مما تناقله الرواة.

وإذا كان الأمر على ماذكرنا من كثرة الأخبار الباطلة، ومايحمله كثير منها في طياته من تشويه لمعالم التاريخ الإسلامي في مختلف جوانبه، أو لحياة بعض الأشخاص فإنه لابد من الاحتراز وتحكيم العقل والمنطق في قبول الأخبار أو رفضها إذا كان إسنادها غير مقبول. وهذا أمر لامفر للباحث منه إذا كان هدفه الوصول إلى الحقيقة، وإلا فإنه سوف يسهم في ترسيخ الأخطاء وتشويه المعالم الصحيحة، وسيكون خطؤه أعظم من خطأ السابقين الذين كانوا يروون الأخبار عالمين بأن فيها الغث والسمين متبرئين من عهدتها، لأنه عندما يقبل ماورووه دون تحقيق سيكون بمثابة من يرى صحة مااحتوته تلك المصنفات، وسيجد نفسه أمام كثير من الغرائب والمتناقضات فإن قبلها جميعاً وقع في التناقض. وإن قبل بعضها ورد بعضها دون تحقيق صار صاحب هوى، وبذلك يكون قد ابتعد عن المنهج العلمي، وفقد جانباً من أهم مايتميز به المحققون.

ولابد للباحث من الاستعانة بالأخبار ذات الإسناد المقبول لرسم الخطوط العامة، والمعالم الرئيسية لموضوع البحث، لكي تكون مقياساً يستعين به على قبول غيرها من الروايات أو رفضه، ولايمكن للباحث الاستغناء عن كل خبر لايصح سنده لأننا في هذه الحال سنجد حلقات كثيرة مظلمة في تاريخ الأفراد أو التاريخ العام، ولن نجد من الأخبار ذات الإسناد المقبول مايكفي لإضاءتها. وسبب ذلك أن العلماء والرواة السابقين لم يكونوا يولون الإسناد أهمية إلا في

---

١ ــ أبو الفرج الأصفهاني وكتابه الأغاني لمحمد عبد الجواد الأصمعي / ١٧٩ ــ ١٨٧.

الحديث النبوي ومايتصل به. أما ماعدا ذلك فلم يكونوا يرون بأساً في نقله وتداوله بدون إسناد، أو بإسناد فيه بعض المتهمين. ومما يدل على ذلك ماذكر عن إبراهيم ابن الجنيد أنه سأل يحيى بن معين عن إبراهيم بن مناذر الشاعر، فقال: لم يكن ثقة ولا مأموناً. قال له إبراهيم: إنما نكتب شعره وحكايات عن الخليل بن أحمد، فقال : هذا نعم، وأما الحديث فلست أراه له موضعاً(١).

وكون الخبر من ذلك النوع لايعني القطع بعدم صحة مضمونه وليس أمامنا لكي نقرر قبوله أو رفضه إلا دراسة متنه وتحليله وتحكيم العقل فيه ومقارنته بالأخبار المقبولة.

وللنصوص الأدبية الإبداعية من شعر ونثر أهمية كبيرة في إضاءة بعض الجوانب من حياة الأفراد أو المجتمعات، إذا ماتمت دراستها بمعزل عما حيك حولها من حكايات. ومن أمثلة ذلك أنه قد اشتهر بين كثير من المعاصرين أن الاختلاط والسفور كانا شائعين في مجتمع الحجاز في العصر الأموي، وأن النساء كن يبرزن للرجال، ويتعرضن للشعراء ليتغزلوا بهن ويجلسن معهم مجالس السمر المختلطة حتى في غيبة أوليائهن. ويستدل هؤلاء على ذلك بالقصص والحكايات الباطلة. ويزعمون أن الشعر الحجازي، ولاسيما شعر عمر بن أبي ربيعة يدل على صحة آرائهم.

بيد أن المتأمل في شعر عمر وغيره من شعراء الحجاز المعاصرين له يدل على خلاف ماتوهمه أولئك الدارسون، ومن ذلك مانجده في شعر عمر من الحديث عن مغامراته الليلية، وتسلله تحت ستار الظلام للقاء من يحب حيث يبدو من يسعى إلى ذلك اللقاء بصورة الذي يريد أن يقدم على أمر شديد الخطر، فهو لابد أن يكون منتبهاً شديد الحذر، وأن يأخذ بجميع أسباب الحيطة لأن انكشاف ذلك الأمر سوف يسبب له المتاعب، ويعرضه لخطر عظيم، وهو لايستطيع الوصول إلى مايريد في النهار، ولكنه يتسلل إليه في الظلام بعد أن ينام الحي، ويغفل الرقباء ويهجع الحراس. والأمثلة التي تبين لنا ذلك من شعره كثيرة جداً

---

١ ـــ انظر الأغاني ٢٠٨/١٨.

لايتسع المقام هنا لأكثر من واحد منها ، وهو قوله في رائيته المشهورة:

فلمــا فقــدت الصوت منهــم وأطفــئت
مصابيــــح شبت بالـــعشاء وأنـــــور
وغــاب قميـــر كــنت أرجــو غيوبـــه
وروح رعيــــان ونــــوم سُمَّـــــــر
وخفض عني الصوت أقبلت مشيةَ الـــ
حباب [9] وشخصي ـــ خشية الحي ـــ أزور [10]

إن في تصوير الشعراء لمغامراتهم الليلية مايكشف لنا عن إحساسهم العميق بالرقابة التي يفرضها المجتمع على الذين يريدون الخروج على أنظمته وقيمه وتقاليده، وهذا يدل على مدى التحفظ الذي كان يسود المجتمع، ويوحي بما كان يهيمن على العلاقات بين الرجال والنساء من الجد والالتزام بالحدود الشرعية.

ولعل في هذا مايدل بوضوح على أن النصوص الأدبية يمكن أن تساعد على الوصول إلى الحقيقة التي ينشدها الباحث في تاريخ الأدب.

وهناك خطأ آخر وقع فيه كثير من المعاصرين، وأدى إلى إصدارهم أحكاماً خاطئة في حق المجتمعات الإسلامية الأولى، وهو نقص الاستقراء، والتعميم الخاطىء، حيث يعتمد الباحث على عدد قليل من المصادر ويهمل غيرها، وإذا وجد بضعة أخبار حول أديب حكم من خلالها على حياته، دون أن يكلف نفسه عناء البحث والتنقيب عن غيرها، وقد يحكم على مجتمع أو عصر بكامله من خلال مايقرؤه عن عدد قليل من الناس فيقع في التعميم الخاطىء. وهذا الأمر قد يكون بسبب ضعف همة الباحث ورغبته في الوصول إلى نتائج سريعة، ولكنه ربما حدث بسبب سوء نيته وحبه للترويج لمظاهر أو أفكار منحرفة عن طريق ادعاء أنها كانت شائعة عند أسلافنا، ولامبرر لرفضها وإنكارها في العصر الحاضر.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن الاهتمام بتحقيق الأخبار والاستقصاء والاستفادة من النصوص الأدبية لايتنافى مع محاولات التنظير التي يهتم بها بعض الدارسين، ولا مع مايقومون به من دراسة وتفسير وتحليل لبعض الظواهر الأدبية، إذ أن ذلك جزء مهم من الدراسات الأدبية الحديثة. ولكن تلك الدراسات لن تكون ذات قيمة علمية مالم يكن الأساس النصوصي الذي بنيت غليه سليماً مقبولاً.

---

١ ـــ الحباب: الحية. الأزور: المائل أو الناظر بمؤخر عينه.

قوموا قياماً... ثم افزعوا

قصيدة لقيط بن يعمر الإيادي

عبدالحميد إبراهيم

لقيط بن يعمر الإيادي شاعر قديم جاهلي مقل ، ولا يعرف له إلا هذه القصيدة، وكانت قبيلته إياد ينزلون سواد العراق، وهي منطقة شمال شرقي الجزيرة العربية الآن، وكان لقيط كاتباً في ديوان كسرى ، ولما علم أن كسرى ينوي غزو قبيلته إياد كتب إليهم بهذه القصيدة يحذرهم ويستنهضهم. فوقع الكتاب بيد كسرى فقطع لسانه.

١ ــ أَبْلِغْ إياداً وَخَلِّلْ في سَرَاتِهِمُ
إني أرى الرأيَ ــ إن لم أُعْصَ ــ قد نَصَعا

٢ ــ يالَهْفَ نفسي إذا كانت أُمورُكُمُ
شتّى، وأُحْكِمَ أمرُ الناسِ فاجتمعا

٣ ــ ألا تخافونَ قوماً لا أبالَكُمُ
أمْسَوْا إليكم كأمثالِ الدَّبَى سِرَعاً ؟!

---

١ ــ خلل في سراتهم : خص أشرافهم بالتبليغ والتحذير. نصع الرأي: بان ووضح.

٣ ــ الدَّبى: صغار الجراد.

٤ ــ فهم سِراعٌ إليكم ؛ بين ملتَقِطٍ
شوكاً ، وآخرَ يجني الصابَ والسَّلَعا

٥ ــ لا الحرثُ يَشْغَلُهُمْ بل لايرون لَهُم
مِن دونِ بَيْضَتِكُمْ رِيَّاً ولا شِبَعَاً

٦ ــ وأنتم تحرثون الأرض عن سفهٍ
في كل معتمل تبغون مُزْدَرَعا

٧ ــ وتَلْبَسون ثيابَ الأَمنِ ضاحيةً
لا تَفْزعون وهذا الليثُ قد جَمَعا

٨ ــ مالي أراكمْ نِياماً في بُلَهْنيةٍ
وقد تَرونَ شهابَ الحربِ قد سَطَعَا؟!

٩ ــ فاشفوا غليلي برأيٍ منكم حَصِدٍ
يصبحْ فؤادي لَهُ ريانَ قد نَقَعَا

١٠ ــ صونوا جيادَكُمُ واجْلَوا سيوفَكُمُ
وجددوا للقِسِيِّ النَبْلَ والشُّرَعَا

١١ ــ لاتُثْمِروا المالَ للأعداءِ ؛ إنَّهُمُ
إنْ يظهروا يحتووكم والتِّلادَ مَعَا

١٢ ــ هيهاتَ لامالَ للأعداءِ ؛ إنَّهُمُ
إن يظهروا يحتووكم والتِّلادُ مَعَا

١٣ ــ والله ماانفكت الأموالُ مُذْ أَبَدٍ
لأهلها (إن أصيبوا مرةً) تَبَعا

---

٤ ــ يجني الصاب والسلعا: الصاب والسلع : نوعان من الشجر ويجني الصاب والسلعا كناية عن إضمار الشر وإعداد السلاح .. ٥ ــ الحرث: الزراعة. بيضتكم: أرضكم وأصلكم.
٦ ــ المعتمل: موضع العمل. المزدرع: موضع الزرع. ٧ ــ ضاحية: ظاهرة. لاتفزعون: لاتنفرون، ولا تتهيؤون. ٨ ــ البلهنية: رخاء العيش ولينه.
٩ ــ الرأي الحصد والمستحصد: الرأي المبرم القوي.
١٠ ــ واجلوا سيوفكم: اشحذوها وأعدوا للقتال.
١١ ــ جدع الأنف: قطعه، وهو كناية عن الذل والخضوع.

١٤ ــ قوموا قياماً على أمشاط أرجُلِكُمْ
ثم افزعوا ، قد ينالُ الأمنَ مَنْ فَزِعا
١٥ ــ وقَلِّدوا أمْرَكُمْ لله درُّكُمُ!
رحبَ الذراعِ بأمرِ الحربِ مضْطَلِعا
١٦ ــ لامُتْرَفاً إن رخاءُ العيشِ ساعَدَهُ
ولا إذا عَضَّ مكروهٌ بِهِ خَشَعَا
١٧ ــ ماانفكَّ يحلِبُ هذا الدهرَ أشْطُرَهُ
يكونُ مُتَّبِعاً طَوْراً ومُتَّبَعا
١٨ ــ حتى استمرت على شَزْرٍ مريرَتُهُ
مستحكَمَ الرأيِ لا قَحْماً ولا ضَرَعا
١٩ ــ وليسَ يشغَلُهُ مالٌ يُثَمِّرُهُ
عنكمْ ولا وَلَدٌ يبغي لهُ الرِّفَعا
٢٠ ــ لقد بذلتُ لكم نُصْحي بلا دَخَلٍ
فاستيقظوا ، إن خيرَ العلمِ مانَفَعَا

شرح القصيدة

بلغ ما سأقول لك قبيلة إياد، واخصص أشرافهم ورؤساهم بهذا التبليغ، فقد أصبح الأمر واضحاً لايحتاج إلى انتظار، ماأشد تلهفي وتوجعي إذا واجهتم التهديد والخطر بالفرقة، واجتماع الناس عليكم بالتفرق والتشتت!

القوم (الفرس) قد احتشدوا لكم عن آخرهم ينوون غزوكم، وهم مثل الجراد في كثرتهم، ألا تخشون عاقبة غزوهم لكم؟!

---

١٧ ــ حلب الدهر أشطره: جرّب الدهر وعركته الأيام.
١٨ ــ استمرت مريرته: اشتدت قوته . الشزر: شدة الفتل. القحم: الشيخ الفاني. الضرع: الضعيف.
١٩ ــ الرِّفَع: جمع رفعة.
٢٠ ــ بلا دخل: بلا غش، بل نصحت لكم مخلصاً في النصح.

هاهم يسارعون إليكم، كل منهم يتجهز ويعد العدة لاستئصالكم. ولم تشغلهم عنكم دنيا من زراعة وتجارة، بل تركوا كل أعمالهم وشواغلهم وتفرغوا لاستباحة ساحتكم وقهركم، هذا وأنتم مع كل هذه الأخطار المحدقة بكم لازلتم من ضعف عقولكم مشغولين بزراعتكم حريصين على عمل هنا وعمل هناك، آمنين حين يخاف الناس، مستكينين حيث ينظر الناس للخطر المحدق، لاتحركون ساكناً مع أن الخطر على مرأى البصر منكم قد تجهز واستعد لإبادتكم.

ماهذا الأمن والدعة والخمول الذي أراكم نائمين فيه، في وقت تدق حولكم أجراس الخطر وتشتعل حولكم النيران، وقد أذنت ساعة الحرب التي لامرد لها؟! فأجمعوا أمركم على رأي قوي واحد يشفي الفؤاد المتحرق الذي طال انتظاره للنصر.

استعدوا بكل أنواع الاستعداد وتعبأوا بكل أشكال التعبئة؛ من الاعتناء بالخيل وتدريبها؛ وتجهيز عدة الحرب من سيوف وقسي، واتركوا صرف الوقت في تثمير المال جانباً الآن، لأن الأعداء إن يتغلبوا عليكم فلن تنفعكم هذه الأموال التي ستكونون معها ملكاً للمتغلب. وأي نفع للزرع والإبل الذي تصرفون إليه همكم الآن إن ضربت عليكم الذلة والمسكنة؟ المال تبع لأصحابه فمن يقهر الناس يسخرهم ومالهم لمنفعته.

هيا هبوا هبة رجل واحد فالأمر لايحتمل التأجيل أو التقاعس، فمن لايحس بالفزع لن يعرف الأمن. واجتمعوا على قائد مقدام بصير بالحرب قادر على حمل تبعاتها، لاشخصاً قتل رجولته الرخاء ، واعتاد خفض العيش ، واستنام إلى الدنيا وملذاتها، وليس رجلاً ضعيف النفس، ينهار لأول مكروه يعترضه.

أسندوا أمركم لرجل عزك الأمور ، وحنكته التجارب ، وتقلبت عليه الأيام بحلوها ومرها حتى اشتد أسره، واستحكمت إرادته ، لا هرماً ولا ضعيفاً، ولا يشتغل بتثمير المال وحيازته وتكديسه ، ولا يهتم بأولاده يبحث لهم عن تأمين المستقبل المادي ويترك الاهتمام بأمر الرعية.

هذا نصحي قدمته لكم مخلصاً، فأفيقوا من غفلتكم ولاتكتفوا بسماع هذه

النصيحة أو حفظها دون العمل بها، فإنه لاخير في علم لاينتفع به.

على هامش القصيدة

هذه القصيدة خطبة حماسية، تعلو نبراتها وتهبط وتتراحب موجاتها وتنقبض بقدر مايسمح بذلك « البحر البسيط »، جملها مباشرة وواضحة، وعناصر الإثارة فيها نابعة من النظر إلى مشكلة وجود الجماعة برمتها، وهذا أبلغ في التأثير.

وبما أنها من الوضوح بما لايجعلنا بحاجة إلى الوقوف كثيراً عند التحليل والشرح؛ فإن من المناسب إلى أن نشير على هامشها بإشارات عدة تلقي الضوء على دلالتها المطلقة من عقال الحادثة التاريخية المحدودة.

١ ــ أول مايحذر منه الشاعر، ويعبر عنه تخوفه وقلقه الشديد منه هو داء الفرقة، وهذا الداء الذي ينجم عنه تقديم المصلحة الفردية على المصلحة الجماعية، ويكون الباعث على تجاهل آثاره المدمرة هو قصر النظر وعدم التفكير في العواقب.

٢ ــ الاشتغال بالكسب واستغراقه للجهود مجتمعة ــ دون تفكير بجانب الوقاية من المخاطر المتوقعة، وحماية هذه المكاسب من العدو الطامع المتربص بها ــ أخذ من الشاعر جهداً غير قليل في التحذير منه.

٣ ــ القضية الثالثة قضية القيادة والريادة ومواصفاتها. فقد أبرز الشاعر الصفات العامة للقائد المطلوب بأن يكون:

أ ــ واسع الأفق كريم النفس.

ب ــ خبير بأمور الحرب.

ج ــ بعيد عن الترف.

د ــ صبور قوي الإرادة عند الملمات.

هـ ــ عنده خبرة وتجربة ولم يقفز إلى القيادة قفزاً.

و ــ غير هرم ولا ضعيف الشخصية.

ز ــ لايسخر منصبه لمصلحته الخاصة ومصلحة عائلته.

هذه القضايا الثلاث ، بل هذه الأمراض الثلاثة: الفرقة، وتقديم الأقل أهمية على المهم (الخلل في ترتيب الأولويات أو إهمال بعضها)، واستغلال المناصب العامة من أجل الأغراض الخاصة ؛ لم تزل أمراضاً قديمة ــ حديثة، عميقة الجذور بين المجتمعات البشرية، وعلى الرغم أن كثيراً من الأمم قد وجدت الحلول التي تحد من أخطار هذه الأمراض (ولانقول: اقتلعتها من جذورها) إلا أننا ــ نحن العرب من بين الأمم ــ لم نهتد إلى حل يجنبنا الويلات التي عانيناها من الفرقة والجهل والطغيان والاستبداد.

إن قبيلة إياد التي يستنهضها الشاعر بقصيدته تشكل في عرف تلك الأيام الدولة بالنسبة للفرد، وهذه الدولة الصغيرة التي كان وجودها مهدداً بتسلط كسرى وجبروته استطاعت أن تثبت في وجهه وتهزمه عندما تنبهت إلى عوامل القوة الكامنة، وفزعت إلى قوتها الذاتية وطاقاتها المذخورة.

ولا أريد أن أستغل حرب « ذي قار » التي كانت جواباً عملياً على التحذير في هذه القصيدة من أجل الإشادة بالنعرة القومية والعصبية العنصرية التي لجأ إليها في يوم من الأيام أصحاب الفكر القومي الذي قدم مقابل الفكر الإسلامي؛ بل الغرض هو المقارنة بين حالتين تاريخيتين واستخلاص الدرس والعبرة من أولاهما للثانية لوجود تشابه بينهما.

فـ « إياد » كانت مهددة بقوة خارجية، والعرب الآن مهددون بقوى خارجية، وإياد كانت أثناء ذلك التهديد غافلة عما يحاك لها. ونحن فينا غفلة شديدة عما يحاك ويدبر لنا، وكان لقيط بن يعمر هو المحذر من ذلك الأمر المنذر بالخطر، وأهل العلم والمفكرون هم اليوم الذين يقومون بهذه المهمة.

واستهلاك الجهود في الزراعة والتجارة وتثمير الأموال هو مايجب أن يوضع في مكانه الصحيح وأن يضاف إليه جهد آخر هو جهد الدفاع الصحيح والحماية لهذه الجهود والأموال التي يحتال علينا العدو في اقتناصها بشتى الخدع والأساليب، فالأموال التي تبقى بعد استهلاك الكثير منها في الفسق والفجور والكماليات والمشاريع الديكورية، والمظاهر الخادعة وفي غير ذلك مما لافائدة

منه على المدى الطويل؛ تستهلك عن طريق دعم مصانع الأسلحة الغربية التي تصنع آلات الدمار والفناء للبشرية المعذبة بسيطرة مفاهيم هذه الحضارة الأوربية المتغطرسة.

يبدو أننا أنزلقنا من حيث لانشعر إلى الحديث عن السياسة ، ونحن لانريد ذلك، ولكن إيحاءات هذه القصيدة دفعتنا إلى هذا الاستطراد الوبيل دفعاً.

وكلمة أخيرة: إذا نحن جردنا تاريخنا من كل ماله علاقة بالإسلام منذ موقعة « ذي قار » إلى اليوم، واستبعدنا كل اللمعات المضيئة من ذلك التاريخ فماذا يبقى من أشياء صالحة للاعتزاز بها؟! سوف نرى أن أحوالنا مازالت في تراجع منذ ذلك الوقت إلى الآن حيث أحيطت كل مجموعة من القبائل والأوزاع بسياج قرئت عليه طلاسم خرافية سموها « القانون الدولي » وحفظت في أقبية لندن وباريس ومبنى عصبة الأمم ومن بعدها هيئة الأمم! ورضينا نحن بهذه الخطوط الوهمية المقروءة عليها تلك التهاويل الخرافية! وهاهي دول الغرب الصليبي، (والاتحاد السوفييتي الصديق وبلدان المنظومة الاشتراكية) كلها تشارك في تجديد العهد على إغاظتنا وإنزال الآلام في قلوبنا ـــ بمشاركتها في جلب موجات من اليهود الجدد إلى فلسطين بعد كل مساهماتها الماضية ـــ على الرغم من تغزلنا بأسمائها، وتمطقنا بذكرها في الحقبة السوداء الماضية؛ فلا ندري ماذا نفعل، ولانقف وقفة صحيحة لا كالمسلمين الذين يأبى عليهم دينهم قبول الضيم، والرضا بنتائج الكيد والخداع؛ بل ولا كعرب الجاهلية الذين استنهضوا فنهضوا، واستفزعوا ففزعوا! فهل إلى خروج من سبيل ؟! نرجو ذلك .





محمد نمو

أخبرنا أستاذي يوماً عن شيء يدعى الحرية
فسألت الأستاذ بلطف أن يتكلم بالعربية
ماالحرية ؟
هل هي مصطلح يوناني عن بعض الحقب الزمنية
أم أشياء نستوردها أو مصنوعات وطنية
فأجاب معلمنا حزناً وانساب الدمع بعفوية
قد أنسوكم كل التاريخ وكل القيم العلوية
أسفي أن تخرج أجيال لاتفهم معنى الحرية
لاتملك سيفاً أو قلماً، لاتحمل فكراً وهوية

* * *

وعلمت بموت مدرسنا في الزنزانات الفردية
ونذرت لئن أحياني الله وكانت في العمر بقية
لأجوب الأرض بأكملها بحثاً عن معنى الحرية
وقصدت نوادي عروبتنا أسألهم أين الحرية

فتواروا عن بصري هلعاً وكأن قنابل ذرية
ستفجر فوق رؤوسهم وتبيد جميع البشرية
فدنا رجل يبدو أن ذاق عذاب الشُّرَط السرية
لاتسأل عن هذا أبداً أحرف كلماتك شوكيةِ
هذا رجس ، هذا شرك في دين دعاة الوطنية
ارحل ؛ فتراب مدينتنا يحوي آذاناً مخفية
تسمع مالم يحك أبداً وترى قصصاً بوليسية
ويكون المجرم حضرتكم والخائن حامي الشرعية
ستبوء بكل مؤامرة وبقلب نظام الثورية
وببيع روابي بلدتنا يوم الحرب التحريرية
وبأشياء لاتعرفها وخيانات للقومية
وتساق إلى ساحات الموت عميلاً للصهيونية
واختتم النصح بقولته وبلهجته التحذيرية
لم أسمع شيئاً لم أَرَكُمْ ماكنا نذكر حرية
هل تفهم ؟ عندي أطفال كزغاب الطير البرية

* * *

وسألت جموع المغتربين أناشدهم ماالحرية ؟
فأجابوا بصوت قد دوى : فَجَّرتَ هموماً منسية
لو ذقناها ماهاجرنا وتركنا الشمس الشرقية
بل طالعنا معلومات في المخطوطات الأثرية
أن الحرية أزهار ولها رائحة عطرية
كانت تنمو بمدينتنا وتفوح على الإنسانية
ترك الحراس رعايتها فرعتها الحُمر الوحشية

* * *

وسألت أديباً من بلدي هل تعرف معنى الحرية

فأجاب بآهات حرّى : لا تسألنا، نحن رعية!
ووقفت بمحراب التاريخ وقلت له ماالحرية ؟
فأجاب بصوت مهدود يشكو من وقع الهمجية
الحرية.
أن يحيا الناس كما شاء الرحمن لهم بالأحكام الربانية
وفق القرآن ووفق الشرع ووفق السنن النبوية
لا وفق قوانين الطغيان وتشريعاتٍ أرضية
وضعت كي تحمي أشخاصاً تقفو الأهواء الشخصية
الحرية.
ليست نصباً تذكارياً يغسل في الذكرى المئوية
الحرية لا تستجدى من سوق النقد الدولية
الحرية لاتمنحها هيئات البر الخيرية
الحرية نبت ينمو بدماء حرّى وزكية
الحرية تنزع نزعاً
تؤخذ قسراً
تبنى صرحاً
يعلو بسهام ورماح ورجال عشقوا الحرية
إن تغفل عن سيفك يوماً فلقد ودعت الحرية □



من مواسم الهجرة

د. مصطفى السيد

ـ ١ ـ

ماكنت أحسب ــ وأنا أضع عصا الترحال ــ في رحلة من مواسم الهجرة نحو الخليج، في مطالع التسعينيات من القرن الرابع عشر الهجري ماكنت أحسب أني سأستقر مجاوراً لمرابع (تميم) وفي مدينة من مدن القصيم [١]، ومادار بخلدي أن للتاريخ حضوراً في (نجد) يتجاوز الكتب الراقدة فوق رفوف المكتبات، أو المحفوظات الرسمية في صدور الرجال.

إن هذا الجحود لعبقرية المكان وماأكنّته (الكثبان) كأنه أمر متوارث، وكأن الأدباء تواصوا به، فاضطربت أقوالهم في مواطن الأيام ومواضع الوديان وأماكن المياه في مهبط إلهام الشعر العربي في (نجد) فتقاذفوا وديانها بين جنوب وشمال ، ويمان وشآم.

إن (عزرا باوند) [٢] (١٨٨٥ ــ ١٩٧٢) قد ذرع بحر (ايجه) جيئة وذهاباً، ويستلهم كل حجر ومدر ويستنطق كل واد وجبل عن أخبار القوم في الإغريق، ولقيت اليونان من عشاق حضارتها مالم تبلغ نجد مُدّه ولا نصيفه.

نجد في الأدب العربي معادل موضوعي لليونان في الاداب الغربية فهي

---

١ ــ يقصد الكاتب مدينة (الرس) من مدن القصيم في المملكة العربية السعودية.

٢ ــ شاعر غربي مشهور .

خزانة الأدب وعتائد (١) الهوى، استضاءت بنور الوحي، ثم كبت كبوة كأداء ــ الردّة ــ ثم وثبت تختزن في وعيها دواوين الفصاحة وتراث الأيام، فلم تهن اللغة ولم يغب الشعر، بل أطل جذعاً فوق منابر الشام والعراقين وخراسان ومصر، مفعماً بالقوة مترعاً بالمروءة، لم تزْوَرَّ عنه (حداثة) قصور الشام، ولم تقصه بلاد الرافدين فلم يلق جحوداً ولا كنوداً كالذي يُقّنع به الآن.

ــ ٢ ــ

قاتل الله شيطان الشعر، فقد استهدفت بحديثي أرض تميم، ومارميت إلى استنطاق كل حجر ومدر في نجد، فلذلك الأمر أهله، لقد أوسعتني النوى شسوعاً، وقذفت بي المطامع لأفتح عيني حين أفتحها في قلب نجد، دار الزمان دورته، وعادت نجد مَهْجراً ومهاجراً، تؤمها رحلة الشتاء والصيف.

من القاهرة وبيروت إلى (هجرة)(٢) تمثلت في بضعة بيوت، إنها مأساة، فزعت منها إلى مملكة الخيال لأجبه جحافل الواقع، لقد أسبلت عيناي معاً، وتلفتّ القلب إلى قريتي في البقاع والأشجار التي اصطفت على مداخلها كأنها حرس شرف.

كيف الشجيرات التي على طريق البلد ؟
طويلة أم انحنت حزينة في كمد ؟
تزورها بلابل من الشمال تغتدي
أم أنها عارية الأعراف في توجد ؟

أية عبقرية للشاعر الجاهلي التي جعلته يتجاوز الفناء المفروض على الأرض إلى البناء الذي أقامه في عالم الكلمة، لقد وجد في (أبيات) القصيدة عوضاً عن (الأبيات) التي جدّت يد الفناء في هدمها، حتى باتت مسكونة بعويل الريح، مقطونة برماد التذكر، ليت نقادنا يخبروننا عن الوشائج بين بيت الشعر وبيت

---

١ ــ عتائد : مفردها عتيدة، صندوق تضع فيه المرأة مايعز عليها من طيب وبخور.
٢ ــ بيوت قليلة في البادية.

الشّعر، الذي لم تطق ميسون بنت بحدل الكلبية أن تغادره عندما انطلقت بهذا الحوار الداخلي:

لبيت تخفق الأرواح فيه　　أحب إليّ من قصر منيف

كل هذا الحوار يقول أن الوطن ليس شملة يسهل خلعها كما لايصعب ارتداء غيرها.

في تلك (الهجرة) قرأت كتاباً لحسن عبد الله القرشي عن عنترة لأقف من خلاله على المعالم الخفية للمكان، لم يكن ذاك اختياراً، بل كان الكتاب الوحيد الموجود في مكتبة المدرسة عن الأدب الجاهلي، ولكن لحسن الحظ فإن (نجد آل الشيخ) قد استهوتني أكثر من نجد الجاهلية، لقد لفت نظري تغلغل فكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحضوره على كافة المستويات العوام والمتعلمين، ولا تكاد تجد لهم ثقافة غيره في مكتبة مطوّع الهجرة، وجدت فيها طائفة صالحة من الكتب: زاد المعاد، البداية والنهاية، كتب آل الشيخ، ارتحلت بخيالي إلى بلدي لأقارن بين مكتبة إمام المسجد في هذه القرية ومثيلاتها عندنا حيث تجد غالباً (مولد العروس) و (دلائل الخيرات) وكتب تفسير الأحلام، وبقية المخدرات الفكرية من مصنفات أهل التصوف.

ـ ٣ ـ

كنت ملول الطبع ولاسيما إذا أكرهت على جُلاّس لايفيدون علماً، ولا ينشرون من التاريخ عبراً ، هذه النماذج البشرية التي لانجد في كلماتها إلا لكمات للحياة الجادة، يجرجر أحدهم عمره في سوح العجز، يموت أسى، ويقضي كمداً إن خسر بضع دريهمات في صفقة عقدها، أو وقعة اقتصادية شهدها، ولكن خسارة عمره لم ترفع منه رأساً، ولم تعل صوتاً، وأنّى يرفع رأسه وهو لم يتعهد إلا فراغ جيوبه، ولم يدر بخلده أن في رأسه، بل في قلبه أوعية بملئها يتميز البشر ويتفاضل الخلق، لشد ماتألمت على هؤلاء الذي يصرفون أعمارهم في هروب منظم، ولاتبخل عليهم ذاكرة العجز باسم مهذب لهذا الفرار، وماأكثر الأسماء (المرفوعة) والمسميات (المخفوضة).

ومن فضل الله عليّ أن انتقلت بعد تلك القرية (التي ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيس) إلى ماء لتميم، إلى وادي الرس، فأرشفنا على ظمأ زلالاً، أسرتني حلاوة ذاك الماء، وكثيراً مااستحضرت وفاء السموأل واسترجعت كرم حاتم، بل إن صاحب الماء تجاوز بسمو الإسلام وشعب الإيمان هذه الرموز الجاهلية، وصدق رسول الله ﷺ القائل : « خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا »، ولم يكن الماء التميمي في جو نجد اللاهب يزيل جفاف الفم فحسب بل يزيل أيضاً جفاء القلب، وماأن تضيء أنوار الحديث حتى أشعر أننا في غير زماننا وخارج مكاننا نستفتي ابن منظور، ونراجع (المغني) ولا يحسم الجدل إلا (بالفتاوى) ولا نغيب عن العصر أو يغيب عنا وحول الماء الندي والخلق تمثل بفتية أقصوا الدنيا وإن لم تقصهم، وفارقوها وإن لم تبرح لهم مغازلة وإليهم متشوفة.

— ٤ —

كان صاحب الماء يطربه الحديث، ويعجبه هذا المعرض التاريخي الدائم، قناة للتواصل، يسع مرتادي هذا الماء بحلمه ويغضي عن بعض التجاوزات بابتسامة طبعت على شفتيه، وكان الطعام والإكرام أقل مايجده الناس في هذا المورد التميمي، وإذا ذكر أحد الحاضرين حاجة إلى مال أو افتقار إلى جاه ــ أسر صاحب الماء ذلك في نفسه ولم يبده ــ ليندفع بعد ذلك بسرور غامر يسد الخلة ويستشفع لأصحاب الحاجات.

لقد تواضع شيخ تميم، الأحنف بن قيس واصفاً نفسه بالتحالم ليقر لقيس ابن عاصم بالحلم، ولم أر في صاحبنا التميمي ــ على مافيه من الشمائل ــ أظهر من التواضع وحرصاً نادراً على كتمان معروفه وإظهاره عيوب نفسه، ومإإن يسمع من أحد المختلفين إلى مجلسه، حديثاً عن مسلم يخرج بماله أو نفسه ثم لايعود بشيء من ذلك إلا وتجده يغالب دموعه متسائلاً عن مدى استحقاقنا لهوية الإنسان بَلْهَ الإسلام، ثم يردد (الله يرحم الحال) .

ولئن فارقنا هذا الماء فهو لم يفارقنا، وعندما يرتد البصر حسيراً، يتلفت

القلب، ويسعف العقل باستحضار شريط الأطلال ليبدأ الحوار الداخلي إذا تعذر الحديث الخارجي.

— ٥ —

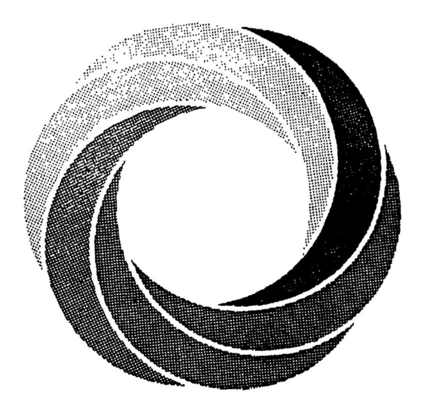
لم تكن هذه الكلمات انعكاساً لكل ماانطبع على صفحات المرايا النفسية، بل هي بعض الوفاء وأنى لمثلي أن يؤدي حقاً لأقوام درست في (مجالسهم) أبجدية (الفلاح) ، وكان ممن حملت معي بعد النأي والبعد صوتاً قرآنياً يتغنى بالمصحف ويحبر الآي تحبيراً.

ومن تمام الرواية، أن رواد الماء التميمي لم يتفرقوا قبل تلاوة كفارة المجلس.

« سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك ».

ماأجمل الصحراء التي تمضي فيها القوافل
وتتلى الصلوات ، وتساق المحامل ،
فاسجد على رمالها المحرقة
واحرق الجبين حتى يبقى عليه الأثر .

محمد إقبال



شؤون العالم الإسلامي ومشكلاته

- □ مشكلة الفرات من نتائج العصبية القومية
- □ الجبهة الشعبية والعبث الأمريكي بالقضية الارترية
- □ قتل الشيخ عبد الله عزام ... خطوة نحو أفغنة الجهاد الأفغاني
- □ واقع المسلمين في بريطانيا

مشكلة الفرات من نتائج العصبية القومية

أبلت الصحف والمجلات العربية بلاء حسناً في عرض قضية « نقص المياه » و « حرب المياه ». وقدمت تحليلات كثيرة حول هذا الموضوع الذي أبرزته واهتمت به الصحافة العالمية. وأشارت إلى أن الحرب المقبلة التي قد تنشغل بها الدول العربية فيما بينها، أو فيما بينها وبين جيرانها في المستقبل قد تكون حروباً على المياه، وأن تركيا تريد أن تسخر موضوع المياه لتحقيق أغراض سياسية واستراتيجية في المنطقة.

وقدمت هذه الصحف بعض الأرقام الإحصائية التي أصدرتها دول حوض الفرات عما يمكن أن يكون تصوراً أولياً عن نسبة استحقاق كل دولة من ماء الفرات، وعما تنوي أن تحتجزه تركيا من مائه، وما سمحت بمروره، وعن مستقبل توزيع الحصص.

وهناك ملاحظات حول المعلومات والتحليلات التي تضمنتها هذه الصحف، ومن ذلك:

١ ــ كان هذا الموضوع متشابهاً حيث عرض، وكانت أكثر الصحف تنقل عن بعضها الأرقام والنتائج المتوقعة، وليس من اختلاف إلا في التلاعب في بعض الجمل والألفاظ الرابطة، والتي يظن المحررون بسذاجة أنهم ــ بمهارتهم وحنكتهم ــ يستطيعون أن يقنعوا القراء أنهم يحققون سبقاً صحفياً لمطبوعاتهم؛ سواء على مستوى أهمية القضية وما تمثله في الواقع؛ أو على مستوى تحليلها.

٢ ــ كل التحليلات العربية تقريباً كانت تتكىء على التحليلات الغربية ونظرتها المسبقة المغرضة إلى المنطقة، أي تناول القضية وكأنها بنت الواقع الحالي دون ربطها بقرائنها التاريخية والجغرافية، والنظر إلى أن

الحالة الراهنة هي حالة مطلقة لن يدركها التبديل ولا التحويل.

ولتوضيح ذلك نقول:

إن الأوربيين ـ مؤرخين، وصحفيين، ومفكرين ـ لاينظرون إلى العالم العربي كوحدة فكرية وتاريخية بينها من الروابط مابين أقاليم فرنسا، أو بريطانيا، أو إيطاليا، أو غيرها؛ بل ينظرون إلى العرب كما يحبون أن يروهم : منقسمين على أنفسهم، بينهم من الخلافات العميقة التي يستحيل حلها، ولاشيء يجمعهم. وأن هذه الحدود التي تفصلهم هي حدود أزلية أبدية ! وكأنهم ليسوا هم الذين رسموا هذه الحدود على الورق أولاً، ثم نفذت على الأرض ثانياً، لا العكس ـ كما هو الطبيعي في كل البلاد، ماعدا تلك التي فتحها المسلمون؛ أو دخلها وانتشر فيها الإسلام !

يتجاهل هؤلاء الأوربيون في تحليلاتهم أن الحدود بين العراق والشام؛ وبينهما وبين تركيا، بل الحدود بين دول المشرق العربي جميعها؛ لم تبرز إلا بعد اتفاقية سايكس ـ بيكو عام ١٩١٦، وأنها لم تنفذ على هيئتها الحالية تقريباً إلا بعد عام ١٩٢٠.

إن النظرة التي ينظر بها الأوربيون إلى هذه البلاد هي انها بلاد كانت مشرعة الأبواب على مصاريعها، تدخلها الموجات البشرية الغازية من جهاتها الأربع. وأنهم إذا حدوا لكل رقعة حدوداً، ورسموا لها مجالاً لا تتعداه؛ فقد أسدوا إليها معروفاً لاينبغي أن ينكر أو ينسى.

ولكن، هل بقيت كلمة حول قضية المياه لم تطرح؛ أو شيء غامض لم يكشف عنه الحجاب؟

والجواب: نعم، هناك مسألة يمليها التصور القائم على أساس الإسلام، وتتهرب الصحافة العربية التي تسير على هدى الصحافة الغربية من تناولها من هذه الزاوية. وسواء كان هذا التهرب جهلاً أو تجاهلاً؛ فالنتيجة واحدة.

هذه المسألة هي مسألة القومية التي استوردناها ـ عرباً وأتراكاً ـ من الغرب، فنفخت في أنوفنا، وأعمتنا عن رؤية الحقائق كما هي، وجعلتنا نتعصب للجنس على حساب الحق، ونبرز الفوارق العنصرية، ونخفي مانتفق عليه، والذي هو مبرر عزتنا، وعنوان حضارتنا ـ وهو الإسلام الذي خرجنا بفضله من الظلمات إلى النور، وقدمنا عن طريقه إلى العالم شيئاً نعتز به ونفتخر، والذي قد لاتزول كراهية الغرب بتاتاً للعرب وغيرهم من أمم

الشرق إذا تخلوا عنه؛ ولكن ستكون كراهيتهم لهم ماداموا يعتزون به ولا يرضون عن بديلاً أكثر وأكبر.

إن القضايا الاقتصادية التي تؤثر على العلاقات بين الشعوب لاتعالج معالجة معزولة عن القضايا النفسية والتاريخية التي توجه هذه الشعوب، ونعني بذلك هنا قضايا العقائد والمبادىء. هناك عقائد ومبادىء تتصارع على هذه الرقعة من العالم، هناك قوى ظاهرة تتحرك تحت الشمس، وقوى خفية تتحرك في الظلام، والقوى الظاهرة والخفية لم تتوقف يوماً عن محاولات العبث في أمن هذه المنطقة المهمة من العالم، ولاتريد لها أن تهدأ أو تستقر.

لقد نجح الاستعمار وأعوانه أن يصدروا إلينا « النظرية القومية » ويغرسوا العنصرية التي ألوت بمجد العرب والترك، وأضرت بهم محلياً وعالمياً، وجعلتهم يتسولون القروض والحسنات من الغرب الصليبي والشرق الملحد، وغادرتهم مجرد صغار لاقيمة لهم، وسلعاً للمساومة لاحول لها ولا قوة.

إن كل نظرية لابد لها من ثمار ونتائج، وإن هذه الثمار والنتائج تقوَّم بما تعطيه من خير لمصلحة أكبر عدد من المنتفعين بها، وخير المعنيين بها مباشرة. وإن العصبية القومية التي مزقت البشرية، وكنا نحن ــ المسلمين ــ أشد ضحاياها غباءً، لما نملك من أسباب الهداية؛ لم تثمر لنا إلا مرّ الثمر، ولم نجن من ورائها إلا السراب! نعم، استفاد منها قوم؛ استفاد منها الغرب وأعوانه، واليهود وأشياعهم، واستفاد منها من يتاجر بآلامنا وفرقتنا، ويراهن على زوالنا واندثارنا.

ماذا ينتظر الذين جروا ــ ويجرون ــ وراء الغرب الذي طغى في البلاد، فأكثر فيها الفساد، ونشر فيها الأوبئة النفسية والجسدية؛ نشر الأفكار الهدامة كالقومية والمبادىء الباطلة كالشيوعية والوجودية، وضمن حرية التحلل الخلقي وصدَّر الإيدز وسائر الأمراض « الإفرنجية ».. ماذا ينتظرون من نتائج لما صنعته أيديهم التي نفذت خطط « لورانس » والتي كانت تهدف ــ فيما تهدف إليه ــ إلى دق إسفين سميك عريض في علاقة العرب والترك، والقضاء على رابطة الدين الإسلامي التي تجمعهم.

لاشيء ينتظر إلا مزيداً من التمزق والحروب والويلات التي تذهب هذه الشعوب الإسلامية وماتُثمّره وتملكه وقوداً لها.

إن العصبية القومية تستمد غذاءها من الجانب المظلم من الإنسان، بل من

الجزء الحيواني فيه؛ من الأثرة، والشح، والحقد، والكراهية، والحسد، ومن حب التسلط والتفاخر والتعالي على الآخرين بقهرهم.. ومن سائر الأهواء الشخصية والجماعية.. في حين أن الرابطة الإسلامية رابطة اختيارية متطلعة إلى الحق، وتستمد شرعيتها من وعي الإنسان بذاته، ومن إدراكه لدوره الذي حدّهُ خالقه له، هذا على المستوى الفردي، أما على المستوى الجماعي؛ فإن الرابطة الإسلامية هي التي جعلت للعرب دوراً تاريخياً على الأرض، وحملهم هذه الرسالة إلى العالمين هو الذي يحترمهم من أجله من يحترمهم من أهل الحق، ويكرههم من أجله من يكرههم من أهل الباطل. وفضلهم يتجلى في تضحياتهم وبلاءاتهم الأولى التي دخل بسببها من دخل في الإسلام من الشعوب الأخرى. ومن ينكر فضل العرب في ذلك فهو إما مكابر متعصب؛ أو جاهل يحتاج إلى نصح وتعليم.

على أن كل هذا لايجوز أن يعطي العرب حق التسلط على غيرهم من الشعوب وهضمهم وتنقصهم، والنظر إليهم من فوق؛ بل ينبغي للعرب وغير العرب من المسلمين أن يقولوا: ﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴾.

إن مابين العرب والترك من العلائق والروابط الطيبة أكثر بكثير من الاختلافات التي ضخمها أعداؤهم، ونجحوا في زرع العداوة بسببها بينهم. وإن علاج مشكلة المياه يكون بإبراز تلك العوائق والروابط والتذكير بها، فالعرب والترك مسلمون، والعرب والترك كانوا أمة واحدة، هدفها واحد، وعدوها واحد، وهم الآن متجاورون، لازال الهدف واحداً، والمصير واحداً، والعدو هو هو.

ولست أدري، بل ولست أعقل: كيف تجتمع دول أوربا على أمور تحرم علينا نحن المسلمين، ولئن كانت هناك نقاط التقاء بين الطليان الكاثوليك والانكليز البروتستانت وبين الألمان البروتستانت والإسبان الكاثوليك.. يجتمعون عليها ويستثمرونها في تقوية أنفسهم وفيما يعود بالفائدة على شعوبهم؛ أفليس بين العراق والشام من روابط يبنى عليها؟! أليس بيننا ـــ نحن العرب ـــ وبين الأتراك من العلائق مابين الأوربيين؟! إي والله بل أكثر! لو أنصف المتنفذون من هؤلاء وهؤلاء!

بعد أن تفرق المسلمون إلى قوميات، وانشعبت القوميات إلى وطنيات، وأشرفت الوطنيات أن تتطاير طائفيات؛ فإن هذا ليس بمقنع أعداءهم،

بل لن ينثنوا عن الانقضاض بكل الوسائل عليهم حتى يستحيل عليهم الخروج مما رُموا به.

ومع هذا فإن أخطاء التاريخ قابلة للتصحيح إذا ماصحت العزائم وخلصت النوايا، ورزقت الأمة برواد تلتف حولهم، فيخرجون بها من الضيق إلى الرحابة، ومن التبعية إلى امتلاك القرار.

وإذا كان يصعب علينا أن نطالب بوحدة أقطار حوض الفرات ــ لأن هذا قد يكون غير واقعي، وإغراقاً في الخيال، وأحلام يقظة ــ فلا أقل أن تتذكر أن بينها أرحاماً قطعت ولا يستحيل وصلها؛ وقدراً مشتركاً من العلاقات التاريخية، وبعد كل ذلك وقبله؛ جواراً أبدياً. وإن مما أمر الله به الإحسان إلى الجار ذي القربى، والجار الجنب، والصاحب بالجنب □



الجبهة الشعبية والعبث الأمريكي بالقضية الأرترية

بلال محمد

في الوقت الذي أعلنت فيه الشيوعية إفلاسها عالمياً بدأت القوى الصليبية بإعادة ترتيب أوراقها للوثوب على مواقع التأثير، وبالذات تلك التي كانت تأمل العثور على متنفس من خلال وجودها داخل القفص الماركسي الحديدي.

وحيث إن النظام الإثيوبي كان أحد الذين أووا إلى الكهف الشيوعي منذ صعوده إلى سلم القيادة قرر أن يجعل من بلاده بؤرة المد الشيوعي وموطناً لنفوذها الأمر الذي مكنه من تلقي الدعم السوفياتي بعناية فائقة للقضاء على من أسماهم بالانفصاليين المتمردين في شمال البلاد.

وبعد أن كان الروس في سابق عهدهم ينعتون ارتباط أرتريا بإثيوبيا فدرالياً وأنه تم برضى أحد الطرفين، دون الالتفات إلى رغبة الآخر، غيروا من سياستهم وأبدوا صفحة الغدر فأدانوا حركة التحرر الإرترية رغم تلويحها بالشعارات الماركسية ووصفتها « برافدا » عام ١٩٨٧ بالإمبريالية التي تهدف إلى إضعاف إثيوبيا وحرمانها من منافذ البحر الأحمر.

وقالت: إنه في هذه الظروف تورط الانفصاليون الإرتريون في لعبة يلعبها الآخرون وإنهم يساهمون موضوعياً في تنفيذ المخططات الإمبريالية.

إلا أن فشل نظام « الدرق » الإثيوبي في سحق المقاومة الإرترية بالسلاح الروسي أوصل السوفيات إلى قناعة تامة بأن الحسم العسكري غير ممكن لإحلال السلام، وإن طريق السلام في إثيوبيا سيبقى مسدوداً مالم يتم التفاوض مع القوى الإرترية، وعليه أظهر الروس فتورهم وهبوط حماسهم ومارس جورباتشوف ضغوطاته على منجستو للتخلي عن

عنجهيته العسكرية والنزول إلى ساحة الواقع.

وفي ذات الوقت أخذ الجيش الإثيوبي يشهد موجات من التبرم من مواصلة الحرب في إرتريا، وصار ينادي بالبحث عن بدائل أخرى لحل الأزمات الإرترية، وتزايدت في وسطه حركات التذمر، وخلايا المعارضة السرية حتى قام في عام ١٩٨٨ بمحاولة انقلاب فاشلة على منجستو.

وإثر هذه المحاولة لم يجد قائد الدرق بداً من طرح القضية الإرترية على بساط منظمة الوحدة الإفريقية ولأول ـرة في التاريخ بعد أن ظل مجرد الحديث حولها محرماً بوضعها تحت بند عدم التدخل في الشؤون الداخلية، طالب منجستو زعماء الكتلة الإفريقية مساعدته في حل القضية الشائكة، التي استنزفت اقتصاده، وبهذا تكون القضية الإرترية وضعت قدميها على منعطف جديد.

إلا أن الشيء الذي يستدعي وقفة تأمل هو عودة أمريكا وللمرة الثانية إلى العبث بالقضية الإرترية لصالح القوى الصليبية العالمية، فقد أخذت أمريكا في الآونة الأخيرة تبدي اهتماما بالغاً بالقضية حيث أجرت عدة اتصالات ببعض الرموز الإرترية عبر أحد رؤسائها السابقين « جيمي كارتر » ولأمر في نفسها أناطت المهمة برجل كامب ديفيد الذي أسعف المنطقة بزياراته المتكررة ولقاءاته العديدة التي نظمها مع العناصر الصليبية في كل من إرتريا، والسودان، وإثيوبيا.

وهكذا ظهر كارتر فجأة ليكون وسيطاً بين نظام منجستو والجبهة الشعبية الإرترية وبالفعل تم عقد لقاء بينه وبين الأمين العام للجبهة الشعبية إسياس أفورقي في العاصمة السودانية الخرطوم بتاريخ ١٩، ٢٢ إبريل ١٩٨٩ وذلك عقب عودته من أديس أبابا عاصمة إثيوبيا.

وبهذه السرعة انقلبت أمريكا رأساً على عقب من قمة جفائها وغلظة عدائها للشعب الإرتري وبعد أن جعلت في أذنها وقراً عن سماع مطالبه منذ اندلاع ثورته إلى وسيط يؤرقه مآسيه ويسعده إسداء المعروف إليه.

كما أن الجبهة الشعبية الإرترية التي عودتنا التنديد بمواقف الولايات المتحدة وسائر القوى الإمبريالية من القضية الإرترية أصبح الوجه الأمريكي منذ حلول الثمانينات من أحب الوجوه إليها فأخذت تتبنى مواقف سياسية مباينة

لنهجها الماركسي وهذا لايعني إلا أن العناية الأمريكية وبعد دقة ودراسة متأنية طبعاً وقع اختيارها بالدرجة الأولى على الجبهة الشعبية الإرترية فمنحتها المباركة الرسمية لتلج مؤسساتها السياسية، ومن ثم سهل على قيادة الجبهة الشعبية التردد بين الحين والآخر على الولايات المتحدة للتعبير من خلال منابرها السياسية عن آراء تنظيمها وتوجهه الجديد.

وباتت اللقاءات التي تعقدها قيادة التنظيم تحظى بقدر كبير من اهتمام المسؤولين الأمريكان وتشهد حضورهم ومتابعتهم، ففي ظل رعاية أعضاء من وزارتي الخارجية والدفاع بالإضافة إلى عدد من السفراء والصحفيين والكتاب وأعضاء المؤسسات الأمريكية الكبرى عقد الأمين العام إسياس أفورقي لقاء في ٣ مايو ١٩٨٩ بمركز الدراسات الإستراتيجية والدولية بواشنطن، ومُكن في مدينة سان فرنسيسكو من اللقاء بمنظمة « نادي كومنولث » حيث خاطب مايربو على مائتين وخمسين شخصاً بمقر النادي ونقل حديثه هذا عبر موجات الأثير إلى كل أنحاء مدينة سان فرنسيسكو وضواحيها وعكست صداه أكثر من مئتين وتسع وسبعين محطة إذاعية في الولايات المتحدة. (١).

وأخيراً كلل هذا النشاط بلقاء أتلانتا (٢) التمهيدي بولاية جورجيا بين وفد الجبهة الشعبية برئاسة الأمين محمد سعيد، والوفد الإثيوبي برئاسة « أشاقري » والذي تمخض عنه لقاء نيروبي (٣) وهو اللقاء الذي تم فيه الاتفاق على اختيار نيريري رئيس تنزانيا السابق نائباً للرئيس الأمريكي جيمي كارتر في الإشراف على سير المفاوضات.

ولكن السؤال الجدير بالطرح هنا : لماذا كانت الجبهة الشعبية هي الفصيل الذي وقع عليه اختيار الإدارة الأمريكية دون غيره؟

فيما أحسب ليس لدى كثير من الإرتريين والمهتمين بأوضاع الساحة الإرترية جواب أكثر من أن يقال: إن الثقل العسكري الذي تمثله الجبهة الشعبية في الساحة الإرترية أهلها لأن تتبوأ مكانها المناسب في قضية السلام

---

١ ــ انظر مجلة ساقم لسان حال الجبهة الشعبية عدد ٢٣، يونيو ١٩٨٩م .
٢ ــ بتاريخ ١٩٨٩/٩/٧ م.
٣ ــ عقد لقاء نيروبي في ٢٠ نوفمبر ١٩٨٩ م، وستعقبه جلسات في كل من الخرطوم والقاهرة وتنزانيا وهراري بزمبابوي.

الأمريكي، وهذه الرؤية وإن كانت تمثل جزءاً من الحقيقة فإنها ليست كل الحقيقة، وحتى هذه الجزئية منها ماكان لها أن تكون إلا بعد أن رأت القوى الصليبية العالمية أن تجعل من الجبهة الشعبية الفصيل الذي لامنافس له، وذلك بالدعم الإعلامي والعسكري الذي أغرقت به ساحة التنظيم (١)، وحين انفرد لها بالساحة وخلا بها وحيداً أتته مهرولة تتكىء عليه في تنفيذ مخططها الرامي إلى بسط الهيمنة الصليبية في البحر الأحمر، فهي تدرك تماماً أهمية موقع إرتريا الذي يطل على قاعدة عريضة من البحر الأحمر، ومن ثم رأت ضرورة إيجاد حليف لها يؤمن مصالحها ويتحرك وفق وحيها لاسيما وأن المنطقة تشهد تمدداً إسلامياً، وحيث إن الهيمنة الإسلامية على إرتريا تؤكد هوية البحر الأحمر وانتماءه الإسلامي فإن القوى الصليبية ممثلة في الولايات المتحدة وحلفائها لن تتوانى في إقصائه عن السيطرة الإسلامية.

ولهذا كانت الجبهة الشعبية الإرترية هي اليد التي ارتضت السي آي إيه مصافحتها والعمل على وضع القضية الإرترية بين فكيها، فمنذ وقت مبكر كانت وكالة الاستخبارات الأمريكية قد زرعت رجالها في قلب الثوزة الإرترية عبر قاعدتها « قانيو ستيشن » (٢) في أسمرا، وظلت تتفقد النبتة بالسقاية والحماية حتى أينع ثمرها، وحان وقت قطافها.

وهكذا انتقلت قضية شعب مسلم إلى إدارة صليبية تتدحرج بين أقدام الثالوث الصليبي إسياس أفورقي، وكارتر، ونيريري الذي سجل أبشع تاريخ في التنكيل بالمسلمين العرب في زنجبار.

وكانت أمريكا على يقين من الوصول إلى هذه النتيجة وجني هذه الثمار من خلال مراقبتها للصراعات الدائرة في القرن الأفريقي، فما انزعجت أصلاً من التدخل الروسي في القرن الأفريقي لأنها أيقنت بأن الاتحاد السوفياتي سوف يجد نفسه غارقاً في مشاكل لاطاقة له بها وأنه سيفشل وسيفقد موقعه في إثيوبيا كما فقده من قبل في مصر والسودان

١ ــ تم ذلك عن طريق مايعرف بالجمعيات الإنسانية وهيئات الإغاثة الأوربية ورجال الصحافة الغربية.
٢ ــ يقال إن إسياس ذاته كان على اتصال بالقاعدة الأمريكية بأسمرا عن طريق تسفا يوهينس برهي أحد عملاء نظام هيلا سلاسي وحلفائه.

والصومال.

ومن هنا ظلت الإدارة الأمريكية في عهد الرئيس كارتر تحافظ على علاقتها بإثيوبيا وتمد نظام « الدرق » بمساعدات عسكرية حتى عام ۱۹۷۷ وحتى إلى مابعد ۷۷ بقيت العلاقات الإقتصادية بين إثيوبيا والولايات المتحدة قائمة.

وكان من حرص الإدارة الأمريكية على مصالحها في المنطقة، أن أسندت إلى كارتر مسؤولية تأكيد السيطرة الصليبية على البحر الأحمر، ومن هنا رغم إدراكها بقصور الجبهة الشعبية وعجزها عن تمثيل الشعب الإرتري كله لما تعانيه من عزلة جماهيرية وقع اختيارها عليها، ومحال أن يكون هذا الاختيار وليد الصدفة ومحض العفوية بل كان لأمر قد قدر في دهاليز الاستخبارات الأمريكية، وسوف تنجاب عنا كل غشاوة من شأنها أن تحول دون هذه الرؤية الصحيحة السليمة إذا مااستحضرنا بيان الخارجية الأمريكية الذي صدر في ۱۱ حزيران يونيو ۱۹۷۷ والذي قال فيه كارتر نفسه : « إني ميال إلى أن أتحدى بقوة وبطريقة سلمية الاتحاد السوفياتي وآخرين من أجل النفوذ في مناطق العالم التي نشعر أنها أساسية بالنسبة لنا الآن أو أنها قد تصبح كذلك خلال خمسة عشر سنة أو عشرين سنة من الآن ».

إن هذا التحدي كفيل بأن يفسر لنا الغاية التي يهدف إليها تحرك كارتر وإنه ليس قائماً في وجه السوفيات فحسب، وإنما يتخطاهم إلى غيرهم. ومن ثم إن عبارة « وآخرين » هي جماع كل قوة تسول لها نفسها مزاحمة الأمريكان في مناطق النفوذ التي قد تصبح ولو بعد عشرين سنة هامة بالنسبة للأمريكان.

واقتضت الخطة الأمريكية حالياً قص أجنحة التنظيمات الأخرى وتقليم أظافرها فأغرت حليفها بتصفية كل القوى الإرترية المنافسة والتي تحاول الاقتراب من الساحة فكان لها مارأت وأرادت (۱).

بقي أن ندرك حقيقة أخرى من وهي: إذا كانت الجبهة الشعبية هي الفصيل الجدير باقتفاء أثر كارتر والسير على خطاه، فإن التنظيمات الأخرى جديرة أيضاً بأن تلعب الولايات المتحدة الآن على حبالها حسب الحاجة، كما أن إثيوبيا ذاتها

---

١ ــ وقفت حركة الجهاد الإسلامي وحدها بصلابة في وجه سياسة التصفية وعززت وجودها في الساحة ــ ولله الحمد ــ بينما لاذ غيرها بالفرار.

رسم لها أن تستغل نفور الشعب ومعارضته للجبهة الشعبية بإيجاد شرائح من صنائعها فاستطاعت أن توجد عدداً من رجال الطرب واللهو وطائشي الرأي أطلقت عليهم ممثلي المنخفضات (١) واستدعت نفراً إلى كينيا لتراهن بهم على أطروحتها وتوقع الجبهة الشعبية في مأزق حرج.

وأياً كانت الأسباب التي دفعت هذه العناصر إلى الارتماء في أحضان المخابرات الإثيوبية فإن الأطروحات التي يتبنونها لاتمثل إلا سطراً على حقائق التاريخ، فما كانت إرتريا يوماً من الأيام جزءاً لايتجزأ من إثيوبيا، ولم تكن الثورة الإرترية وليدة إضطهاد وقع وزال كما يحلو لهؤلاء الاستسلاميين أن يروجوا.

إن بروز هذه الفئة تزامن مع ظهور حركة الجهاد الإسلامي الإرترية وهذا يوحي إلى أنه يمكن أن يستخدموا كأداة للشعب تكفه عن الالتحاق بالحركة، وذلك أن غياب الفكر الإسلامي عن الثورة الإرترية في فجر نشوئها إذا كان من أهم العوامل الأساسية في تحويل مسارها والتلاعب بها تارة من قوى اليسار، وأخرى من قوى اليمين فإن وجوده الآن ممثلاً في حركة الجهاد الإسلامي الإرترية يجعل من الصعوبة بمكان استقطاب العنصر المسلم الثائر الواعي لإسلامه والتلاعب بعواطفه.

ولا يتأتى هذا في نظرهم إلا حين توضع أمامه هذه الدمى المعممة والتي تحرك وفق الإرادة الإثيوبية وحلفائها اليهود.

والخلاصة إن منطقة القرن الأفريقي مقبلة على أمر يتعارض مع هويتها الإسلامية، وإن عودة الولايات المتحدة إلى القضية الإرترية لايرمي إلا إلى تطويق الصحوة الإسلامية وإخماد جذوتها المتقدة ـــ لاقدر الله ـــ عبر تمكين عناصر صليبية إرترية من التحكم بزمام القضية، وكذلك العمل على امتصاص الشعور الإسلامي المتنامي في أوساط الإرتريين بدفع بقية التنظيمات العلمانية التي يتربع على عرشها أناس لايحملون من الإسلام إلا اسمه إلى مائدة التفاوض مع إثيوبيا □

---

١ ـــ يقول كاسا كيبدا عن هؤلاء : « إن هؤلاء يطالبون بالحكم الذاتي الخاص والمساواة الكاملة في الحقوق الدينية والقومية وقد اتفقنا مع هذه الفئة واستجبنا لمطالبها » انظر المصدر السابق.

قتل الشيخ عبد الله عزام ... خطوة نحو أفغنة الجهاد الأفغاني

أحمد زيدان

فقد الجهاد الأفغاني يوم ١٩٨٩/١١/٢٤ أحد أشد مناصريه المسلمين وهو الشيخ الدكتور عبد الله عزام الذي لقي ربه إثر انفجار لغم في مدينة بيشاور الباكستانية وهو متجه مع اثنين من أولاده إلى مسجد (سبع الليل) الذي اعتاد الشيخ رحمه الله أن يصلي فيه، وعند تقاطع الشارع الرئيسي مع الزقاق المتجه إلى المسجد انفجرت عبوة ناسفة قدّرها خبراء المتفجرات بـ ٢٠ كلغ من مادة الـ ت. ن. ت شديدة الانفجار، الأمر الذي أدى لانشطار السيارة ثلاثة أقسام.

الشيخ عبد الله عزام أمير مكتب خدمات المجاهدين الذي يعتبر أكبر وكالة إسلامية تدعم المجاهدين والمهاجرين الأفغان أسس خمسة مستشفيات في داخل أفغانستان وعدداً من المستشفيات في باكستان لخدمة المهاجرين والمجروحين الذين أُخلوا من الجبهات إلى باكستان، كما أقام عدداً من المدارس داخل أفغانستان وفي باكستان للمهاجرين.

الجهات المتورطة بالاغتيال:

لاشك أن هناك مؤامرة عالمية حاك خيوطها أطراف وجهات متعددة للقضاء على أحد رموز هذا الجهاد. والذي أعتقده في هذا الحدث بأن هناك مخططين وهناك منفذين، ويمكن أن نعد مِن الجهات المتورطة أو المستفيدة من الحدث:

١ ــ القوى الكبرى (أمريكا، وروسيا).

٢ ــ نظام كابل وشيوعو باكستان.

٣ ــ دولة باكستان.

٤ ــ الشيعة.

سنحاول في هذا المقال أن نذكر الأدلة والقرائن على كل طرف من هذه

الأطراف.

١ ــ القــــوى الكبــــــرى (روسيا ــ وأمريكا):

يقول المتابعون لأحداث هذا الجهاد بأن سياسة الانفراج الدولي التي يتجه إليها العملاقان تنافي السماح لأي تجمع اسلامي بالجهاد والاعداد له، ولاشك أن الشباب العربي الذين تجمعوا حول الجهاد الأفغاني ليس شيئاً قليلاً، ونحن هنا لانكشف سراً ــ مما يقلق هذه الدول ويهدد مصالحها في مناطق نفوذها من العالم.

ومن العجيب أن تشهد باكستان زيارة نائب رئيس الاستخبارات الأمريكية قبل أيام من عملية الاغتيال حيث أن مثل هذه الشخصيات قلما تزور باكستان وكان آخر زيارة لمسؤول استخباراتي أمريكي هو (وليم كاسي) رئيس الاستخبارات الأمريكية أيام الرئيس ضياء الحق.

وقد حرص القنصل الأمريكي في بيشاور قبل شهر من الاغتيال الالتقاء بالشيخ عبد الله رحمه الله إلا أن الأخير رفض اللقاء.

كما يدرك ويعرف من له أدنى اهتمام بالقضية الأفغانية أن الشباب العرب في ساحة الجهاد وعلى رأسهم الشيخ عبد الله عزام يعتبرون عقبة كبيرة في وجه الحلول التصفوية والسلمية المجحفة بحق المجاهدين الأفغان، إضافة إلى أن الشيخ عبد الله لعب دوراً محورياً في التوفيق بين قادة الجهاد الأفغاني، أو على الأقل تقريب وجهات النظر بين الأطراف المتعارضة، يقول الأستاذ برهان الدين رباني: « وقد قضى الشيخ عبد الله ليلة الجمعة أي ليلة الاغتيال كل يومه في محاولة الاصلاح بيني وبين حكمتيار حتى طرق علي الباب في الساعة الثانية عشرة ليلاً يطالبني بالتوقيع على وثيقة الصلح ووقعت وقال لي إن موعدنا في إسلام آباد غداً » وكان الشيخ عبد الله رحمه الله سيغادر بيشاور إلى إسلام آباد بعد أدائه صلاة الجمعة في مسجد العرب.

٢ ــ نظـام كابـل وشيوعيــو باكستان:

يستبعد المهتمون بالأحداث مقدرة نظام كابل على تنفيذ مثل هذه المحاولة حيث إنه مشغول في كابل، ولا يستطيع تنفيذ مثل هذه المحاولة في وضح النهار في شارع مزدحم من بيشاور، خاصة وأن ترتيبات العملية تحتاج لأربعة أيام على الأقل.

وقد علق حكمتيار أمير الحزب

الإسلامي على تورط نظام كابل بالعملية : « لايمكن لهذا النظام الذي يعاني الأمرين في داخل كابل أن يقدر على تنفيذ مثل هذا المخطط ». ويستبعد أيضاً أن يقدر الشيوعيون في باكستان تنفيذ مثل هذا المخطط، إذ أنهم لم يسبق لهم أن فجروا أو قتلوا أو اغتالوا في مثل هذا المكان المكشوف أمام الجميع. وأما المجاهدون الأفغان فيستبعدون تورط الشيوعيين في ذلك ويرجحون جهات أخرى سيأتي الحديث عنها.

٣ ـ باكستان:

يتفق الأغلبية إن لم نقل الجميع على تورط باكستان في العملية إذ أنه لايعقل أن يعمل هذه العملية أشخاص وتستغرق منهم أربعة أيام كترتيب للاغتيال وفي شارع مزدحم دون معرفة واطلاع المخابرات الباكستانية أو البوليس الباكستاني، الذي اعتاد أن يجوب الشارع في كل اليوم. حتى أنهم بدأوا يضعون جنود على فتحة الزقاق المتجه للمسجد بعد المحاولة الأولى وهي زرع متفجرة تزن ٢ كغ تحت منبر الشيخ عبد الله وكانت مؤقتة أن تنفجر أثناء خطبة الشيخ ولكن الله سلم حيث أنها ستقتل وتجرح كثيراً من المصلين العرب الذي اعتادوا أن يؤموا المسجد.

الشيخ قاضي حسين أحمد زعيم الجماعة الإسلامية في باكستان اتهم الحكومة بالتورط في الاغتيال وهدد إذا لم تكشف الحكومة عن الجهة المنفذة فتقوم الجماعة الإسلامية بتسيير المظاهرات، ولكن لم يحصل شيء من هذا حتى الآن.

٤ ـ الشيعة:

الأكثرية من المراقبين يشيرون إلى تورط الشيعة في الاغتيال، ففي يوم محاولة اغتيال الشيخ الأولى في مسجد سبع الليل قام الشيعة في بيشاور بتوزيع بيانات وباللغة العربية الركيكة عن الوهابية وشتمها وأن هؤلاء العرب الذين قدموا لمساندة الجهاد الأفغاني وهابيون.

أحد الشباب قال لي بأنه التقى مع الشيخ عبد الله رحمه الله قبل اغتياله بأيام ونصحه باتخاذ احتياطات أمنية، فرد عليه الشيخ بأنه يتوقع أن يقوم الشيعة بمثل هذه المحاولات.

ومنذ أربع سنين حدثني أحد الشباب العرب المساندين للجهاد الأفغاني بأنه اعتقل في إيران لعلاقاته مع الأحزاب السنية هناك ودعمه لها فالتقى به

رفسنجاني رئيس الدولة حالياً وطلب منه إملاء وتعبئة ملف كامل عن نشاطات الشيخ عبد الله عزام ودوره في الجهاد الأفغاني، لكن الأخ رفض وبقي في السجن فترة طويلة إلى أن تدخل بعض قادة الجهاد وأفرجوا عنه.

الأستاذ نور الله عماد نائب أمير الجمية الإسلامية قال في حفل تأبيني للشيخ بأنه عندما كان في رحلة إلى دولة حدودية ليحضر مؤتمراً دولياً عن القضية الأفغانية، كان المسؤولون هناك مهتمين جداً بمعرفة أدق التفاصيل عن الشيخ ويسألون عنه وعن نشاطاته فأدركت منذ ذلك الوقت بالمؤامرة، واتصلت بالإخوة في باكستان ليحذروا الشيخ من ذلك، وينصحوه بأن يأخذ احتياطاته.

أحد مسؤولي (الحزب الإسلامي ـ حكمتيار) ذكر من جملة الأطراف المتورطة في اغتيال الشيخ الشيعة ودلل على ذلك بقوله: « إن الشيخ عبد الله في نشاطاته بداخل أفغانستان ودعمه لتجمعات السنة أحبط محاولات الشيعة في استغلال الوضع ورأوه عقبة كأداء في تمرير مخططاتهم.

الاغتيال حلقة في التخلص من مؤيدي الجهاد:

الجميع يتفق على أن الاغتيال ماهو إلا حلقة متصلة في القضاء على مناصري هذا الجهاد من العالم الإسلامي، وقد بدأ المخطط منذ حادثة طائرة ضياء الحق.

وقد لاحظنا في السنوات الأخيرة استهداف زعماء أهل السنة، وتحولت آلة الاغتيال من تصفية القادة السياسيين إلى القضاء على علماء أهل السنة فهل يفكر المعنيون بحماية لهم أو ترتيب إجراءات أمنية لهم.

ولاشك أن مستقبل الوجود العربي في القضية الأفغانية يكتنفه الكثير من الغموض حيث أشار الأستاذ سياف إلى توقع سلسلة انفجارات واغتيالات للشباب العربي لإجبارهم على الرحيل.

المهندس حكمتيار طالب العرب بالبقاء وألا يتركوا الأفغان في منتصف الطريق. أما البروفيسور رباني فذهب بعيداً إلى دروس التاريخ خاصة في حوادث المسلمين في آسيا الوسطى عندما حوّلوها قومية وحصروها وعندما صفي المسلمون هناك لم يأبه لهم أحد أو يكترث بهم، وكذلك فقد تعرضت القضية الفلسطينية لأعظم خطر عندما تحولت من إسلامية إلى قومية، وهانحن أيها الإخوة (يخاطب العرب الحضور) في هذه اللحظات الحاسمة نقول لكم إن أرضنا أرضكم وأخوتنا

ماتزال وستستمر إن شاء الله ونحن كما قال تعالى ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾.

تفريغ الساحة من العرب لمصلحة من ؟

الخيوط جميعها تشير إلى أن أطرافاً متعددة تنوي تفريغ الساحة من العرب ونشير هنا إلى عدة أمور سترافق هذا التفريغ لو حدث ــ لاسمح الله ــ ..

١ ــ استفراد المنظمات الصليبية الطوعية والحكومية بإعمار أفغانستان والتعامل مع المجاهدين الأفغان وبالتالي لايستبعد أن يرضخ المجاهدون لبعض سياسات هذه المنظمات، حيث إن المنظمات الإسلامية تلعب دوراً رائداً في الحفاظ على إسلامية الأفغان بل والترقي بها ورفع مستواهم.

وإن حدث هذا ــ لاسمح الله ــ فسيواجه الأفغان أنفسهم وحدهم بالساحة، ويشعرون بأن إخوانهم المسلمين تركوهم في منتصف الطريق ولا يستبعد قبولهم بالحلول الجزئية والترقيعية، إضافة إلى أن الصليبيين سيكون لهم موطىء قدم في هذه الديار، وكذلك فإن بعض الشباب العربي المضطهد في بلاده وجد باكستان ملاذاً وملجأ له. وبهذا يبقون الشباب في حالة من التهجير والشتات.

٢ ــ إن تفريغ الساحة من العرب سيعمل على إضعاف هذا الجهاد، حيث أن الشباب العرب كان لهم دور فعال في هذا الجهاد ومافتئت إذاعة كابل تشير إلى خطر تواجد العرب في أفغانستان، وهذا يدركه كل من عايش القضية الأفغانية، وبالتالي سيشعر الشعب الأفغاني بأنه وحيد في الساحة.

٤ ــ لقد خشي أعداء هذا الجهاد من وحدة المسلمين التي تجسدت في هذا الجهاد واختلط الدم العربي والأفغاني، وشارك المسلمون من شتى الجنسيات في هذا الجهاد، وهذا يعطل أكبر برنامج ومخطط تسير عليه الدول الكبرى في وحدة الأمة الإسلامية، ولا يروق لها أن ترى المسلمين أمة واحدة، وقد أشار إلى هذا المفهوم المهندس حكمتيار ــ حفظه الله.

وأخيراً:

فهذه هي نتيجة من يسير على هذا الدرب، ونسأله سبحانه وتعالى أن يتغمد الشيخ عبد الله عزام بواسع رحمته وأن ينزله منازل الشهداء والصالحين، كما نسأله ألا يحرمنا أجره وألا يفتنا بعده وأن يغفر لنا وله ويصبر أهله وذويه وأصدقاءه وأتباعه إنه قريب مجيب والحمد لله رب العالمين.

واقع المسلمين في بريطانيا

هذا هو تتمة المقال المترجم الذي بدأناه في العدد السابق عن المسلمين في أوربا، ويتحدث كاتبه هنا عن المسلمين في بريطانيا، ننقله دون تعليق لأن فيه الكثير من الواقع والإنصاف.

قسم الترجمة

منذ أن قام متظاهرون ساخطون بإحراق نسخة من كتاب سلمان رشدي في مدينة برادفورد في شمال انكلترا ومسلمو بريطانيا يتعرضون لمراقبة وفحص دقيق لانهاية لها من قبل أجهزة الإعلام.

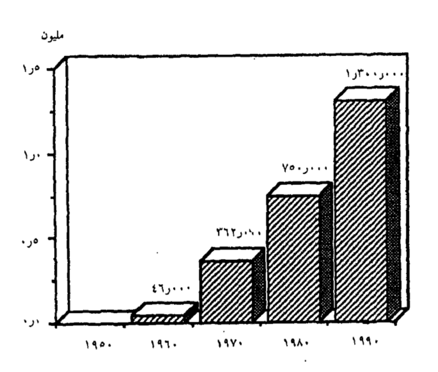
لقد فجرت قضية رشدي حرباً كلامية مرة بين الذين يسعون إلى منع الكتاب ومحاكمة مؤلفه بتهمة الإساءة للإسلام؛ وبين أنصار حرية التعبير، لقد توعد المسلمون كلاً من رشدي وشركة (بنغوين) التي قامت بنشر كتابه بالانتقام بأساليب مختلفة مما أدى إلى إحداث عاصفة من ردود فعل غاضبة، فقد دعا جمع من الكتاب والمعلقين الشرطة إلى محاكمة أولئك المسؤولين عن التحريض على قتل رشدي، كما حذر آخرون من خطورة بروز تيار أصولي إسلامي في بريطانيا.

ومن الجدير بالملاحظة أن هذا الجدل الحاد حول حرية التعبير ونشوء الأصولية قد غطى حقيقة أخرى تدعو للقلق وهي تصدع العلاقة المتزايد بين البريطانيين البيض وبين مسلمي بريطانيا الذين يقدر عددهم بـ (١،٤) مليون ذوي الأصول الآسيوية، ومما يلاحظ أن المسلمين الذين تظاهروا في كل من برادفورد ولندن كانوا يحملون لافتات متطابقة تقول: الجحيم لحزب المحافظين، الجحيم لحزب العمال، وفي الحقيقة فإن كثيراً من المسلمين يشعرون بأنه ليس هناك حزب سياسي في بريطانيا يتبنى قضاياهم.

إن غضب مسلمي بريطانيا الذي أججته مؤخراً قضية كتاب رشدي له جذوره

التي ترجع إلى أعوام الطفرة الاقتصادية التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، في عقدي الخمسينيات والستينيات، فطبقاً للإحصائيات البريطانية فإن مايقرب من (٦٢٩) ألف مهاجر من الهند، وباكستان وبنغلاديش قدموا إلى بريطانيا خلال هذين العقدين للعمل في مصانع الفولاذ والنسيج والملابس البريطانية مقابل أجور لايقبل بها العمال الانكليز عادة.

وكما هو حال كثير من المهاجرين في أنحاء العالم، فإن خطة مهاجري بريطانيا كانت العمل وادخار ماأمكن من المال ثم العودة إلى البلاد، إلا أنهم سرعان ماااكتشفوا أن المعيشة في بريطانيا باهظة التكاليف، وأن الحصول على مسكن أمر صعب، وأن موجة التمييز العنصري المناهضة للآسيويين واسعة الانتشار، وكان هؤلاء المهاجرون يرسلون مايفيض عن حاجتهم من أموال إلى عوائلهم في بلادهم إلا أنه بدا للكثير منهم عدم العودة إلى أوطانهم، لذلك قرروا استقدام عائلاتهم إلى بريطانيا منفقين على ذلك أموالهم المدخرة، ولم تكن مؤسسات الضمان الاجتماعي في بريطانيا قادرة ــ أو في تعبير أصح راغبة ــ في التعاون مع الوافدين الجدد.



النمو السكاني لمسلمي بريطانيا

وفي البيئة الجديدة شرع الأطفال الآسيويون الذين لايتكلمون الانكليزية البتة بالذهاب إلى المدارس في المدن المختلفة ليتعاملون مع من لايعرف شيئاً عن لغتهم أو ثقافتهم، ويرفض الأطفال الذين ترعرعوا في محيط إسلامي تناول الوجبات الغذائية المقدمة من قبل إدارة المدرسة خوفاً من احتوائها على ماقد يحرمه الإسلام، كما أن بعضاً منهم كان عرضة للسخرية والإهانة والتعالي عليه من قبل الطلاب البيض.

وعندما رد أهالي الأطفال على هذه السلوكيات بإبقاء أطفالهم في البيوت بعيداً عن المدرسة، هددت السلطات المحلية بمحاكمتهم.. ففي مدينة برادفورد مثلاً، والتي تضم أعلى نسبة من السكان الآسيويين في بريطانيا، أمضى المسلمون خمسة عشر عاماً من المحاولات المستمرة قبل أن يتمكنوا من الحصول على موافقة يزود بموجبها أطفالهم بوجبات غذائية تتفق مع تعاليم دينهم.

لقد مرت الجهود التي بذلها المسلمون لإرساء كيانهم في أجواء قاسية من التمييز العنصري. ففي نهاية الستينيات ومطلع السبعينيات وهي الفترة التي بدأت فيها المتاعب تواجه مصانع النسيج، ارتفعت معدلات البطالة وارتفعت معها موجات الاستياء، وارتفعت في تلك السنوات وبشكل منتظم حوادث الاعتداء العنصرية ضد المسلمين. وفي تقرير لوزارة الداخلية صدر عام ١٩٨١م تبين أن الآسيويين أكثر عرضة للاعتداءات العنصرية بنسبة ٥٠٪.

لقد جاهر مسؤولون في الحكومة البريطانية بالشكوى من حوادث الاعتداء العنصري، فقد عبر تقرير وزارة الداخلية لعام ١٩٨٩م عن القلق حيال ماسيتحمله المجتمع من ثمن باهظ على المدى الطويل إذا ماسمح لتيار النزعة العنصرية الخفي بالتشجيع والانفلات، وعلى الرغم من هذه الاحتجاجات فإن عدداً من أعضاء حزب المعارضة يزعمون أن حكومة المحافظين مصدر للتمييز العنصري المنظم وليس علاجاً له.

وبغض النظر عمن هو المسؤول، فإن إحدى آثار التمييز العنصري على المدى الطويل قد تكون نمو الروح النضالية لدى مسلمي بريطانيا، ففي موسم الصيف الماضي اتخذت المظاهرات التي نظمها المسلمون في مدينة برادفورد طابعاً عنصرياً مقلقاً، حيث أخذت مجموعات من الشباب الآسيويين بتحطيم الواجهات الزجاجية للمحال التجارية والسيارات وهددوا المارة. ومنذ ذلك الوقت والاشتباكات المتفرقة في الشوارع آخذة

في الحدوث في بعض المدن.

ويعلق رئيس مجلس المساجد في مدينة برادفورد على هذه الأحداث في مقابلة أجريت معه مؤخراً فيقول: « إن هذا ليس من الأصولية في شيء، إن الكثير من أولادنا هم مواليد هذه البلاد، وهم بذلك من خملة الجواز البريطاني إلا أنه ليس في استطاعتهم الحصول على عمل، كما أنهم لايلقون معاملة منصفة ».

إن المسلمين البريطانيين يعانون من إحباط على نطاق واسع، وإن هذا الشعور بالإحباط له أسبابه القوية. تشير حسابات دائرة التوظيف إلى أن نسبة العاطلين عن العمل بين الشباب (١٦ ــ ٢٤ سنة) المنحدرين من أصل باكستاني وبنغالي تصل إلى ٣٧٪، وهي تعتبر أعلى نسبة بالمقارنة مع أي طائفة عرقية أخرى في بريطانيا.

ويقوم المسلمون في بريطانيا بحملة تهدف إلى إقناع الحكومة بسن قوانين هجرة أكثر إنصافاً، وإلى توفير فرص عمل متكافئة، كما يطالبون بتخصيص حصص دينية إسلامية خاصة في المدارس، وإلى الاعتراف بقوانين الشريعة الإسلامية في الزواج والميراث وإلحاقها بقانون الدولة، وفي الحقيقة لقد بذل المسلمون في هذا المضمار جهوداً كبيرة لعدة سنوات، إلا أن الحكومة لم تلق لهم بالاً، حتى جاء رد الجالية المسلمة على كتاب رشدي عنيفاً جداً، وقد تكون هذه المسألة على ماتثيره من قلق، حافزاً لتحول اجتماعي أكثر عمقاً، يكون الإسلام هو نقطة ارتكازه.

يقول الدكتور (شابير أختر) وهو من المتخصصين في حقل تاريخ الأديان، وكان قد حاز على تجربة في هذا المضمار من جامعة ألبيرتا في كندا ويقيم حالياً في برادفورد: « إن جوهر القضية هو أن الشباب الآسيويين وجدوا فجأة من يقتدون به في صفوف المسلمين الملتزمين، ففيما مضى كان الاجتماعيون العلمانيون وزعماء التحرر هم الذين يتكلمون باسم الجالية الباكستانية، أما الآن فإن ذلك قد تغير كلية، فدعاة التحرر يريدون أن يجعلوا من قضية العرق وقضية المرأة والرجل عناصر بديلة عن الدين ــ في عملية سن القوانين ».

لقد افتقد مسلمو بريطانيا في الماضي أي شكل من أشكال المنظمات الوطنية

أو الدينية، كالكنيسة الأنكليكانية أو الكاثوليكية، أو العقيدة اليهودية، أما الآن فإن المجالس الإسلامية آخذة بالتكون على الصعيدين الإقليمي والوطني، وهذه المجالس هي المسؤولة عن تنظيم المظاهرات الكبرى التي تطوف شوارع المدن البريطانية، كما أصبح عدد من قادة المسلمين يتمتعون بمكانة على الصعيد الوطني، ولربما تحولت جهود هؤلاء القادة فجأة إلى حركة واسعة النطاق.

مجلة الجمعية الجغرافية البريطانية ، كانون أول / ١٩٨٩ م

□□□□□□□□□

تنويه وتصحيح

نشكر الأخ محمد سلطان موسى ــ كلية التربية أبها على تنبيهه لنا على الخطأ الوارد في ص ٢٨ أول العمود الثاني من العدد ٢٤ في الآية الكريمة ، وصوابها:

﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون . سيقولون لله قل أفلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون لله قل أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون . سيقولون لله قل فأنى تسحرون ﴾ .

خبر ... وتعليق

١ ــ بمناسبة خروج الزعيم الأفريقي (نلسون مانديلا) من سجنه في دولة جنوب أفريقيا. سألت صحيفة (الشرق الأوسط) الكاتب فهمي هويدي عن رأيه فقال: « المسلمون هم أولى الناس فرحة بإطلاق سراح مناضل أفريقي كبير مثل مانديلا، وبكل خطوة تتخذ على صعيد تحقيق المساواة بين بني الإنسان ».

تعليق:

لاشك أن المسلم يكره التمييز العنصري، ويحارب ماتمارسه دولة جنوب أفريقيا وأمثالها، ويفرح لأي انتصار للحرية على الظلم، ولكن السؤال الموجه إلى الأستاذ هويدي: لماذا لم نر لك فرحاً بمجاهدة الأفغان للطغيان الشيوعي، ولماذا لاتكتب عن المجاهد عبد الله عزام أو الأبطال الذين جاهدوا الظلم والطغيان ولايزال كثير منهم في السجون حتى الآن؟!.

★ ★ ★

٢ ــ تدفق اليهود السوفييت على إسرائيل وباتفاق ومباركة من روسيا وأمريكا، وشعرت إسرائيل بالقوة وأنها بحاجة إلى الأرض لتوطين هذا العدد الكبير من اليهود. وكان رد فعل الجانب العربي هو (تصاعد الانتقادات والاحتجاجات)!!

وعقد ياسر عرفات اجتماعاً مع نائب وزير خارجية روسيا و (أبدى الجانب السوفييتي تفهمه)!؟

وفي نيويورك قال مندوب الجامعة العربية: إن الدول العربية تنظر بقلق شديد إلى موضوع الهجرة، وأن العرب في الأمم المتحدة سيشكلون لجنة لمواجهة هذا الأمر!!

تعليق:

رجعت حليمه لعادتها القديمه، ورجعت مهازل الاحتجاجات والشكوى وتشكيل اللجان، ورجعت الكلمات السمجة المزرية (ننظر بقلق). ومن يهن يسهل الهوان عليه.

واحـة البيـــان

مرض الروح

قيل للشعبي : تمرض الروح ؟ قال : نعم من ظل الثقلاء ، قال بعض أصحابه فمررت به يوماً بين ثقيلين ، فقلت كيف الروح ؟ قال : في النزع .

وقيل للأعمش : مم عمشت عيناك ؟ قال : من النظر إلى الثقلاء

العمـــل

اغلب عدوك بالعمل

لا بالكلام المرتجل

فالفعل يبني أمة

أما الكلام فيبتذل

محمد الأزهري

تغـــذيـــة

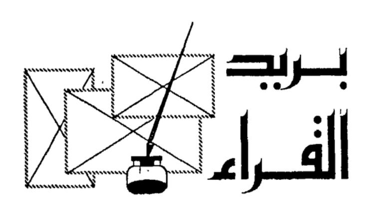
أكدت دراسة طبية أمريكية أن استهلاك زيت الزيتون الذي يعتبر من أساسيات التغذية في حوض البحر المتوسط يخفض من نسبة الكولسترول والسكر في الدم .

حكم وطرائف

ـــ مادام الإنسان يجلس فلا يعرف إن كان أعرج أم لا .
ـــ مادام الإنسان ينام فلا يعرف إن كان أعور أم لا .
ـــ مادام الإنسان يصمت فلا يعرف إن كان كاذباً أو صادقاً .

قرأت أخيراً

ـــ مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا .
ـــ العثمانيون في التاريخ والحضارة للدكتور محمد حرب .
ـــ برنامج عملي للمتفقهين للدكتور عبد العزيز القارىء .
ـــ حوار هادىء مع الشيخ الغزالي .



جاءنا من الأخ عبد الله البراك ـ الرياض رسالة نعرض ملخصاً لها :

« .. فإن القضية الأفغانية هي قضية كل مسلم، والبيان تولي اهتماماً كبيراً لهذه القضية، ولي ملاحظة على ماكتب في العدد (٢٤) فقد كتب الأخ عبد الرحمن نموس عن الدور الإيراني في القضية الأفغانية وأثنى على الأحزاب الجهادية من أهل السنة والجماعة، وأن لهم دوراً مشرفاً في الجهاد الأفغاني... ثم قال: وكل مافي الأمر أنهم لم ينصهروا تحت الاتحاد السباعي لأمور سياسية.ا هـ . وهذا الكلام فيه تجن ومخالفة للواقع المحسوس، فالمتهم بهذا غيرهم، ثم هل صدر من الجماعة المذكورة قول يؤكد ذلك أو يخالفه، والحكم في ذلك ماصدر عنهم من كتب أو نشرات ... »

البيان :

ونحن بدورنا نطلب من الأخ عبد الرحمن نموس توضيح هذه النقطة، وماذا يقصد بالأمور السياسية ولكن نقول للأخ البراك: منذ البداية دعونا جماعات أهل السنة إلى الاتحاد والتعاون، وحذرنا من أمثال المجددي. والظروف الصعبة التي يمر بها المسلمون تحتم عليهم التعاون والتناصر ماداموا ضمن إطار أهل السنة.

١ ـ مدرسة المنتدى الابتدائية

منذ أن تأسس المنتدى الإسلامي في لندن كان من أهدافه الأساسية إنشاء مدرسة تنقذ أولاد المسلمين من التأثر بسلبيات الثقافة الغربية، والمسلم الذي يعيش في الغرب هو أكثر الناس معاناة لهذه المشكلة، فهو يرى ابنه كيف يتأثر ويمسخ عقله ولا يستطيع أن يفعل شيئاً، فالتعليم إجباري ولابد أن يرسل ابنه إلى المدرسة، وكنا في المنتدى نحس بوطأة هذه المشكلة، ولكن ظروف إيجاد البناء المناسب والمناهج والمدرسين وأن المدرسة ستكون خاصة، لأن الدولة هنا لاتدعم مثل هذه المدارس كل هذا كان يؤجل بداية المشروع.

وفي هذه السنة وبتوفيق من الله سبحانه وتعالى تم افتتاح مدرسة المنتدى الابتدائية، وقد بدىء بالسنتين الأولى والثانية حتى تكون الخطوات متزنة وحتى يتم اكتساب الخبرة المناسبة.

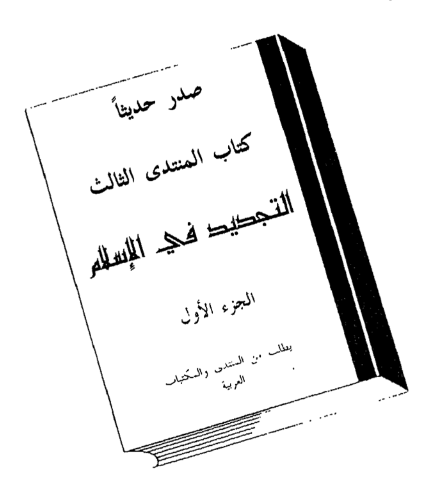
والمدرسة تعمل على إيجاد جو إسلامي متكامل يفتقده المسلمون في هذه الديار يوفر للأطفال تعليم أمور دينهم ولغتهم، ووجود هذه المدرسة في لندن يوفر للجالية الإسلامية المناخ الطيب لتربية أبنائهم.

والمدرسة خاصة ؛ واعتمادها الكلي على الأقساط المحصلة من الدارسين لتمويلها وهذا قد يشكل عبئاً لايحتمله كثير من الآباء لذلك لابد من التفكير في جعلها ذات أقساط ممكنة التسديد من قبل الجالية الإسلامية التي قد لاتكون في وضع مادي مريح .

لذلك فإن المساهمة بتمويل هذا المشروع ومساعدته على تقديم خدمة ضرورية للمسلمين هو من الواجبات التي تُندب لها همم أهل الخير.

٢ ــ سيتم افتتاح مدرسة نهاية الأسبوع في المنتدى الإسلامي: بتاريخ ٢٤/٢/٩٠ والغاية منها تعليم القرآن واللغة العربية والثقافة الإسلامية للأولاد الذين يدرسون في المدارس الحكومية، وفيهم الكبار والصغار، والذين هم بأشد الحاجة إلى تعلم مايربطهم بدينهم ومايشدهم إلى عقيدتهم.

وسيكون التدريس كل يوم سبت من الساعة العاشرة صباحاً وحتى الساعة الرابعة بعد الظهر.



ظلم ذوي القربى

عبد القادر حامد

أحد القراء من اليونان أرسل إلينا يشكو من محاربة بعض الإخوة المسلمين لمجلتنا (البيان) ويستغرب ذلك ويظهر ألمه وأسفه، وجواباً على ذلك نقول للأخ الكريم:

الاستغراب معقول ومفهوم، ولكن الألم والأسف لاينبغي أن يتطرق إلى النفس من هذا العمل. فنحن نعلم أنه منذ صدور العدد الأول من مجلة « البيان » لم يرق ذلك لبعض الذين يدعون تمثيل العمل الإسلامي، وأنهم ناصبوها العداء، وتجنبوها بالتجاهل والتحذير الهامس، ولم يسمحوا لها أن تعرض في واجهات مكتباتهم ونواديهم، مع أن هذه الواجهات لاتخلو من عرض الصحف والمجلات التي لانقول إنها لاتمثل الفكر الإسلامي، بل إن منها ماتخصص في تنقص المسلمين وحرب قضاياهم، وتكبير خلافاتهم، والتحامل عليهم. وإن الإنسان ليدركه العجب، وتعروه الدهشة من كيل المدائح التي تكال لكثير من أعداء الإسلام المكشوفين من قبل أناس يتواصون فيما بينهم من التحذير من مجلة البيان ومقاطعتها.

ولكن كل ذلك لايجوز بحال أن يثنينا عن مهمتنا التي نصبنا أنفسنا من أجلها، فإن الحق أبلج، و (الشمس لاتغطى بغربال)، وإننا نضع مثل هذه الأساليب في حرب منبر من منابر الدعوة في نصابه الصحيح، فلانقول مثلاً إن هذا تآمر من أعداء الإسلام علينا، ولا أن الذين يحاربوننا بمقاطعة مجلتنا مندسون لتخريب العمل الإسلامي، بل نقول: إن الذي يدفع إلى هذه الأعمال ضيق في الأفق، وعصبية حزبية، وحسد مبعثه الكبر وغمط الناس من قبل إخوة كان من المتوقع أن يكونوا عوناً على كل كلمة صادقة وجهد جاد.

هذا مع أننا لانستنكف عن عرض أي مطبوعة إسلامية تتبنى قضايا الإسلام والمسلمين ضمن إطار أهل السنة والجماعة، وليس عندنا عقد تجاه أي مجلة صدرت أو ستصدر، وحالنا مع هؤلاء كقول الشاعر:

وإن الذي بيني .وبين بني أبي	وبين بني عمي لمختلف جدا
فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم	وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
ولاأحمل الحقد القديم عليهم	وليس كبير القوم من يحمل الحقدا



العدد السابع والعشرون : رمضان / ١٤١٠ هـ ـ نيسان (أبريل) ١٩٩٠ م

مجلة إسلامية شهرية جامعة
تصدر عن

المنتدى الإسلامي

لندن

رئيس التحرير

محمد العبدة

المراسلات والاشتراكات

AL-MUNTADA AL-ISLAMI TRUST

7 Bridges Place, Parsons Green
London SW6 4HR U.K.
Tel.: 01-731 8145
Fax.: 01-736 4255

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتوى

بل ظاهرة أصيلة عامة

من الأفكار التي يحاول أعداء الإسلام إشاعتها بالإلحاح بتردادها أن عودة المسلمين إلى التمسك بدينهم ووضعه في الاعتبار ليست ظاهرة أصيلة عامة، وإنما هي ظاهرة جزئية يقوم بها شباب يائس يعيش تحت ضغط ظروف اجتماعية واقتصادية صعبة ، وأغلقت في وجهه كل الأبواب، فلجأ إلى الإسلام كنوع من الهروب من مشاكله، وصنع لنفسه جواً يشعر فيه بالأمان والاطمئنان!

وقد جعلوا من عودة الشباب المسلم إلى الاعتزاز بعقيدته وإحلالها المحل الأول من حياته نوعاً من أحلام اليقظة التي لاتعدو ــ عند الإغراق فيها ــ أن تكون مرضاً نفسياً يحتاج إلى علاج !.

وهذه النظرة القاصرة المغرضة نابعة ابتداءً إما من التحامل على الإسلام كدين ، والكراهية العميقة له ؛ وإما من الآثار الفكرية للمبشرين والمتربين في معاهدهم ودهاليزهم . أي أنها تعود إلى سببين رئيسيين :

أ ــ كره للأديان عموماً والإسلام خصوصاً.

ب ــ جهل عميق بالإسلام ؛ كيف ينتشر وكيف ينحسر .

إن هذه التحليلات المغرضة التي تمتلىء بها الصحف والمجلات أجنبية وعربية عن أسباب رجوع الإنسان إلى عقيدته تبدو مضحكة في كثير من الأحيان ،

كما تبدو سمجة وثقيلة، وماأشبهها بكلام كثير من المستشرقين عن الإسلام وأحكامه؛ وعن شخصية الرسول محمد ﷺ ، بل إن هذه التحليلات امتداد لذلك الفكر الذي أرساه المستشرقون ، وعمل على ترسيخه أولياؤهم في عالمنا الإسلامي.

ونحن نقول : إنه على الرغم من غثاثة هذا الفكر وسطحيته فإنه يجد من يسمعه ويتعلق به ويعجب به من بيننا . ويساعد على ذلك أن هناك تقصيراً سببه تقاعس أهل الفكر الصحيح ، وأجواء فكرية تحدث من تكاسل هؤلاء ؛ وجرأة أهل الباطل التي تحتضن الغث وتروجه ، وتقصي النافع وتشوهه .. لكن الذي يفوت هذه التحليلات هو طبيعة الإسلام كعقيدة ، وطبيعته في التفاعل مع الحياة، ويظنون أن العقيدة الإسلامية إذا كانت في حالة ضمور فهي في طريقها إلى الموت دائماً . نعم ، قد يوجد من تَضْمُر عقيدته ، ثم تموت ، ولكن هؤلاء نسبتهم قليلة ، وبما أن الساحة ليست لهؤلاء فقط ، حتى لو حُوْول إخلاؤها لهم بكل السبل ، فإن من طبيعة البشر عامة أن تستخدم الاستقراء والاستنتاج كعمليات منطقية بسيطة ، فتدرس الظواهر هنا وهناك ، وتستنتج منها نتائج تعمل بمقتضاها. والمسلم إنسان قبل كل شيء ، لو نظر حوله لوجد عشرات ومئات الظواهر والدلائل التي تلفته إلى دينه لفتاً ، وتجعله يقتنع أنه لا يتلاعب به المتلاعبون ولا تجوز عليه الدعاوى والخدع إلا إذا كان رقيق الدين ضحل العقيدة. هذا على المستوى الفردي .

أما على المستوى الجماعي ــ سمه القومي أو الوطني إن شئت ــ فإنه كما يستعبد فرد فرداً ، ويهضم قوي حق ضعيف ؛ فإن أمماً تأكل أخرى ، وتذوب حضارات وتندثر وتبنى على أطلالها حضارات ، ولا يودي بالأمة سوى ضعف العقيدة ، وانحلال الروابط الدينية التي تجمع أفرادها ومؤسساتها ، وعندما تنهزم الأمة نفسياً، فتتخلى عن قيمها ومفاهيمها ، وتجلب قيم ومفاهيم القويّ تطبقها راضية مختارة بلا تمحيص وبلا خجل ؛ فهذا هو الانهيار والاندثار والذوبان بعينه . وقد ينخدع بعض الناس فتنعكس عندهم السنة الكونية التي تقول: « حيث يكون الحق تكون القوة » فتصبح في نظرهم : « حيث تكون القوة يكون الحق » وهذا هو طريق الشيطان كما قال تعالى : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر والفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم ﴾ [البقرة/٢٦٨] وهكذا فإن من طبيعة المسلم أنه يمكن أن يؤوب إلى الحق ، وإلا لما كان هناك

من التوبة ، ويمكن أن يراجع نفسه فَيَصْدُقها وتَصْدُقه ، والله يحوطه ويرعاه سواءً كان مهتدياً أو ضالاً ، وهو رحيم بعباده يصرِّف عليهم العبر والحوادث ، ويمتحنهم بالمصائب والرغائب ، ﴿ إن الذين اتقوا ؛ إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ، فإذا هم مبصرون ﴾ [الأعراف / ٢٠١] « ياعبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم » [جزء من حديث أبي ذر المشهور الذي رواه مسلم].

وكما يتوب المسلم عن الفواحش كالزنا ، وشرب الخمر ، والاستهتار بالمحرمات كذلك يتوب عن إهمال أمر الدين وعدم إحلاله المحل الأول في حياته وعن التغني بالشعارات والبدع التي تستورد من أعداء الله شرقاً وغرباً ، ويتوب عن تجزئة الإسلام أجزاءً ؛ فهذا يرفضه ، وهذا يقبله ، وهذا ضروري؛ وهذا هامشي ! وعن قياس الإسلام على سائر النحل والأديان الأخرى ، واعتبار حاله بأحوالها ، وعن تضييق المفهوم الرباني للإسلام وتقليصه إلى أن يقتصر على هذه الحركات التي تمارس في المسجد ، وإلى هذه التراتيل التي تسمع عند موت شخص ، ولا شيء بعد ذلك .

وباختصار ، فكما تكون التوبة من الموبقات الخلقية والسلوكية وارتكاب الفواحش ، والتهاون بأركان الإسلام ؛ تكون أيضاً من الموبقات والفواحش الفكرية والعقيدية الشائعة . وإذا شئنا أن نناقش تحليلات هؤلاء الجهلة بظواهر الأمور ــ فضلاً عن جهلهم بنوايا المسلمين الذين يرجعون إلى دينهم زرافات ووحدانا ــ فإن الأسباب الاقتصادية والاجتماعية التي يذكرونها لاتكفي وحدها لتفسير ذلك ، وهذا تكذيب للواقع ، وإساءة إلى هذه الجموع العريضة من الشباب المسلم الذي يجتهد في إثبات عقيدته والتمسك بهدي ملته ، وتشكيك بتوجه هؤلاء ؛ فلو كان العامل الاقتصادي هو الدافع فما بالنا بهؤلاء الذين اختاروا هذا الطريق على الرغم من البحبوحة التي يعيشون فيها ؟ ماذا يدفعهم إلى هذا ؟ أهو طمع في الزيادة ؟

ثم مابال هذه الجماهير التي ذاقت بسبب تمسكها بعقيدتها كل أنواع المحن من قتل وسجن وتضييق وتشريد .. ومع هذا لم ترض الدنية في دينها ،

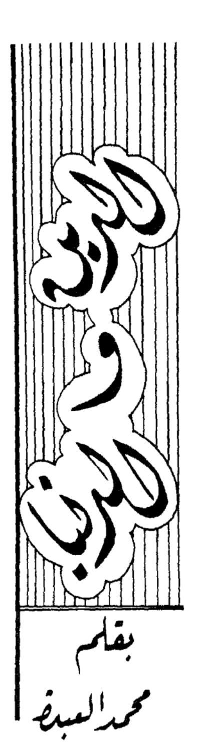
ولم تفتنها التهديدات ولا الإغراءات عن التخلي عما تؤمن به ؟!

إن طرق المغريات المادية والمعنوية لم تزل مفتوحة أمام طلاب الدنيا ، وماعلى الإنسان الذي يريد المطامع الدنيوية إلا أن يشير ولو إشارة إلى امتعاضه من المظاهر الإسلامية ، ويتهجم على هذا التيار من الفهم والتفكير الذي يُحس ويلمس بين الجماهير المسلمة ؛ حتى يُحْتَضَن وترفع درجته لينصب إما أديباً عبقرياً ، أو مفكراً مستنيراً جريئاً ، وبعد أن يكون نكرة فقيراً مطوياً في براثن الإهمال والضعة ؛ يصبح معرفة غنياً طافياً على سطح المجتمع .

إن تفسير رجوع الناس إلى دينها هذا التفسير الفج مثل تفسير كارل ماركس للتاريخ ، وبقدر تهافت الماركسية وانهيارها ؛ ستنهار هذه التفسيرات والتحليلات إن شاء الله . وهذا التفسير والتفسير المادي للتاريخ هو نفسه تفسير المستشرقين والمستغربين للفتوح الإسلامية بأنها فتوحات وهجرات اقتصادية خرج فيها العرب من جزيرتهم تحت ضغط الحاجة ، وانساحوا في البلاد للنهب والسلب لتحسين وضعهم الاقتصادي ! وهكذا تجرد هذه الموجات الكاسحة من الشباب المسلم من أي دافع مشروع ، ومن أي هدف نبيل ، وتشوه صورتها لتبدو موجات مسعورة ، تنشر الفوضى والتخريب ، ليكون ذلك مسوغاً لضربها أو علاجها بكافة الطرق ، تجرد هذه الجماهير من الأحفاد كما جردت أجدادها من الغايات السامية ، والأهداف العظيمة ، وتصاغرت تضحياتهم ودماؤهم المسفوحة في كل ربوة ، وفوق كل ثرى لتكون من أجل البحث عن لقمة الخبز فقط ، أما سبيل الله ، والجنة ، وجزاء الصابرين ، وغسل العار ، والعزة الإيمانية ، وحرب الظلم والطغيان ، والرباط ، والشهادة ، ومن هو في سبيل الله ، ومن هو في سبيل الشيطان . كل ذلك لا قيمة له ولا وجود له في نظر علماء الاجتماع الذين يبحثون في الظواهر الإسلامية وهم يعيشون خارجها.

ولكن أنى لإنسان أن يصف لك ألمك كما تشعر به حتى ولو كان طبيباً ألمعياً ؟

تشتكي ماشتكيتُ من ألم الشو ... قِ إليها والشوقُ حيث النحول
وإذا خامَرَ الهوى قلبَ صب ... فعليه لكل عين دليل □



وترى الدنيا انطوت في كسبه
ليس فيها ذرة في قلبه
(إقبال)

كيف اختل التوازن:

لاشك عندنا أن الصحابة رضوان الله عليهم هم القدوة وهم النموذج في فهم الإسلام، وأقوالهم وأفعالهم هي التي تدل على هذا الفهم، وبالرجوع إلى سيرتهم نجد أن حياتهم كانت طبيعية ليس فيها تكلف وتعمق، يأخذون بالأسباب في الكسب من تجارة وزراعة أو عمل يدوي، ويخصصون جزءاً من أوقاتهم للعلم، وإذا دعا داعي الجهاد فهم الرجال، وفيهم الأغنياء دون بطر، والفقراء مع التعفف، كانوا أبعد الناس عن التهالك على الدنيا، فتحوا البلدان وأنشأوا المدن، وأقاموا الدول.

الخلل إذن جاء بعدهم، جاء من يقول: إن الدنيا ضرة الآخرة وليست طريقاً لها، وأشاع الزهد بمعنى ترك الدنيا وعدم الاهتمام بها، ويمكن أن نعدد بعض الظواهر التي أدت إلى هذا الخلل:

١ ــ الزهد الأعجمي:

نقل الصوفية إلى المجتمع الإسلامي فلسفات

الهند في تعذيب الجسد وحب (الفقر) كما نقلوا رهبانية النصارى، وروجوا هذه البضاعة باسم الزهد المشروع، وحاولوا تأييد هـذه (الرهبنة) بذكر ماكان عليه الجيل الأول من السمو حيث لم تكن الدنيا في قلوبهم وراحوا يذمون الدنيا بمناسبة وبغير مناسبة، وساعدهم على ذلك القصاص الجهلة، الذين وجدوا الكلام في هذا الموضوع من الأشياء المحببة لدى الجماهير، وهكذا أصبحت مرتبة الزاهد الذي لايتكسب ويعيش في زاوية أو رباط هي أعلى المراتب، وسمع المسلمون وأعجبوا بمن يقول: « لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالاً ولا أحاسب بها في الآخرة لكنت أتقذرها كما يتقذر الرجل الجيفة » (١).

ووضع هؤلاء الصوفية كلام الله سبحانه وتعالى عن الدنيا أو كلام الرسول ﷺ في غير موضعه، ولم يفهموه حق الفهم، وقد أدبنا الله سبحانه وتعالى في القرآن بأن نذكر القضية ونقيضها حتى يتم التوازن، فلا يذكر عذاب النار إلا ويذكر نعيم الجنة، ولايذكر الفجار إلا ويذكر الأبرار، فعندما نذم الدنيا يجب أن نبين على أي شيء يقع الذم.

يقول الشيخ رشيد رضا: « ومن أضر ماحدث بعد الخلفاء الراشدين الغلو في التزهيد، وحمل الناس على الاعتقاد بأن الدنيا ضرة الآخرة على الإطلاق، ومن أكبر المصائب أن هذا التعليم كان ديدن الخطباء والوعاظ، فزرع أهله في قلوب الأمة الإسلامية فسيل الكسل، وما التكايا التي أحدثها المسلمون إلا كالأديار عند النصارى » (٢). « والذين لبسوا لبوس الصالحين نفثوا في الأمة سموم المبالغة في التزهيد، وأكثرهم يريد إنفاق كسب الكاسبين عليهم وهم كسالى لزعمهم أنهم بحب الله مشغولون » (٣).

هؤلاء البطالون الذين لايريدون الكد والتعب، ويتخوفون الصراع مع الأعداء، يلجأون إلى حيلة الزهد والانزواء وكيف يكون إذن التمكين في الأرض والحكم بشريعة الإسلام،

---

١ ـــ شرح حديث الزهد لابن رجب / ٧٥.
٢ ـــ المنار : ٣٣ / ١٧٥ .
٣ ـــ المنار : ٤ / ٣٨٣ .

وهذا كله يختلف عن الاغترار بالدنيا والانغماس في شهواتها.

٢ ــ الخلل في فهم طبيعة الإنسان:

قد يظن بعض الناس أن الأمور الدنيوية أو اللذات الحسية هي نقص في الإنسان بتأثير من الفلاسفة الذين يفكرون تفكيراً خيالياً، ورهبان النصارى الذين يستقذرون الأمور الحسية وهذا غير صحيح، بل هي بوجه من الوجوه كمال إذا لم تطغ، وإذا لم تصرفه عن الآخرة « والدليل على أن اللذات الجسدية ليست نقصاً: أن عالم الآخرة لايخلو منها، فهو عالم يكون الإنسان بهخ في أعلى أوج الكمال، فيستوفي جميع اللذات الروحية والجسدية من غير عناء ولا شقاء ولا جهاد ولابلاء » [1] ومن هذا الباب يشنع النصارى على نبينا عليه الصلاة والسلام كثرة الزواج، ويحاول بعض المسلمين الرد عليهم بأساليب تبريرية، فالأكل والشرب والزواج ليست عيباً في الإنسان، لأن طبيعته ليست من جنس الملائكة.

٣ ــ أسباب نفسية:

عندما يفشل بعض الناس في الحياة ولايستطيعون إعمار الدنيا بالخير والتمكن فيها، واستخلاصها من أيدي الكفار، عندنا يلجأون إلى حيلة نفسية وهي التركيز على الزهد، وإقناع النفس أن نعيم الدنيا زائل، والكفار لهم الدنيا ونحن لنا الآخرة، وربما في دخائلهم يحبون الدنيا حباً جماً، لقد انتشر التصوف وازداد بعد ضعف الدولة الإسلامية أو فشلها في الوقوف أمام زحف التتار، فكثرت الزوايا والربط والهروب السلبي من متطلبات الكفاح.

عودة إلى المفهوم الإسلامي:

١ ــ إن ماجاء عن الرسول ﷺ من ذكر للدنيا يفهم منه إلا التحذير أن يتنافسها المسلمون فتهلكهم، وإلا أنها لاتساوي شيئاً بالنسبة للآخرة لأن الرسول ﷺ اشتغل بها، فقد دعا وجاهد وأسس دولة الإسلام، وكان بعض كبار الصحابة من الأغنياء، ولم يدعهم الرسول ﷺ إلى ترك المال وترك الاشتغال بالتجارة.

وكذلك ذم الدنيا الوارد على

---

١ ــ المنار ١٠٠/٣.

لسان بعض العلماء « إنما هو راجع إلى أفعال بني آدم التي تقع على غير الوجه الذي تحمد عاقبته » (١).

٢ ـــ ربما يتكالب الناس على الدنيا في زمن معين أو في بلد معين، فيأتي عالم رباني ويتكلم عن الدنيا وموقعها بالنسبة للآخرة وذلك فيما يرد الناس إلى التوسط والتوازن، فهذا صحيح، وهذا يختلف عن الذي يجعل الفقر هو الأصل، ويذم الدنيا دائماً.

ذكر الخلال في كتابه (الحث على التجارة) حديثاً عن عائشة رضي الله عنها قالت: « كان أبو بكر رضي الله عنه أتجر قريش حتى دخل في الإمارة » ثم أتى برواية عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه لم يستطع الجمع بين التجارة والعبادة، وقد علق محقق الكتاب أن الخلال ساق أثر أبي الدرداء ليبين أنه حالة خاصة بمن لديه سعة من المال لينفق على العيال ثم ساق كلام الذهب (الأفضل الجمع بين الأمرين).

٣ ـــ الإسلام يحث على العمل والكسب: قال سفيان بن عيينة : « ليس من حب الدنيا أن تطلب منها مايصلحك » وعن الإمام أحمد بن حنبل « أحب الدراهم إلي درهم من تجارة، وأكرهها عندي الذي من صلة الإخوان » (٢).

وعن سعيد بن المسيب: « لاخير فيمن لايطلب المال يقضي به دِيْنه، ويصون به عرضه، ويقضي به ذمامه، وإن مات تركه ميراثاً لمن بعده » (٣) .

وقد جاء في القرآن عن داود عليه السلام : ﴿ وعلمناه صنعة لبوس لكم ﴾ [الأنبياء/ ٨٠] وصح عن زكريا عليه السلام أنه كان نجاراً، وأما مااشتهر بعدئذ من احتقار للمهن، فهذا شيء أُتي به المسلمون من قبل الفلاسفة اليونانيين الذين كانوا يعظمون العمل القعلي ويحتقرون المهن، ويرتبون المجتمع طبقات حسب أهوائهم، إن كتب بعض العلماء توحي بالاحتقار للمهن كقول

١ ـــ شرح حديث الزهد لابن رجب / ٤٧.
٢ ـــ أبو بكر الخلال: الحث على التجارة والصناعة / ٣٥ ، تحقيق محمود بن محمد الحداد.
٣ ـــ المصدر السابق / ٨٠.

الإمــام المــاوردي: « وأشرف الصناعات صناعة الفكر وأرذلها صناعة العمل » [1] وهذا قد يكون من أسباب تخلف المسلمين في الصناعة في الوقت الذي تقدم فيه الأوربيون واستعمروا العالم.

٤ ــ إن الاستمتـاع بالدنيـا وملاذها والترفه فيها وإن كان بالحلال، ولكنه يوشك أن يؤدي بالمؤمن إلى حبها والتعلق بها، فالمؤمن يبقى حلى حذر منها ويبتعد عن مواطن الزلل والشبهات، ويعود نفسه على العيش الخشن حتى يكون على استعداد للجهاد في أي وقت، وهذا لايمنع من لبس الثوب الحسن والنعل الحسن كما سأل أحد الصحابة رسول الله ﷺ عن التجمل بهذا وحبه للنظافة في مسكنه وثوبه فقال الرسول ﷺ: « إن الله جميل يحب الجمال » وهذا لاينقص درجته عن الذي يفضل الخشونة في مأكله أو ملبسه. وأما الآية ﴿ أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ﴾ [الأحقاف/٢٠] قال الشيخ الشنيقيطي في تفسيرها:

« التحقيق إن شاء الله في مثل هذه الآية هو أنها في الكفار وليست في المؤمنين الذين يتمتعون باللذات التي أباحها الله لهم لأنه تعالى ماأباحها لهم ليذهب بها حسناتهم » [2].

وقال سعيد بن جبير: متاع الغرور مايلهيك عن طلب الآخرة، ومالم يلهك فليس بمتاع الغرور، ولكنه متاع بلاغ إلى ماهو خير منه.

والخلاصة أنه لابد من التوازن الدقيق في هذه المسألة، فلا تكن الدنيا أكبر همنا، وفي نفس الوقت لانغتر بترهات الصوفية وتخبطات القصاص الوعاظ، ونحن لانريد تضخيم دور المال ولكن واقع البشرية اليوم يقول إن للاقتصاد دور بالغ، ونعم المال الصالح للعبد الصالح، وكيف تقوى الدعوة الإسلامية دون أخذ الأسباب، وكيف نريد من شعوب تعيش على فتات موائد الغرب أن تنهض وتساعد في إقامة حكم الله في الأرض .

ولهذا قلنا: إنها معادلة صعبة □

١ ــ أدب الدنيا والدين، تحقيق د. محمد صباح / ٢٤٣.
٢ ــ أضواء البيان ٣٩٣/٧.

فتاوى في الصيام

أعدها وجمعها: محمد صالح المنجد

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين، وبعد:
فهذه طائفة من أحكام الصيام، مجموعة من كلام أهل العلم، من المتقدمين والمتأخرين، بطريقة السؤال والجواب.

س : ماهو فضل الصيام ؟

ج : في ذلك آيات وأحاديث كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ قال أهل التفسير: هم الصائمون.
وقال ﷺ : « إن في الجنة باباً يقال له الريان: يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لايدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون، فيقومون فيدخلون منه، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد » (وفي رواية: من دخل شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً » [صحيح الجامع الصغير، رقم ٢١٢١، وانظر صحيح الترغيب ١/٤١٠].

وفي الصحيحين، قال رسول الله ﷺ: « قال الله عز وجل، كل عمل ابن آدم له (وفي مسلم: يضاعف الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف) إلا

الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جُنّة (وفي رواية صحيحة: يستجن به العبد من النار).

وفي حديث يحيى بن زكريا: « وأمركم بالصيام، ومثل ذلك كمثل رجل معه صرة مسك في عصابة، كلهم يجد ريح المسك، وان خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » [صحيح الجامع الصغير رقم (١٧٢٠)].

س : ماحكم من صام رمضان استشفاءً من مرض أو تخفيفاً للوزن؟

ج : إن اقتصرت نيته على هذا فليس له في الآخرة من نصيب، قال تعالى: ﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد، ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً. ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن، فأولئك كان سعيهم مشكوراً ﴾ [الإسراء/١٩ ــ ١٩].

ويجب أن تكون نية المؤمن مطابقة لحديث رسول الله ﷺ: « من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ماتقدم من ذنبه » [صحيح الترغيب ٤١٥/١]. وينبغي على الدعاة أن يبينوا للناس معنى كلمة (احتساباً) ويدعوا ذكر الفوائد الدنيوية للمؤلفة قلوبهم.

س : كيف يحكم بدخول شهر رمضان؟

ج : بأحد أمرين:
ــ الأول: رؤية هلاله، لقوله تعالى: ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾. فإذا أعلن ثبوته مصدر موثوق وجب العمل بذلك.
ــ الثاني: إكمال شعبان ثلاثين يوماً، ولا مانع من توالي شهرين أو أكثر في السنة الهجرية كل منها ٢٩ يوماً أو ٣٠ يوماً.

س : إذا أسلم الكافر، أو بلغ الصبي، أو شُفي المريض، أو أقام المسافر، أو طهرت الحائض، أثناء النهار في رمضان فماذا يجب عليهم من جهة الإمساك والقضاء؟

ج : إذا أسلم الكافر، أو بلغ الصغير، أثناء النهار لزمهما إمساك بقية اليوم وليس عليهما قضاؤه، ولا قضاء الأيام التي قبله من الشهر، لأنهما لم يكونا من أهل الوجوب عند الإمساك.

ـ وإذا شُفي المريض، أو أقام المسافر، أو طهرت الحائض، فالأحوط الإمساك بقية اليوم (للخلاف في المسألة) وعليهم قضاء هذا اليوم، ومافاتهم قبله.

والفرق بين القسمين: أن القسم الأول تحقق لديهم الشرط. أما القسم الثاني فقد زال عنهم المانع.

س : متى يؤمر الصبي بالصيام؟

ج : قال الخِرَقي: وإذا كان الغلام عشر سنين، وأطاق الصيام أُخذ به.

قال ابن قدامة: واعتباره بالعشر أولى، لأن النبي ﷺ أمر بالضرب على الصلاة عندها، واعتبار الصوم بالصلاة أحسن لقرب إحداهما من الأخرى، واجتماعهما في أنهما عبادتان بدنيتان من أركان الإسلام، إلا أن الصوم أشقّ فاعتبرت له الطاقة، لأنه قد يطيق الصلاة من لايطيقه. [المغني مع الشرح ٣/٩٠].

فما بالك أيها الأخ المسلم بمن يمنع أولاده من الصيام رحمة بهم بزعمه !!

س : رجل بلغ من الكبر عتياً، وأصبح لايعرف أولاده، ولا الجهات الأصلية، فماذا عليه في الصوم؟

ج : إذا كان الواقع ماذكر، فليس عليه صلاة ولا صيام ولا إطعام. وإذا كان يعود إليه عقله أحياناً، ويذهب أحياناً: فإذا عاد إليه صام، وإذا ذهب عنه سقط عنه الصيام.

س : ماحكم الصيام للمريض؟

ج : إذا ثبت بالطب أن الصوم يسبب هلاك المريض فلايجوز له الصيام، أما إن ثبت أن الصوم يجلب المرض له أو يضر بالمريض بزيادة مرضه أو تأخير شفائه أو يؤلمه أو يشق عليه الصيام، فالمتسحب له أن يفطر ثم يقضي.

س : شخص مصاب بقرحة في معدته، ونهاه الطبيب عن الصيام مدة خمس سنوات. فما الحكم؟

ج : إذا كان الطبيب الذي نهاه عن الصوم ثقة مأموناً خبيراً في طبه، فيتعين السمع والطاعة لنصحه، وذلك بإفطاره في رمضان حتى يجد القدرة والاستطاعة على الصوم، لقوله تعالى: ﴿ ومن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ﴾، فإذا شفي من مرضه، تعين عليه صوم أشهر رمضان التي أفطرها.

س : ماحكم العاجز عن الصيام عجزاً كلياً لمرض لايرجى شفاؤه أو لكبر سنه؟

ج : عليه أن يطعم عن كل يوم مسكيناً، نصف صاع من قوت البلد (مثال: قرابة ٥ر١ كغ من الأرز) يدفعها في أول الشهر كما فعل أنس رضي الله عنه، ويجوز أثناءه أو في آخره.

س : رجل مريض أخبره الأطباء أن شفاءه ممكن، فهل يجزئه الإطعام؟

ج : لايجزئه الإطعام، ويجب عليه الانتظار حتى يشفى ثم يقضي.

س : رجل مريض ينتظر الشفاء ليصوم، فمات، فماذا عليه؟

ج : ليس عليه شيء لأن الصيام حق لله تبارك وتعالى، وجب بالشرع ومات من يجب عليه قبل إمكان فعله فسقط إلى غير بدل كالحج.

س : شخص صام جزءاً من رمضان ثم عجز عن إكمال الباقي، فماذا يعمل؟

ج : إن كان عجزه لأمر طارىء يزول، انتظر حتى يزول ثم يقضي، وإن كان عجزه لأمر دائم، فإنه يطعم عن كل يوم مسكيناً كما تقدم.

س : ماحكم الصوم للمسافر؟

ج : إذا شق عليه الصوم في السفر فالأفضل أن يأخذ بالرخصة فيفطر. وإن لم

يشق عليه صام والفطر جائز.

س : متى يفطر الصائم؟

ج : في ذلك حديثان:

ــ الأول: حديث أنس رضي الله عنه أنه أفطر على دابته قبل أن يخرج وقد تهيأ للرحيل.

ــ الثاني : حديث ابن عباس رضي الله عنهما في الصحيحين، قال: خرج رسول الله ﷺ حتى بلغ عُسفان، ثم دعا بماء فرفعه إلى يديه ليراه الناس ثم أفطر.

فالأحوط أن لايفطر المسافر إلا إذا خرج من بلدته وفارق البيوت.

س : رجل قرر في إحدى الليالي من رمضان أن يسافر غداً في النهار، فهل يجوز له أن يبيت نية الافطار؟

ج : لايجوز له ذلك، بل ينوي الصيام، لأنه لايدري مايعرض له، فقد لايستطيع السفر، فإذا سافر أفطر إن شاء كما تقدم.

س : رجل أراد مواقعة أهله في رمضان، فسافر من أجل ذلك؟

ج : فعله حرام، لأنه قصد التحايل، وهو آثم ولايجوز له الفطر: ﴿ يخادعون الله وهو خادعهم ﴾.

س : هل يجوز الإفطار في المطار؟

ج : إن كان المطار داخل البلد أو في حدودها فإنه ينتظر حتى تقلع الطائرة وتبتعد، ثم يفطر، وإن كان المطار خارج البلد، جاز له الفطر في المطار.

س : غربت الشمس في المطار فأفطرنا بعد الصيام، فلما أقلعت الطائرة وارتفعت رأينا الشمس مرة أخرى، فما حكم الصيام؟

ج : الصيام صحيح، لأنه عليه الصلاة والسلام قال: « إذا أقبل الليل من هاهنا،

وأدبر النهار من هاهنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم » [متفق عليه].

س : من صام في بلد، ثم سافر إلى بلد آخر، صام أهله قبله أو بعده، فماذا يـ

ج : يفطر بإفطار أهل البلد الذين ذهب إليهم، ولو زاد على ثلاثين يوماً (بالنـ له) لقول النبي ﷺ: « الصوم يوم تصومون، والفطر يوم تفطرون » [رواه الترمذي وهو حديث صحيح]. **لكن إن لم يكمل تسعة وعشرين فعليه إكمال ذلك الشهر (بعد يوم العيد)، لأن الشهر لاينقص عن تسعة وعشرين يوماً.**

س : صامت امرأة، وقبل الغروب بلحظات خرج منها الدم، فما حكم صيامها؟

ج : إن خرج فعلاً، فقد بطل الصوم وهي مأجورة، وتقضي بدلاً منه، أما إن أحسّت به داخل الجسم ولم يخرج، أو خرج بعد الغروب، فصيامها صحيح.

س : امرأة طهرت قبل الفجر في رمضان، ولم تغتسل إلا بعد الفجر، وكذلك رجل أصبح جنباً ولم يغتسل إلا بعد الفجر، فما حكم صيامهما؟

ج : صيام المرأة المذكورة صحيح، وكذلك صيام الجنب، لحديث عائشة رضي الله عنها المتفق عليه: « كان النبي ﷺ يدركه الفجر وهو جنب من أهله، ثم يغتسل ويصوم ». وكذلك النفساء مثل الحائض في الحكم إذا طهرت قبل الفجر. ولكن يجب التعجيل بالاغتسال لإدراك صلاة الفجر.

س : هل يجوز للمرأة استعمال حبوب لمنع الحيض في رمضان؟

ج : يجوز أن تستعمل المرأة أدوية لمنع الحيض في رمضان إذا قرر أهل الخبرة الأمناء من الأطباء ومن في حكمهم أن ذلك لايضرها. وخير لها أن تكف عن ذلك، وقد جعل الله لها رخصة في الفطر، إذا جاءها الحيض في رمضان وشرع لها قضاء الأيام التي أفطرتها ورضي لها بذلك ديناً.

س : شخص لم يدر أن رمضان قد دخل، إلا في صباح اليوم التالي، فماذا يعمل؟

ج : يمسك ذلك اليوم، ويقضي يوماً بدلاً منه، لقوله ﷺ: « لاصيام لمن لم يفرضه من الليل » [صحيح الجامع الصغير رقم (٧٥١٦)].

س : ماهي المفطرات؟

ج : ذكر شيخ الإسلام رحمه الله: أن من المفطرات مايكون من نوع الاستفراغ: كالجماع والاستقاءة، والحيض والاحتجام. ومنها مايكون من نوع الامتلاء: كالأكل والشرب (ومافي معناها كالحقن المغذية) ومن الخارجات نوع لايقدر على الاحتراز منه: كالأخبثين ، وإذا خدعه القيء والاحتلام في النوم، وخروج الدم من الجروح، والاستحاضة، بخلاف ماإذا استقاء عمداً أو استمنى عمداً. [الفتاوى ٢٥/٢٦٥].

والمفطرات (ماعدا الحيض والنفاس) لاتفسد الصوم إلا إذا فعلها الشخص مختاراً غير مكره، ذاكراً غير ناسٍ، عالماً غير جاهل.

س : ماحكم قطرة العين والأذن؟

ج : لاتفطر كما ذكر أهل العلم، وكذلك: الطيب والكحل، وأخذ الدم للتحليل، والرعاف، والحقنة الشرجية، والإبر غير المغذية، والغبار، وذوق الطبّاخ للطعام دون دخوله إلى جوفه، ومن تمضمض فدخل الماء رغماً عنه إلى جوفه، ودواء الربو الذي يؤخذ بطريق الاستنشاق، وبلع الريق. وكذلك السواك فهو جائز في جميع أجزاء النهار.

س : ماحكم التقبيل في نهار رمضان؟

ج : إذا عرف الشخص من نفسه أنه إذا قبل لايخرج منه شيء، جاز له التقبيل، كما ورد في الصحيحين أنه ﷺ كان يقبل وهو صائم، أما إذا كان يعلم من عادته أنه سينزل، أو لايضمن نفسه، فلا يقبل، لأنه إذا أنزل عند التقبيل أو اللمس فقد فسد صيامه.

س : ماحكم بقايا الطعام في الفم، وفتات السواك، واستخدام معجون الأسنان؟

ج : إذا طلع الفجر عليه فعليه إخراج بقايا الطعام من فيه ولايجوز بلعها. وكذلك لايجوز بلع فتات السواك، وإذا وصلت إلى حلقه رغماً عنه، فليس عليه شيء. وكذلك الدم الخارج من اللثة لايفطره إذا بلغ جوفه دون قصد. أما بالنسبة لمعجون الأسنان فإنه لايخلو من حالين:
أحدهما : أن يكون قوياً، ينفذ إلى المعدة ولا يتمكن الإنسان من ضبطه، فهذا محظور عليه، ولايجوز له استعماله، وعلى الأقل فهو يكره.
أما إذا كان يمكنه أن يتحرز منه، فإنه لاحرج عليه في استعماله.

س : ماحكم الأكل والشرب أثناء الأذان؟

ج : إن سمع الأذان وعلم أنه يؤذن على الفجر، وجب عليه الإمساك، وإن كان يؤذن قبل طلوع الفجر، لم يجب عليه الإمساك حتى يتبين له الفجر، وإن كان لايعلم حال المؤذن هل أذن قبل الفجر أو بعده، فالأولى والأحوط أن يمسك إذا سمع الأذان، ولايضره لو شرب أو أكل شيئاً حين الأذان لأنه لم يعلم بطلوع الفجر، لكن عليه أن يحتاط بالتقويمات التي تحدد الوقت بالساعة والدقيقة.

س : ماذا يفعل من غربت الشمس وهو يقود سيارته، وليس عنده مايفطر به؟

ج : ينوي الفطر بقلبه، ولا يفعل كبعض الجهال: يمص اصبه أو يبلع ريقه.

س : لم يخبر أمه بطلوع الشمس شفقة عليها حتى يتسنى لها الشرب، فما الحكم؟

ج : الأحوط أن تعيد الصيام، ويستغفر هو ويتوب.
س : إذا رأى شخص صائماً يأكل ناسياً، فهل يجب عليه أن يذكره؟

ج : نعم يجب عليه ذلك لعموم قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: « إذا نسيت فذكروني » ولأنه بالنسبة للمشاهد يعتبر منكراً يجب تغييره، ولأنه من باب التعاون على البر والتقوى.

س : ماحكم التهنئة بدخول شهر رمضان؟

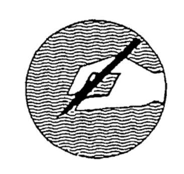
ج : لاحرج في ذلك.

نسأل الله أن يعيننا وإخواننا المسلمين على صيامه وقيامه كما يحب ويرضى، والله تعالى أعلم.

□ □ □

المصادر:

المغني مع الشرح الكبير ــ الجزء الثالث.
مجموع الفتاوى لابن تيمية ــ الجزء الخامس والعشرون.
مجالس شهر رمضان ــ للشيخ محمد بن صالح العثيمين.
مجلة البحوث الإسلامية ــ العدد الرابع عشر.
فتاوى مجلة الدعوة.
فتاوى نور على الدرب ــ للشيخ عبد العزيز بن باز.
فتاوى نور على الدرب ــ للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين.



خواطر في الدعوة

الصحبة القديمة

جاء في كتاب (فضائل الصحابة) أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه شكى خالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لخالد: « ياخالد لِمَ تؤذي رجلاً من أهل بدر، لو أنفقت مثل أحد ذهباً لم تدرك عمله »[١] . وجاء في صحيح مسلم: « كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء، فسبه خالد، فقال رسول الله ﷺ: « لاتسبوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً مابلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه »[٢].

ومع بقاء هذه الأحاديث على عمومها، ولكن من الواضح أن رسول الله وجه خالداً رضي الله عنه إلى احترام صحبة معينة وهي الصحبة القديمة، فهؤلاء لهم منزلة خاصة، منزلة أوائل من أسلم وسار مع الدعوة في دربها الطويل من التعذيب والحصار والهجرة، سار مع الدعوة في السراء والضراء، وكان مع الوحي الإلهي وهو يتنزل آية آية وسورة سورة، هؤلاء الصحب هم أجدر الناس بحب رسول الله ﷺ وتقديره لهم.

---

١ ــ الإمام أحمد بن حنبل / فضائل الصحابة، تحقيق وصي الله بن محمد بن عباسي.
٢ ــ صحيح مسلم ٧ / ١٨٨ .

والذين جاءوا بعد ذلك قد يكون فيهم من يملك طاقات ومواهب ويقدم خدمات جلّى للدعوة الإسلامية، ولكن يبقى للرعيل الأول منزلتهم، والإسلام ليس فيه طبقية ولا كهنوت، وكل يؤخذ من كلامه ويرد عليه، وليس عندنا شيخ ومريد، ولكن من له باع طويل في الدعوة والتقى ظاهر عليه فيجب أن يحترم ولايتطاول عليه من هو ناشيءٌ غِرٌ، والحقيقة أنه ليس أضر على العمل الإسلامي، بل على الأمم من نشوء صراع بين الجيل القديم والجيل الجديد، فلا يستفاد من خبرة أولئك ولا من حماسة هؤلاء.

وقد عاتب الله سبحانه وتعالى أهل بدر عتاباً شديداً بسبب اختلافهم حول الغنائم، وكان هذا الخلاف بين الشباب والشيوخ، فقال الشباب: نحن جمعنا الغنائم وطاردنا العدو، وقال الشيوخ: ونحن كنا ردءاً لكم ونحمي رسول الله ﷺ، فأنزل تعالى: ﴿ يسألونك عن الأنفال، قل الأنفال لله والرسول، فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم... ﴾ [الأنفال/١].

فليحذر الدعاة من هذا المزلق، الذي يتلبس باسم الأمر بالمعروف أو بشبهة استعجال الطريق، أو قد يكون جهلاً بعواقب الأمور، والعجيب أن يسبقنا الغربيون إلى هذه الفضيلة، فلا يدعون فرصة تفوتهم إلا ويستفيدون من كبارهم وعقلائهم، ولايهملونهم بل إن هذا الأمر واضح عند العوام في بلادنا فيقولون: « الذي ليس عنده كبير، يشتري له كبير » أو « الذي ليس عنده كبير ماعنده تدبير ».

والمسلمون في هذه الأيام بأشد الحاجة إلى كل طاقة وكل خبرة، ونرجو أن لاتتبدد بالخصومات المفتعلة □



ابن جرير الطبري
إمام المفسرين

محمد محمد توفيق

هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، ولد سنة ٢٢٤ هـ، في بلدة آمل عاصمة طبرستان ببلاد فارس.

عاش عصراً من أزهى عصور الإسلام تقدماً وإنتاجاً على جميع المستويات الفكرية، فقد كان عصر جمع وتبويب وتصنيف ونقد، ووضع قواعد عامة للعلوم، واستقراء للجزئيات.

صفاته:

عفيف النفس، لايقبل الهدية إلا إذا كان يقدر على المكافأة عليها، فيه زهد وورع وتقوى، رفض المناصب التي عرضت عليه. كان يتمتع بعقلية واعية نيرة، وحافظة لاقطة، وقلب نابض بالإيمان، وعقيدة متينة، ونفسية مطمئنة، وجرأة في الحق. حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، وأمّ الناس وهو ابن ثماني سنين، وكتب الحديث وهو ابن تسع سنين.

برع في الفقه والحديث والقراءات والنحو والحساب وغيرها، ووهب العلم عمره وماله، شهد له الجميع بسعة العلم ودقة التفكير.

كان شافعي المذهب، ثم انفرد بمذهب مستقل لم يكتب له الدوام، وذلك لذهاب مدوناته، وتفرق أصحابه وأتباعه.

رحلاته:

رحل إلى كل من الري، والبصرة، وواسط، والكوفة، وبغداد، وبيروت، ومصر، طلباً للعلم وبذلاً له، إلى أن مات ببغداد عام ٣١٠ هـ.

من شيوخه:

في الحديث: محمد بن حميد الرازي، وهناد بن السري، وإسماعيل بن موسى.
وفي التاريخ: محمد بن إسحاق بن خزيمة، ومحمد بن أحمد بن حماد الدولابي، ومحمد بن موسى الحرشي، وعماد بن موسى القزاز، ومحمد بن الأعلى الصنعاني، وبشر بن معاذ، ومحمد بن بشار بن بندار.
وفي الفقه: الحسن بن محمد الزعفراني، وأبو سعيد الإصطخري، والربيع بن سليمان الجيزي تلميذ الشافعي.
وفي اللغة: أحمد بن يحيى ثعلب.

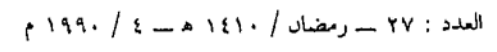
وغيرهم كثير من مختلف المذاهب، ومن مختلف الأقطار.

تلاميذه:

تتلمذ عليه الكثير من أشهرهم: أبو بكر بن كامل بن خلف، وعبد العزيز بن محمد الطبري، وأبو إسحاق بن إبراهيم بن حبيب الطبري.

كتبه:

ـــ جامع البيان عن تأويل القرآن (جامع البيان في تفسير القرآن)، وقد



اعتمد في تفسيره هذا على المأثور الذي صح عن رسول الله ﷺ، أو الصحابة رضي الله عنهم، أو التابعين، وكان يهتم بالأسانيد وتقييم الرجال، ويبتعد عن التفسير بالرأي، ويعرض أوجه القراءات، ويبتعد عن التعمق الفارغ والتفريعات الهامشية والتكهنات غير المفيدة، ويستشهد على المعنى اللغوي بأحاديث المصطفى ﷺ وكلام العرب وأشعارهم، ويعتني بالإعراب فهو يوضح المعنى.

- تاريخ الأمم والملوك.
- كتاب آداب النفس الجيدة والأخلاق النفيسة.
- اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام.
- صريح السنة (يوضح فيه مذهبه وعقيدته).
- الفصل بين القراءات.
- آداب القضاة.
- فضائل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وغيرها كثير، ومما يدل على ذكائه وحفظه أنه قال:

لما دخلت مصر لم يبق أحد من أهل العلم إلا لقيني وامتحنني في العلم الذي يتحقق به، فجاءني يوماً رجل، فسألني عن شيء من العَروض، ولم أكن نشطت له قبل ذلك، فقلت له: عليّ قول أن لا أتكلم في شيء من العَروض، فإذا كان في غد فصر إليّ، وطلبت من صديق لي كتاب « العَروض » للخليل بن أحمد، فجاء به، فنظرت فيه ليلتي، فأمسيت غير عَروضي وأصبحت عَروضياً.

رحم الله أبا جعفر وأسكنه فسيح جناته...

★ ★ ★
★ ★
★

الصبر

إعداد : عادل التل

المعنى اللغوي:

الصبر: هو حبس النفس، ويقال: صبرت نفسي على ذلك الأمر أي حبستها.
قال عنترة عن نفسه:

فصبرت عارفةً لذلك حرة ترسو إذا نفس الجبان تَطَلَّعُ

والمصبورة: المحبوسة على الموت.
والصبير: الكفيل، وإنما سمي بذلك لأنه يصبر على الغرم، جاء في لسان العرب: صبر يصبر صبراً، فهو صابر وصبار وصبير وصبور، والأنثى صبور أيضاً.
قال الجوهري: الصبر حبس النفس عند الجزع.
والصبر الجراءة، ومنه قول الله تعالى: ﴿ فما أصبرهم على النار ﴾ والصبر: الإكراه أيضاً.
وصبير القوم: زعيمهم المقدم في أمورهم.
والصبور: هو القادر على الصبر.
والتصبر: تكلف الصبر.

المعنى الاصطلاحي:

الصبر لفظ عام وربما خولف بين أسمائه باختلاف مواقعه.
ــ فإن كان حبس النفس لمصيبة سمي صبراً لاغير، ويضاده الجزع.

ـ وإن كان في محاربة سمي شجاعة، ويضاده الجبن.
ـ وإن كان في نائبة مضجرة سمي رحب الصدر ويضاده الضجر.
ـ وإن كان في إمساك الكلام سمي كتماناً ويضاده الذل.
ـ وإن كان في إمساك عن الطعام سمي صياماً.

وهكذا نستطيع أن نصف كل مايحتاج إلى الثبات على شيء أو الإمساك عن شيء صبراً.
والصبر والحلم قرينان، لأن الحلم ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب وضده الحماقة.
قال رسول الله ﷺ: « ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ».

من أحكام المصطلح:

الصبر أساس الابتلاء في حياة الفرد والجماعة. يقول تعالى: ﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ﴾ [البقرة/١٥٥].

عندما يقف المسلم داعياً إلى الله تعالى ، يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويصدع بالحق الذي آمن به ؛ فيتعرض للأذى والعذاب، وتنزل به المحن والخطوب ، فلابد من الصبر والثبات أو الانحراف والفساد.

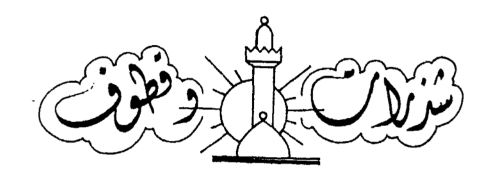
يقول تعالى: ﴿ أفحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم ولايفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ [العنكبوت/٣].

يقول أحد الدعاة: الصبر زاد الطريق في هذه الدعوة، إنه طريق طويل شاق، حافل بالعقبات والأشواك، مفروش بالدماء والأشلاء، بالإيذاء والابتلاء.
الصبر على أشياء كثيرة:

ـــ الصبر على شهوات النفس ورغائبها وأطماعها وضعفها.
ـــ والصبر على شهوات الناس ونقصهم وضعفهم وجهلهم وسوء تصرفهم وانحراف طباعهم وغرورهم.
ـــ والصبر على تنفج الباطل ، ووقاحة الطغيان ، وانتفاش الشر ، وتصعير الغرور والخيلاء.
ـــ والصبر على قلة الناصر ، وطول الطريق ، ووساوس الشيطان في ساعات الكرب والضيق.
ـــ والصبر على ضبط النفس في ساعة القدرة والانتصار، واستقبال الرخاء في تواضع وشكر.
ـــ والصبر على هذا كله ـــ ومثله ـــ مما يصادف السالك في هذا الطريق... لاتصوره الكلمات..

إنما يدرك هذا المدلول من عانى مشقات الطريق وتذوقها انفعالات وتجارب ومرارات. ﴿ ياأيها الذين آمنوا اصبوا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ [آل عمران/٢٠٠] □





إعداد: نجوى محمد الدمياطي

العظمة الحقيقية

حين نعتزل الناس لأننا نحس أننا أطهر منهم روحاً، أو أطيب منهم قلباً، أو أرحب منهم نفساً، أو أذكى منهم عقلاً.. لانكون قد صنعنا شيئاً كبيراً.. لقد اخترنا لأنفسنا أيسر السبل وأقلها مؤونة!

إن العظمة الحقيقية: أن نخالط هؤلاء الناس مشبعين بروح السماحة والعطف على ضعفهم ونقصهم وخطئهم ، وروح الرغبة الحقيقية في تطهيرهم وتثقيفهم ورفعهم إلى مستوانا بقدر مانستطيع!

إنه ليس معنى هذا أن نتخلى عن آفاقنا العليا ومثلنا السامية، أو أن نتملق هؤلاء الناس ونثني على رذائلهم ، أو أن نشعرهم أننا أعلى منهم أفقاً.. إن التوفيق بين هذه المتناقضات وسعة الصدر لما يتطلبه هذا التوفيق من جهد ؛ هو العظمة الحقيقية .

سيد قطب ــ أفراح الروح

أهل العبودية

.. لم ينسبوا إلى اسم... فلم يشتهروا باسم يعرفون به عند الناس من الأسماء التي صارت أعلاماً لأهل الطريق..

وأيضاً، فإنهم لم يتقيدوا بعمل واحد يجري عليهم اسمه فيعرفون به دون غيره من الأعمال ، فإن هذا آفة في العبودية، وهي عبودية مقيدة، وأما العبودية المطلقة: فلا يعرف صاحبها باسم معين من معاني أسمائها، فإنه مجيب لداعيها على اختلاف أنواعها، فله مع كل أهل عبودية نصيب يضرب معهم بسهم، فلا يتقيد برسم ولا إشارة، ولا اسم بزي، ولا طريق وضعي اصطلاحي... بل إن سئل عن شيخه؟ قال: الرسول، وعن طريقه؟ قال: الاتباع، وعن خرقته؟ قال: لباس التقوى، وعن مذهبه؟ قال: تحكيم السنة، وعن مقصوده ومطلوبه؟ قال: ﴿ يريدون وجهه ﴾، وعن رباطه؟ قال: ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ﴾ وعن نسبه؟ قال:

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

ابن القيم ــ مدارج السالكين « بتصرف »

أنشودة رمزية

* لقد حانت الساعة التي ينساب فيها شعاع الفجر الشاحب بين نجوم الشرق
*ستحمل اشعاعات الصباح الجديد، ظل جهدك المبارك، في السهل الذي تبذر فيه
* وسيحمل النسيم الذي يمر الآن البذور التي تنثرها يداك.. بعيداً عن ظلك
* ستتابع شمس الحق سيرها دون تراجع، وستعلن قريباً انتصار الفكرة وانهيار الأصنام، كما حدث يوم تحطم « هُبل » في الكعبة.

مالك بن نبي ــ شروط النهضة « بتصرف »

الإمساك عما شجر بين الصحابة

محمد الوهيبي

قال ﷺ : « إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا » (١). وهكذا كان من منهج أهل السنة الإمساك عن ذكر هفوات الصحابة وتتبع زلاتهم وعدم الخوض فيما شجر بينهم. قال أبو نعيم رحمه الله: « فالامساك عن ذكر أصحاب رسول الله ﷺ وذكر زللهم، ونشر محاسنهم ومناقبهم، وصرف أمورهم إلى أجمل الوجوه، من أمارات المؤمنين المتبعين لهم بإحسان الذين مدحهم الله عز وجل بقوله ﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ﴾.

ويقول أيضاً في تعليقه على الحديث المشار إليه : « لم يأمرهم بالإمساك عن ذكر محاسنهم وفضائلهم، إنما أمروا بالإمساك عن ذكر أفعالهم ومايفرط منهم في ثورة الغضب وعارض الموجدة » (٢). إذاً الإمساك المشار إليه في الحديث الشريف إمساك بخصوص يقصد به « عدم الخوض فيما وقع بينهم من الحروب والخلافات على سبيل التوسع وتتبع التفصيلات ونشر ذلك بين العامة، أو التعرض لهم بالتنقص لفئة، والانتصار لأخرى » (٣). وذلك مما لم نؤمر به، إنما أمرنا بالاستغفار

١ ــ أخرجه الطبراني في الكبير ٢ / ٧٨ / ٢ .
٢ ــ الإمامة / ٣٤٧ .
٣ ــ منهج كتابة التاريخ ، محمد بن صامل السلمي ، ص ٢٢٧، ٢٢٨ .

لهم ومحبتهم ونشر محاسنهم وفضائلهم. « لكن إذا ظهر مبتدع، يقدح فيهم بالباطل فلابد من الذب عنهم وذكر مايبطل حجته بعلم وعدل » (١).

وهذا مما نحتاجه في زماننا، حيث ابتليت الأمة المسلمة بجامعاتها ومدارسها بمناهج ــ يزعم أصحابها الموضوعية والعلمية ــ يخوضون فيما شجر بين الصحابة بالباطل دون التأدب بالآداب التي علمنا إياها عز وجل ورسوله ﷺ. كذلك ابتليت بالفرق الضالة التي نشرت ذلك في بعض البلاد، بل إن العدوى ــ وللأسف ــ وصلت بعض الإسلاميين حتى إن بعضهم يجمع الغث والسمين من الروايات حول الفتنة التي بين الصحابة ثم يبني أحكامه دون الاسترشاد بأقوال الأئمة الأعلام وتحقيقاتهم. من أجل ذلك أردت أن أشير إلى بعض الأسس والتوجيهات التي ينبغي أن يعرفها الباحث إذا اقتضت الحاجة أن يبحث وينظر إلى الروايات فيما شجر بينهم.

١ ــ إن الكلام عما شجر بين الصحابة ليس هو الأصل، بل الأصل العقدي عند أهل السنة هو الكف والإمساك عما شجر بين الصحابة، وهذا مبسوط في عامة كتب أهل السنة في العقيدة كالسنة لعبد الله بن أحمد بن أحمل، والسنة لابن أبي عاصم، وعقيدة أصحاب الحديث للصابوني، والإبانة لابن بطة، والطحاوية وغيرها. ويتأكد هذا الإمساك عند من يخشى عليه الالتباس والتشويش والفتنة وذلك بتعارض ذلك بما في ذهنه عن الصحابة وفضلهم ومنزلتهم وعدالتهم وعدم إدراك مثله « لصغر سنه أو حداثة عهده بالدين.. » لحقيقة ماحصل بين الصحابة واختلاف اجتهادهم في ذلك فيقع في الفتنة « بانتقاصه الصحابة » من حيث لايعلم. وذلك مبني على قاعدة تربوية تعليمية مقررة عند السلف وهي ألا يعرض على الناس من مسائل العلم إلا ماتبلغه عقولهم، قال الإمام البخاري رحمه الله: « باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية ألا يفهموا ، وقال علي رضي الله عنه: حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله

---

١ ــ منهاج السنة ٣ / ١٩٢ .

ورسوله؟. قال الحافظ في الفتح تعليقاً على ذلك: « وفيه دليل على أن المتشابه لاينبغي أن يذكر عند العامة ومثله قول ابن مسعود: « ماأنت محدثاً قوماً حديثاً لاتبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة » رواه مسلم.

وممن كره التحديث ببعض دون بعض أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان، ومالك في أحاديث الصفات، وأبو يوسف في الغرائب.. » إلى أن قال: « وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة وظاهره في الأصل غير مراد، فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب، والله أعلم » (١).

٢ ــ وإذا دعت الحاجة إلى ذكر ماشجر بينهم فلابد من التحقق والتثبت في الروايات المذكورة حول الفتن بين الصحابة، قال عز وجل: ﴿ ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين ﴾ هذه الآية تأمر المؤمنين بالتثبت في الأخبار المنقولة إليهم عن طريق الفساق لكي لايحكموا بموجبها على الناس فيندموا، فوجوب التثبت والتحقق فيما ينقل عن الصحابة وهم سادة المؤمنين أولى وأحرى، خصوصاً ونحن نعلم أن مثل هذه الروايات دخلها الكذب والتحريف، إما من جهة أصل الرواية، أو تحريف بالزيادة والنقص يخرج الرواية مخرج الذم والطعن، وأكثر المنقول من المطاعن الصريحة هو من هذا الباب، يرويها الكذابون المعروفون بالكذب مثل أبي مخنف لوط بن يحيى، ومثل هشام بن محمد بن السائب الكلبي، وأمثالهما (٢)، من أجل ذلك لايجوز أن يدفع النقل المتواتر في محاسن الصحابة وفضائلهم بنقول بعضها منقطع وبعضها محرّف وبعضها لايقدح فيما علم، فإن اليقين لايزول بالشك، ونحن قد تيقنا ماثبت في فضلهم، فلا يقدح في هذا أمور مشكوك فيها فكيف إذا علم بطلانها (٣).

١ ــ فتح الباري ١ / ٢٢٥ .
٢ ــ انظر منهاج السنة ٣ / ١٧ ، ١٩ . .
٣ ــ المصدر السابق ٣ / ٢٠٩ بتصرف .

٣ ــ أما إذا صحت الرواية في ميزان الجرح والتعديل وكان ظاهرها القدح فيلتمس لهم أحسن المخارج والمعاذير، قال ابن أبي زيد: « .. والإمساك عما شجر بينهم وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم أحسن المخارج ويظن بهم أحسن المذاهب » (١). وقال ابن دقيق العيد: « ومانقل عنهم فيما شجر بينهم واختلفوا فيه، فمنه ماهو باطل وكذب، فلا يلتفت إليه، وماكان صحيحاً أولناه تأويلاً حسناً لأن الثناء عليهم من الله سابق، وماذكر من الكلام اللاحق محتمل للتأويل، والمشكوك والموهوم لايبطل المحقق والمعلوم » (٢)، هذا بالنسبة لعموم ماروي في قدحهم.

٤ ــ أما ماروي على الخصوص فيما شجر بينهم، وثبت في ميزان النقد العلمي فهم فيه مجتهدون « وذلك أن القضايا كانت مشتبهة، فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام:

أ ــ قسم ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف وأن مخالفه باغ فوجب عليهم نصرته، وقتال الباغي عليه فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك، ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده.

ب ــ وقسم عكس هؤلاء ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق مع الطرف الآخر، فوجب عليهم مساعدته وقتال الباغي عليه.

ج ــ وقسم ثالث اشتبهت عليهم القضايا وتحيروا فيها ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين، وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم لأنه لايحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك (٣).

إذاً هذا القتال هم متأولون فيه، لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب نفسها بسببها وذلك لايخرجهم من العدالة بل هم في حكم المجتهدين في مسائل الفقه فلا يلزم نقص أحد منهم إنما هو بين أجر وأجرين.

ومن المهم أن نعلم أن القتال

---

١ ــ مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني ، ص ٨ .
٢ ــ أصحاب رسول الله ومذاهب الناس فيهم / ٣٦٠ عبد العزيز العجلان .
٣ ــ مسلم بشرح النووي ١٥ / ٤٩ .

الذي حصل بين الصحابة رضوان الله عليهم لم يكن على الإمامة، فإن أهل الجمل وصفين لم يقاتلوا على نصب إمام غير علي ولا كان معاوية يقول إنه الإمام دون علي ولا قال ذلك طلحة والزبير... وإنما كان القتال فتنة عند كثير من العلماء ــ بسبب اجتهادهم في كيفية القصاص من قاتلي عثمان رضي الله عنهم ــ ، وهو من باب قتال أهل العدل والبغي وهو القتال بتأويل سائغ لطاعة غير الإمام لا على قاعدة دينية ــ أي ليس بسبب خلل في أصول الدين ــ (١).

ويقول عمر بن شبه: « إن أحداً لم ينقل أن عائشة ومن معها نازعوا علياً في الخلافة ولا دعوا لأحد ليولوه الخلافة، وإنما أنكروا على علي منعه من قتال قتلة عثمان وترك الاقتصاص منهم » (٢).

ومما يؤكد ذلك هذه الرواية التي ذكرها ابن كثير: « جاء أبو مسلم الخولاني وأناس إلى معاوية، وقالوا: أنت تنازع علياً أم أنت مثله؟ فقال: لا والله، أني لأعلم أنه أفضل مني وأحق بالأمر مني ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً، وأنا ابن عمته، والطالب بدمه، فأتوه فقولوا له، فليدفع إلي قتلة عثمان، وأسلّم له، فأتوا علياً، فكلموه. فلم يدفعهم إليه (٣) » وفي رواية : « فعند ذلك صمم أهل الشام على القتال مع معاوية » (٤).

وأيضاً جمهور الصحابة وجمهور أفاضلهم مادخلوا في فتنة، قال عبد الله ابن الإمام أحمد: حدثنا أبي حدثنا إسماعيل بن علية حدثنا أيوب السختياني عن محمد بن سيرين قال: هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرة آلاف فما حضرها منهم مائة، بل لم يبلغوا ثلاثين ». قال ابن تيمية: « وهذا الإسناد أصح إسناد على وجه الأرض، ومحمد بن سيرين من أورع الناس في منطقه، ومراسيله من أصح المراسيل » (٥). فأين الباحثون المنصفون ليدرسوا مثل هذه النصوص الصحيحة؟ وتكون منطلقاً

١ ــ فتح الباري ١٣ / ٥٦ .
٢ ــ سير أعلام النبلاء ، الذهبي ٣ / ١٤٠ بسند رجاله .
٣ ــ البداية والنهاية ٨ / ١٢٩ .
٤ ــ منهاج السنة ٣ / ١٨٦ ، وراجع في نفس الموضوع نصوص أخرى تدل على قلة من حضر الفتنة من الصحابة .
٥ ــ مغازي الزهري ، ١٥٤ .

لهم، لا أن يلطخوا أذهانهم بتشويشات الإخباريين ثم يؤولون النصوص الصحيحة حسب ماعندهم من البضاعة المزجاة.

٥ ــ ومما ينبغي أن يعلمه المسلم حول الفتن التي وقعت بين الصحابة ــ مع اجتهادهم فيها وتأولهم ــ حزنهم الشديد وندمهم لما جرى، بل لم يخطر ببالهم أن الأمر سيصل إلى ماوصل إليه، وتأثر بعضهم التأثر البالغ حين يبلغه مقتل أخيه، بل إن البعض أيضاً لم يتصور أن الأمر سيصل إلى القتال، وإليك بعضاً من هذه النصوص المؤثرة:

أ ــ فهذه أم المؤمنين عائشة تقول ــ كما يروي عنها الزهري ــ : « إنما أريد أن يحجز بين الناس مكاني، ولم أحسب أن يكون بين الناس قتال، ولو علمت ذلك لم أقف ذلك الموقف أبداً » [١]، وكانت إذا قرأت : ﴿ وقرن في بيوتكن ﴾ تبكي حتى يبتل خمارها » [٢] .

ب ــ أما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فيقول الشعبي: « لما قتل طلحة ورآه علي مقتولاً، جعل يمسح التراب عن وجهه ويقول: عزيز علي أبا محمد أن أراك مجدلاً تحت نجوم السماء، ثم قال: إلى الله أشكو عجري وبجري (همومي وأحزاني) وبكى عليه هو وأصحابه، وقال : ياليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة » [٣]، ويقول رضي الله عنه : « ياحسن ياحسن، ماظن أبوك أن الأمر يبلغ إلى هذا، ودّ أبوك لو مات قبل هذا بعشرين سنة » [٤]. وكان يقول ليالي صفين: « لله در مقام عبد الله بن عمر وسعد بن مالك (وهم ممن اعتزل الفتنة) إن كان بدأ إن أجره لعظيم، وإن كان إثماً إن خطره ليسير » [٥]. فهذا قول أمير المؤمنين رغم قول أهل السنة إن علياً ومن معه أقرب إلى الحق [٦].

ج ــ ويقول الزبير بن العوام رضي الله عنه وهو ممن شارك في

---

١ ــ سير أعلام النبلاء ٢ / ١٧٧ . ٢ ــ أسد الغابة ، ابن الأثير ٣ / ٨٨ ، ٨٩ .
٣ ــ منهاج السنة ٦ / ٢٠٩ (محقق) .
٤ ــ المصدر نفسه ٦ / ٢٠٩ (محقق) .
٥ ــ فتح الباري ١٢ / ٦٧ .
٦ ــ تاريخ الطبري ٤ / ٤٧٦ .

القتال بجانب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: « إن هذه لهي الفتنة التي كنا نحدث عنها، فقال مولاه: أتسميها فتنة وتقاتل فيها؟ قال: ويحك ! إنا نُبصِّر ولانُبصِر، ماكان أمر قط إلا علمت موضع قدمي فيه، غير هذا الأمر، فإني لا أدري أمقبل أنا فيه أم مدبر؟ » (١).

د ــ وهذا معاوية رضي الله عنه، لما جاءه نعي علي بن أبي طالب، جلس وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، وجعل يبكي، فقالت امرأته، أنت بالأمس تقاتله، واليوم تبكيه؟ فقال: ويحك، إنما أبكي لما فقد الناس من حلمه وعلمه وفضله وسوابقه وخيره، وفي رواية « ويحك إنك لاتدرين مافقد الناس من الفضل والفقه والعلم » (٢).

وبعد كل هذه النقولات كيف يلامون بأمور كانت مشتبهة عليهم؟ فاجتهدوا فأصاب بعضهم، وأخطأ الآخرون وجميعهم بين أجر وأجرين، ثم بعد ذلك ندموا على ماحصل وجرى، وتابوا من ذلك، وماحصل بينهم من جنس المصائب التي يكفر الله عز وجل بها ذنوبهم، ويرفع بها درجاتهم ومنازلهم قال ﷺ: « لايزال البلاء بالمؤمن حتى يسير في الأرض ليس عليه خطيئة » (٣)، وعلى أقل الأحوال لو كان ماحصل من بعضهم في ذلك ذنباً محققاً، فإن الله عز وجل يكفره بأسباب كثيرة من أعظمها الحسنات الماحية ــ من سوابقهم ومناقبهم وجهادهم ــ ، والمصائب المكفرة، والاستغفار، والتوبة التي بها يبدل الله عز وجل السيئات حسنات، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ».

٦ ــ وأخيراً نقول أن أهل السنة والجماعة لايعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل مايوجب مغفرة مايصدر منهم إن صدر، ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب، فيكون إما قد تاب منه،

١ ــ تاريخ الطبري ٤ / ٤٧٦ .
٢ ــ البداية والنهاية ٨ / ١٤ ، ١٣٠ .
٣ ــ الترمذي ، رقم ٢٤٠١ ، قال : حسن صحيح .

أو أتى بحسنات تمحوه، أو غفر له بسابقته، أو بشفاعة محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة، فكيف الأمور التي هم فيها مجتهدون إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطأوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور. ثم إن القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر، مغفور في جنب فضائل القوم، ومحاسنهم من إيمان وجهاد وهجرة ونصرة وعلم نافع وعمل صالح (١).

يقول الذهبي رحمه الله: « ... فالقوم لهم سوابق، وأعمال مكفرة لما وقع بينهم وجهاد محّاء وعبادة ممحصة، ولسنا ممن يغلو في أحد منهم، ولاندعي فيهم العصمة » (٢).

إذاً اعتقادنا بعدالة الصحابة لايستلزم العصمة، فالعدالة استقامة السيرة والدين، ويرجع حاصلها إلى هيئة راسخة في النفس تحمل على ملازمة التقوى والمروءة جميعاً، حتى تحصل ثقة النفوس بصدقه.. ثم لاخلاف في أنه لايشترط العصمة من جميع المعاصي... » (٣).

ومع ذلك يجب الكف عن ذكر معايبهم ومساويهم مطلقاً ــ كما مر سابقاً ــ ، وإن دعت الضرورة إلى ذكر زلة أو خطأ لصحابي، فلابد أن يقترن بذلك ذكر منزلة هذا الصحابي وتوبته وجهاده وسابقته..، إن وجد شيء من ذلك، فمثلاً من الظلم أن نذكر زلة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه، دون أن نذكر توبته وسابقته وأنه من أهل بدر، ومن الظلم أيضاً أن نذكر ماعزاً وزلته ولانذكر توبته التي لو تابها صاحب مكس لقبل منه، (٤) وهكذا فالمرء لايعاب بزلة يسيرة حصلت منه في فترة من فترات حياته، وتاب منها، فالعبرة بكمال النهاية لابنقص البداية إن كانت له حسنات ومناقب، ولو لم يزكه أحد، فكيف إذا كثرت فيه التزكيات، وكيف إذا زكاه خالقه، الخبير بما في نفسه؟.

١ ــ انظر الواسطية بشرح هراس / ١٦٤ ــ ١٦٧ .
٢ ــ سير أعلام النبلاء : ١٠ / ٩٣ .
٣ ــ منهج المحدثين للأعظمي / ٢٣ ــ ٢٩ .
٤ ــ الإمامة لأبي نعيم / ٣٤٠ ، ٣٤١ ، منهاج السنة ٢ / ٢٠٧ ، محقق .

المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية
تأليف : عبد الله أحمد الشبانة

عرض: أحمد أبو عامر

من أعظم ماأصيب به المسلمون اليوم هو ماسيطر عليهم من روح الانهزام أمام أعداء الإسلام، وضعف الهمة من بعث روح المقاومة والمغالبة، والعجز عن مجرد التفكير في ذلك، حتى بلغت أمتنا في ذلك مبلغاً من الانحطاط والتقهقر والتخلف لانريد عليه... ونحن اليوم في أشد الحاجة إلى تعرية هذا المرض الخبيث الذي يقلب الموازين ويعكس المفاهيم حتى أصبحنا نظن العدو صديقاً، والأبيض أسود، والغاش ناصحاً، والناصح غاشاً، وهذا ماحدا بالمؤلف إلى علاج هذه الظاهرة المرضية في واقعنا، وقبل أن يحدد معنى الهزيمة النفسية تطرق إلى مدخل لبيان أهمية معرفة هذه الظاهرة كبداية لعلاجها ثم عن مظاهر الهزيمة النفسية في ثلاث أبواب:

أولاً: في مجال الفكر، وتطرق فيه للفكر التربوي ثم الفكر الاعلامي.

ثانياً: في مجال النظم، وتطرق فيه للنظامين الاقتصادي والسياسي.

ثالثاً: في مجال السلوك، وتطرق فيه للسلوك الفردي والسلوك الاجتماعي.

ثم بين خطر هذه الظاهرة في محيط الفرد، ثم في محيط الأسرة ثم في محيط الجماعة والأمة. ثم تطرق المؤلف إلى أسباب هذه الظاهرة وعوامل تكوينها، وأرجعها إلى أسباب وعوامل ذاتية، ثم أسباب وعوامل خارجية. ثم تطرق المؤلف إلى طريق علاج هذه الظاهرة ووسائل القضاء عليها.

ومما يجدر ذكره أن المؤلف استعرض الجهود العلمية والفكرية والتي

سبقته لعلاج وبحث هذه الظاهرة في النفس والمجتمع ، ومن سبق إلى البحث فيها أمثال (شكيب أرسلان) في كتابه (لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم) وكذلك أبو الحسن الندوي في كتابه (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) ومالك بن نبي في (شروط النهضة) وأبو الأعلى المودودي في كتابه (واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم) و د. ناصر العقل في كتابه (التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية) وهو لم يطبع بعد طبعته الأولى، وهذه فرصة للدعوة لإعادة طبع الكتاب لأهميته في هذا الباب ... وغيرها من الأبحاث الهامة في هذا الباب.

وقد وضح طرق علاج هذه الظاهرة ووسائل القضاء عليها في بابين:

١ ــ طريق التربية والتعليم:

٢ ــ طريق التوجيه والإرشاد (الإعلام).

وفي خاتمة الكتاب جمع المؤلف خلاصة ماتضمنه البحث من أبواب وفصول، وأكد أنه كبير الأمل وعظيم الثقة في أن نجاحاً كبيراً سيتحقق من جراء الأثر الإيجابي للعلاج ، وأن شفاء الأمة من هذا المرض سيتم بإذن الله من هذا الداء الخطير ، وستمضي بحول الله تعيد سيرة سلفها الصالح ، وأمجادها الغابرة، ونبه إلى أن واجب كل مسلم واعٍ مدرك للخطر منتبه لما يراد بالأمة وماتساق إليه بل ماسيقت له منذ أزمان أن يعمل بكل ماأوتي من قوة وبكل وسيلة ممكنة لتبصير الأمة بالأخطار التي هددتها وتهدد كل فرد من أفرادها.

وأن واجب المسؤولين في كل دولة واجب مضاعف، وخاصة مسؤولو ذنيك المجالين المهمين: (التربية والإعلام) ثم نبه إلى نوع من الانهزامية لم يتطرق له لعدم دخوله في منهج البحث وهو ماتتعرض له الأمة في مجال الأدب ومناهج النقد عن طريق مايسمى بالحداثة والتي انكشفت كل أوراق أدعيائها بما ظهر من دراسات علمية وموضوعية حول ذلك.

والكتاب دراسة يلمس فيها القارىء حسن القصد وحسن البحث ولن يعدم كل قارىء للكتاب من أصول ومعلومات علمية قيمة تزيد ثقافته وتناقش كثيراً من الشبهات المطروحة في الساحة بمنهج علمي جدير بالتقدير والاحترام □

التربية
الواقع والبديل

عدنان محمد عبد الرزاق

التربية أم التعليم:

حرصت معظم دول العالم في السنوات الأخيرة على تسمية المؤسسات والوزارات المهتمة بشؤون التعليم بالتربية بدلاً من التعليم، وبعضهم قرن التربية بالتعليم حرصاً منهم على أهمية التربية، وعلى أن التعليم جزء من التربية ، والتربية أعم وأشمل.

وهذه حقيقة أدركها سلفنا الصالح إذ كانوا يسمون معلم الأولاد: المؤدب والمربي. وهنا يحضرني قول ابن المبارك رحمه الله: « تعلمنا الأدب ثلاثين عاماً وتعلمنا العلم عشرين ».

وليست هذه التسميات الحديثة إلا نتيجة أبحاث وتجارب طويلة قامت هنا وهناك وتناولها الأبناء عن الآباء.. وهي ليست حكراً على أحد بل تنتقل من بلد لآخر بل هنالك مؤسسات متخصصة بنقل تجارب الآخرين وخبراتهم مثل منظمة « اليونيسكو » إذ لها نشاط واسع في هذا المجال، والمربون المتخصصون يستطيعون تمييز الخبيث من الطيب..

ولايمكن فصل التربية عن التعليم، فالتربية إذ تسعى لبناء الإنسان السوي المحب للفضيلة ذي الشخصية المتوازنة المتحلي بمكارم الأخلاق فهي حريصة

أن يكون هذا الإنسان متعلماً مثقفاً بالعلوم المختلفة، فهو هدف من أهدافها.. فالتربية تواكب التعليم، وأكثر ماتكون وضوحاً في سنين الدراسة المتقدمة، الابتدائي والإعدادي.. وتقل في سني الدراسة المتأخرة، حيث تكون شخصية المتعلم قد تبلورت، وهذا لايعني انعدامها...

ولابد حتى تتضح صورة التربية ممزوجة بالتعليم من ذكر بعض الأمثلة من المنهج والمربي والمطالب.

فمن حيث المنهج نورد بعض الأمثلة التي تهدف إلى التعليم البحت وأخرى إلى التربية والتعليم معاً، ففي الحساب مثلاً؛ لنأخذ هذا المثال:

مع سعيد ٥٠ ريالاً صرف منها ١٠ ريالات، كم بقي عنده؟ يمكن صياغة المثال نفسه حتى يحقق غاية تربوية وتعليمية فيصبح كالتالي: مع سعيد ٥٠ ريالاً، أعطى فقيراً قابله ١٠ ريالات، كم بقي عنده؟

وفي العلوم أيضاً انظر إلى هذه المعلومة الموجودة في الكتب:

حبت الطبيعة الزرافة عنقاً طويلاً لتستطيع أكل أوراق الأشجار. ويمكن صياغة هذه المعلومة بل يجب أن تصاغ كالتالي:

خلق الله للزرافة عنقاً طويلاً لتستطيع أكل أوراق الشجر.. على افتراض أن المعلومة صحيحة، فهنا تربية مع تعليم.

وهكذا في مختلف المواد تستغل النصوص وتتضافر المعلومات لتحقق أهداف سلوكية ووجدانية بالإضافة إلى الأهداف التعليمية حتى يحمل الطالب الأدب والفضيلة والعلم.

هذا في المناهج؛ أما في مجال المربي والطالب فما أكثر المواقف اليومية التي تمر والتي تحمل مئات الفرص لكي يتربى الطالب من خلالها ولابد هنا من ذكر بعض الأمثلة:

لنتصور أن طالباً أخطأ في الإجابة الصحيحة يمكن أن يقال له مايلي:

ــ خطأ اجلس.

ــ أنت بواد ونحن بواد.

ــ غير فاهم أبداً، مع بعض عبارات التوبيخ أحياناً..

ويمكن أن يقال له: جزاك الله خيراً لقد اقتربت من الإجابة، ويسأل من يساعد أخاه أو يكمل له الإجابة؟.

فالعبارات الأولى ليست من التربية بل العكس تعين على إحباط الطالب. والإجابة الأخيرة من المربي أنقذت الموقف ولم يشعر الطالب بأي شيء غير عادي..

مثال آخر: دخل المدرس الفصل ووجد الطلاب قد أمسكوا بطالب سارق وجدوا عنده قلم زميله، وتعالت الأصوات: سارق، سارق! فما كان من المدرس إلا أن صاح معهم سارق! كيف تسرق؟ والله لأفعلن وأفعلن.. وانهال عليه ضرباً وتوبيخاً.

وتصرف آخر بديل: أسكت المعلم الطلاب وقال: لا، سعيد لايسرق، كيف يسرق ويعرف أن السرقة حرام؟! لابد أنه أخطأ وظن أن القلم قلمه، ووضعه في الحقيبة، أليس ذلك ياسعيد؟

سعيد: نعم ياأستاذ... تلافى الفضيحة ثم بينه وبين سعيد يعالج الأمر إذا اقتضى ذلك بالطرق المعروفة.

فالسرقة والكذب والاعتداء والحيل كل ذلك يحصل مع الأطفال في المراحل الأولى ، ولكن يجب أن يعالج بحكمة لأن موقفاً واحداً ارتجالياً مع طالب قد يحطم شخصيته ويجعله غير سوي طيلة حياته، وإنني لا أنسى ذلك المدرس الذي كاد يحطم طالباً صغيراً لأنه بال بولاً لاإرادياً في الفصل، وأصبحنا شباباً كباراً حين نمر بذلك الطالب فيطرق خجلاً وحرجاً منا لأننا نعرف القصة، وحين حصل مثل ذلك مع مدرس آخر وأصر الطلاب على أن الطالب بال في الفصل على ملابسه، وقف المدرس إلى جانب الطالب بحكمته وصرف انتباههم بلباقة عن التفكير في هذا الموضوع حتى سرعان مانسوه وانتهى الأمر.

إن الطفل يحتاج إلى يد حانية تمسح على رأسه.. وتأخذ بيده إلى شاطىء التوازن النفسي بعيداً عن الخلل والشروخ.. وهذا ما دعا بعض الدول الغنية إلى تعيين (أخصائي اجتماعي) في كل مدرسة يعالج مثل هذه الأمور.. ولكن التجربة لم تنجح لسببين:

الأول: سوء اختيار هؤلاء الأخصائيين.
والثاني: المعلم أولى بحل هذه الأمور ومعالجة هذه المواقف وذلك لعدم التوسع في نشر مثل تلك الأسرار والمشاكل.

وخلاصة القول لابد من التربية أولاً ، والتعليم معها ثانياً وخاصة في المراحل الأولى، إذ تعتبر المدرسة امتداداً للبيت فيجب أن تتضافر جهود المربين على ذلك، ليحمل العلم المتزنون الصالحون المؤدبون المحبون للفضيلة لكي يؤتي هذا العلم ثماره، ويحمله أهله..

على يد من يتربى الأبناء ؟

أول مايتبادر إلى الذهن أن الأبناء يتربون على أيدي معلمي وزارة التربية والمؤسسات التابعة لها.. نعم هذه حقيقة، ولكن هل هؤلاء فقط؟ أم هنالك مصادر أخرى تؤثر في العملية التربوية؟ إذاً ماهي هذه المصادر والمؤسسات المعنية بالتربية بشكل مباشر أو غير مباشر، وبنسب مختلفة؟ والتي لابد لكل مشتغل بأمور التربية أن يضعها في حسابه؟:

١ ـــ البيت: وهو أولها وأهمها وأطولها مدة وامتداداً وهو الأساس.
٢ ـــ والمدرسة.
٣ ـــ البيئة والمجتمع: كالمساجد، والمكتبات، والمحاضرات، الأنديـة والجمعيات، وسائل الإعلام باختلافها وبتنوع أساليبها.. والخدمة العسكرية في بعض الدول لها دور كبير في صقل شخصية الأفراد.

وكذلك سياسة الدولة العامة، هل هي قائمة على احترام مواطنيها، وحرصها على أن يكونوا عاملين منتجين تهيء لهم العيش الكريم أم عكس ذلك تحرص على قهرهم وإذلالهم وإبقائهم مستهلكين ضعفاء؟ كل هذه المؤسسات التي ذكرنا والتي فاتنا ذكرها تترك بصماتها جلية واضحة على شخصية ذلك البرعم ، وكل واحدة منها تحتاج إلى كتب لتتناولها بالشرح والتفصيل والتأثير ومالها وماعليها.

التربية من خلال المدرسة:

حينما تذكر المدرسة نعني بذلك المؤسسة الرسمية المعنية بالتربية والتي

تكون غالباً تحت إشراف الحكومات، وقد اتفق المربون على أن عناصر العملية التربوية ثلاثة:

١ ــ المنهج أو الكتاب.

٢ ــ والطالب.

٣ ــ والمربي.

المناهج:

قبل الحديث عن المناهج لابد من الكلام عن أهداف التربية إذ أن المناهج تخدم تلك الأهداف..

تعتبر أهداف التربية في كل بلد عنواناً لسياسة ذلك البلد لبناء مجتمع يحقق له طموحاته وتطلعاته، فمن البديهي أن تختلف أهداف التربية من بلد لآخر.. فأهداف التربية في اليابان مثلاً تهدف إلى إقامة قاعدة صناعية عريضة تختلف عن أهداف التربية في إسرائيل إذ تهدف لبناء قاعدة عسكرية عريضة، والقاسم المشترك بين الأمم من أهداف التربية هو إعداد المواطن « الصالح »..

وهنا ومن خلال الأهداف تكمن خطورة الأمر إذ توجه كافة الوسائل والأنشطة لخدمة ذلك الهدف وقلما تجد بين الأهداف هدفاً يدعو لترشيخ العقيدة الصحيحة أو إعداد الإنسان المسلم الحق... وإذا وجد مثل ذلك قرن بشيء آخر أفسده كأن يكون الهدف: إعداد الإنسان المؤمن بالله والوطن..

وهذه الأهداف العامة تتشعب إلى أهداف خاصة ثم توضع في قوالب مختلفة لتشكل فيما بعد مع المواد العلمية المناهج. المقررة للتدريس.

إذاً تصاغ المناهج وفقاً للأهداف من قبل متخصصين بالمواد العلمية وعلماء نفس وتربية، ومدرسين ذوي خبرة طويلة... ثم تفرغ في كتب، وتجرب وتعدل بين الحين والآخر لتشكل دليلاً للمعلم والطالب وخطاً عريضاً يسترشد به وفق مارسم له. والحديث عن المناهج وماسببته من غسل دماغ الناس وتزوير التاريخ يطول جداً، ولكن أقول: إن أغلب المناهج التي بين أيدينا مترجمة ومنقولة عن غيرنا بسلبياتها دون الإيجابيات وبعض النظريات أو الفرضيات قد تركها أصحابها

ونحن مازلنا متعلقين بها.

الطالب:

وهو محور العملية التربوية فالجميع يعمل لأجله.. والجهود والتجارب كلها من أجل أن تحقق له المزيد من المكاسب.. فيجب أن تكون المدرسة بالنسبة له حياة وليست إعداداً للحياة، يتعلم من خلالها وهو يلعب ويلهو، وهي امتداد طبيعي للبيت، وتغيرت كثير من المفاهيم فلم يعد الطفل صفحة بيضاء تكتب فيها ماتريد بل هو جملة من الانفعالات والإحساسات تحتاج إلى توجيه وتصعيد.. ويجب أيضاً أن يكون الطالب إيجابياً يتعلم بنفسه، والمعلم سلبياً يراقب ويوجه، وخرج الطلاب في دول الغرب من سجون الصفوف إلى المخابر والمزارع والمعامل للتعلم وأصبحت العملية تَعَلُّمية وليست تَعْلِيمية كذلك الثواب والعقاب والواجبات كل ذلك خضع لتجارب كثيرة وأبحاث كلها تهدف إلى إعداد هذا المتعلم ليكون شخصية متوازنة صالحة.

أما في كثير من الدول العربية فلا يزال الطالب بين جدران الفصول يتلقى الخطب والمحاضرات النظرية وأسيراً يعد الساعات حتى يسمع جرس الانصراف في حين زميله في الدول الأخرى تراه يبحث في المختبر والمعمل ويخترع ويُشجع.

المربي:

وهو في العملية التربوية الأهم على الإطلاق والمنهج بعده في الأهمية وهو الرأس إذا صلح صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله.. إذ يستطيع المربي الفاضل أن يغطي سلبيات المناهج ويستطيع المربي الفاشل أن يغطي إيجابيات المناهج أيضاً..

والأهم من ذلك والأصعب أن الطالب لايتربى على يد المربي من خلال الدروس فقط بل يأخذ عنه أضعاف ذلك من خلال النشاطات والإعجاب الشخصي والمحاكاة حتى في اللباس والمشي والكلام، يأخذ في هذا المجال

وقد يتأثر به ويأخذ عنه أكثر مما يأخذ عن الأب.

فأين هذه الشخصية المتزنة الطيبة القدوة إلى الخير الآمرة بالمعروف الناهية عن المنكر الذي يضع مخافة الله نصب عينيه حاملاً هذه الأمانة محباً لها، عارفاً بصعوباتها.. كيف يختار؟.

يخضع اختيار المدرسين إلى اعتبارات تتوافق مع سياسة البلد لتضمن تحقيق الأهداف التي رسمتها وتطبيق المناهج التي أعدتها لذا تختلف الدول في ذلك. وتتفق في شيء واحد وهو حصوله على المؤهل الذي يؤهله للعمل، وإذا لم تسع الدولة لتأمين المدرس الكفؤ فهي تهدم بيتها بيدها مهما طال الزمن أو قصر.

أما المؤهل فيقسم إلى قسمين:
الأول علمي: فيجب أن يكن المدرس ملماً إلماماً جيداً بالمادة التي سيدرسها.
الثاني تربوي: وهو حصوله على مؤهل تربوي يدرس من خلاله:

١ ــ طرق تدريس المواد: أي كيف يوصل هذه المواد للطالب وفن ذلك.
٢ ــ تربية وعلم نفس: وهي معرفة المراحل النفسية والانفعالية التي يمر من خلالها الطالب ليسهل عليه التعامل معه بدقة ويأخذ بيده.

فلا يعتبر مربياً من لم يحصل على المؤهل التربوي الثاني ولو كان في مادته في أعلى الدرجات... ومع أهمية هذا الأمر فقد غاب عن أذهان كثير من الناس وممن نحسبهم على خير. وقد فطن له وتنبه له كثير من الدول التي قطعت شوطاً كبيراً في هذا المضمار؛ ففي فرنسا مثلاً يختار خيرة المربين للمرحلة الإبتدائية، وتكون رواتبهم أعلى الرواتب، ويحترمون من الجميع، ولم لا، لأن الأساس هنا والبناء هنا، وبناء الإنسان أهم بكثير من بناء البنيان.. والرابح هو المجتمع في حين سمي « دار المعلمين » في إحدى الدول العربية (مأوى العجزة) وكنا نسمعها من مدرسينا إذ ينصحوننا بأن لانعمل في التربية والتعليم أبداً لما لاقوه، حتى قالوا: اشتغل أي عمل ولا تشتغل معلماً، وإذا أراد شخص أن ينتقص من الآخر يقول له « معلم أولاد ».

وليست هذه هي المصيبة فحسب بل هذه نصف المصيبة والنصف الآخر

أن المعلمين أنفسهم صدقوا هذا وعرفوه ، وإذا أردت المزيد يكفي الاطلاع على مجلاتهم التي تصدر عنهم وعن النقابات لتراها مليئة بالنكات والرسوم الكاريكاتورية التي تحمل هموم المعلمين ومشاكلهم وخاصة الاجتماعية والمادية، حتى يخيل إليك أنهم متسولون.

فالمعلم يعرف نفسه ويعرف قدره في المجتمع لذا تراه متخفياً لايظهر أنه معلم فلقد أمضينا ثلاث سنوات ونصف مع زميل لنا واخفى عنا أنه معلم وحين عرفنا فيما بعد قال: حتى إذا تكلمت يسمع لي.

ومعلم آخر يدعي أنه بائع أمام أناس اجتمع بهم وحين سئل عن السبب قال: تريدون أن يضحكوا مني؟..

فبأي نفسية يربي هؤلاء وبأي عطاء يعطون وأي قدوة يكونون؟! إن ذلك الواقع الأليم شائع ليس في الدول التي تسمي فقيرة فحسب؛ بل في الدول الغنية أيضاً قلما تجد شباباً يتقدمون إلى هذه المهنة إلا من ضاقت عليهم المهن الأخرى وينتظر أي فرصة ليتفلت منها.

هذه الهموم ينقلها المربون إلى الأبناء والأبناء إلى من بعدهم، وهكذا يتراكم الجهل والخطأ ويتنكر المجتمع الجاهل للمعلم ، والمعلم للمجتمع والطالب.

هل يمكن من خلال هذا الواقع إعادة ترتيب الأوراق وأن تقوم عملية تربوية متكاملة تجمع بين آخر ماوصل إليه العالم من تجارب في هذا المضمار وبين تعاليم ديننا الحنيف؟.

الجواب: نعم بإذن الله.. فإذا صيغت الأهداف صياغة جديدة لبناء مجتمع إسلامي قائم على الفضيلة منتج آخذ بالأسباب والسنن الكونية مواكب لركب العلم الحديث غدت المناهج تخدم هذه الأهداف ، واختير المدرس الكفؤ الذي يتقي الله ليحمل هذه الأمانة، وتعاونت مكانة المؤسسات المعنية بالتربية من بيت ومدرسة وإعلام ومساجد وجمعيات... تعاونت جميعاً على هدف واحد أظن أن ذلك يحقق التربية التي نصبوا إليها، وهذا لايتحقق إلا من خلال الأجهزة العليا المسؤولة عن السياسة العامة □

طب وتغذية

د. عبد السلام معروف

تحت عنوان : « الماشية البريطانية خطر على الصحة » كتبت صحيفة (الديلي تلغراف) البريطانية مقالاً تحدثت فيه عن أمراض الماشية، نوجزه فيما يلي:

أعلنت لجنة السوق الأوربية المشتركة أن الماشية البريطانية خطر على الصحة، وفرضت حظراً على استيراد الماشية التي ولدت قبل شهر (يوليو) ١٩٨٨، وهذه الخطة سوف تكلف المزارعين من الخسائر (٧) ملايين جنيه، وسوف تهدد تجارة الماشية الحية التي تبلغ (٤٧) مليون جنيه في السنة، وقد فشلت جهود الحكومة البريطانية في تهدئة خوف المستوردين من (مرض الجنون البقري) المعروف علمياً بالتهاب المخ البقري.

إن احصائيات وزارة الزراعة تفيد أن المرض قد أصاب (٩٤٣٦) من المواشي، وهناك خوف من انتشار المرض إلى الإنسان، وإن لجنة الأطباء البيطريين التابعة للسوق الأوربية المشتركة أعلنت أنه لاجدال في أن لحم البقر البريطاني غير صالح للاستهلاك، وقد أعلنت الحكومة الألمانية أن بريطانيا هي الدولة الوحيدة في أوربا التي يوجد بها (مرض الجنون البقري) بسبب الوسائل غير الصحية التي تتبع في تحضير غذاء الماشية. اهـ .

ديلي تلغراف ١٩٩٠/١/٢٤

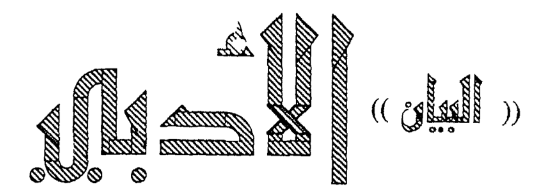
تعليق:

الحقيقة أن سبب هذا المرض المنتشر هو طريقة التغذية التي تعتمد على غذاء حيواني يحتوي على أحشاء الأغنام الميتة، ولذلك منع هذا الغذاء ابتداء من يوليو ١٩٨٨.

إن هؤلاء الغربيين لم يكتفوا بأن أفسدوا فطرتهم فأرادوا إفساد فطرة الحيوان أيضاً، فالنباتات هي الغذاء الطبيعي لمثل هذه الحيوانات، ولكن جشعهم المادي الذي لاحدود له والذي لاتقف أمامه أي نظرة إنسانية جعلهم يستخدمون أي وسيلة رخيصة لتسمين الحيوانات، وقد حرم الإسلام أكل لحوم الحيوانات المفترسة لحكم كثيرة، جاء في صحيح سنن الترمذي عن جابر قال: « حرم رسول الله ﷺ ــ يعني يوم خيبر ــ الحمر الأنسية، ولحوم البغال، وكل ذي ناب من السباع، وذي مخلب من الطير » [1].

فهل يريد هؤلاء تحويل الأبقار إلى آكلة لحوم؟ وقد حدث في بريطانية حادثة تشبه هذه الحادثة ، وهي أزمة البيض التي أدت إلى استقالة وزيرة الصحة، وإتلاف الملايين من البيض بسبب وجود جرثومة (السارمانيللا) وقد اتضح أن السبب في ذلك هو إطعام الدجاج غذاء ذا مصدر حيواني مستخلص من الدجاج الميت ولكنهم لايعتبرون ولايذكرون □

١ ــ صحيح سنن الترمذي ٨٣/٢ تحقيق الألباني.



□ النهاية (قصيدة)

□ ثغرة الأدب بين دعاة الإسلام وخصومه

□ العقوق (قصة قصيرة)

□ من عيون الشعر : حنين إلى الوطن

النهاية

شعر: مروان كجك

مِنْ كُلِّ حَدْبٍ أقبلوا ... مِنْ كُلِّ صَوْبٍ عجّلوا

فَلَقَدْ دَنا العهدُ الذي ... قالَ النبيُّ سيحصُلُ

فالأرضُ ترقُبُ جمعَكم ... والغرقدُ المستعجِلُ

والبحرُ والسهلُ الفسيـ ... ـحُ وصَفقةٌ لا تُمْهِلُ

لَنْ تُفلتوا مِن قبضةِ ... الأبطالِ لا لَنْ ترحلوا

فقبورُكم في أرضنا ... وهُنا الأماني تُقْفَلُ

* * *

لم يَحمِكم غدرٌ ولَنْ ... يَشفعْ لكم ما يُبذَلُ

فلأنتم أخزى مَقا ... مًا في البريّةِ يُنزَلُ

ولأنتم أشقى رِها ... نًا يا يهودُ وأضحلُ

ولأنتم نَتْنُ الزما ... نِ ونَبْتُهُ المسترذَلُ

* * *

مَهما عَلَوْتُمْ يا أفـــا   عي فالسقوطُ مُؤمَّلُ

سُدْتُمْ غَداةَ تناثرت   منّا الرُّؤى والمِشعَلُ

سُدْتُمْ غَداةَ تَفيرت   أردانُنا والموئِلُ

وعَلوتُمْ ظُلماً وعدوا   ناً فَسَادَ الأرْذَلُ

عُملاؤكم لَن يقطفوا   ثَمَراً ولن يُستَمهَلوا

خانوا الأمانةَ مِثلَكم   لم يأنفُوا أو يَخجَلوا

باعوا البلادَ وأرسلوا   أثمانَها لبُنُوكِكُمْ فتأمَّلوا

لَم يتركوا لليتيمـةِ   إرثاً ولا ما يُحمَلُ

قالوا: الأمانةُ أن نبيـــعَ ونشتري لا نُسأَلُ

فلقَدْ صَعِدنا للكرا   سي والرؤوسُ تُجنْدَلُ

ولقد سكرنا والأمـا   سي بالأضاحي حُفَّلُ

لا لن نثوبَ لرُشْدنا   حتى تُقَطَّعَ أرجُلُ

لا لن نثوبَ لرُشْدنا   حتى يسيخَ الأسفَلُ

إنّا على العهدِ القديم   نَصونُهُ ونُقَبِّلُ

إنّا يهودٌ مثلُهُمْ   لكنّنا نَتَجَمَّلُ

* * *

يا جامعَ الشملِ الشتيـ ... ـتِ رمالُنا تتململُ

عطشى، تَقَلَّبُ، تلتوي ... حيناً وحيناً ترحلُ

تقتاتُ من لبأ البشا ... رةِ، لهمِّها المستقبَلُ

فليرفعوا راياتِهم ... فوقَ الرُّبا وليُقبِلوا

وليَجْمَعوا أشتاتَهم ... من كلِّ صِنفٍ يَنْسِلُ

فهُنا على بطحائنا ... طِفلٌ يشِبُّ ويحمِلُ

لم تُلهِهِ قيثارةُ الغو ... غاءِ، أو سَفَهٌ يَجْهَلُ

ميثاقُهُ في قلبِهِ ... واللحنُ أصدقُهُ أجملُ

باعَ الطفولةَ بالرجو ... لةِ، لم يَرُعْهُ المقتَلُ

وهنا على بطحائنا ... وعدٌ صَدوقٌ صَيقلُ

لابدَّ آتٍ يومُهُ ... والحقُّ لا يتبدَّلُ

فاللهُ يُمهِلُ مَنْ بغى ... لكنّهُ لا يُهْمِلُ

هذا يقينٌ صادقٌ ... إنّي لأُقسمُ، تُقبلُ

فَلينسجوا أكفانَهم ... وليَحْمِلوا ما يُحْمَلُ

وليُقْبِلوا بضروعِهم ... وأصولِهم وليَدْخلوا

فالمسجد الأقصى انتضى السيف الذي لا يُجْهَلُ
ونوازعُ الإسلام في كلّ القلوب تَغَلْغَلُ
فَلْتُسْرِعوا بمجيئكم حانَ القِطافُ فعجِّلوا
ولَقد دَنا العهد الذي قالَ النبي سيحصلُ

القاهرة
٢٩ - ١ - ١٩٩٠



ثغرة الأدب
بين دعاة الإسلام وخصومه

يحيى محمد رسام

لاشك أن الصحوة الإسلامية وقفت في وجه خصومها، وتصدت لكل الجبهات، فأعادت للإسلام صفاءه وبهاءه، كما أعادت للمسلمين اعتزازهم بدينهم، ولكنها ولأسباب كثيرة نسيت أو تجاهلت ثغرة لم تقدرها حق قدرها وظنت أنها سهلة هينة، مع أنها عسيرة وخطيرة تلك هي ثغرة الأدب من شعر وقصة ورواية.. ونقد...

خطورة هذه الثغرة:

يمكن إدراك خطورة هذه الثغرة إذا ألقينا نظرة على مايقوم به الأعداء من ناحيتها حيث استغلوها أيما استغلال، وتسللوا من خلالها إلى عقول كثير من أبنـاء الإسلام وأذواقهم، ويكفي أن تجول ببصرك في وسائل الإعلام التي تزخر بالأسماء (اللامعة) لمن يسمونهم الأدباء والمبدعين والنقاد، بل يكفي لإدراك هذا أن تتأمل وبقليل من العمق الواقع الثقافي والإعلامي في البلاد الإسلامية، فمامن بلد إسلامي إلا وتصدر فيه عدد من المجلات والصحف، من الفصلية إلى اليومية التي تخصص كثيراً من صفحاتها لنشر إنتاج أولئك (المبدعين!!) على أنه الغذاء للعقول والأفكار، ومن الإشادة بهؤلاء تصنع الطاقات وتشهر مع الأيام ويخدعونه بها الناس.

وبعملية استقرائية بسيطة لعدد من تلك الصحف والمجلات في بلد

عربي صغير المساحة قليل السكان متوسط المستوى الثقافي، ندرك مدى العناية التي يوليها أولئك لهذه الثغرة.

الأدب وسيلة فاعلة ومؤثرة:

إن الفئات الرافضة للإسلام يتوسلون لنشر أفكارهم المسمومة وإقناع الجماهير بمعتقداتهم بهذا الجانب من النشاط الفكري الإنساني وبما تعلموه من تجاربهم، وبتوجيه من أسيادهم اهتدوا إلى هذا الأسلوب، وهو أن يتدثروا برداء الأدب، وعن طريقه وتحت مظلته يستطيعون وبكل سهولة ودون معارضة أن يطرحوا أفكارهم وآراءهم، ولاشك أن الأدب وسيلة نافذة وسريعة، وقوية التأثير في النفوس، وهم لذلك لايألون جهداً في تجنيد كل طاقاتهم في هذا السبيل، ويستخدمون الشعر والقصة والمسرحية وإن كان الذين يطلعون على هذا الانتاج في هذه المرحلة فئة محددة، ولكن في المرحلة الثانية يأتي دور الناقد كشارح وموضح أو مروج لهذه النصوص الأدبية.

وقراء هذه المرحلة يزدادون نسبياً نتيجة الإغراء الذي يقوم به الناقد والذي يخترع — في الغالب — للعمل الأدبي من الخصائص والميزات مالم يخطر في بال صاحبه أصلاً. وهناك مرحلة ثالثة حيث يقوم الناقد بالإشارة أو ترشيح النص الأدبي لأداء دور أخطر وأعمق أثراً، فإن كان النص قصيدة شعرية رشحها لتكون في منهج الأدب والبلاغة، وإن كان النص مسرحية رشحها للتمثيل على خشبة المسرح، وإن كان رواية رشحها لتكون فيلماً سينمائياً لأنها في نظره تعالج أمراضاً اجتماعية وفيها أبعاد سياسية!! ويفعلون ذلك لعلمهم أن غالبية الجماهير لازالت خارجة عن نطاق التأثر في المرحلتين السابقتين.

الإشارة بالرموز:

ثم انظر إلى الإصرار على إشارتهم برموزهم في كل حين، وبمناسبة ودون مناسبة في الوقت الذي يتجاهلون فيه عن عمد كثيراً من الرواد الأصلاء، ونضرب مثالاً واحداً لهذه الظاهرة بما يلقاه أمثال طه حسين من احتفاء وتكريم وإشادة به ويهمل أمثال أحمد حسن الزيات والرافعي والمازني وسيد قطب

ومحمود محمد شاكر وغيرهم (١).

أخطر ميادين الصراع:

وقبل أن ننتقل إلى الحديث عن موقف الإسلاميين من الأدب، نحب أن نؤكد على أن هذا الميدان من ميادين الثقافة أحد أخطر ميادين الصراع بين الإسلام وخصومه (٢) وأن معركتنا مع أدباء الحداثة وبقية المستغربين هي معركة سياسية عقائدية، وهم من خلال الأدب والثقافة يوجهون أخطر طعناتهم لأعز ماتملك الأمة: عقيدتها وشريعتها.. فالعصر الأموي عندهم لايزيد عن كونه عصر الأخطل وجرير والفرزدق وصراع القيسيين واليمانيين، وأما العصور العباسية فهي عصور ليالي الرشيد وأبي نواس والعباس بن الأحنف، والجواري والمغنيات، وهم في نفس الوقت لاينسون الإشادة بالحركات الباطنية وحركة الزنج والقرامطة وكل الشخصيات المنحرفة كميمون القداح وعلي بن الفضل ومنصور اليمن.. ويتفاخر بعضهم بالانتساب إليهم فهذا يكتب (بسيف علي بن الفضل) والآخر يفخر بتوقيع مقدمات كتبه (حفيد بن الفضل)، ويخرج أحد الشعراء في بلد صغير وفقير ثمانية دواوين شعرية متتالية، كلها تحريض للمرأة على الخروج على أوامر الإسلام، وسخرية بالعلماء الذين يهاجمونه، بل ينتقص من أحكام الأسرة في الإسلام، ثم يقدم أديب مشهور أحد دواوينه (١) ويدعو الشباب لقراءة دواوينه، فالشاعر في نظره عالج بشجاعة أخطر القضايا الاجتماعية.

دعاة الإسلام والإهمال المخل:

إذا كان شأن الأدب كما ذكرنا فما هي المساحة التي يحتلها في برامج وخطط أنصار الفكر الإسلامي من الشباب، إن الجواب على ذلك ميسور ولا يحتاج لكبير عناء، فما علينا إلا أن نتصفح أدبيات الصحف والمجلات الإسلامية لندرك مدى الفقر الذي تعانيه في هذا الجانب، فليس هناك مجلة واحدة

١ ــ وأخيراً حصل صبي المبشرين لويس عوض على جائزة الدولة التقديرية في مصر.
٢ ــ انظر: محمود شاكر: أباطيل وأسمار.
٣ ــ الشاعر هو الشرفي والأديب هو الدكتور المقالح.

على طول العالم الإسلامي وعرضه مخصصة لهذا الجانب، وتكتفي المجلات الإسلامية بتخصيص صفحات محدودة لباب الأدب، وإذا كان ذلك أمراً مؤلماً للنفس، ويدعو للأسى، فإن الأكثر إيلاماً هو عدم اهتمام المشرفين على أبواب الأدب بالمشاركات الأدبية التي يرسلها القراء وعدم تشجيعهم الناشئة. فأنى بعد ذلك للأدباء الإسلاميين أن يبدعوا وأنى للمواهب الشابة أن تنمو وتتطور ؟ وهل ننتظر أن تنشر لهم مجلات العلمانيين الذين يخصصون المجلات الكبيرة لنشر المقالات الطويلة والبحوث المعمقة والقصائد الحديثة، وهكذا يظهر جلياً مدى الخلل الذي أصاب هذا الجانب ومدى الإغفال الذي لقيه عند المسلمين.

من أين جاء الخلل:

هل جاء الخلل من جهة سوء الفهم لدى البعض لموقف الإسلام من الشعر أساساً، والجواب أن هذا احتمال وارد بل وقوي وله مايفسره، فرغم ماكتب عن صلة الأدب بالإسلام إلا أن غيوماً من دعايات وشبهات أعداء الإسلام حول هذه القضية تركت آثارها في النفوس، ويمكن ملاحظة أعراض ذلك القصور، من خلال ملاحظة أن كثيراً من النابهين من أصحاب التخصصات العلمية في الأصل، لم يتجهوا إلى الدراسات الأدبية عندما أرادوا خدمة الإسلام بالدراسات غير العلمية ، وكثيراً من الدعاة الذين كان لهم مساهمات أدبية جيدة في بداية حياتهم انصرفوا عن الأدب والشعر وكأن ذلك يزري بهم، فإذا كان ذلك هو حال من يفترض فيهم أنهم الموجهون لسير الدعوة فكيف غيرهم؟ وهنا لابد أن نسأل مامدى صحة وسلامة هذا الموقف؟ لنرى أولاً ماهو موقف الكتاب والسنة في الشعر والأدب بشكل عام.

موقف القرآن والسنة من الشعر والأدب:

قال تعالى عن الشعراء: ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون مالا يفعلون، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ماظلموا، وسيعلم

الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾ وإذاً فهذا هو القرآن الكريم، قد هاجم بعنف الشعراء المناوئين للدعوة الإسلامية وشنع عليهم، وفي الوقت نفسه أشاد بالشعراء المؤمنين، وأشار إلى أوصافهم وأنهم يعملون الصالحات ويذكرون الله كثيراً وينتصرون بعدما ظلموا، وأنهم لابد أن يقوموا بواجب الجهاد بالكلمة.

وأما موقف الرسول ﷺ فقد كان يحرض ويشجع من يرى فيهم ملكة الشعر لمواجهة الشعراء المحاربين للدعوة الإسلامية والأحاديث كثيرة في حض وتشجيع حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وغيرهم، الذين كانت ألسنتهم سيوفاً حادة في وجوه الكافرين ويدعو الرسول ﷺ لبعضهم بأن يؤيده روح القدس إذا هو هجا الكفار.

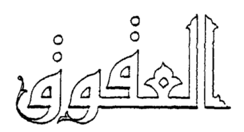
وإذا كان ذلك هو موقف القرآن والسنة وموقف الصحابة من الشعر والشعراء، فقد يقال: فماذا عن بقية عناصر الأدب كالقصص والأمثال واتباع الأساليب البلاغية والبيانية؟

فنقول: أما استخدام القرآن للقصة كأسلوب مؤثر وفعال في تبليغ الدعوة وغرس المفاهيم وتحليل مواقف أعداء الدعوة الظاهرة وصلتها بدخائلهم فذلك واضح لا يحتاج لبيان، بل إن أسلوب بعض القصص القرآني فيه كل عناصر القصة من عناصر التشويق وتصوير الشخوص واستخدام الحوار وحل العقدة في النهاية وانتصار الخير دائماً مثل قصة (يوسف) عليه السلام. وكذلك استخدام القرآن للأمثال وهو من ألوان الأدب.

وقد أمر الرسول ﷺ بأن يعظ الكافرين ويقول لهم في أنفسهم قولاً بليغاً. والدعاة في كل عصر مأمورون بما أمر به الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، ولاشك أن تأثير من له صلة بالأدب لأعمق وأبلغ في نفوس الجماهير ممن لاحظ له في ذلك، بل إننا نرى أن الجفاف في أسلوب بعض الدعاة من أسباب إعراض بعض الناس عنهم، يقول الأستاذ محمد قطب:

« إن الأدب لابد أن يكون في خدمة الدعوة، فإن أعداءنا يستخدمونه ضد الإسلام وأخلاقياته، وإن الآداب من أقوى الوسائل التي إن استخدمناها نكون قد أدينا واجباً مهماً.

ويعتبر الأستاذ أبو الحسن الندوي أن الأدب من أقوى العوامل في (الإفساد) أو (الإصلاح) ولذلك لايجوز أن نفصل بين الأدب والأخلاق □



خولة درويش

يالفرحة (أم نديم) وهي ترى عروس ابنها الجميلة (سها) تزف له، إنها فرحة طالما انتظرتها لتجبر قلبها الكسير، ولتأسو جراح نفسها المكلومة، ويالسرورها وهنائها! هاهو ابنها تكتمل رجولته إذ يعمر بيت والده (المرحوم خالد) فتسعد بذلك كما سعدت يوم تخرج من كلية الهندسة وعين في إحدى الشركات الكبرى، فتركت مهنة الخياطة التي ماكانت لتعمل بها لولا الحاجة، كانت تمضي سحابة يومها في استقبال زبائنها من الراغبات في الأناقة، وتسهر جل ليلها خلف ماكينة الخياطة لتؤمن لعيالها الحياة الهانئة الكريمة بعيداً عن الحاجة، تتطلع إلى أملها الكبير (نديم) ليحمل عنها أعباء أضحت تنوء بحملها، وهي على أبواب شيخوخة مبكرة جلبها كدح النهار وهم الليالي لإعالة أيتام، وتأمين الحياة الكريمة لهم بعيداً عن العوز والفاقة.

لكن صاحباتها ممن يعرفن (سها) المعرفة الحقة كان يحدوهن تفاؤل حذر إلى تحفظ في الفرح والسرور، ومامنعهن الإقدام على نصيحتها إلا الخوف من أن يتهمن بالغيرة ذلك أن جمال (سها) البارع قد ملك على (أم نديم)

قلبها بل وعقلها أيضاً، ولم تدر أن هذا الجمال لم يورث (سها) إلا غطرسة وكبراً بل وتسلطاً في الرأي يلمسه كل من يعاشرها..

ومنذ أن اقترنت بـ (الأستاذ نديم) أضافت إلى سلطانها وجبروتها عش الزوجية الجديد. فأضحت رغباتها أوامر عند أفراد الأسرة جميعاً وأصبح زوجها لايتوانى عن تنفيذ ماتحب أياً كان ذلك ... وإن حدث التواني أو التأجيل.. فلا اعتذار يقبل، بل ينطلق السخط من فمها فيحول المنزل إلى جحيم لايطاق.

وكان الجميع يطلب لنفسه السلامة برضاها، وعمل مايروق لها، فهل ترضى ؟! لازلت أذكر يوم كانت (سها) تشكو حب ابنتها (سلوى) لجدتها وعماتها وبرها لهم وتعلقها بهم.
وعندما قلت لها سائلة ومقربة بين وجهات النظر :
ـــ وماذا في برها بجدتها وقربها من عماتها ؟! أوليس ذلك مما يفرح الأم ؟ إن من يبر جدته ويحسن إلى عمته قادر أن يكون أكثر إحساناً إلى أمه... ولكن هيهات أن تقتنع (سها) أو ترضى بهذه الأقوال..

لقد حجب هواها الجامح جمال الحقيقة، فما وجدت منه إلا النفور، لقد امتقع وجهها وهي تقول:
ـــ لا ليس كل الناس سواء، هؤلاء كالثعابين التي تقذف بالسم، إنهم أعداء بثياب الأهل والأقارب.
ويجمح بها الانفعال فتتابع الكلمات تتدفق من فمها:
ـــ يكفي المرارة التي جرعوني إياها عن طريق ابنهم ووساوسهم له، أيريدون أن يذيقوني الويل من أولادي أيضاً ؟!
وأرادت أن تختصر الحديث فهبت واقفة وهي تتوعد بأمر لاترعوي عن إظهاره:
ـــ والله لن أدع لهم مكاناً في بيتي... فإما أنا أو هم، وليعمل ابنهم مايشاء، فمنزل أهلي يسعني...
ويأتي الزوج .. ويحتدم النقاش، ويخونه بيانه ومنطقه، ولم تسعفه أية حجة حتى قول الرسول ﷺ : « بروا آباءكم تبركم أبناؤكم ».

لامس حسها الغليظ فما وجد منها غير التبلد واللامبالاة والإصرار على

موقفها المشين. فما كان من الزوج الذي اعتاد الانصياع لزوجته المتسلطة إلا أن رضخ لرغبتها، ورأى أن والدته برحابة صدرها، أكثر تقديراً للأمور من زوجته.

فقرر مفاتحة الأم الرؤوم ، وقال لها بصوت كسير حزين:
ـــ عزيز علي أن أقول لك ياخير أم، أنني ابنك البار بك، والذي يفديك بالغالي والرخيص... ويسود صمت ثقيل، فالموقف الجلل يمنع الكلمات المتعثرة من أن تظهر، فتغوص في أعماق حنجرته.

. ونظرات الأم الحائرة ترمقه في دهشة وتساؤل.
ثم يكمل وقد غلبت عليه الأثرة قائلاً:
ـــ إن (سها) قد أتعبتني، وتجد أن لاحق لأحد في زوجها وبيتها، فماذا أعمل؟!
وبين دهشة الأم وحسرتها، سالت دمعة أسيفة من عينيها، وفي بساطة تعسة قالت بتسليم حزين:
ـــ اعمل ماتريد، أما أنا وأخواتك فنفوض أمرنا إلى الله..

ثم خرجت وبناتها من البيت... وفي نفسها تعتلج المشاعر الأليمة، والضيق المكتوم و (سها) تشيعها بابتسامة تحكي قسوتها وفظاعتها، وتخلو من كل معاني الإنسانية.

.. وعاشت الأم حياة بائسة قد لاتصل إلى حد الكفاف... وهي التي لاتفتأ تسمع عن حفلات ابنها وولائمه، ونفسها تتوق إلى لقمة طعام من كده وسعيه، فلا تلقى إلا صدقات بعض المحسنين الذي يرجون ثواب الله في إعطاء الصدقة للمتعففين من ذوي الحاجات، أمثالها!

فما أشق ذلك على النفس التي مااعتادت الاستخذاء، لكنه السن والحاجة!!
وأما (سها) فهل وجدت السعادة التي كانت تنشدها؟!
أم هل أصبحت التطلعات المبتذلة هي مقياس السعادة؟!
هاهو البيت قد فرغ لها، ففرحت وفرح أهلها، إذ خلا المنزل فما ينغصهم أحد، كما سول لهم عقلهم القاصر، ومادروا أن البر وصلة الرحم توسع الرزق وتسعد العيش !!

ويتحامل (نديم) على نفسه ويرحب بهم فيزيد ذلك من غبطتهم.. ثم لايلبث أن ينقلب الترحيب إلى تجهم وكدر، ويبلغ الأمر حده عندما أعلن موقفه بوضوح، وقد شعر أنه الذليل في بيته، الجريح في رجولته، وأصر على عودة أهله (والدته وأخواته) الذين لامعيل لهم غيره، ليشاركوه النعم التي أنعم الله بها عليه.

ولكن أنى توافق (سها) على ذلك ؟! وهي التي ترفض حتى الكلمة الطيبة من ابنتها لهم... إن الغيرة قد أكلت قلبها. والهواجس الخبيثة قد أفسدت عيشها، فما تطيق أن ترى زوجها يسر لهم بحديث، أو يبادلهم الابتسام أو حتى الهموم؟؟ وتصر على الرفض ... وتضحى بأهلها عندما أعلنتها بعنجهية بعد جدل طويل:

ـــ إن كان يروق لك بعدي عن أهلي فمن الآن فصاعداً لن أجعل أحداً منهم يأتي لبيتك، فلا أهلي ولا أهلك، هل أعجبك ذلك؟!

فيرد وقد تخاذل أمامها كعادته:

ـــ نعم أعجبني.

ويوصد بيت العقوق أبوابه أمام أهل كل من الزوجين، ويكتفيان بأنفسهما وقرنائهما...

وتمر الأيام والسنون... ويحين موعد زفاف ابنتهم (سلوى) ويجد الاستاذ (نديم) أن هذه فرصته كي يشعر بحقه الطبيعي في القوامة على المنزل ورئاسة الأسرة. وأن يظهر أمام أصهاره بالمظهر اللائق كرجل يحترم نفسه.

ودون استشارة حرمه (سها) دعا أهله لحضور الفرح كما ودعا أهل زوجته أيضاً.. وهكذا.. أصبح عرس (سلوى) الفرح الذي وارى جراح أقاربها ولم شعث أهلها..

وسادت الحياة طبيعية، لولا نذر الانتكاس التي كانت تظهر بين الحين والآخر فيعالجها نديم بصبره الدؤوب وإصراره العنيد على عدم التفريط بوشائج القربى وصلة الأرحام.

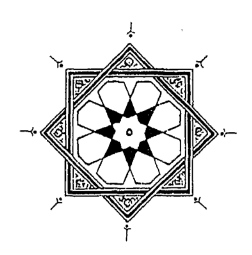
وأنا اليوم وبعد سنوات قليلة من هذا الزواج، أرى (سها) ـــ ولأول

مرة ـــ في انهيار مريع تبكي بمرارة وحرقة ماأسبغته على ابنتها (سلوى) من رفاه وماتلقى منها من الجحود.

فيبلغ بها الانهيار مداه وقد أسقط في يدها فتغطي وجهها بكلتا يديها وتنشج كالطفلة الصغيرة وهي تكوم جسدها الكليل على إحدى الأرائك، تنتحب من أعماق فؤادها المكلوم، وكلمات لاتكاد تبين تخرج من بين شهقاتها:

ـــ آه من سلوى! قد صار لزوجها بيت ولايأذن لي بدخوله؟!

يالها من عاقة، عاقة لاخير فيها، جحودة منكرة للجميل! ويزداد تشنجها، عندما يمر أمام مخيلتها، شريط جحودها هي لفضل أهلها وحقوق زوجها وأهله... وكأنها تقول: ألا ماأشبه الليلة بالبارحة، ومن جرّع غيره كأس العلقم احتساه بما قدمت يداه □



حنين إلى الوطن

قال أبو العلاء وهو في بغداد يحن إلى موطنه في الشام:

١ ــ أإخواننا بين الفرات وجِلَّقٍ
يدَ الله لا خَبَّرتُكُم بِمُحالِ

٢ ــ أُنبئكم أني على العهد سالمٌ
ووجهيَ لما يُبْتَذَلْ بسؤالِ

٣ ــ وأني تَيَمَّمتُ العراق لغير ما
تيممه غيلانُ عندَ بلالِ

٤ ــ فأصبحتُ محسوداً بفضليَ وحدَهُ
على بعدِ أنصاري وقلةِ مالي

٥ ــ ندمتُ على أرضِ العواصمِ بعدما
غدوتُ بها في السومِ غيرَ مُغالِ

٦ ــ وَمِنْ دونِها يومٌ من الشمسِ عاطلٌ
وليلٌ بأطرافِ الأسِنَّةِ حالِ

٧ ــ وشعثٌ مداريها الصوارمُ والقنا
وليسَ لها إلا الكماةَ فَوالِ

٨ ــ أروحُ فلا أخشى المنايا وأتقي
تَدَنُّسَ عرضٍ أو ذَميمَ فَعالِ

٩ ــ إذا ماحبالٌ من خليلٍ تصرمتْ
علقتُ بخلِ غَيْرِهِ بِحِبالِ

١٠ ــ ولو أنني في هالةِ البدرِ قاعدٌ
لما هاب يومي رفعتي وجلالي

١ ـــ يَدَ الله: قسم، أي أحلف بيد الله لاخبرتكم إلا بيقين.

٢ ـــ وجهي لما يبتذل بسؤال: لم أهن وجهي بسؤال أحد من ماله.

٣ ـــ قصدت العراق استزادة للعلم لا لمدح أحد ونيل مكافأة كما كان يفعل غيلان بن عقبة (ذو الرمة) في قصده بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، وكان والياً على البصرة، لمدحه ونيل نواله.

٤ ـــ هذا بيت في الفخر، أي أصبح الناس يحسدونني على فضلي مع قلة مالي وبعدي عن أنصاري.

٥ ـــ ندمت على أرض العواصم: ندمت على مفارقة أرض العواصم وهي المنطقة التي فيها بلدته (معرة النعمان).

٦ ـــ يوم عاطل من الشمس: لاتظهر فيه الشمس لكثرة الغبار. وليل حال بأطراف الأسنة: مزدان ببريق أطراف الرماح وهو هنا يشير إلى أن البلاد بين العراق والشام في تلك الفترة كانت غير مستقرة، تشتعل فيها الحروب والفتن.

٧ ـــ الشعث: جمع أشعث وهو الذي لايتعهد شعره بالغسل والترجيل. والمداري: الأمشاط، لما وصفهم بأنهم شعث جعل السيوف والرماح التي تعمل في رؤوسهم في المعارك كالمداري.

٨ ـــ لايخاف المنايا بل يخشى الفعال المذموم ومايدنس العرض ، وهذا كقول أبي الطيب:

يهون علينا أت تصاب جسومنا وتسلم أعراض لنا وعقول

٩ ـــ تصرمت : تقطعت.

١٠ ـــ الهالة: الدارة التي ترى حول البدر إذا حال دونه غيم، أي لو كنت في هذا المكان المرتفع لجاءتني منيتي ولما هابتني من أجل جلالي ورفعتي.



شؤون العالم الإسلامي ومشكلاته

- □ زلزلة العقيدة أولاً ثم تنهدم الأسوار
- □ أحداث أوربا الشرقية والصحوة الإسلامية
- □ البابا يدعو الشباب التشادي ليكونوا قساوسة

زلزلة العقيدة أولاً ثم تنهدم الأسوار

أساليب حملات التنصير في أندونيسيا

« نْجِمْبِسان » قرية نائية مهملة تقع على سفح جبل ميرابي في مقاطعة سليمان في اقليم بوغي جاكرتا، وتمثل نموذجاً للقرية الأندنوسية من حيث ارتفاع عدد السكان وصلاحيتها كمرتع للبعثات التبشيرية.

لقد كانت مفاجأة سارة لأهل القرية عندما زارهم في أحد الأيام رجل وامرأة من العرق الأبيض برفقة أناس من أهالي البلد. جاءوا محملين بالهدايا؛ أرز، سكر، ملابس مستعملة للصغار والكبار، بل حتى الأدوية الطبية التي كان لها نتائج سحرية. ماأشد جهل هؤلاء القرويين المساكين؟! حيث لايعرفون كيف يتاجر أصحاب الأدوية هؤلاء بأدويتهم، وكيف أصبحت الدول النامية أمكنة تصريف لما لاتبيح قوانين الدول المتقدمة توزيعه من الأدوية.

ويتخذ الرجال مواضعهم حول هذه الخيرات بينما النساء الخجولات ينظرن إلى الفساتين المطرزة وهي تخرج من الصناديق، ويتعجبن من أخوات لهن يلبسن هذه الملابس الخفيفة التي لاتكاد تستر الأجساد! ويقبل من بعيد طفل عليه مظاهر الشغب فيرتدي لباساً واسعاً، ويختال فيه فينفجر الحاضرون بالضحك على هذا المنظر الطريف، فيتعثر الطفل بسيره ويسقط على الأرض فتهرع الأم نحوه وتصفعه على خده، فيرتبك ويبكي، ويعتكر الجو بعض الشيء.

يدخل شيخ القبيلة، وقد كان يراقب الموقف من بعيد، ثم يطلب من الجميع الالتزام بالنظام، ويسأل: ماذا يحدث هنا ؟ فيقوم أحد البيض فيرحب به باللغة المحلية، ويقدم له رسالة توصية من المشرف العام، وضعت في ظرف كبير. يأخذ شيخ القبيلة الظرف ويتحسس لفائف الورق بداخله ويضعه في جيبه، فهو أمي!

لقد أُنجز نصف المهمة! وقرر هؤلاء الزوار الكرماء الرحماء البقاء في القرية البائسة لإنقاذها من مصيرها الأسود!!

أيتها السيدات! هذا مال افتتحن به دكاكين على جوانب الطرق! لستن ملزمات بشيء! أليس بيع الأطعمة والدخان والعلكة يدعم دخل العائلة ويرفع من مستوى الدخل القومي ؟! وكيف تنهض أمة إذا كان نصف مواطنيها عاطلاً عن العمل، مهدراً وقته وقوته في عمل البيت والعناية بالأطفال ؟!

وأنتم أيها الفلاحين هذه بذور من نوع جيد، وهذه أدوات زراعية حديثة، وهذه أسمدة ومبيدات حشرية.. مجاناً.. بدون مقابل ! فضاعفوا منتجاتكم الزراعية، وطوروا أساليبكم الزراعية ! ياأهل القرية : إن أرضكم لاتفي بحاجاتكم الضرورية . ولذلك فهذه أبقار وأغنام استثمروها ، فهي منيحة لكم ، ليس عليكم إلا أن تعيدوا لنا ماتلده ، أما ماتبقى من فوائدها فهو لكم ، فاحملوا عليها ، واحلبوا. وحتى إذا أرجعتم إلينا ماتلده هذه الماشية فهي منكم وإليكم، ستكون وقفاً مشتركاً على أهل القرية، وربما أعدناها إليكم ثانية، كل ذلك مجاناً وبدون مقابل !

لكن ، حاجة من عاش لاتنقضي ! وكلما اعتمد أحد على غيره بحاجاته الضرورية فسوف يصبح رهينة في يديه خوفاً من انقطاع هذه الحاجات ، ولذلك فهو مستعد لكل شيء يطلبه ولي النعمة من أجل الإبقاء على الامتيازات التي جاءت عن طريقه !

خدمات كثيرة لاحصر لها تقدم لأهل هذه القرى المسكينة ؛ دورات مجانية لتعليم طرق الزراعة ، النجارة ، الخياطة ، تصليح السيارات وأجهزة الراديو ، اللغة الإنكليزية ، حتى الرقص ! والذين يشتركون في هذه الدورات ليسوا كلهم مسلمين ، فأصول اللعبة تقتضي إبعاد الشبهات والتغطية ! لكن سواء شارك مسلمون أو غير مسلمين (من بوذيين ووثنيين) فعلى الجميع حضور دورة في النصرانية .

الأيام تمر ، والخدمات تزداد ، وتتسع دائرتها ، فإذا ماحتاج أحد من أهل القرية أن يرمم بيته فما عليه إلا أن يقصد شيخ القرية الذي تحول إلى مسؤول

مهم في مجال تقديم المساعدات !

أما الشباب الذين ينهون الدراسة المتوسطة أو الثانوية ولا يستطيعون مواصلة دراستهم العليا ، وهم بمسيس الحاجة إلى مهنة أو عمل ، يجد الواحد منهم الفرصة هنا مفتوحة أمامه للعمل كبائع في محل يملكه نصراني ، أو كمعلم في مدارس البعثات التبشيرية . وهؤلاء جماعة منهم قد قبلوا مراسيم « التعميد » وآخرون يتهيأون للحاق بهم ، ومن يرفض ذلك تسحب منه وظيفته .

إن الناس في المجتمعات الفقيرة غالباً مايكونون بحاجة ملحة للمال ، وقد حُلت هذه المشكلة هنا بإقامة جمعيات قروض ائتمانية . وتمنح هذه الجمعيات قروضاً بشروط سهلة ، وليس عليك أن تسأل من أين تأتي هذه الأموال . والشخص المُعمّد مؤهل لقروض إضافية ، بل يعفى فيما بعد من التسديد ! ولاتجد من هؤلاء الزوار سوى الضحك والمزاح ولقمة العيش ، ونادراً مايتحدثون في أمور تخص الدين أو الفكر . ومع ذلك فإن الأهالي تواقون لمعرفة حقيقة هؤلاء الناس اللُطفاء ، وماذا يدفعهم لمساعدتهم . فيجيب الزوار : إننا خدم عيسى اليسوع ، وهذه الهدايا التي أتينا بها هي منه عليه السلام ، وهنا يجيب أهل القرية : عيسى ؟ نعم نعم إننا نعرف عيسى ونحترمه ونُعزه . فيسألهم الزوار ، ألا تعتقدون أنكم في تحسن أحوالكم مدينون للهدايا التي أرسلها عيسى لكم ؟!

لايستطيع أهل القرية نفي نصف الحقيقة هذه ! ولو انبرى من يناقش الفكرة الخاطئة التي انطوى عليها هذا الجواب فإنه يُسكت من أكثر من جهة بأن يقال له إن كل الأديان جيدة ، وكل المؤمنين سيدخلون الجنة ، وقد يستثار المسلم بين الفينة والأخرى ولكنه يعود فيعتقد أن هذا الأبيض منصف ؟ ألم يسوِّ بين الدينين ؟!

وبالجملة فإن القاعدة الأساسية في هذا المجال هي : البحث عن الضعيف والانتهازي ، وعدم الدخول في جدل مع من يفهم دينه . وثمة أسلوب آخر مع رجل الشارع كأن يقال له : إن الإسلام دين صعب الاتباع ! حيث عليك أن تستيقظ مبكراً في الصباح لتأدية الصلاة ، ثم تكرر ذلك أربع مرات أخرى في اليوم منذ سن الرشد وحتى الموت . أما في النصرانية فلا شيء ينغص عليك

نومك، ولا تعاني من ذلك النظام الصارم الذي عليك الالتزام به خمس مرات في اليوم وعلى مدى الحياة.

وكل ماهو مطلوب منك هو المجيء إلى الكنيسة مرة في الأسبوع وذلك في يوم الأحد، وبذلك لاحاجة إلى ترك عملك، والإسراع إلى صلاة الجمعة، فيوم الأحد عطلة في جميع أنحاء العالم، (وهذا إثبات آخر على أن النصرانية دين حق.) كما أن المهمات التي يطلبها الرب في الإسلام صعبة للغاية، في حين أن ربنا ربٌّ حنون.

وهكذا فإن البعثات التبشيرية لاتعتمد في عملها على الخبز وحده فالشيء الذي لايتحقق عن طريق الخبز يتحقق عن طريق المناهج الثقافية، والعكس صحيح.

وهناك شبكة من مدارس البعثات التبشيرية أنشئت منذ زمن بعيد، مهمتها إعداد جميع القيادات المستقبلية للمجتمع الإسلامي، فالمدرسة التي يقوم على إدارتها البيض في منطقة « كامبونغ » تتمتع بمنزلة رفيعة قد تفتقدها أرقى المدارس في أوربا. وفي مدرسة « كامبونغ » على كل طالب أخذ دروس في النصرانية واجتياز اختبارات فيها. وقد تأثر بعض الطلاب بهذه المناهج في حين تم تعميد أعدادٍ منهم، أما الأغلبية فقد باتت في منأى عن دينها الأصلي، وينتقى الشباب الذين تسهل قولبتهم ــ ذكوراً وإناثاً على حد سواء ــ وذلك منذ المراحل الأولى، وإعدادهم لتسلم مناصب قيادية مستقبلية، وتتبع المناهج التعليمية عادة بأفلام سينمائية وإن عرض فلم سينمائي في قرية ــ بغض النظر عن محتواه وأهدافه ــ يعتبر حدثاً عظيماً مثيراً للفضول، فيأتي أهل القرية زرافات ووحداناً ليشهدوا الفلم ويتشبعوا برسالته اللطيفة ! وقد تكون هناك بعض اللقطات غير اللطيفة التي قد تستثير الناس بعض الشيء ، وإذا ماحدث ذلك وأراد بعضهم أن يحتج ويمشي باحتجاجه إلى آخر الشوط فإن شيخ القرية (الذي عرفت عقدة النقص عنده مسبقاً وهي الشَرَهُ إلى المال) مكلف بقطع الطريق على مثل هذه الحالة!

ويعقب عرض الفلم احتفالات دينية، ومن يحتج أو يطلب من الآخرين عدم المشاركة في هذه الاحتفالات التبشيرية فقد يُتهم بالتعصب ! ومن ثم يتعرض لمضايقات من قبل الجهات الرسمية ! وإحدى نتائج عروض الأفلام والاحتفالات هذه هي ظهور الأندية، ويُشجع الشباب ذكوراً وإناثاً على الاختلاط وهذه هي

بعض الحوادث تقع ، والأواصر الأخلاقية والثقافية تضعف، وكثيراً مايبلغ عن حوادث زواج بين مسلمات ونصارى عن طريق علاقات الصداقة الناشئة في الأندية، إلا أن أعظم إنجاز حققته هذه الحملة هو انتزاع الروح الإسلامية ، وأصبح بإمكان الغزاة التحرك في كل الاتجاهات بعد أن انهدمت الأسوار أمامهم ! وأصبح إنشاء الكنائس يفرض فرضاً على قرى منتخبة ، وغالباً دون حاجة لإذن مسبق من وزارتي الداخلية والشؤون الدينية . أما في الأماكن التي يخشى وقوع معارضة خطيرة فيها من قبل السكان فيُلجأ إلى أبنية عادية أولاً ثم يعدَّل الغرض من استعمالها تدريجياً وبهدوء من سكن إلى كنيسة ، وأخيراً ترتفع لافتة مشيرة إلى وجود كنيسة في المنطقة !

وهناك طريق أخرى أشد مكراً لزرع الكنائس في المناطق الإسلامية الخالصة وذلك باستغلال خطط الحكومة الأندونيسية في نقل السكان من المناطق المزدحمة إلى مناطق أقل ازدحاماً ، فإذا كان هناك مناطق لاتستقبل إلا مسلمين بين سكانها ؛ فلا مشكلة في ذلك عند النصارى ، حيث يطلب منهم التسجيل كمسلمين بغرض التسرب إلى تلك المناطق ، وما إن يستقروا هناك حتى يكشفوا عن وجههم الحقيقي ، ويشرعوا في بناء الكنائس .

ولا تقتصر الخدمات التي تقدمها هذه البعثات على معالجة المرضى ورعايتهم بل تمتد إلى ماوراء ذلك بكثير . فإذا أُدخل مسلم في إحدى مستشفيات البعثات ؛ أو أنه تلقى علاجاً من قبلهم فإنه يُشجع ويحث على أن يكون دخوله في النصرانية هو الطريقة المثلى للرد على هذا الجميل الذي يتلقاه منهم ، وإذا كان من المتعذر إنقاذ حياة المريض فإن البعثة تتعهد بدفع الديون المستحقة على ذويه ورعايتهم بعد وفاته ، وأكثر من ذلك فإنهم قد يدفنونه على نفقتهم بشرط أن يكون الدفن حسب الطقوس المسيحية ، وهذا يحقق مقولة : « نصراني ميت خير من مسلم حي » !

وعلى الرغم من كل أساليب الترغيب المتاحة من قبل هؤلاء المبشرين ؛ من طعام وشراب، وكلمات مؤثرة وغير ذلك إلا أن ثقتهم ضعيفة بأساليبهم وإنجازاتهم ، فعلى الرغم من أن الإسلام شيء سيء (في نظرهم) إلا أنه لايبدو أن استخدام شعاراته ومصطلحاته أمر سيء ! حيث نرى النصارى يرددون كلمة : عيسى اليسوع .. عيسى اليسوع .. بالطريقة نفسها التي يردد فيها المسلمون كلمة التوحيد : لا إله إلا الله . بل أن النصارى الكاثوليك يقومون في بعض المناطق بتنظيم صلاة جمعة وذلك لمنافسة صلاة الجمعة عند المسلمين . وفي كثير من الأماكن يرتدي المبشرون الطاقية الأندونيسية التي يتميز بها المسلمون ، ويحيون الناس بـ (السلام عليكم) ويتجولون هنا وهناك متظاهرين بأنهم مسلمين .

وعندما يثير قادة المسلمين الأندونيسيين حججاً دينية في شكواهم للبابا حول سلوك وتصرفات المبشرين المتبعة بين المسلمين فإنهم يقحمون أنفسهم في جدل ديني لاينتهي ولا ينحسم ، والأجدر بهم أن يلجأوا إلى القوانين والأعراف التجارية المعتمدة في السوق المشتركة ، التي تنص على أن بيع سلعة مزيفة تحت علامة مسروقة أو منتحلة يعتبر جريمة □

	مسلمون	بروتستانت	كاثوليك
١٩٤٥	٩٥ر٠	—	—
١٩٧١	٨٧ر٥	٥ر١	٢ر٣
١٩٨٠	٨٧ر١	٥ر٨	٠ر٣
١٩٨٥	٨٦ر٩	٦ر٥	٣ر١

تناقص نسبة المسلمين في أندونيسيا (٪)

عن مجلة امباكت انترناشنال
٢١ / ١٢ / ١٩٨٩



د . غازي الخطيب

إن أحداث أوربا الشرقية المتسارعة والتغييرات في المعسكر الشيوعي بشكل عام، لهي خطوة إلى الأمام على طريق الصحوة الإسلامية وتحد جديد في أفق مستقبلها.

فهي خطوة إلى الأمام للأسباب التالية:

١ ــ ازدادت الحركة الإسلامية قرباً من جماهيرها. فللصحوة الإسلامية طرفان:

الحركة الإسلامية رائدة صحوتها ، والجماهير محققة أهدافها. فالحركة الإسلامية في معزل عن الجماهير لاتستطيع أن تحقق آمالها. وكلما تعمق التفاعل فيما بين طرفي الصحوة الإسلامية، ازدادت فعاليتها.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أصبحت الساحة الإسلامية مسرح تجارب للتيارات غير الإسلامية، ولاقت الشيوعية ومشتقاتها بشكل خاص، رواجاً بين عامة الناس، ممن جهل حقيقتها، بدعوى مناهضة الرأسمالية.

أما الحركة الإسلامية وغيرها من الأفراد والجماعات العالمة بحقائق الأمور، فالشيوعية كانت مبدأ فاسداً منذ البداية ومفلساً منذ إنشاء دولتها في روسيا. فمن المعلوم أن الشيوعية كان من المفروض أن تطبق في أعقاب فشل الرأسمالية، وظروف روسيا آنئذ وحالياً هي أبعد ماتكون عن ذلك، وقد نجحت الحركة الإسلامية في تغيير مفاهيم أفراد وقطاعات من الشعب عبر مناقشات السجون وصفحات المجلات والكتب. أما عموم الناس، فقد استمرت خاضعة للتأثير الخادع للدعايات الوهاجة والمغرضة للشيوعية ومشتقاتها.

ومايحصل الآن على الساحة الأوربية، أن تلك الشعوب استجابت لدواعي فطرتها، ونبذت

الشيوعية وراء ظهورها، وأعلنت إفلاس المبدأ من داخل ذاتها، وانطبق عليها تشخيص عمرو بن العاص قبل أربعة عشر قرناً من الزمان في تعقيب له على حديث رسول الله ﷺ : « تقوم الساعة والروم أكثر الناس » الوارد في صحيح مسلم، قال: « لئن قلت ذلك، إن فيهم لخصالاً أربع: إنهم لأحلمهم عند فتنة، وأسرعهم أفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف. وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك » وعلى الساحة الإسلامية تساوى العالم بحقيقة الشيوعية والجاهل بها في الحكم عليها، واتحدت المواقف منها بين الحركة الإسلامية والجماهير.

٢ ــ وفرت الحركة الإسلامية جهوداً كانت تبذل في محاربة الاتجاهات الشيوعية وكشف حقيقة ولاءاتها. فمن نتائج أحداث أوربا الشرقية أن عدم المبرر لتوجيه الجهود لتوضيح حقيقة الشيوعية. فإذا كان المورد للسلعة قد أوقف إنتاجها، فالأولى للمستهلك أن يوقف استيرادها، وإصرار المستهلك على ترويج الشيوعية في ظل هذه الظروف، لهو استخفاف بالجماهير واستهزاء بها، وهذا الترويج لن يدوم طويلاً لأنه مخالف لمنطق الأحداث .

كذلك انعدمت واجهة استخدمت لمحاربة الإسلام من خلفها، فالشيوعية ومشتقاتها قد استخدمت كقناع من قبل الرأسمالية لتحجيم استجابة الجماهير للصحوة الإسلامية. وكان على الحركة الإسلامية أن تكرس الجهود لا لنقد الشيوعية كمبدأ فقط ، وإنما لكشف حقيقة ولاء كثير من الاتجاهات أيضاً، أما الآن فقد سقط القناع وأفلس المبدأ، ولم يبق إلا العداء السافر للصحوة الإسلامية.

٣ ــ نقص عدد أعداء الإسلام من حملة المبادىء الهدامة والمناهضة له ، فإن سقوط الشيوعية لم يواكبه ظهور مبدأ جديد، بل تكريس لمبدأ حالي هو الرأسمالية، فقد انتهت الحرب الباردة والتقى الشرق الشيوعي مع الغرب الرأسمالي، وليس لهما من ماض مشترك يحنون إليه بل ماضٍ يهربون منه، وكلما جاءت أمة لعنت سابقتها، ومستقبلها يبنى على أنقاض ماضيها.

أما الحركة الإسلامية فلها في ماضيها مايضيء لها المستقبل ، وفي عقيدتها مايرشدها إلى الطريق المستقيم. فهي بذلك لاتنتقل من حال إلى حال ومن نقيض إلى نقيض، فالثبات في العقائد والتطور في المسالك لايتناقضان، بل يكمل بعضها بعضاً، في توازن دقيق، يضمن للأمة الإسلامية ديمومة سلامة العقيدة والفكرة. ففشل الشيوعية إثبات منطقي لصلاحية الإسلام، دين الله للإنسان. قال تعالى: ﴿ ياأيها الإنسان ماغرك بربك الكريم... ﴾، ﴿ ياأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه.. ﴾.

٤ ــ نقص عدد المبادىء التي لابد أن تخضع للتجارب لاثبات فشلها أمام الشعوب، أما الإسلام فباق خالد ينتشر أفقياً وعمودياً .

فالأول هو انتشاره في قطاعات الشعب كلها، والثاني هو تعميق الشرع والفكر الإسلامي في عناصر الحركة الإسلامية. ولتحقيق الأهداف المرجوة وإحداث التغيير المطلوب، لابد من محصلة للبعدين متوازنة متوسطة، وإلا تعثر الركب وانحرف المسار وطال الطريق، وقد أفلحت الحركة الإسلامية في تحقيق البعد الثاني أكثر من الأول، إذ الإقناع يحصل من طريقين: طريق قصير، هو طريق النظر والاستدلال العقلي المبني على بصيرة إيمانية، وآخر طويل، هو طريق التجربة المبني على المعاناة والممارسة الفعلية. وبشكل عام، يصلح الأول للأفراد والجماعات ، ويصلح الثاني للشعوب والأمم.

وقد حث القرآن على النظر والتفكر في آيات كثيرة. ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلكم... ﴾ ﴿ قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا مابصاحبكم من جنة... ﴾ أما التجربة والمعاناة ففيها آيات كثيرة أيضاً. ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون ﴾ ﴿ أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لايتوبون ولا هم يذكرون ﴾.

فعلى الحركة الإسلامية أن تصبر على مشاق الطريق وتبني نفسها بناءً سليماً على العقيدة الصافية ، وتتحلى بالصبر الجميل على الشعوب، بحيث تكون مؤهلة

لقيادة الجماهير حين تصحو من غفلتها وتردها رداً جميلاً لعقيدتها وفطرتها، وتحقق لها السعادتين: سعادة الدنيا وسعادة الآخرة.

وعلى الحركة الإسلامية، في أثناء تجربة الشعوب والأمم للمبدأ المتبقي، مبدأ الرأسمالية، واجب مهم. هذا الواجب يتضمن الوعي المبني على العلم والمعرفة بحقيقة الرأسمالية، مع إمكانية تمييز الغث من السمين، والصالح من الطالح، والسلبي من الإيجابي، وحيث يتم ذلك كله من خلال منظور إسلامي مبني على أصول شرعية وحركية، مستلهمة من القرآن وسنة الرسول ﷺ. ففي الحديث: « خياركم في الجاهلية، خياركم في الإسلام، إذا فقهوا » وفي قول لعمر: « ينقض الإسلام عروة عروة من نشأ في الإسلام ولم يعرف الجاهلية » .

وفي سيرة ابن تيمية مثال يحتذى وأمل يرتجى لدعاة القرن العشرين. إذ فقه ابن تيمية عقائد الكفار والضالين والمنحرفين، ورد كيدهم في نحرهم. ونراه يرد على مقولاتهم بفقه فاق علم أنفسهم بعقائدهم، وبأسلوب شابه شدة وغلظة عند مخاطبة غلاتهم ورؤسائهم، وتخلله رفق وحنو عند مخاطبة عامتهم وجهالهم. وتساوى عنده في فقه عقائد الكفار من روم وفرس، وعقائد المدسوسين ممن انتسبوا إلى ملة أهل القبلة من الفرق الضالة. ولعل في سيرة ابن تيمية وغيره من الدعاة السابقين له واللاحقين به، مايدعو إلى القول: خيار دعاتنا اليوم، من فقه الإسلام وعلم عقائد أهل الضلال.

ورواج الشيوعية في بلاد الإسلام لم يكن مثله في أوربا الشرقية، وفي ذلك مصداق لقول رسول الله ﷺ، حين وقف على قبور شهداء أحد بعد سبع سنين: « لست أخاف عليكم بعدي أن تشركوا بالله شيئاً، ولكن أخاف عليكم الدنيا أن تنافسوها » ويستوقفنا الشطر الثاني من الحديث، لربطه بأحداث الساعة، فالأحداث وإن أدت إلى سير الصحوة الإسلامية خطوة إلى الأمام، فهي قد أثارت تحدياً أمامها، وذلك بفعل الأسباب التالية:

١ ــ انتقال الصراع من مرحلة العداء في الخفاء إلى مرحلة العداء في العلن. فبعد سقوط أقنعة الشيوعية والباطنية على المستوى العالمي وفشلها في وقف مد الصحوة الإسلامية التي ظهرت لها آثار إيجابية جهادية تبلورت في أحداث

أفغانستان والأرض المحتلة، شعرت ملة الكفر أن التهديد المتجدد من أرض الإسلام يستدعي اتحاد الشرق والغرب وإنهاء الحرب الباردة، ناهيك عن تأثير التيار الوحدوي بين دول أوربا الغربية المتمثل في السوق الأوربية المشتركة على تغيير طبيعة العلاقة بين الشرق والغرب. فهم جميعاً إذا اكتوت مصالحهم بالإسلام، وشتى إذا تضاربت مصالحهم فيما بينهم. فهي ثلاث مراكز قوى بدأت بالتبلور على المحيط العالمي، وهي وإن كانت جغرافياً وسياسياً منفصلة، فقد اتفقت جميعها على أمرين: تحقيق الرفاهية الاقتصادية لشعوبها؛ ومعاداة الإسلام.

وعلى الحركة الإسلامية أن تدرك وتعي أبعاد التحدي الجديد. فصراع العلن هو غير صراع الخفاء. والمجابهة القتالية هي غير المجابهة الفكرية. وصبر على هذا هو دون صبر على ذلك، والعداء الجديد يستدعي أمرين: تكاتف وتعاون الاتجاهات المختلفة في الحركة الإسلامية وتقديم البديل الواعي والقادر على قيادة الأمة الإسلامية إلى بر الأمان.

٢ ــ تحولت طبيعة الصراع العالمي من صراع بين العقائد الضالة إلى صراع بين دنيا وآخرة. فصراع الشرق والغرب كان المحور الذي تدور عليه العلاقات بين دول العالم ، وتوزعت ولاءاتها فيما بين طرفي هذا المحصور . شرق إلحادي وغرب مادي، أما الآن فقد فشلت الشيوعية وطالب رئيسها بتطبيق الشيوعية بوجه إنساني. وهل يتم ذلك دون دين؟ وهل من دين يضمن استمرارها وبقائها غير المسيحية؟ وهكذا، وقبل لقاء رئيسي العملاقين تم لقاء رئيس الشرق ورمز الغرب الكنسي.

فهي دنيا يسعى إليها هؤلاء من شرق وغرب، وآخرة تعيش معهم، عند البعض منهم، سويعات في كنائس يوم الأحد، هما عالمان منفصلان دين ودنيا، ولكن مع تبعية الدين للدنيا، وارتباط مصلحة الثانية بالأولى، فهاهو الشمال قد اتحد بهدف تحقيق الرفاهية الدنيوية لشعوبه في ظل الدين الكنسي. عبد الدرهم في كل أحواله وعبد الكنيسة في بعض حالاته، فالإنسان هناك يعيش في ظل تصور فاسد وسلوك دونِ ضابط، وفي ظل خواء روحي ومادية قاتلة، داء معروف ودواء مجهول، بريق يخدع الأنظار ودوامة تحجب القلوب.

فالغزو الحديث للعالم الإسلامي يستهدف إفساد السلوك عوضاً عن إفساد

التصور، إذ فشلت شيوعية ملحدة وباطنية منحرفة في إفساد التصور العقدي الإسلامي عند الشعوب المسلمة، وتستهدف الجهود الآن مخاطبة البطون بدلاً من مخاطبة العقول، فهي دنيا يسعى لتطويعها هؤلاء، وإلهاء شعوبها بها، عن الآخرة، ويتم ذلك التطويع في ظل أساليب حديثة، تتخطى الحدود السياسية وتتجاوز المسافات الجغرافية المتباعدة، مجتمع عالمي مفتوح، فرده إنسان عالمي، تكنولوجيا المعلومات والتصنيع تجعل نقل الصوت والصورة والخير آنياً وبناء الحضارة المادية متسارعاً، وليس أمام المسلم، في ظل هذه الظروف، إلا البناء السليم للتصور العقيدي والسلوك الإسلامي، القادر على مقاومة التيار المضاد بالعلم والعمل، دون انعزال وتقوقع.

وإفساد السلوك ليس كإفساد التصور، بل هو أخطر منه، إذ يخضع للثاني الجاهل بالإسلام دون العالم به، والجاهل والعالم سواء أمام تأثير الأول، إذ يقاوم إفساد السلوك تقوى القلوب، ويقاوم إفساد التصور علم العقول.

وقد حذرنا الله سبحانه وتعالى في آيات كثيرة من تقليد تصرفات وسلوك الفرق غير الإسلامية، مثل قوله تعالى: ﴿ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم... ﴾ و ﴿ ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً... ﴾ و ﴿ ولا تكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد.. ﴾.

فهاهي الحركة الإسلامية أمام التحدي الجديد، إما أن ترتفع بنفسها إلى مستواه أو تتحطم تحت أمواجه، وهي في أسلوب عملها، إما أن تنتقل إلى مرحلة التحالف والتعاون أو تستمر في مرحلة التخالف والوصاية.

ألم يأن للذين يحملون لواء الحركة الإسلامية أن تقدر التحديات التي تهب ريحها من الشمال حق قدرها، كما قدروا هم التحدي القادم من الجنوب حق قدره؟ ألم يأن للحركة الإسلامية أن تدرك أن الصراع هو صراع بين أمم وحضارات وليس بين أمم وجماعات أو بين جماعات وجماعات ﴿ وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ﴾ ألم يأن للحركة الإسلامية أن تعتبر بأحداث الماضي في سير الأولين والآخرين □

البابا يدعو الشباب التشادي ليكونوا قساوسة

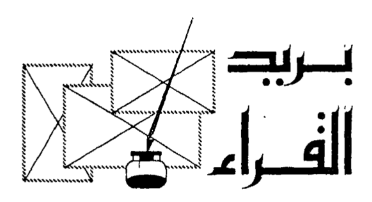
أمضى البابا جون بول الثاني آخر يومين من رحلته بعد أن زار خمس دول أفريقية في تشاد حيث زار مدينتي « سارة » و « ماوندو » الواقعتين في أقصى الجنوب، ذكرت ذلك صحيفة « الواشنطن بوست » الصادرة يوم ١/ فبراير ١٩٩٠م والتي نقلت عنه كذلك دعوته الشباب التشادي للتفرغ للعمل في الكنيسة ومناشدته إياهم أن يصبحوا قساوسة. جاء ذلك في الخطاب الذي ألقاه في اليوم الثاني لزيارته (الخميس ١/٢/٩٠م) أمام بضعة آلاف من التشاديين المسيحيين بحضور « ماتياس نجرائيري) مطران تشاد الوحيد، ومجموعة القساوسة هناك والبالغ عددهم (١٨٩) قسيساً يمثل التشاديون منهم أقل من عشرين بالمئة والبقية أجانب.

ومعلوم أن مسيحيي تشاد تابعون للكنيسة الكاثوليكية الرومانية وهم لايتجاوزون نسبة ٥٪ من مجموع السكان الذي يربو على الخمسة ملايين كما تصل نسبة المسلمين فيه إلى ٦٠٪، والبقية وثنيون يعيشون غالباً في الجنوب حيث ينتشر ويعمل بينهم هؤلاء المسيحيون ومن ورائهم الفاتيكان وجمعيات التنصير المختلفة التي فتح أمامها المجال بعد دخول البلاد تحت سيطرة المستعمرين الفرنسيين في العقد الثاني من هذا القرن، فأفرخت بضعة أحزاب وجمعيات سياسية كان لها أثر مباشر على تطورات الأمور في تشاد ، كما تربى في مدارسها بعض من قُدِّر له أن يحكم البلاد ولسنوات طويلة أمثال فرانسوا تومبلباي وفيلكس معلوم. واليوم وإن لم يعودوا على رأس الحكومة إلا أنه لازال لهم فيها نفوذ قوي وهم يشكلون نسبة عالية من سكان أكبر مدينتين بعد العاصمة « إنجامينا » هما

« سارة » سكانها ١٢٤٫٠٠٠ نسمة وماوندو وسكانها ٨٧٫٠٠٠ نسمة، وتعتبر الأخيرة المنتج الرئيس للقطن الذي يقع على رأس قائمة الصادرات التشادية، كما أنهم يتلقون دعماً قوياً من الفاتيكان الذي لايألو جهداً في استغلال حاجة الناس وفقرهم إلى الغذاء والدواء والتعليم في إيجاد وتوفير بيئة مناسبة لنشر المسيحية بينهم.

إن أمام المسلمين في تشاد مراحل طويلة وصعبة لابد من تجاوزها حتى يتم لهم التمكين لدينهم، وتخليص بلادهم من الحروب والانقسامات الداخلية ، وإخراجها من أزمتها الاقتصادية المزمنة، ولذلك فإن الحاجة ماسة لأن يقدم المسلمون لتشاد وشعبها المسلم دعماً قوياً في كل المجالات؛ اقتصادية وتعليمية أو غيرها، وأن يساعدوها ويمدوها بالمال والرجال وأن يتعاونوا في ذلك دولاً وشعوباً □





الأخ الأمين عبد القادر من أرتيريا أرسل رسالة يشيد فيها بمستوى المجلة، ويتمنى لو أننا نهتم بقضية أرتيريا وننشر حولها التحليلات التي تعطي فكرة للقراء عن هذا الموضوع... ونحن نشكر الأخ على رسالته وثقته بالمجلة ونود أن نشير إلى أننا من المهتمين بقضية أرتيريا اهتمامنا بأي بلد فيه مسلمون موحدون يؤمنون بدعوة: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وقد نشرنا في العدد ٢٦ من البيان موضوعاً طويلاً عن تطورات القضية الأرتيرية.

□ □ □

الأخ عبد الله غالب أحمد ــ تعز

أرسل يعبر عن إعجابه بموضوعات المجلة وحرصها على سلامة اللغة العربية، ويسأل عن أقرب طريق للحصول عليها.

البيان : نشكر الأخ عبد الله على حرصك وحبك للعلم والمجلة توزع في اليمن ويمكنك الاتصال والعنوان موجود في داخل المجلة وإذا أردت الاشتراك المباشر

فأرسل لنا قسيمة الأشتراك والمبلغ المطلوب وجزاك الله خيراً

□ □ □

من الأخ محمد الصالح البردي ــ القصيم جاءتنا الرسالة التالية:

انطلاقاً من رسالة مجلتكم الإسلامية والتي تفضل عدم الاستشهاد بأي حديث غير صحيح كما وعدتم في العدد الثامن عشر إلا أن قاعدتكم هذه قد اختلت من خلال الاستشهاد بحديث ضعيف كما في المقال الموسوم بـ « في إشراقة آية » للدكتور: عبد الكريم بكار والمنشور في العدد الثالث والعشرين فأحب أن ألفت نظركم إلى أن الحديث الذي استشهد به الدكتور الفاضل وهو « إن أول مادخل النقص على بني إسرائيل.... » عند التحقيق العلمي ضعيف، وإليكم بعض أسماء العلماء المحققين الذين ضعفوا الحديث:

١ ــ شمس الحق آبادي حيث حكم عليه بالانقطاع كما في عون المعبود (٤٨٨/١١).

٢ ــ العلامة الشيخ أحمد شاكر حيث قال: « إسناده ضعيف، لانقطاعه » كما في تحقيقه على المسند (٢٦٨/٥).

٣ ــ العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (ج ١١٠٥).

٤ ــ أبو إسحاق الجويني الأثري في كتابه « النافلة في الأحاديث الضعيفة والموضوعة » في مبحث نفيس (٢٤ ــ ٣١).

هذا ولكم تحياتي وأبقاكم الله ذخراً للإسلام والمسلمين.

البيان : نشكر الأخ محمد الصالح على اهتمامه العلمي ومتابعته لما ينشر و (البيان) ترحب بأي تصحيح علمي من الإخوة القراء.

□ □ □

الأخ : أبو قتادة ــ الرياض.

وصلت رسالتك ونشكرك على المساهمة.

الأخ : أبو عبد الرحمن ــ ينبع.

وصلت رسالتك ، ويصلك الرد عليها قريباً إن شاء الله.

لماذا انهزمنا؟

روت كتب السير أن الفرنجة أعدوا جيشاً عظيماً للاستيلاء على الأندلس، ولكن قبل أن يتحرك هذا الجيش تنكر أحد جواسيسهم في صورة تاجر، ودخل البلاد لكي يتعرف على أحوال المسلمين، وفي أول خطوة داخل أرض الأندلس الإسلامية التقى هذا الجاسوس المتنكر بصبي مسلم يبكي تحت ظل شجرة، قال الجاسوس للصبي: لماذا تبكي؟.

فقال الصبي: أبكي لأني رأيت طائرين فوق هذه الشجرة فأردت أن أصيدهما بضربة واحدة غير أن طائراً واحداً سقط بينما طار الآخر ونجا.

فرجع الجاسوس من لحظته إلى قومه ونصحهم بالتريث والانتظار حتى تتبدل أفكار هؤلاء الأطفال لأن قوماً هؤلاء أطفالهم لن يهزموا مهما بلغت قوة أعدائهم، لهذا لابد من استعمال سلاح أشد فتكاً من سلاح السيوف والرماح، ألا وهو سلاح النساء، والغناء، والملذات، والشهوات، ويالللأسف فلقد حدث هذا فعلاً وبعد سنوات قليلة أصبح الأندلس فردوساً مفقوداً وتحول إلى قصيدة يترنم بها المسلمون وأغنية ونشيداً...

وتتساءل الآن لماذا انهزم المسلمون، لماذا انهزم ألف مليون مسلم أمام شرذمة من أحفاد القردة والخنازير؟ فخذوها مني صريحة أيها المسلمون!!

والله ماانهزمنا إلا عندما حدنا عن الصراط المستقيم، والطريق القويم، الذي أنزله رب العالمين، والله ماتداعت علينا الأمم وتكالبت علينا الشعوب وتطاول علينا السفهاء إلا عندما غيرنا مابأنفسنا فغير الله حالنا، فانتكست قيمنا، وانعكست مفاهيمنا، فأصبح إعفاء اللحى تزمتاً؛ وتقصير الثياب تطرفاً؛ وتستر النساء تخلفاً؛ والاقتداء بالنبي ﷺ وصحابته الكرام رجعية.

والله ماذللنا إلا عندما حلت المجلات الخليعة والأغاني الماجنة محل المصاحف، والله ماهنا إلا عندما غابت شمس خديجة وعائشة وحفصة عن سماء

دنيا نسائنا وفتياتنا، وعلت وجوه تلك الهابطات السافلات من الممثلات والفنانات، والله ماتقهقرنا وتخلفنا إلا عندما أصبح قدوة الواحد منا مغن ماجن أو لاعب فاشل، أو ممثل جاهل، ونسينا أبا بكر وعمر وعثمان وعلي الذين رفعوا شأن هذه الأمة، وفجروا بركان التوحيد في أرجاء المعمورة حتى رفرفت راية الإسلام على الشواطىء وقمم الجبال...

فعودة صادقة إلى المنبع الصافي؛ إلى كتاب الله وسنة نبيه، لينصرنا الله ويغير حالنا من هزيمة وذلة إلى نصر وعزة مصداقاً لقوله تعالى ﴿ يأأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ .

ماجد عبد الله عبد العزيز

□ □ □

أهمية العقيدة والدعوة إليها

أرسل الله سبحانه رسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون وجاؤا من عند الله مبشرين ومنذرين متحدين على هدف واحد ويدعون إلى عقيدة واحدة التي هي محور دعوة جميع الرسل من نوح عليه السلام إلى خاتمهم وأفضلهم محمد ﷺ، الذي بعث رحمة للعالمين ، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وسار على نهجهم السلف الصالح، يستلهمون سر وحدتهم من صفاء العقيدة الخالصة التي لم تشبها شائبة، فأصبحوا بذلك سادة الدنيا وفتح الله لهم أبواب الخير في كل مكان ورفعوا راية التوحيد في مشارق الأرض ومغاربها، لأن الذي بدأوا به هو الأهم قبل المهم، وانطلاقهم في دعوتهم من تحقيق كلمة التوحيد « لا إله إلا الله محمد رسول الله » لأن ذلك هو الأساس

الذي أمروا أن يبدأوا به.

قال الله تعالى ﴿ قل هذه سبيل أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعن وسبحان الله وماأنا من المشركين ﴾ وقال تعالى: ﴿ واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئاً ﴾ والعقيدة مهمة جداً لنيل المقصود في الآخرة، أساس كل عمل وتكفر الذنوب والكبائر إذا صدرت عن إخلاص وقوة إيمان يدل لذلك مارواه الترمذي وغيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص من حديث صاحب البطاقة حيث ينشر له تسعة وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر، ثم يأتى ببطاقة فيها « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبدوه ورسوله » فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فتطيش السجلات، وتثقل البطاقة.

فالعقيدة هي رأس الأمر كله والجسد لايستقيم بلا رأس، ولكن الأمر اليوم قد تبدل في أهمية العقيدة والدعوة إليها، فقد يرتكز الداعي إلى أمور لاتستقيم إلا بالعقيدة، فبعضهم يدعو إلى مكارم الأخلاق أوْ يدعو إلى السياسة الصحيحة وبعضهم يدعو إلى صفاء النفوس وطهارتها ، لكن لا أهمية لهذه الأمور إن لم يكن الأساس قد وضع لها، وهي العقيدة الصافية الخالصة من كل شائبة فتراهم يبدأون بالدعوة إلى بعض الفروع، ويزعمون أنها متى أقميت فسوف يأتي الأمل تلقائياً.

إن الدعوة الصحيحة هي التي تقام على ماقامت عليه دعوة السلف الذين جعلوا الدين وحدة متكاملة ينطلق في السياسة والأخلاق وجميع الأمور من العقيدة الإسلامية المستمدة من الكتاب والسنة ، وعند الهتاف بأن الدعوة لابد أن تكون على العقيدة لايعني إهمال الجوانب الأخرى أنما يعني وجوب التأسيس وتكون أعمالنا من منطلق العقيدة.

أم زياد المالكي

أهميـــة الزراعة

وخطر الزهو والخيلاء والزينة

علي مبارك (*)

أسباب تأخر الزراعة:

كان لتأخير الزراعة أسباب كثيرة، وأقواها: تأثير الاحتقار بأهل الفلاحة، وعدم الالتفات إليهم، وترك التبصر في أحوالهم، وارتكاب ماتضيع به ثمرات الفلاحة، من تسخير أهلها بالعسف والقهر، والتعدي عليهم بما يقهقر حالهم، ويفسد عليهم أعمالهم، وكالتغالي في الزينة والزهو والإكباب على اللعب واللهو، خلافاً لما يزعمه أخساء العقول من أن ذلك من لوازم الثروة، فإن بطلانه لايخفى على كل ذي بصيرة.

أضرار التفاخر والزينة:

فضرر حب الزهو والفخر كضرر المحاربة، بل أضر، لأن المحاربة، وإن كانت تضر بأرض الزراعة لاتضر بالأمة، وإن أضرت فضررها وقتي، ومما يؤيد ذلك أنك ترى بعض الجهات وقع فيها محاربات كثيرة وهي الآن أحسن مما كانت قبل الحرب، لأن الغالب أن الحرب إذا كانت في جهة وأتلفت منها شيئاً زاد عمار الأخرى بقدر ماتلف من الأولى، وقد ينتبه الجميع بعد انقضائها فيتركون الرفاهية فيعودون إلى أحسن مما كانوا. فعلمنا من ذلك أن

* ــ علي بن مبارك (١٨٢٤ ــ ١٨٩٣): وزير مصري، من المؤرخين العلماء العصاميين النوابغ، سافر مع بعثة مصرية إلى باريس، وعاد إلى مصر فتقلب في الوظائف، ثم عين ناظراً للأوقاف المصرية، وأضيفت إليه المعارف، فأنشأ مدارس كثيرة، وله مؤلفات من أشهرها: الخطط التوفيقية في ٢٠ جزءاً، وقصة سماها (علم الدين) ضمنها مباحث دينية واجتماعية، ومنها أخذنا هذا البحث.

الحروب وكذا الأمراض الوبائية ليست السبب في تدمير الأمم أصلاً، بل السبب في حب الزهو والزينة ليس إلا، لأنا لو فرضنا أن فرساً واحداً دخل مدينة للخيلاء به، لا لعمله، لم تشك أنه يأخذ من ريع تلك المدينة لمؤنته مايعدل مؤنة أربعة من نوع الإنسان، وهذا فرس واحد، فما بالك بأفراس؟! أو مابالك بغيره من الحيوانات التي لافائدة فيها إلا النظر لذاتها؛ أو التأمل في ألوانها وهيئاتها؟! ولا يقال: إن اقتناء الحيوانات ـــ وإن كثرت مؤنتها ـــ لاضرر فيه. لما يترتب عليه من تسميد الأرض بروثها، فتزيد في محصولها بقدر مؤنة الدواب والحيوانات التي بها؛ لأن ذلك إنما يقال في الدواب والحيوانات التي بالقرى وأرض الزراعة، وأما الحيوانات التي بالمدن فلا، لأن روثها بها لاقيمة له، بل قد يصرف عليه دراهم لإخراجه من محله، مع مايلزم لذلك من تعطيل أشخاص من أهل الفلاحة لخدمتها وجلب مؤنتها.

معيار الثروة:

وقد توهم بعضهم أن كثرة الأمة وقلتها تابع لما يستهلك؛ قلة وكثرة أعني أنه كلما كثر المستهلَك كثرت الأمة وكلما قل قلت، وهذا التوهم لايسلم به إلا لو اقتصر على مالابد منه، والواقع غير ذلك، فإنا نرى القليل من الأمة يصرف أضعاف مايصرفه الكثير منها، فإذا تأملنا ذلك وجدنا أن معيار الثروة وعدمها تابع لكثرة المشتغلين بالزراعة وقلتهم، فكلما كثروا أخصبوا، وكلما قلوا أجدبوا، فأي قوم لم يشتغلوا بأمر الزراعة وتوابعها؛ كانوا وبالاً على الأمة عموماً، وعلى المشتغلين بها خصوصاً، فحينئذ يجب على ولاة الأمر التنبه لذلك، وحمل أهل البطالة على العمل، ولاسيما الشحاذين الذين اتخذوا التكفف صنعة، فإنهم يتفننون في الحيل ويتعللون بما تسوله لهم أنفسهم من العلل، فلا يمضي على الواحد منهم زمن قليل إلا وتحصل على جزء من المال. فمثل هؤلاء يجب منعهم وأمرهم بالتكسب لئلا يقتدي بهم من يميل إلى البطالة والكسل، ليستغني بهذه الصنعة الخبيثة عن التكسب بالعمل.

واجب الدولة تجاه الزراعة:

فإذا تمهد هذا علمنا أن فن

الفلاحة والزراعة هو الأصل، بل هو أساس ثروة البلاد وعمارها، وأصل رفاهية أهلها، فيجب على كل حاكم احترام المشتغلين بها والالتفات إليهم كل الالتفات، ومساعدتهم بأنواع المساعدات، وتطييب قلوبهم والرأفة بهم، وإلا كان كمن هدم أساس بيته بفأسه، لأن مثل كل ملك مع رعيته كمثل شكل هرمي، الملك كرأسه والرعية كقاعدته وأسه، ورجال الدولة مابين ذلك على قدر درجاتهم، فكما أن كل جزء من أجزاء هذا الشكل حامل لثقل مافوقه وهكذا إلى الطبقة السفلى فتكون هي التي عليها ثقل الجميع، كذلك أرباب . الحكومة السياسية على اختلاف درجاتهم كلما فسدت درجة سرى ضررها إلى من دونها وهكذا، حتى تجتمع جميع المضار على الضعفاء وأهل الفلاحة، فلو قصر الملك نظره على من يليه من رجال دولته، وصرف عمن دونهم نظره، فسد نظامه، واختلت مملكته وأحكامه، فكما أنه لابقاء للشكل إلا بقواعده، كذلك لابقاء لملك إلا برعيته، فإن تنبه الحاكم وأنصف من نفسه عرف كيف يصون ولايته من الخلل، بأن يشمل بنظره جميع رعيته، لايفرق بين الأجانب منهم وذوي قرابته، ولا بين ضعيف منهم وقوي، وخص جميع أهل الفلاحة عندئذ بالعناية والالتفات، لأنهم الحاملون لأثقاله، القائمون بمصالحه وأعماله، إذ لولاهم ماكان للملك قوام ولاتم له نظام، وحيث كانت الأرض لاتفيد إلا بقدر ماتستفيد، لا فرق عندها بين عظيم فتكرمه ولا فقير فتحرمه، بل إن قام صاحبها بما يجب لها وخدمها انتفع بها وإلا عدمها، وهي على اختلاف أنواعها؛ لايخلو شيء من أجزائها عن فائدة، حتى الرمل الذي لايصلح للزراعة لو وضع منه شيء في الأرض السبخة، أو البرك المالحة لأصلحها، وكذلك أخراس (١) الأرض لو نُقيت مما فيها وحرثت، لكانت أصلح من غيرها، وكذلك الأرض الحجرية يؤخذ منها أحجار للمباني العظيمة ذات الأسوار، فما من إنسان في أي مكان وتيسرت له أسباب الراحة وانتفت عنه الموانع إلا تيسر له منه أضعاف قوته، وتحصل على مالايتحصل عليه غائص البحر لياقوته،

---

١ ـــ أخراس الأرض: الأرض البكر التي لم تستعمل سابقاً

فلو فرض أن فداناً غرس أشجاراً لاتثمر؛ وترك إلى نحو عشرين سنة لكان فيه من الخشب والفحم مايقوَّم بمال عظيم مع أنه لم يلزم له إلا قليل من العمل والعمال، فما بالك لو غرس أشجاراً ذات ثمر، فلو فرضنا أن ذلك الفدان بعينه كان في المدة المذكورة يزرع حبوباً لكانت فوائده أكثر منها في الحالتين السابقتين، فعلم من ذلك أن الناس تابعة للزراعة، كثرة وقلة، ولو كان ذلك الفدان بعينه في ضاحية من ضواحي المدن قد هيأ له صاحبه محابس لريه، وغرس فيه أشجاراً، وأجرى إليه أنهاراً وجعل فيه عروشاً أما كان بذلك يساوي أضعاف مثله من أرض القُرى والأرياف؟ وماذاك إلا لكثرة عماله واحتفاف الناس به، فهذا دليل على أنه كلما كثرت الناس بأرض زاد محصولها، وأن الإنسان لو خلي ونفسه لجعل من الأرض الحجرية بساتين وكروماً.

(...) فلو أحصينا عدد قرية وفرضنا أنهم قائمون بخدمة أرضهم حق القيام لكان عددهم دائماً في زيادة، لأن المجمع عليه عند أرباب الفلاحة أن الأرض كلما خدمت زاد محصولها، فليس محصول المحروث مرة كمحصول المحروث مرتين، ولا محصول الأرض التي تسقي بماء المطر كالتي تسقي بماء العيون، ولا محصول الأرض التي سقيت كمحصول الأرض التي لم تسقَ ، وهذا من محسنات الزراعة.

فالفلاحة لاشك أنفع الصنائع، إذا توفرت أسبابها، وانتفت الموانع عن أربابها، خلافاً لقوم ذموها واستقبحوها، وعدلوا إلى دماء الناس وأموالهم فاستباحوها، مع علمهم بأن فوائد الفلاحة لاتعدلها فوائد، وإدرار أرزاقها دائماً متزايد، وهم الأثينيون وسكان آسيا، فكانوا يزعمون أن الفلاحة والتجارة مما يوهن القوى البدنية، ويورث الذل للذرية، فتركوا الصنائع ولم يلتفتوا لما فيها من المنافع، وعدلوا إلى نهب الأموال، وأسر ماقدروا عليه من نساء ورجال، وعم ذلك جميع أوربا فأنتج خرابها، وأفسد العمار الذي كان بها، وكان المنقطع للفلاحة وقتئذ الأرقاء، ومن يأوي إليهم من الغرباء، فارتحلت عنهم حينئذ الفضائل الدثرية [1]،

---

١ ــ أي الكثيرة.. من « الدثر » ــ بفتح الدال وسكون الثاء ــ ومعناه الكثير.

وقد كانت بقعتهم عين منبعها ومرج مرتعها، وانظر إلى الرومانيين وماكانوا فيه من الخمول والتوحش، فلما أفاقوا من خمولهم وتفننوا في الفلاحة علت شهرتهم وقويت شوكتهم، ثم تقادم بهم الزمن وأهملوا أمر هذا الفن واشتغلوا بالمحاربات فآل أمرهم إلى الخراب، وضعفت دولتهم وانحطت صولتهم، وانتهى بهم الحال إلى أن تقاسم أرضهم المتبربرون. وبالجملة فلم نر جهة أهملت فيها الزراعة إلا حل بأهلها القحط والمجاعة.

مدار الازدهار على الأمن والاستقرار:

إلا أنه بغير العدل لايتم صلاح، إذ لولاه ماقدر مصل على صلاته، ولا عالم على نشر علمه، ولا تاجر على سفره، وهو صفة في الذات تقتضي المساواة، وهذه الصفة أكمل الفضائل، لشمول أثرها، وعموم نفعها، وإليها الإشارة بقوله ﷺ: « بالعدل قامت السماوات والأرض ».

وتوضيح الكلام يحتاج إلى مقدمة في هذا المقام، ذلك أن الله تعالى لما خلق الأرض ودحاها، وأخرج منها ماءها ومرعاها، وبث فيها من كل دابة، فكان فيما خلق نوع الإنسان، ولعلمه أنه ليس كغيره من سائر الحيوان، أحوج بعضه إلى بعض في ترتيب معاشه ومؤنه وتحصيل ملبسه ومسكنه، لأنه ليس كسائر الحيوانات التي تحصل بنفسها ماتحتاج إليه من غير صنعة، بل خلقه ضعيفاً لايستقل وحده بأمور معاشه.

ثم مست الحاجة بينهم إلى سائس عادل، وملك عالم عامل، يضع فيهم ميزاناً للعدل وقانوناً للسياسة توزن به حركاتهم وترجع إليه معاملاتهم، وكان مباشرة هذا الأمر من الله تعالى بنفسه من غير واسطة على خلاف ترتيب المملكة وقانون الحكمة، فاستخلف عليهم من الآدميين خلائف، ووضع في قلوبهم العلم والعدل ليحكموا بهما بين الناس، حتى يصدر ترتيبهم على قانون مشروع، وتجتمع كلمتهم على أمر

متبوع، ولا تتحقق العدالة إلا بعد العلم بأوساط الأمور، المعبر عنها بالصراط المستقيم، ولا تؤثر عدالة الشخص في غيره إلا إن أثرت في نفسه، إذ التأثير في البعيد قبل القريب بعيد، قال تعالى: ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ﴾ [البقرة/٤٤] فمن عدل في حكمه وكف عن ظلمه نصره الحق وأطاعه الخلق، وصفت له النعماء، وأقبلت عليه الدنيا، فهنىء بالعيش واستغنى عن الجيش، وملك القلوب وأمن الحروب، ولم يخلق الله تعالى أحلى مذاقاً من العدل، ولا أمرَّ من الجور، لأن أس المملكة وأركانها، وثبات أحوال الأمة وبنيانها: العدل والإنصاف، سواء كانت الدولة إسلامية أو غير إسلامية، فهما قاعدة كل مملكة، وأصل كل سعادة ومكرمة.



المطبوعات الإسلامية

عبد القادر حامد

هناك صنفان رئيسيان للمطبوعات الإسلامية: قديم وجديد.
أما القديم، فمنه مايتعلق بالنواحي العقائدية والفقهية البحتة ككتب التفسير والفقه والحديث والأصول، ومنه مايتعلق بمعالجة قضايا هي بنت تلك العصور القديمة على ضوء الإسلام، وكلا النوعين مبذول ولاتشكو المكتبة الإسلامية من قلته.

وأما الجديد: فمنه مايدخل في الدائرة الأولى من القديم: وهو التفسير ومحاولات تنزيل بعض الأحكام الفقهية على الوقائع المعاصرة، ودراسات تتعلق بالحديث وأصوله، والدفاع عن حجية الحديث في مجال الإيمان والأحكام، وهذا أيضاً موجود ولا حَجْر عليه.

ومن الجديد مايقابل الثاني من القديم وهو معالجة ومناقشة القضايا المعاصرة على ضوء من الأصول الإسلامية، وهذا ماتفتقر إليه المكتبة الإسلامية، بل تفتقر إليه الأجيال المعاصرة من المسلمين وعلى الرغم من وجود مقدار لابأس به من المطبوعات التي تصدت وتتصدى لهذا المجال ؛ لكن العوائق التي تعترض وصولها إلى جماهير المسلمين كثيرة، وأكثر القضايا التي يجب أن يكون للإسلام فيها فكر واضح مقترن بحدوثها لايصل هذا الرأي والفكر إلى من يجب أن يصل إليه إلا بعد مرورها وبعد أن تصبح حدثاً تاريخياً أعطى نتائجه وأصبح في ذمة الماضي، ولهذا السبب يبدو الفكر الإسلامي متأخراً عن معالجة قضايا الساعة.

لكن الذي ينبغي التنبه له هو أن هذا التأخر ليس مبعثه الفكر الإسلامي، وإنما مبعثه أسباب خارجية ومعوقات توضع قصداً، وتبذل في سبيلها أموال طائلة، وتسخر لها عقول جبارة لتحتكر تقديم وجهة النظر التي إن سمح للإسلام للمشاركة فيها فلا يسمح له إلا بعد أخذ العهود والمواثيق عليه أن يكون ضمن الخط المرسوم!.



العدد الثامن والعشرون : شوال / ١٤١٠ هـ ـ أيار (مايو) ١٩٩٠ م

مجلة إسلامية شهرية جامعة

تصدر عن

المنتدى الإسلامي

لندن

رئيس التحرير

محمد العبدة

المراسلات والاشتراكات

AL-MUNTADA AL-ISLAMI TRUST

7 Bridges Place, Parsons Green
London SW6 4HR U.K.

Tel: 071-731 8145
Fax: 071-736 4255

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتوى

صناعة الفكر

في هذه الأيام التي لانزال نتلمس فيها طريق النهضة وطريق التغيير، نحن بحاجة إلى مفكرين (فقهاء) وبالمعنى العام لكلمة (فقه) وهي الفهم العميق للإسلام، كما دعا رسول الله ﷺ لابن عباس « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ».

نحن بحاجة إلى فقهاء علماء يعرفون سنن التغيير وأمراضنا الاجتماعية وواقعنا وواقع غيرنا تمام المعرفة، وماهي الخطوات المرحلية التي يجب أن نبدأ بها، وإذا كان الغرب ينتقل إلى الهم الاقتصادي والثورة (التقنية) فإننا في بلاد المسلمين لازلنا بحاجة إلى التخطيط الفكري فإن هذه البضاعة لاتزال عزيزة، وإذا وجدت فإنها بضاعة غير رائجة، فلا تزال المنزلة الأولى للخطيب والواعظ، وصاحب الحديث الجذاب و (البلاغة) الأدبية، ولا تزال المجلة الفكرية، والمحاضرة الفكرية ثقيلتي الظل على السامع أو القارىء المسلم بشكل عام، وإذا حدث ودعي مفكر لندوة أو محاضرة فهي من باب (التملح) أو لكسر الروتين السائد، إن مشكلة (المسلم) لاتحل إلا بتحديدها تحديداً دقيقاً والتفكير فيها وهذا لايؤتاه إلا (أولو الألباب) وعندما ذكر القرآن الكريم أن عشرين من المؤمنين يغلبون مائتين من الذين كفروا قال: ﴿ ذلك بأنهم قوم لايفقهون ﴾

ولذلك قال عبد الله بن مسعود يصف بعض المظاهر في آخر الزمان « يكثر الخطباء ويقل الفقهاء ».

عندما كان العلماء الفقهاء هم الموجهون أو هم الحكام كانت الأمور تسير سيراً صحيحاً، وعندما انفصلت السياسة عن الفكر أصيبت بالانحراف ثم بالتدمير، وفي دول الغرب الآن نجد أن السرّ في قوتها « هو تكامل الفكر والسياسة، واعتماد رجال التخطيط والتنفيذ في دوائر السياسة والإدارة على مايقدمه رجال الفكر العاملون في مراكز البحوث والدراسات خلال اللقاءات الدورية التي تجمع بين الفريقين لمناقشة وتقويم القضايا الداخلية والخارجية، ففي بلد كالولايات المتحدة هناك حوالي تسعة آلاف مركز بحوث ودراسات متخصصة في بحث شؤون السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة والتربية... » (١).

لاشك إنهم في الغرب يمارسون هذه الصناعة ويشجعونها، بل عندهم (بنوك) للأفكار، فالذي يقدم فكرة جديدة، تخزن حتى تأخذ طريقها للتنفيذ، ونحن لم نمارس هذه الصناعة ــ إلا في القليل ــ وقد يكون من الأسباب الداعية لذلك ماتعودنا عليه من حب للسهولة فلا نريد أن نتعب أنفسنا بالتفكير العميق في مشكلة من المشاكل، وكيف تحل، وإنما نكتفي بكلام عام وصحيح في نفس الوقت كالطبيب الذي يصف لكل مريض أقراص (الأسبرين) فلا هي تضره ولاهي تنفعه النفع المطلوب، فأنت تسمع من يقول لك: حل المشكلة في (الرجوع إلى الله) وهذا كلام صحيح، ولكن كيف يكون الرجوع إلى الله ؟ كيف تحل العقد الاجتماعية المتشابكة ، كيف نظهر علماء ــ فقهاء، كيف نستفيد من الطاقات ونجمعها ونضعها في موضعها الصحيح؟!، هذا لاجواب عليه!

وسبب آخر قد يكون عائقاً عن وجود (أولي الألباب) وصناع الفكر الذين يقدمون الحلول الصحيحة، ألا وهو التأثر ببعض المنهج الظاهري بين صفوف طلبة

---

١ ــ ماجد عرسان الكيلاني / هكذا عادت القدس / ٢٨٢ .

العلم، وأقول بعض المنهج الظاهري لأن لابن حزم جولات رائعة في فهم الإسلام ولكن أخذ الجانب الأسهل عنده، فإن نفي الحكمة والتعليل وبالتالي نفي القياس يضعف الجانب الاستنباطي الاجتهادي.

إننا مطالبون بالتفكير كما جاء في القرآن الكريم ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ [النحل / ٤٤].

إننا مطالبون بالتفكير في آيات الأنفس والآفاق، في أسرار التشريع، وفي سنن التغيير الذي يريده الله سبحانه وتعالى، وفي منهج الرسول ﷺ في (فقه التغيير).

وهذا التفكير يأتي بالتأمل والتعمق في فهم الأمور، يقول الشيخ الأديب محمود محمد شاكر:

« فإن العقل هبة الله لكل حي ، ولكن أساليب تفكيره كسب يكتسبه من معالجة النظر، ومن التربية ومن التعليم، ومن الثقافة، ومن آلاف التجارب التي يحياها المرء في هذه الحياة » [١].

وأخيراً فإننا نتمنى أن يزداد عدد الفقهاء الحكماء ليقودوا الأمة، فإنهم هم المؤهلون لهذا، وعند فقدهم يسود الأغرار، وتسود لغة العاطفة التي لاتغني عن الحق شيئاً □

---

١ ـ مقدمة لكتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي / ٩ .

آيـة من كتاب الله

﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾

قال العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي :

« ومن هدي القرآن للتي هي أقوم هديه إلى أن التقدم لاينافي التمسك بالدين، فما خيله أعداء الدين لضعاف العقول ممن ينتمي إلى الإسلام من أن التقدم لايمكن إلا بالانسلاخ من دين الإسلام باطل لا أساس له، والقرآن الكريم يدعو إلى التقدم في جميع الميادين التي لها أهمية في دنيا أو دين، ولكن ذلك التقدم في حدود الدين، والتحلي بآدابه الكريمة، قال تعالى : ﴿ وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ﴾، وقال: ﴿ ولقد آتينا داود منا فضلاً ياجبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحاً ﴾ فقول: ﴿ أن اعمل سابغات ﴾ يدل على الاستعداد لمكافحة العدو، وقول: ﴿ اعملوا صالحاً ﴾ يدل على أن الاستعداد في حدود الدين الحنيف ، وانظر قوله : ﴿ وأعدوا لهم... ﴾ فهو أمر جازم بمسايرة التطور في الأمور الدنيوية، وعدم الجمود على الحالات الأولى إذا طرأ تطور جديد، ولكن كل ذلك مع التمسك بالدين. فإن النسبة بين التمسك بالدين والتقدم كالنسبة بين الملزم ولازمه، بمعنى أنه يلزم عليه التقدم كما صحرت به الآيات المذكورة.

أضواء البيان ٣ / ٣٩٦

من نـــور النبـــوة

١ ــ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشَّيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المُقسط ».

٢ ــ عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: « أراني في المنام أتسوك بسواك فجاءني رجلان أحدهما أكبر من الآخر فناولت السواك الأصغر فقيل لي: كبّر، فدفعته إلى الأكبر منهما ».

٣ ــ عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سناً، ولا يؤمَّنَ الرجل الرجلَ في سلطانه، ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه ».



د. عبد الله الخلف

كثيراً مانقرأ أن العرب ممثلين بمصر سبقوا اليابانيين في محاولة الاتصال بالغرب، والاستفادة منه في مجالات العلوم والتقنية والإدارة، ونعلم أنه بينما نجح المشروع الياباني في تحقيق أهدافه نجاحاً باهراً، لم يحقق المشروع العربي إلا الإخفاق والفشل الذريع.

ولئن كان السبب الذي أدى إلى إخفاق المشروع العربي واضحاً بيناً في أصوله وإطاره العام ــ وهو عدم الاعتماد على المنهج الإسلامي ــ فإنه بحاجة إلى كثير من الدراسة والبحث في جزئياته وتفاصيله. ومن أبرز المواقف التاريخية المتصلة بهذا الموضوع، والتي يمكن الوقوف عندها والتأمل فيها لما لها من قيمة في إضاءة جانب من هذه القضية، ذلك الاحتفال الكبير التي أقامه الخديوي إسماعيل عام ١٨٦٩ م بمناسبة افتتاح قناة السويس.

لقد أراد إسماعيل أن يظهر دولته أمام ضيوفه الأوربيين بمظهر الدولة المتقدمة التي لايقل مستواها

ه ــ ليس المقصود بالإسماعيلية المذهب الباطني المعروف، ولكنه نهج الخديوي إسماعيل القائم على البذخ والإسراف والرعونة في تقليد قشور الحضارة الأوربية.

الحضاري عما وصلت إليه بلدان أوربا، وأراد أن يبرهن على مازعمه من أن مصر قطعة من أوربا لها من الروابط معها أكثر مما لها مع جيرانها.

من أجل ذلك انتهز هذه الفرصة، وسافر بنفسه إلى أوربا لتوجيه الدعوة إلى زعمائها لحضور الحفل فاستجاب له عدد من أولئك الزعماء، منهم الامبراطورة أوجيني زوجة إمبراطور فرنسا نابليون الثالث، وإمبراطور النمسا، وولي عهد بروسيا، وشقيق ملك هولندا وزوجته، وعدد كبير من رجال السياسة والاقتصاد وغيرهم من المدعوين الذين بلغ عددهم قريباً من ألف.

وقد بذلت جهود كبيرة، وصرفت أموال طائلة في سبيل إظهار مصر بمظهر يعجب هؤلاء الضيوف. ومن ذلك إقامة عدد من القصور الفخمة، وإنشاء حديقة كبيرة في القاهرة، وتم تنفيذ طريق يصل إلى الأهرام في مدة وجيزة لكي يتمكن الضيوف من زيارتها، كما أنشىء عدد من السكك الحديدية لتسهيل تنقل الضيوف، وتم بناء دار الأوبرا في القاهرة، وكلف موسيقي إيطالي مشهور بوضع أوبرا لتمثل أمامهم، كما تم إنشاء عدد من المدارس التي لم يكن الهدف الأول منها تعليمياً، ولكن ليباهي بها إسماعيل ضيوفه، وتم استقدام خمسمائة طاه وخادم من أوربا علاوة على عدد كبير من الموجودين في مصر.

وقد أقام كثير من المدعوين ــ ومنهم الامبراطورة أوجيني ــ مدة تزيد على الشهر، وقاموا برحلات في أنحاء مصر لمشاهدة معالمها وآثارها، وأقيمت لهم في أثناء ذلك حفلات الغناء والرقص الباذخة، كل ذلك على نفقة مضيفهم حتى إن أحد المدعوين قال: « لم نصرف شيئاً بالمرة خلال هذه الرحلة، لقد شاهدنا كرماً لامثيل له ».

أما الاحتفال الكبير فقد استمر خمسة أيام، قام موكب المدعوين خلالها بمسيرة من بور سعيد إلى السويس في مظاهر من الأبهة والبذخ الذي لم يشهد له كثير من الضيوف مثيلاً. حتى إن الامبراطورة قالت: « ياإلهي لم أر في حياتي أجمل من هذا ». وكان هذا البذخ مثار سخط كثير من عقلاء البلد، ولكنه كان موضع الرضا والترحيب من ثعالب

أوربا الذين كانوا يتربصون بمصر الدوائر، ويتحينون الفرص للانقضاض عليها. وقد ذكر أن أحد رجال الخديوي شكا من ذلك إلى أحد الأمراء الأوربيين قائلاً: « إننا نأكل أحجار الأهرام حجراً حجراً » فرد عليه بخبث: « لاتهتم سنقرضكم المال اللازم لتشتروا منا الإسمنت لإعادة بنائها ».

ولذا لم يكن غريباً أن تؤدي هذه التصرفات إلى إغراق مصر بالديون مما لم تستطع إيراداتها الوفاء به، فاضطر الخديوي أخيراً إلى بيع أسهم مصر في القناة لإنجلترا، فلم يعد لها فيها أي نصيب. واستغلت الدول الأوربية الأمر فعينت مندوبين منها يتصرفون في إيرادات مصر ومصروفاتها بحجة حماية حقوق الدائنين الأوربيين وتسديدها، وأخيراً وقعت مصر تحت الاحتلال الإنجليزي، بعد أن هيأ إسماعيل بأعماله السيئة أفضل الظروف لانجلترا لتحقيق أهدافها.

من خلال هذا العرض يتبين لنا أن هذا الرجل قد فتن بالغربيين، واستمات في أن يظهر دولته بمظهر ينال إعجابهم. ولكن نظرته إليهم، وفهمه لسر قوتهم كان موغلاً في السطحية والسذاجة، وكان اهتمامه منصباً على المظاهر بعيداً عن الجوانب الجوهرية. وقد اتضح هذا من خلال الأسلوب الذي اتبعه في محاولته اللحاق بهم ووضع مصر في مصاف دولهم، وهو أسلوب يحمل بذور الفشل الذريع، ويؤكد جهل صاحبه وقصر نظره.

ولم يكن هذا العمل الذي بدر منه في هذه المناسبة عملاً طارئاً، ولكنه يعبر عن منهجه الإصلاحي، وموقفه الحضاري من الغرب. وهو منهج قائم على أساس دعواه أن مصر قطعة من أوربا، وبدلاً من أن يزرع في نفوس شعبه العزة، والإحساس بالتميز والاستعلاء بما لديهم من مبادىء سامية وتراث عريق راح يجرهم إلى تبعية ذليلة مهينة، ويغرس في نفوسهم حب التقليد الأعمى.

لقد غاب عن الخديوي إسماعيل أن الأمم مهما كانت درجتها من الضعف لايمكن أن تتخلى بسهولة عن أصالتها، وجذورها التاريخية والحضارية، وتسقط في أحضان الآخرين، فكيف إذا كانت تنتمي إلى خير أمة أخرجت للناس، وغاب عنه

أن الشخصية الحضارية للأمة لايمكن أن تتبدل بمجرد أن يلبسها ثياب الآخرين ويضفي علها مظاهرهم، ولم يكن يدرك أن طريق الإصلاح والنهضة إنما يبدأ بالإنسان قبل أي شيء آخر، وأن هذا الإنسان لن يستجيب بسهولة لمحاولات الإصلاح مالم نخاطب فيه نوازعه الفطرية وخصوصيته الحضارية، ونشعره بتميزه وأصالته.

وكم كان الفرق عظيماً والبون شاسعاً بين منهج إسماعيل والمنهج الياباني الذي قام على أساس من التميز والأصالة، ولم ينظر من أوربا إلا إلى الجانب الذي يفتقده ويحتاج إليه من علوم وتقنية سرعان ماستوعبها واحتواها بأساليبه التعليمية والتربوية الخاصة، حتى إن الأمريكيين واجهوا صعوبات كبيرة في فرض نظرياتهم التربوية عليه بعد الحرب العالمية الثانية.

ولكن الأمر لم ينته بفشل الخديوي إسماعيل في مشروعه وماجره على بلده من مصائب؛ فقد تابعه وسار على منهجه معظم القيادات السياسية لبلاد المسلمين على اختلاف في درجة التقليد، وعلى تفاوت في إظهار التبعية والولاء. كما أن الاهتمام بالمظاهر والأبهة الكاذبة والرغبة في نيل إعجاب الغرب لايزال هاجساً يستحوذ على تفكير كثير من تلك القيادات، ويدفعها إلى بذل الغالي والنفيس في سبيلها، لتتمكن من إرضاء غرورها، حتى لو اضطرت إلى حرمان شعوبها من أهم الضروريات، وإلى إغراقها بالديون والمشكلات.

ولاتزال هذه التجارب الفاشلة تؤتي ثمارها المرة، وتدفع بالشعوب المسلمة إلى مهاوي التخلف والضعف والهوان.



تحت راية أهل السنة والجماعة

محمد محمد بدري

تواجه الحركة الإسلامية المعاصرة تحديات كثيرة، من خارجها ومن داخلها.. تواجه من خارجها مكر أعدائها وكيدهم، وتواجه من داخلها أمراض التعصب والهوى والجهل واتباع الرؤوس الجهال، ومايننتج عنها من فرقة واختلاف!

فأما التحديات الخارجية فنستطيع أن نقول أنها فشلت سياسياً وأمنيا في إحراز أي مكسب على حساب الحركة الإسلامية المعاصرة!!

وأما التحديات الداخلية فهي ــ فيما نحسب ــ الخطر الحقيقي الذي يعوق مسيرة الحركة ويباعد بينها وبين أهدافها.

وبينما يختلف الإسلاميون في كثير من الأمور، إلا أنهم جميعاً متفقون على أن الفرقة والاختلاف هي آفة الحركة الإسلامية المعاصرة، وهي الداء الذي يشل أية فاعلية ممكنة لتلك الحركة.

ولاشك أن الوحدة والائتلاف بين العاملين للإسلام هي أمنية كل مسلم غيور والذي يجعل تحقيق هذه الأمنية الغالية ممكناً هو أن ندرك متطلباتها ونعرف الأسس الصحيحة التي تكفلها.

ومساهمة في بيان هذه الأسس وتلك المتطلبات نضع بين أيدي

إخواننا العاملين للإسلام هذا المنهج للائتلاف والوحدة كخطوة على طريق الوحدة الشاملة، ونأمل منهم تفهمه، ونقده، وترشيده بل ونطالبهم بتهذيبه والإضافة إليه بما يثري إيجابياته ويلفظ سلبياته، ويقرب من جدوى ثماره.

أولاً: أهل السنة وطريق الوحدة:

يدعو البعض إلى الوحدة والائتلاف بين الجماعات الإسلامية، فإذا سألته كيف؟ قال لك: إن هذه الجماعات أمة واحدة، والوحدة والائتلاف بينها تكون بانضمام هذه الجماعات إلى جماعتنا لأننا نحن أصحاب الفهم الصحيح!! ولأننا نسير في الطريق الأصلح والأصوب، أو لأننا أكثر عدداً، أو غير ذلك من الأسباب؟!.

ولاشك أن التفكير في الوحدة بهذه الطريقة هو لون جديد من التعصب في ثوب الدعوة إلى الوحدة، ولاشك أننا لايمكن أن نخطو خطوة واحدة في طريق الوحدة المنشودة بهذه الطريقة، لأن كل جماعة ستدعى أنها صاحبة الفهم الصحيح؟!

فما هي الجماعة التي يجب أن يلتزمها الجميع؟

إنها الجماعة التي ألزمهم بها رسول الله ﷺ حيث قال: افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، فقال الصحابة : من هي يارسول الله؟ قال: من كان على مثل ماأنا عليه وأصحابي. وفي رواية قال: الجماعة يد الله مع الجماعة .

فالفرقة الناجية هي الجماعة وصفتها من كان على مثل ماكان عليه النبي ﷺ وأصحابه. فالرسول ﷺ حين سُئل عن الفرقة الناجية بيَّن الوصف الذي صارت عليه ناجية، بمعنى أنه ﷺ بين الوصف الضابط للنجاة لأي جماعة بدون تخصيص لمن تقدم ومن تأخر، وهو وصف غير قابل للانقطاع في أي زمان كما قال ﷺ: « لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خالفهم، ولا من خذلهم إلى قيام الساعة ».

وهو وصف إذا تحقق في فرد أو جماعة، كان ذلك الفرد أو تلك

الجماعة من الفرقة الناجية « أهل السنة ».. فالسنة راية مكتوب عليها « ماكان عليه النبي ﷺ وأصحابه » وأهل السنة أهل الراية، وهم الطائفة المنصورة « لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق » وهم الجماعة التي أمر الرسول ﷺ بالتزامها..

وهي هي الجماعة التي ندعو فصائل الحركة الإسلامية إلى الالتزام بها، « جماعة أهل السنة » الجماعة العامة الواسعة، وهي تضم الآن كل من لم ينحرفوا عن طريق « أهل السنة والجماعة » إلى مناهج أهل البدع الضالين، تضم كل هؤلاء دونما شرط أن يجمعهم اسم واحد أو حزب واحد؟!

فنحن لاندعو إلى جماعة جديدة أو اسم من الأسماء التي يتصارع عليها العاملون للإسلام، وإنما هي دعوة إلى الانتماء لسلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين الذين اجتمعوا على الحق الصريح من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

دعوة إلى الانتماء لجماعة « أهل السنة » الذين ميَّزهم دائماً اجتماعهم على الاتباع دون الابتداع فهم يمثلون الامتداد الطبيعي لما كان عليه النبي ﷺ، وراية « أهل السنة والجماعة » هي الراية التي ينضوي تحتها المخلصين أفراداً وجماعات، الراغبين في العمل من أجل الإسلام مهما كانت انتماءاتهم.. ثم نوزع فيما بيننا الأدوار، أدوار الأفراد وأدوار الجماعات لتقوم بمهمة التغيير المنشود.

ثانياً ــ كلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة:

لاشك أن التوحيد بين الأطراف المتنازعة لايكون على حساب المنهج السليم، ولا يكون على حساب التفريط في سلامة الأصول، وحرصنا على الائتلاف ووحدة الكلمة لاينفعنا إن نحن فرطنا في وضوح كلمة التوحيد أو تساهلنا في اهتزاز أصولها، بل لو حاولنا ذلك ــ والعياذ بالله ــ وقعنا في الشقاق والفرقة من حيث أردنا الوحدة والائتلاف، ولذلك فنحن حين ندعو للائتلاف لانعني الائتلاف مع أصحاب المذاهب المعادية للإسلام من علمانية ووطنية وقومية واشتراكية ورأسمالية وغيرها، ولا مع الفرق الضالة التي وصفها

رسول الله ﷺ، والذين ابتعدوا وانحرفوا عن منهج أهل السنة، وهنا لابد من التفرقة بين هؤلاء وبين المختلفين من أهل السنة الذين وإن وقع بعضهم في تأويل فاسد ولكنهم لم يفاصلوا أهل السنة ولم يفارقوهم، فهؤلاء لايخرجون عن مسمى أهل السنة فيجب علينا دائماً أن نفرق بين من يتنكبون طريق الإسلام وينحرفون عن منهج أهل السنة وبين الذين يخطئون وهم يسيرون على هذا المنهج، فهؤلاء أحوج إلى التصويب والرعاية والحوار منهم إلى المواجهة والاحتقار.

ثالثاً ـ شرعية العمل الجماعي:

لاشك أن العمل الجماعي واجب شرعي، ولاشك أن ماهو مطلوب من الجماعات من انجازات لايقدر فرد أو أفراد متفرقون أن يقوموا به، ومن هنا فنحن لاننكر العمل الجماعي من خلال جماعات أهل السنة العاملة في الساحة الإسلامية، ولانريد أن يتخلى الأفراد عن جماعاتهم التي يتعاونون معها، ولكننا نريد من الجميع أن يدركوا أن ولاءهم لجماعاتهم يكون في إطار ولائهم للجماعة الأم.. جماعة أهل السنة والجماعة، وأن لايقدموا المصلحة المتوهمة لجماعتهم الصغيرة على المصلحة الشرعية الحقيقية للجماعة الكبيرة.

فلا تُرفع أسماء ورايات يُدعى الناس إليها، ويترك الأصل الذي ينبغي الدعوة إليه، ولا تكون هذه الأسماء داعية للتعصب لشخص دون رسول الله ﷺ، ولا تكون هذه الأسماء هي مايعقد عليها الولاء والبراء، بل الموالاة والمعاداة تكون على الإسلام، والدعوة تكون إلى جماعة أهل السنة.. وليس إلى جماعة فلان أو طريق فلان..

فنحن في أمس الحاجة إلى دعوة مفتوحة عالمية لكل الأمة، والله عز وجل قد أنعم علينا وكفانا باسم الإسلام.. ﴿ هو سماكم المسلمين من قبل، وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس ﴾ نقول لكل العاملين المخلصين: إن الأعمال الكبيرة لايقوم بها فرد وإنما تقوم بها مجموعات متعاونة تعمل حسب خطة تكاملية مدروسة، ولن نستطيع الوصول إلى أهدافنا عبر أفراد، بل مجموعات منظمة تضمن استمرار العمل وتعطيه

الفاعلية، فتعالوا نجتمع معاً لنكون مجتمعاً من صفوة المجتمعات وصفوة الأفراد.

رابعاً ـــ قلة تنقذ الموقف :

إن من القواعد العظيمة التي هي جماع الدين تأليف القلوب واجتماع الكلمة وصلاح ذات البين، فالله تعالى يقول: ﴿ فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ﴾ وأمثال ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة والائتلاف وتنهي عن الفرقة والاختلاف.. وأهل هذا الأصل ـــ كما يقول ابن تيمية ـــ هم أصل الجماعة، ولذلك نقول أنه من الأمور الطيبة أن توجد في الساحة الإسلامية مجموعة واعية تتبنى فكر أهل السنة والجماعة، وتعمل على التقريب بين فصائل الحركة الإسلامية؟! ومن انتدب نفسه لهذه المهمة فيجب عليه أن يتلطف في ادخال المفيد النافع على من يحدثهم دون جدل، بل بالأدلة الموضوعية.

ولاشك أن وجود هذا الصنف من الدعاة هو المقدمة الصحيحة لتعميم مفاهيم أهل السنة والجماعة في كل الحركة الإسلامية، وإزالة الحواجز بين العاملين للإسلام، بحيث لايتحرج فرد من الانتساب إلى فصيل من فصائل الحركة الإسلامية، والتعاون مع الآخر في الخير.. فيخرج بذلك جيلٌ من الإسلاميين تتطابق أهدافهم في الحياة بدل أن تتنابذ، وتتكامل أفكارهم بدل أن تتصارع وتختلف؟! وتكون غايتهم خالصة لله عز وجل.

ولن تكون هذه المجموعة التي نتحدث عنها حزباً أو جماعة، وإنما هي بمثابة مدرسة تربوية تركز على تنظيف عقول أفرادها من المقولات الخاطئة المتعصبة، وتطهير قلوبهم ونفوسهم من الأغراض الشخصية، ثم مراجعة الأفكار وأساليب العمل المطروحة على الساحة الإسلامية، وهكذا يمكن أن تبرز حركة تجديدية إصلاحية، تتضافر فيها الجهود، ويهجر فيها الأفراد خصوماتهم.

خامساً ـــ حوارات فعَّالة:

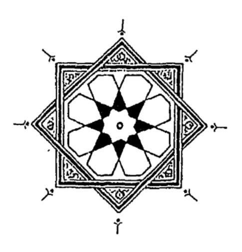
فلابد من حوارات مفتوحة مع كل الدعاة الصادقين، ولابد من تعارف فصائل الحركة الإسلامية بعضها على بعض عن قرب والحذر من الشائعات، وكثيراً مايحل هذا اللقاء الكثير من الاختلافات التي يثيرها نقلة الأخبار ومثيري الإشاعات؟!.

ولنجعل من هذه الحوارات لوناً

من ألوان الشورى حول مجموعة القضايا الأساسية في الدعوة، ولعل الله عز وجل أن يخرج منها جيلاً يهتدي إلى سبيل عودة أمة الإسلام، ويحدد مواطن الخلل ويكتشف الطريق الأصوب، ويجمع البصيرة إلى جانب البصر، ويلتزم منهاج الطائفة القائمة على الحق الحاملة للرسالة الخالدة « أهل السنة والجماعة ».

ولاشك أنه لإنجاح هذه الحوارات لابد لها من قواعد، فقواعد الحوار فضلاً عن أنها آداب وأخلاق فهي جزء رئيسي ومؤثر في فعالية أي عمل يبنى على الحوار، ومأأي عمل في بدايته سوى مشروع في محتوى بعض الكلمات والأفكار.

إننا ندعو كل إخواننا إلى العمل على تكامل فصائل الحركة الإسلامية وتعاونها في هذا الإطار الذي نحسبه صواباً، ولاندعي له الكمال، وإنما هو محاولة وخطوة على الطريق يعوزها التواصل المستمر.. نقصد منها إلى إزالة السدود النفسية بين الدعاة إلى الله وتحطيم الأسوار الحزبية التي قد تحمي غير الأكفاء وتحرم العمل من إمكانات وطاقات كبيرة، ولنسير جميعاً إلى أهدافنا تحت راية أهل السنة والجماعة □





الشيخ عز الدين القسام

محمد محمد توفيق

هو محمد عز الدين بن عبد القادر القسام، ولد عام ١٨٧١ م في بلدة جبلة من قضاء اللاذقية في سوريا، ونشأ في أسرة مسلمة كريمة، ودرس بالأزهر في مصر، والذي كان له دور كبير في ذلك الوقت في بث مبادىء الإسلام ونشرها في كل أنحاء الوطن الإسلامي، وبعد انتهاء دراسته بالأزهر رجع إلى بلدته، وعين مدرساً بالجامع الكبير، فغرس في تلاميذه معاني العزة والكرامة، باثاً فيهم روح الجهاد في سبيل الله، ومرشداً إياهم إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

وماكادت الحرب العالمية الأولى تضع أوزارها، حتى وضعت فلسطين والعراق تحت الانتداب الانجليزي، وسوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، وأعطى وزير خارجية بريطانيا (بلفور) وعده المشؤوم بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين وذلك في ٢ نوفمبر ١٩١٧ م.

في هذه الأثناء انضم الشيخ إلى عمر البيطار ورفاقه لمقاومة الاحتلال الفرنسي، واستطاعت فرنسا التغلب عليهم لقلة ذخيرتهم وأسلحتهم، ولضعف تنظيمهم، فصدر عليه حكم بالإعدام، وفاوضوه على إلغاء ذلك الحكم وتحقيق مايتمناه من مال ومنصب فرفض، ولما اشتدت عليه الملاحقة والطلب رحل إلى فلسطين في ضاحية الياجور بالقرب من حيفا ــ والتي كانت قاعدة من قواعد التهويد في ذلك الحين عام ١٩٢٢م ــ وهناك عمل مدرساً بالمدرسة الإسلامية،

ثم انضم إلى جمعية الشبان المسلمين عام ١٩٢٦ م، وانتخب رئيساً لها عام ١٩٢٨ م وأصبح مدرساً وخطيباً في جامع الاستقلال عام ١٩٢٩م ، وفي نفس السنة عين مأذوناً شرعياً، وقام بتأسيس مدرسة ليلية لمحو الأمية.

وقد مكنته كل هذه الأعمال من الاتصال بكافة طبقات الأمة، فبدأ بتأليف القلوب، ونشر المحبة، وإزالة الخصومات ونبذ الأحقاد، وتعميق الوازع الديني في النفوس، والتوعية بمؤامرات الحكومة البريطانية على فلسطين، والتوعية بمخاطر هجرة وبيع الأراضي، وعمل على تكوين قاعدة إيمانية صلبة من المجاهدين ضد أعداء الله سبحانه وتعالى وأعداء رسوله ﷺ. وكان يتصف بقوة الإيمان ، وحسن السيرة والمعاشرة، وكان لبقاً وخطيباً بارعاً ، وعاقلاً يدرك ماذا يصنع ويفهمه كل الفهم، غير متسرع ولا مندفع ، وكان يلوم بعض المشايخ وطلبة العلم على أمور منها :

ـ محاولاتهم وسعيهم الحثيث إلى تجويف الدين وجعله هياكل نظرية مفرغة.
ـ إبعاد الدين عن السياسة، واقتصارهم على المواعظ النظرية فقط.
ـ إغراقهم في التنعم بعيشهم بينما غالبية الشعب تعاني من الفقر والحاجة.
ـ عدم دعوتهم إلى الجهاد وطرد الإنجليز والصهاينة.
ـ إنفاق الأموال في تزيين المساجد وزخرفتها بدلاً من الإعداد للجهاد.

فالتف حوله الناس وساعدوه، وزاد أيضاً عدد الجواسيس عليه، وفي عام ١٩٢٥ م أسس « المنظمة الجهادية »، وبدأت عملها في سرية بالتحريض على الجهاد، والتدريب عليه، وقسمت هذه المنظمة إلى خمس مجموعات هي: المجموعة الفدائية (أو وحدة التدريب العسكري)، ومجموعة التهيئة والأعداد، ومجموعة التمويل، ومجموعة الوعظ والدعاية، والمجموعة السياسية.

وفي عام ١٩٣٥ رفع الشيخ راية الجهاد ــ وكان عمره قد تجاوز الستين ــ وترك حيفا إلى جبال جنين القريبة منها. وكانت خطته أن يتوزع رجاله على قرى المناطق الجبلية حتى يضموا إليهم أكبر عدد من المجاهدين، فإذا اكتمل العدد الذي يريده هاجم مدينة حيفا واحتل دوائر الحكومة ومراكز الشرطة والميناء، وبعد أن يستتب له الأمر يعلن قيام حكومته، ويقوم أعوانه في المدن

الأخرى بمثل ذلك.

وبعد يومين فقط، وقبل أن يتم له ذلك، قتل أحد أعوانه فرداً من دورية شرطة (يهودي)، فهاجمت قوات كبيرة جميع القرى المجاورة، فاشتبك معهم أعوان القسام، وقتل اثنان من أفراد الشرطة، فأدركوا أن الجهاد الحاسم على وشك الاستنفار، فأرسلت نجدات إلى تلك المناطق تساندها طائرات استكشافية، فحاصروا الشيخ ومعه مجموعة من أعوانه، ودارت معركة أبلى فيها وأتباعه بلاء حسناً، وكان في مقابل كل مجاهد أربعين جندياً، وقتل ومعه الشيخان محمد الحنفي ويوسف الزيباوي وجرح ثلاثة وتمكن الباقون من الإفلات.

وصلى عليه وعلى رفاقه جمع غفير، وصلى عليه الناس صلاة الغائب في كل مكان. وحمل الراية من بعده إخوانه وتلاميذه ومنهم الشيخ فرحان السعدي، ومحمد صالح الحمد (أبو خالد)، وعطية أحمد عوض، ويوسف سعيد أبو درة، وعبد الله الأصبح، وحسين العلي الزبيدي، وتوفيق إبراهيم (أبو إبراهيم الصغير)، وأحمد عبد الرحمن جابر، وغيرهم.

ولم تمض شهور قليلة على قتله حتى كانت فلسطين كلها تغلي وتُضرب من أقصاها إلى أقصاها أطول إضراب في التاريخ، والذي لم ينته إلا حينما تدخل الملوك العرب على أمل أن تتفهم حليفتهم بريطانيا مطالب الفلسطينيين وكان تدخلهم هذا مشفوعاً بتضييق الخناق على المجاهدين الذين أصبحوا في حاجة إلى السلاح والذخيرة، والغذاء والدواء.

وهاهي الأرض ــ اليوم ــ تشتعل غضباً على اليهود، وإخواننا هناك يحتاجون إلى السلاح والذخيرة بدلاً من الحجارة والزجاجات الحارقة، ويحتاجون إلى الغذاء والدواء بعد أن ضيق عليهم اليهود الخناق، ويحتاجون إلى الرجال لمناصرتهم، ويحتاجون إلى الدعاة لشحذ هممهم، وبالجملة يحتاجون إلى الدعم... فهل نخذلهم؟!.

لقد كان القسام بحق علماً للجهاد في فلسطين، فرحمه الله، وأنزلنا وإياه منازل الشهداء، ومنَّ على المسلمين بالعزة والنصر □



خواطر في الدعوة

فوائــد المِحَــن

اللهم إنا لانتطلبها، ونقول سنصبر عليها أو نحن مستعدون لها، فلا يجوز لمسلم أن يعرض نفسه للفتنة وقد لايصبر عليها، أو يضع نفسه موضع الذل والهوان، أو موضع المتسلَّط عليه من الكفار، فنصبح فتنة للذين كفروا، ولكن إذا تعرض المسلم للمصائب والمحن بقدر من الله ولحكمة يريدها الله فلابد أن يصبر ويتقي الله، وبعدها يؤتي الله نصره من يشاء، وعندما يتعرض المسلمون للمحن والرزايا فلاشك أن في ذلك فوائد كثيرة يريدها الله كتمحيص الصفوف ومعرفة الصابرين المجاهدين، والدخلاء الذين هم غثاء كغثاء السيل.

وللإمام عز الدين محمد بن عبد السلام رحمه الله لفتات طيبة في هذا الموضوع ننقلها بطولها لأهميتها، قال:

« وللمصائب والمحن فوائد تختلف باختلاف رتب الناس:

أحدها: معرفة عز الربوبية وقهرها.

الثاني: معرفة ذل العبودية وكسرها وإليه الإشارة يقول تعالى: ﴿ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ اعترفوا بأنهم ملكه وعبيده وأنهم راجعون إلى حكمه وتدبيره، لامفر لهم منه ولا محيد لهم عنه.

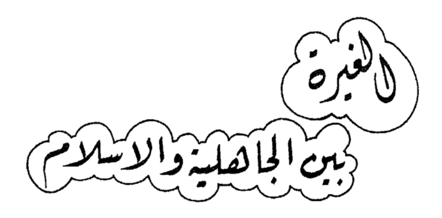
الثالثة: الإخلاص لله تعالى إذ لامرجع في رفع الشدائد إلا إليه ﴿ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ﴾.

الرابعة: التضرع والدعاء: ﴿ وإذا مس الإنسان الضر دعانا ﴾.
الخامسة: تمحيصها للذنوب والخطايا « ولا يصيب المؤمن وصب ولا نصب حتى الهم يهمه والشوكة يشاكها إلا كفّر به عن سيئاته » رواه مسلم.
السادسة: مافي طيّها من الفوائد الخفية ﴿ فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾ ولما أخذ الجبار سارة من إبراهيم عليه السلام كان في طي تلك البلية أن أخدمها هاجر فولدت إسماعيل لإبراهيم عليهما السلام، فكان من ذرية إسماعيل خاتم النبيين، فأعظم بذلك من خير كان في طيّ تلك البلية.
السابعة: إن المصائب والشدائد تمنع من الأشر والبطر والفخر والخيلاء والتكبر والتجبر.

ولهذه الفوائد الجليلة كان أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، كالذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم، وتغربوا عن أوطانهم، وتكاثر أعداؤهم، ولم يشبع سيد الأولين من خبز مرتين، وأوذي بأنواع الأذية، وابتلي في آخر الأمر بمسيلمة وطليحة والعنسي، قال عليه الصلاة والسلام: « مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيئها الريح تصرعها مرة وتعدلها مرة حتى تهيج ».
الثامنة: الرضا الموجب لرضوان الله تعالى، فإن المصائب تنزل بالبر والفاجر، فمن سخطها فله السخط ومن رضيها فله الرضا » اهـ.

ونحن نسأل الله تعالى أن يمكن للمسلمين بعد المحن والرزايا وأن يستفيد المسلمون الدروس الكبيرة من هذه المحن □





محمد الناصر

كان العرب في الجاهلية يعدون المرأة ذروة شرفهم وعنوان عرضهم، ولذلك فقد تفننوا في حمايتها والمحافظة عليها، والدفاع عنها زوجة وأماً، ابنة وأختاً، قريبة وجارة، حتى يظل شرفهم سليماً من الدنس، ويبقى عرضهم بعيداً من أن يمس.

ولم يكن شيء يثير القوم كالاعتداء على نسائهم أو المساس بهن، ولذلك كانوا يتجشمون في الدفاع عنهن كل صعب، ولا يضنون بأي غال، لقد كانت الغيرة تولد مع القوم وكأنهم أرضعوها فعلاً مع لبان الأمهات [1].

وفي بيئة العرب التي قامت فيها الأخلاق على الإباء والاعتزاز بالشرف كان لابد للرجال والنساء من العفة ومن التعفف لأن العدوان على العرض يجر الويلات والحروب، وكان لابد من الغيرة على العرض حتى لايخدش.. والعفة شرط من شروط السيادة فهي كالشجاعة والكرم.

١ ـــ المعتقدات والقيم في الشعر الجاهلي: محمد محمود صيام / ٣٥٠.

وكان العرب أغير من غيرهم[1] : لأنهم أشد الناس حاجة إلى حفظ الأنساب، ولذلك قيل: كل أمة وضعت الغيرة في رجالها، وضعت الصيانة في نسائها، وقد وصل العرب في الغيرة أن جاوزوا الحد، حتى كانوا يئدون بناتهم مخافة لحوق العار بهم من أجلهن.

وأول قبيلة وأدت من العرب ربيعة، وذلك أنهم أغير عليهم فنهبت بنت لأمير لهم، فاستردها بعد الصلح، وخيرت رضى منها بين أبيها ومن هي عنده، فاختارت من هي عنده، فغضب والدها وسن لقومه الوأد ففعلوه غيرة منهم، وشاع الوأد في العرب بعد ذلك.

ومن نخوة العرب وغيرتهم أنهم يكنون عن حرائر النساء بالبيض وقد جاء القرآن الكريم بذلك فقال سبحانه: ﴿ كأنهن بيض مكنون ﴾، وقال امرؤ القيس : (وبيضة خدر لايرام خباؤها).

ويكنون عنها بالنخلة:

ألا يانخلة في ذات عرق
عليك ورحمة الله السلام

ومن نخوة العرب وغيرتهم أنه كان من عادتهم إذا وردوا المياه أن يتقدم الرجال، والرعاء ثم النساء إذا صدرت كل الفرق المتقدمة، حيث يغسلن أنفسهن وثيابهن ويتطهرن آمنات ممن يزعجهن، فمن تأخر عن الماء حتى تصدر النساء فهو الغاية في الذل.

وكان للغيرة عند القوم مظاهر كثيرة [2]: منها حبهم لعفة النساء عامة، ونسائهم خاصة، ومنها حبهم لحيائهن وتسترهن ووفائهن ووقارهن.

وقد أشاد الشعراء بعفة النساء وتمنعن ووفائهن ، قال علقمة بن عبدة[3]:

منعمة مايستطاع كلامها
على بابها من أن تزار رقيب
إذا غاب فيها البعل لم تفش سره
وترضي إياب البعل حين يئوب

ومن أجمل ماقيل في خفر النساء

---

١ ــ انظر بلوغ الأرب: الآلوسي ١/١٤٠ ــ ١٤٣.
٢ ــ انظر: الحر في الحياة العربية، والمعتقدات والقيم في الشعر الجاهلي.
٣ ــ المفضليات ، رقم ١١٩، ص ٣٩١ .

وعفتهن قول الشنفرى الأزدي في غزله، وهو من الصعاليك الفتاك (١):

لقد أعجبتني لا سقوطاً قناعها
إذا مامشت ولا بذات تلفت
أميمة لا يخزي فتاها حليلها
إذا ذكر النسوان عفت وجلت
إذا هو أمسى آب قرة عينه
مآب السعيد لم يسل أين ظلت

وكان من مظاهر الغيرة عند العرب، ستر النساء ومنعهن من الظهور أمام الرجال. يقول الأفوه الأودي (٢):

نقاتل أقواماً فنسبي نساءهم
ولم ير ذو عز لنسوتنا حجلا

على أنهم كانوا يفخرون بغض البصر عن الجارات، ويعتبرون ذلك من العفة والغيرة على الأعراض، كان كشف الستر بجارح النظرات، وهتك الأعراض بخائنة الأعين، وفضح الأسرار باستراق السمع لايترفع عنه إلا كل عفيف، وماأجمل قول عروة ابن الورد(٣):

وإن جارتي ألوت رياح ببيتها
تغافلت حتى يستر البيت جانبه

وقول عنترة (٤):

وأغض طرفي مابدت لي جارتي
حتى يواري جارتي مأواها

أين من هؤلاء بعض الشباب اليوم الذين يتسكعون في الأسواق أو يتلصصون حول الحرمات، وبعض وسائل الإعلام تعرض المسلسلات الماجنة التي تدرب الشباب على التحلل والعدوان.

لقد كانت عند العرب أخلاق كريمة، بعث نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام ليتممها، ويقوم ماانحرف منها، ويسمو بها وبأمثالها.

الغيرة في ضوء تعاليم الشرع الحنيف:

لقد حمد الإسلام الغيرة، وشجع المسلمين عليها، ذلك أنها إذا تمكنت في النفوس كان المجتمع كالطود

١ ــ المفضليات رقم ٢٠ ، ص ١٠٨ ، والنثا: ماأخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء، والحليل: الزوج.
٢ ــ الأغاني ١/١٦٥ طبعة الثقافة.
٣ ــ الديوان: ص ٣٠ تحقيق عبد المنعم الملوحي، دمشق.
٤ ــ الديوان: ص ١٨٥ شرح الأستاذ عبد المنعم شلبي.

الشامخ حمية ودفاعاً عن الأعراض، والمؤمن الحق غيور بلا شطط يغار على محارم الله أن تنتهك، وفي الحديث الشريف أن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال كلاماً بين يدي رسول الله ﷺ دل على غيرته الشديدة فقال الرسول ﷺ: « أتعجبون من غيرة سعد، لأنا أغير منه، والله أغير مني »[1].

هذه هي الغيرة، غيرة الإسلام على المحارم والأعراض، المنبثقة من غيرة رب العباد، والمتمثلة في خاتم المرسلين، وهي ليست بخافية على أحد من الناس، قال تعالى: ﴿ إنما حرم ربي الفواحش ماظهر منها ومابطن ﴾ [الأعراف/٣٣].

ويقول ﷺ: « لا أحد أغير من الله، ولذلك حرم الفواحش، ماظهر منها ومابطن »[2].

ومن أجل أن يكون المجتمع المسلم نظيفاً ، أمر الإسلام بعدد من الأوامر والنواهي، ليحفظ هذا المجتمع طاهراً نقياً، وتصبح مظاهر الغيرة فيه جلية ومن علامات هذا النقاء.

ولذلك فرض الله على المسلمات ستر مفاتنهن، وعدم إبداء زينتهن، يقول تعالى: ﴿ ولا يبدين زينتهن إلا ماظهر منها، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن ﴾ [النور/٣١]، ﴿ وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ﴾ [الأحزاب/٣٣].

وحرم الإسلام كذلك الدخول على النساء لغير محارمهن كما حرم الخلوة بهن. قال ﷺ: « إياكم والدخول على النساء. فقال رجل من الأنصار: يارسول الله أفرأيت الحمو؟ قال: « الحمو الموت »[3] والحمو أخو الزوج وماأشبهه من أقاربه.

وقال ﷺ: « لايخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم، فقام رجل فقال: يارسول الله امرأتي خرجت حاجة، واكتتبت في غزوة كذا وكذا، قال: « ارجع فحج مع امرأتك »[4].

١ ــ صحيح البخاري: كتاب النكاح، باب الغيرة.
٢ ــ صحيح البخاري ، كتاب النكاح، ومسلم : كتاب التوبة ٢١١٤/٤، واللفظ لمسلم.
٣ ــ عمدة الأحكام/١٧٩.
٤ ــ صحيح البخاري: كتاب النكاح، وانظر فتح الباري ٣٣١/٩.

تطهير وتحصين لهذا المجتمع الفاضل، فلا خلوة ولا ريبة، وحتى الجهاد يؤمر الرجل بتأجيله من أجل أن يحج مع امرأته، فلا تسافر وحدها، هذه روح الشرع الحنيف والمتأولون كل يوم قد يطلعون علينا بجديد.

ومن لوازم هذه الغيرة: الحياء. قال ﷺ: « الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة »(١).

ومن ذلك أيضاً: غض البصر: قال تعالى: ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم... وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن، ولايبدين زينتهن إلا ماظهر منها ﴾ [النور/٣٠ ــ ٣١].

يقول سيد قطب رحمه الله في تفسير هذه الآية: « إن الإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف لاتهاج فيه الشهوات في كل لحظة، ولا تستثار فيه دفعات اللحم والدم في كل حين.. والنظرة الخائنة والحركة المثيرة والزينة المتبرجة والجسم العاري.... كلها لاتصنع شيئاً إلا أن تهيج ذلك السعار الحيواني المجنون! وإحدى وسائل الإسلام إلى إنشاء مجتمع نظيف هي الحيلولة دون هذه الاستثارة، وإبقاء الدافع النظري العميق بين الجنسين سليماً »(٢).

الغيرة في حضارة القرن العشرين:

عرفنا مما تقدم أن الغيرة خلق عربي أصيل، ارتفع به الإسلام آفاقاً عالية سامية، وقمماً شامخة، في ظل مجتمع وارف الظلال.

ثم بدأت الأخلاق تتغير عند الكثيرين، مع ضعف الوازع الديني، وهجمة الغرب الشرسة، حتى بدت المظاهر المنحرفة عجيبة في العلاقات الاجتماعية والأخلاقية.

ابتعد كثيرون عن الواقع النظيف، وحتى غيرة أهل الجاهلية، انحدرت وتلاشت في كثير من الأوساط، إذ أصبح الاختلاط (بين مايسمى بالأسر التقدمية) شائعاً، حيث الأحاديث المشتركة والموائد المختلطة.

كتب أنيس منصور في إحدى مقالاته في أخبار اليوم: إنه زار إحدى

١ ــ صحيح ابن حبان: ٤٥٤/٢ كتاب الرقائق، وانظر المعتقدات والقيم/٧٨٦.
٢ ــ في ظلال القرآن ٢٥١٠/٤ ــ ٢٥١١.

الجامعات الألمانية ورأى هناك الأولاد والبنات أزواجاً أزواجاً مستلقين على الحشائش في فناء الجامعة.. قال: فقلت في نفسي: متى أرى ذلك المنظر في جامعة أسيوط لكي تراه عيون أهل الصعيد وتتعود عليه!!(١).

أهل الصعيد لماذا؟ لأنه مايزال لديهم بعض أخلاق المسلمين وحيائهم.

وفي المطارات مايراه المسافر من مظاهر شائنة لاتحرك غيرة ولا رجولة، لقد جادلت بعض الأقلام الهابطة أن تنتزع عن الفتاة المسلمة كل خلق أو تقليد، حتى الحياء الذي كانت تتميز به الفتاة المسلمة الشرقية.

قال سيد قطب رحمه الله في هذا الشأن:(١) « وحين تكون القيم (الإنسانية) والأخلاق (الإنسانية) كما هي في ميزان الله هي السائدة في مجتمع فإن هذا المجتمع يكون متحضراً متقدماً... أو بالاصطلاح الإسلامي ربانياً مسلماً.. والقيم والأخلاق الإنسانية ليست مسألة غامضة ولا مائعة، وليست كذلك قيماً وأخلاقاً متغيرة ».

« إن المجتمعات التي تسود بها القيم والأخلاق الحيوانية، لايمكن أن تكون مجتمعات متحضرة مهما تبلغ من التقدم الصناعي والاقتصادي والعلمي! ».

« وفي المجتمعات الجاهلية الحديثة ينحسر المفهوم الأخلاقي بحيث تتخلى عن كل ماله علاقة بالتميز الإنساني عن الحيوان. ففي هذه المجتمعات لاتعتبر العلاقات الجنسية غير الشرعية ولا حتى العلاقات الجنسية الشاذة رذيلة أخلاقية، إن المفهوم الأخلاقي ينحصر في المعاملات الشخصية والاقتصادية والسياسية أحياناً في حدود مصلحة الدولة ».

« مثل هذه المجتمعات مجتمعات مختلفة من وجهة النظر الإنسانية وهي كذلك غير إسلامية لأن خط الإسلام هو خط تحرير الإنسان من شهواته.. ».

وأخيراً أخي القارىء: فإن معايير

---

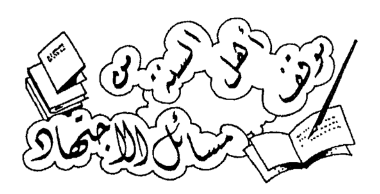
١ ــ عن واقعنا المعاصر: ص ٢٩٤ ــ ٢٩٥، الأستاذ محمد قطب.
٢ ــ في ظلال القرآن: ١٢٥٨/٣.

الأخلاق قد اهتزت في عصرنا الحاضر، ولابد من أن نوليها الاهتمام الكافي الذي يوجبه علينا ديننا.

وإن التطبيق الواقعي لهــذه الأخلاق، في حياة المسلمين اليوم بات واجباً إسلامياً، ومنهجاً تربوياً دعوياً، طالما أهمل في قطاعات كبيرة من مجتمعات المسلمين والناس عموماً في هذا القرن.

إلا أن الأمل كبير في الأجيال المؤمنة، لتقوم الانحراف، وتزرع الفضيلة، وتكون قدوة حسنة، وواقعاً حياً لما كان عليه سلف هذه الأمة □





أحمد بن عبد الرحمن الصويان

في ظلال الصحوة المباركة التي تعيشها الأمة الإسلامية في أقطار المعمورة انتعشت الحركة العلمية، وأقبل كثير من الشباب ولله الحمد والمنة على طلب العلوم الشرعية المختلفة ــ وهذا بلا شك مؤشرٌ من مؤشرات الخير ــ ولكن أصيبَ بعض طلاب العلم بآفتين خطيرتين :

الآفة الأولى: تسرع بعض طلاب العلم بالفتوى وهم لايحملون من أدواتها إلا القليل. وقد قال الإمام ابن القيم: « ولايتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم:

أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه واستنباط علم حقيقة ماوقع بالقرائن والأمارات والعلامات حتى يحيط به علماً.

والثاني: فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان رسوله في هذا الواقع.

ثم يطبق أحدهما على الآخر، فمن بذل جهده واستفرغ وسعه في ذلك لم يعدم أجرين أو أجراً، فالعالم من يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله »[1].

---

١ ــ إعلام الموقعين: ٨٧/١ ــ ٨٨ .

والآفة الثانية: أن بعض طلاب العلم إذا بذل وسعه وقاده اجتهاده إلى تبني رأي في مسألة من المسائل، يرى بأن ماتوصل إليه هو عين الحق الذي لاحق غيره، وكل ماخالف قوله ليس مرجوحاً فحسب، بل هو باطل...!!

ويقوده هذا إلى أنه يريد أن يلزم الآخرين بالنتيجة التي توصل إليها، ويوالي في ذلك ويعادي، فمن وافقه كان المحبوب المقرب، ومن خالفه كان المقلد الجاهل! وقد يؤدي هذا ــ في بعض الأحيان ــ إلى التنازع والتقاطع وتفرُّق الكلمة.

وسوف أبين منهج أهل السنة والسلف الصالح في هذا الباب، وعملي فيه هو الجمع والترتيب، ولكن قبل الدخول في لب الموضوع وعند بيان موقف هؤلاء العلماء تجاه بعضهم في مسائل الاجتهاد لابد من الإشارة إلى ملحوظتين:

١ ــ إن علماء الأمة ماكانوا يختلفون تشهياً بل كان اختلافهم مبنياً على اجتهاد.
٢ ــ أن العلماء هم أقرب الناس إلى الله وأكثرهم خشية له، قال تعالى: ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ [فاطر/٢٨] وقد ظهرت آثار هذه الخشية في فتاويهم وتورعهم عنها، قال سفيان: « أدركت الفقهاء وهم يكرهون أن يجيبوا في المسائل والفتيا حتى لايجدوا بداً من أن يفتوا ».

أولاً: ذم الفرقة والاختلاف :

قال تعالى: ﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ [آل عمران/١٠٢ ــ ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿ إن الدين عن الله الإسلام، وماتفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ماجاءهم العلم بغياً بينهم ﴾ [آل عمران/١٩].

وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم » (١).

١ ــ أخرجه : أحمد ٣١٣/٣، ٣٦٦، ومسلم ٢١٦٦/٤، والترمذي ١٩٣٧.

وقال النبي ﷺ: « تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لايشرك بالله شيئاً، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيُقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا »(١).

وقال رسول الله ﷺ: « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى يارسول الله، قال: صلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين! »(٢).

ثانياً: منهج الصحابة في مسائل الاجتهاد:

اختلف الصحابة رضي الله عنهم في مسائل كثيرة، مع أنهم: « أبر الأمة قلوباً، وأقلهم تكلفاً، وأصحهم مقصوداً، وأكملهم نظرة، وأتمهم إدراكاً، وأصفاهم أذهاناً، الذين شاهدوا التنزيل، وعرفوا التأويل، وفهموا مقاصد الرسول » (٣)، ولم يؤد هذا الاختلاف في يوم من الأيام إلى التباغض أو التقاطع، بل كان يعذر بعضهم بعضاً مع بقاء الألفة والمحبة.

أخرج البخاري عن عبد الرحمن بن يزيد قال: « صلى بنا عثمان بن عفان رضي الله عنه بمنى أربع ركعات، فقيل ذلك لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فاسترجع ثم قال: صليت مع رسول الله ﷺ بمنى ركعتين، وصليت مع أبي بكر رضي الله عنه بمنى ركعتين، وصليت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمنى ركعتين، فليت حظي من أربع ركعات ركعتان متقبلتان » (٤)، وزاد أبو داود: « قال الأعمش: فحدثني معاوية بن قرة عن أشياخ: أن عبد الله صلى أربعاً. قال: الخلاف شرٌ »(٥)، وفي رواية للبيهقي: « إني أكره الخلاف »(٦).

---

١ ــ أخرجه أحمد ٢/٢٦٨، ٣٢٩، ٣٨٩، ٤٠٠، ٤٦٥، ٤٨٣، ومسلم ٤/١٩٨٧.

٢ ــ أخرجه أحمد ٦/٤٤٤، وأبو داود ٤٩١٩، والترمذي ٢٥٠٩، وقال: هذا حديث صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢/٣٥٩.

٣ ــ إعلام الموقعين ١/٧٩.

٤ ــ أخرجه البخاري: ١٠٨٤، ١٦٥٧.

٥ ــ أخرجه أبود داود: ١٩٦٠.

٦ ــ أخرجه: البيهقي في السنن الكبرى ٣/١٤٤.

قال ابن تيمية: « وقد اتفق الصحابة في مسائل تنازعوا فيها، على أن إقرار كل فريق للفريق الآخر على العمل باجتهادهم، كـ: مسائل في العبادات، والمناكح، والمواريث، والعطاء، والسياسة، وغير ذلك. وحكم عمر أول عام في الفريضة الحمارية بعدم التشريك، وفي العام الثاني التشريك في واقعة مثل الأولى، ولما سئل عن ذلك؟ قال: تلك على ماقضينا وهذه على مانقضي. وهم الأئمة الذين ثبت بالنصوص أنهم لايجتمعون على باطل ولا ضلالة، ودل الكتاب والسنة على وجوب متابعتهم. وتنازعوا في مسائل عملية اعتقادية، كـ: سماع الميت صوت الحي، وتعذيب الميت ببكاء أهله، ورؤية محمد ﷺ ربه قبل الموت، مع بقاء الجماعة والألفة... »(١).

وقال أيضاً: « ... وقد كان العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر الله تعالى في قوله: ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ [النساء/٥٩]، وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة، وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية، مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين، نعم من خالف الكتاب المستبين، والسنة المستفيضة، أو ماأجمع عليه سلف الأمة خلافاً لايعذر فيه، فهذا يعامل بما يعامل به أهل البدع... وأما الاختلاف في الأحكام فأكثر من أن ينضبط، ولو كان كل مااختلف مسلمان في شيء تهاجرا لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة... »(٢).

ثالثاً: منهج السلف الصالح في مسائل الاجتهاد :

اختلف السلف الصالح رضي الله عنهم في مسائل كثيرة جداً، ولم يكن ينكر بعضهم على بعض في مسائل الاجتهاد، بل كانت قلوبهم الكريمة الطهورة تتسع لمثل هذه الأمور، وإليك بيان منهجهم:

قال يحيى بن سعيد الأنصاري ـــ وهو من أجلاء التابعين ـــ : « مابرح أولو

١ ـــ قاعدة في توحد الملة وتعدد الشرائع لابن تيمية، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١٣٦/٣.
٢ ـــ مجموع الفتاوى ١٧٢/٢٤ ـــ ١٧٣ .

الفتوى يختلفون، فيحلّ هذا ويحرم هذا، فلا يرى المحرِّم أن المحلَّ هلك لتحليله، ولايرى المحل أن المحرِّم هلك لتحريمه »[1].

وقال سفيان الثوري أيضاً: « ماختلف فيه الفقهاء فلا أنهى أحداً من إخواني أن يأخذ به » [2].

وقال يونس الصدفي: « مارأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوماً في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني، فأخذ بيدي، ثم قال: ياأبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة »[3].

قال الذهبي تعليقاً على كلام الإمام الشافعي: « هذا يدل على كمال عقل هذا الإمام، وفقه نفسه، فمازال النظراء يختلفون ».

وقال أحمد بن حنبل: « من أفتى الناس ليس ينبغي أن يحمل الناس على مذهبه ويشدد عليهم »[4].

ومن لطيف مأثر عن الإمام أحمد بن حنبل في هذا الباب قوله: « لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحاق بن راهويه، وإن كان يخالفنا في أشياء، فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضاً »[5].

وقال ابن قدامة المقدسي: « لاينبغي لأحد أن ينكر على غيره العمل بمذهبه، فإنه لاإنكار على المجتهدات »[6].

قال ابن تيمية: « مسائل الاجتهاد من عمل فيها بقول بعض العلماء لم ينكر عليه ولم يهجر، ومن عمل بأحد القولين لم ينكر عليه »[7].

وقال أيضاً: « ... فأما أن هذه المسألة ــ يعني: الاختلاف في ذبائح أهل الكتاب ــ أو نحوها من مسائل الاجتهاد يجوز لمن تمسك فيها بأحد القولين أن ينكر على الآخر بغير حجة، فهذا خلاف إجماع المسلمين... فقد تنازع

---

١ ــ جامع بيان العلم وفضله ٨٠/٢.
٢ ــ الفقيه والمتفقه ٦٩/٢.
٣ ــ سير أعلام النبلاء ١٦/١٠ ــ ١٧.
٤ ــ آداب الشافعي ومناقبه للرازي ص ٤٤، وحلية الأولياء ٩٦/٩.
٥ ــ الآداب الشرعية لابن مفلح ١٨٦/١.
٦ ــ المصدر السابق ١٨٦/١.
٧ ــ مجموع الفتاوى ٢٠٧/٢٠.

المسلمون في جبن المجوس والمشركين، وليس لمن رجَّح أحد القولين أن ينكر على صاحب القول الآخر إلا بحجة شرعية.

وكذلك تنازعوا في متروك التسمية، وفي ذبائح أهل الكتاب إذا سموا عليها غير الله، وفي شحم الثرب والكليتين، وذبحهم لذوات الظفر كالإبل والبط ونحو ذلك مما حرمه الله عليهم، وتنازعوا في ذبح الكتابي للضحايا، ونحو ذلك من مسائل.

وقد قال بكل قول طائفة من أهل العلم المشهورين، فمن صار إلى قول مقلداً لقائله لم يكن له أن ينكر على من صار إلى القول الآخر مقلداً لقائله. لكن إن كان مع أحدهما حجة شرعية وجب الانقياد للحجج الشرعية إذا ظهرت »[1].

وقال شمس الدين الذهبي: « ... ثم إن الكبير من أئمة العلم إذ كثر صوابه وعلم تحريه للحق، واتسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعرف صلاحه وورعه واتباعه: يغفر له زلله، ولا نضلله ونطرحه، وننسى محاسنه، نعم ولا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك »[2].

وقال ابن قيم الجوزية: « .. ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعاً أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدمٌ صالح وآثار حسنة، وهو من الإسلام وأهله بمكان، قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور بل مأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يتبع فيها، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته ومنزلته في قلوب المسلمين »[3].

رابعاً ــ عدم الإنكار لايؤدي إلى ترك البيان وإظهار الحجة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « ... إن مثل هذه المسائل الاجتهادية لاتنكر باليد، وليس لأحد أن يلزم الناس باتباعه فيها، ولكن يتكلم فيها بالحجج العلمية،

١ ــ مجموع الفتاوى ٢٣٣/٣٥.
٢ ــ سير أعلام النبلاء ٢٧٩/٥.
٣ ــ إعلام الموقعين ٢٨٣/٣.

فمن تبين له صحة أحد القولين: تبعه، ومن قلد أهل القول الآخر فلا إنكار عليه »[1].

وقال أيضاً: « ومسائل الاجتهاد لايسوغ فيها الإنكار إلا ببيان الحجة، وإيضاح المحجة، لا الإنكار المجرد المستند إلى محض التقليد، فإن هذا فعل أهل الجهل والأهواء » [2].

خامساً ــ الاجتهاد السائغ لايؤدي إلى التفرق والبغي:

قال ابن تيمية: « .. ولكن الاجتهاد السائغ لايبلغ مبلغ الفتنة والفرقة إلا مع البغي لا لمجرد الاجتهاد، كما قال تعالى: ﴿ وماأختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ماجاءهم العلم بغياً بينهم » [آل عمران/١٩]. وقال: ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء ﴾ [الأنعام/١٥٩]، وقال: ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعدما جاءهم البينات ﴾ [آل عمران/١٠٥]. فلا تكون فتنة وفرقة مع وجود الاجتهاد السائغ، بل مع نوع بغي »[3].

وقال أيضاً: « قاعدة: في صفات العبادات التي حصل فيها تنازع بين الأمة في الرواية والرأي، مثل: الأذان، والجهر بالبسملة، والقنوت في الفجر، والتسليم في الصلاة، ورفع الأيدي فيها، ووضع الأكف فوق الأكف، ومثل التمتع والإفراد والقران في الحج، ونحو ذلك، فإن التنازع في هذه العبادات الظاهرة والشعائر أوجب أنواعاً من الفساد الذي يكرهه الله ورسوله وعباده المؤمنون:

أحدهما: جهل كثير من الناس أو أكثرهم بالأمر المشروع المسنون الذي يحبه الله ورسوله، والذي سنه رسول الله ﷺ لأمته والذي أمرهم باتباعه.

الثاني: ظلم كثير من الأمة أو أكثرهم بعضهم لبعض وبغيهم عليهم، تارة بنهيهم عما لم ينه الله عنه، وبغضهم على من لم يبغضهم الله عليه، وتارة بترك ماأوجب الله من حقوقهم وصلتهم لعدم موافقتهم له على الوجه الذي يؤثرونه، حتى يقدمون في الموالاة والمحبة وإعطاء الأموال والولايات من يكون مؤخراً

---

١ ــ مجموع الفتاوى ٨٠/٣٠.
٢ ــ مجموع الفتاوى ٢١٢/٣٥ ــ ٢١٣.
٣ ــ الاستقامة ٣١/١.

عند الله ورسوله، ويتركون من يكون مقدماً عند الله ورسوله لذلك.

الثالث: اتباع الظن وماتهوى الأنفس حتى يصير كثير منهم مديناً باتباع الأهواء في هذه الأمور المشروعة، وحتى يصير في كثير من المتفقهة والمتعبدة من الأهواء من جنس مافي أهل الأهواء الخارجين عن أهل السنة والجماعة، كـ: الخوارج والروافض والمعتزلة ونحوهم.

وقد قال تعالى في كتابه: ﴿ ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾ [ص/٢٦].

وقال في كتابه: ﴿ ولا تتبع أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ﴾ [المائدة/٧٧].

الرابع: التفرق والاختلاف المخالف للاجتماع والائتلاف، حتى يصير بعضهم يبغض بعضاً ويعاديه، ويحب بعضاً ويواليه على غير ذات الله، وحتى يفضي الأمر ببعضهم إلى الطعن واللمز والهمز، وببعضهم إلى الاقتتال بالأيدي والسلاح، وببعضهم إلى المهاجرة والمقاطعة، حتى لايصلي بعضهم خلف بعض، وهذا كله من أعظم الأمور التي حرمها الله ورسوله، والاجتماع والائتلاف من أعظم الأمور التي أوجبها الله ورسوله.

وهذا الأصل العظيم وهو: الاعتصام بحبل الله جميعاً وأن لايتفرق، هو من أعظم أصول الإسلام، ومما عظمت به وصية النبي ﷺ في مواطن عامة وخاصة.. وباب الفساد الذي وقع في هذه الأمة، بل وفي غيرها، هو: التفرق والاختلاف، فإنه وقع بين أمرائها وعلمائها من ملوكها ومشايخها وغيرهم من ذلك ماالله به عليم، وإن كان بعض ذلك مغفوراً لصاحبه لاجتهاده الذي يغفر فيه خطؤه، أو لحسناته الماحية، أو توبته، أو لغير ذلك. لكن يعلم أن رعايته من أعظم أصول الإسلام، ولهذا كان امتياز أهل النجاة عن أهل العذاب من هذه الأمة بالسنة والجماعة، ويذكرون في كثير من السنن والآثار في ذلك مايطول ذكره، وكان الأصل الثالث بعد الكتاب والسنة الذي يجب تقديم العمل به هو الإجماع، فإن الله لايجمع هذه الأمة على ضلالة... »(١).

---

١ ــ خلاف الأمة في العبادات ومذهب أهل السنة والجماعة لابن تيمية، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (٣/١١٥ ــ ١١٧)، وانظر قاعدة في توحد الملة وتعدد الشرائع لابن تيمية، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (٣/١٤٠ ــ ١٤٢).

سادساً: وقال في أن الاختلاف في المستحبات لايؤدي إلى التفرق بل ينبغي تركها تأليفاً للقلوب:

« .. وإذا كان النزاع إنما هو في الاستحباب علم الاجتماع على جواز ذلك وإجرائه، ويكون ذلك بمنزلة القراءات في القرآن فإن جميعها جائز، وإن كان من الناس من يختار بعض القراءات على بعض، وبهذا يزول الفساد المتقدم، فإنه إذا علم أن ذلك جميعه مجزىء في العبادة لم يكن النزاع في الاختيار ضاراً، بل قد يكون النوعان سواء، وإن رجح بعض الناس بعضها، ولو كان أحدها أفضل لم يجز أن يظلم من يختار المفضول ولا يذم ولا يعاب بإجماع المسلمين، بل المجتهد المخطىء لايجوز ذمه بإجماع المسلمين. ولايجوز التفرق بذلك بين الأمة، ولا أن يعطى المستحب فوق حقه، فإنه قد يكون من أتى بغير ذلك المستحب من أمور أخرى واجبة ومستحبة أفضل بكثير، ولا يجوز أن تجعل المستحبات بمنزلة الواجبات يمتنع الرجل من تركها ويرى أنه قد خرج من دينه أو عصى الله ورسوله، بل قد يكون ترك المستحبات لمعارض راجح أفضل من فعلها، بل الواجبات كذلك. ومعلوم أن ائتلاف قلوب الأمة أعظم في الدين من بعض هذه المستحبات، فلو تركها المرء لائتلاف القلوب كان ذلك حسناً، وذلك أفضل إذا كان مصلحة ائتلاف القلوب دون مصلحة ذلك المستحب، وقد أخرجا في الصحيحين: عن عائشة أن النبي ﷺ قال لها: « لولا أن قومك حديثوا عهد بجاهلية لنقضت الكعبة ولألصقتها بالأرض، ولجعلت لها باباً يدخل الناس منه وباباً يخرجون منه »[1]. وقد احتج بهذا الحديث البخاري وغيره على أن الإمام قد يترك بعض الأمور المختارة لأجل تأليف القلوب ودفعاً لنفرتها، ولهذا نص الإمام أحمد على أنه يجهر بالبسملة عند المعارض الراجح، فقال: يجهر بها إذا كان بالمدينة، قال القاضي: لأن أهلها إذ ذاك كانوا يجهرون فيجهر بها للتأليف وليعلمهم أنه يقرأ بها، وأن قراءتها سنة، كما جهر ابن عباس بقراءة الفاتحة في صلاة الجنازة.

---

١ ــ أخرجه أحمد ٥٧/٦، ٦٧، ٩٢، ١٠٢، ١١٣، ١٣٦، ١٧٦، ١٧٩، ٢٣٩، ٢٤٧، ٢٥٣، ٢٦٢، والبخاري ١٢٦، ١٥٨٣، ١٥٨٤، ١٥٨٥، ١٥٨٦، ٣٣٦٨، ٤٤٨٤، ٧٢٤٣، ومسلم ٩٦٨/٢ ــ ٩٧٣.

فهذا أصل عظيم ينبغي مراعاته، وبهذا يزول الشك والطعن، فإن الاتفاق إذا حصل على جواز الجميع وإجزائه علم أنه داخل في المشروع، فالتناوع في الرجحان لايضر، كالتنازع في رجحان بعض القراءات وبعض العبادات وبعض العلماء ونحو ذلك، بل قد أمر النبي ﷺ كلاً من القراء أن يقرأ كما يعلم، ونهاهم عن الاختلاف في ذلك، فمن خالف في ذلك كان ممن ذمه الله ورسوله، فأما أهل الجماعة فلا يختلفون في ذلك »(١).

سابعاً ــ المسائل التي يسوغ فيها الإنكار والمسائل التي لايسوغ فيها الإنكار:

تنقسم المسائل التي اختلف فيها إلى قسمين:

القسم الأول: مايسوغ فيها الإنكار، بل يجب في بعض المسائل، وذلك إذا خالف القول نصاً ــ من كتاب أو سنة ــ قطعي الدلالة، أو إجماعاً صحيحاً، كمن يقول بتحليل الربا، أو شرب الخمر، أو ينحرف عن منهج أهل السنة والجماعة في باب العقائد المجمع عليها.

والقسم الثاني: المسائل التي لايسوغ فيها الإنكار، كمسائل الاجتهاد التي لاتتوفر فيها نصوص قطعية الدلالة، أو لايوجد فيها نصوص بالكلية، وليس فيها إجماع صحيح، ومن أمثلة ذلك:

١ ــ اختلاف العلماء في الذهب الملبوس هل تجب فيه الزكاة أم لا؟

٢ ــ عدد ركعات صلاة التراويح.

٣ ــ النزول إلى السجود هل يكون على اليدين أم على الركبتين؟

وغير ذلك من الأمثلة التي اختلف فيها السلف الصالح فما وسعهم يسعنا.

قال الإمام ابن القيم: « وقولهم: إن مسائل الخلاف لا إنكار فيها ليس بصحيح. فإن الإنكار إما أن يتوجه إلى القول والفتوى، أو العمل.

أما الأول: فإن كان القول يخالف سنة أو إجماعاً شائعاً وجب إنكاره اتفاقاً، وإن لم يكن كذلك فإن بيان ضعفه ومخالفته للدليل إنكار مثله.

وأما العمل: فإن كان على خلاف سنة أو إجماع وجب إنكاره بحسب

---

١ ــ خلاف الأمة في العبادات ومذهب أهل السنة والجماعة لابن تيمية، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١٢٤/٣ ــ ١٢٥.

درجات الإنكار، وكيف يقول فقيه: لا إنكار في المسائل المختلف فيها؟! والفقهاء من سائر الطوائف قد صرحوا بنقض حكم الحاكم إذا خالف كتاباً أو سنة وإن كان قد وافق فيه بعض العلماء.

وأما إذا لم يكن في المسألة سنة ولا إجماع، وللاجتهاد فيها مساغ لم تنكر على من عمل بها مجتهداً أو مقلداً.

وإنما دخل هذا اللبس من جهة أن القائل يعتقد أن مسائل الخلاف هي مسائل الاجتهاد، كما اعتقد ذلك طوائف من الناس ممن ليس لهم تحقيق في العلم، والصواب: ماعليه الأئمة أن مسائل الاجتهاد مالم يكن فيها دليل يجب العمل به وجوباً ظاهراً، مثل: حديث صحيح لامعارض له من جنسه، فيسوغ فيها ــ إذا عدم فيها الدليل الظاهر الذي يجب العمل به ــ الاجتهاد لتعارض الأدلة، أو لخفاء الأدلة فيها »(١).

الخاتمة :

في هذا العصر الذي تكالبت فيه قوى الشر من الشرق والغرب على المسلمين يحتاج أهل السنة والجماعة إلى رص الصفوف وتكاتف الأيدي وتآلف القلوب... وإلى نبذ جميع أسباب الفرقة الوهمية التي ليس لها حظ من الأثر أو النظر، ونبذ الأهواء والتعالي على حظوظ النفوس.. ينبغي أن تتسع صدورنا لمسائل الاجتهاد، وأن لاتستهلكنا الاختلافات اليسيرة، وأن نترفع عن القيل والقال والجدل العقيم الذي يقسي القلوب ويورث ضغائن القلوب، وقال قال المصطفى ﷺ: « ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أُوتوا الجدل »(٢)، وإن أمانة حمل هذا الدين وتبليغه للناس أمانة عظيمة، سوف نسأل عنها بين يدي جبار السموات والأرض، ﴿ يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ [الشعراء/٨٩].

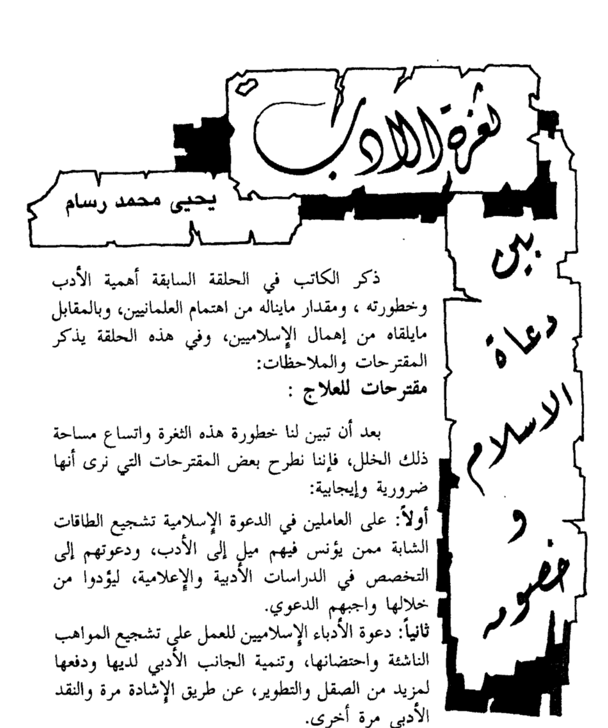
---

١ ــ إعلام الموقعين ٣/٢٨٨، ونسب ابن مفلح نحو هذا الكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الآداب الشرعية ١/١٨٦.

٢ ــ أخرجه: أحمد ٥/٢٥٢، ٢٥٦، وابن ماجه / ٤٨، والترمذي / ٣٢٥٣، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

((البيان)) الأدبي

- ثغرة الأدب بين دعاة الإسلام وخصومه
- درب الأخوة (قصيدة)
- صور من الحياة (قصة قصيرة)
- جناية الاستغراب على الأدب العربي



يحيى محمد رسام

ذكر الكاتب في الحلقة السابقة أهمية الأدب وخطورته ، ومقدار مايناله من اهتمام العلمانيين، وبالمقابل مايلقاه من إهمال الإسلاميين، وفي هذه الحلقة يذكر المقترحات والملاحظات:

مقترحات للعلاج :

بعد أن تبين لنا خطورة هذه الثغرة واتساع مساحة ذلك الخلل، فإننا نطرح بعض المقترحات التي نرى أنها ضرورية وإيجابية:

أولاً: على العاملين في الدعوة الإسلامية تشجيع الطاقات الشابة ممن يؤنس فيهم ميل إلى الأدب، ودعوتهم إلى التخصص في الدراسات الأدبية والإعلامية، ليؤدوا من خلالها واجبهم الدعوي.

ثانياً: دعوة الأدباء الإسلاميين للعمل علي تشجيع المواهب الناشئة واحتضانها، وتنمية الجانب الأدبي لديها ودفعها لمزيد من الصقل والتطوير، عن طريق الإشادة مرة والنقد الأدبي مرة أخرى.

ثالثاً: العمل على إيجاد مجلة أدبية أو أكثر تختص بالأدب وفنونه ونشر الدراسات الأدبية والنقدية وعن طريقها يتم التواصل بين الأدباء كما يتم التعارف والتعاون.

رابعاً : السعي لإقامة ندوات أدبية وإحياء أمسيات شعرية يدعى لها الأدباء والشعراء والنقاد، وتعالج فيها قضايا الأدب الإسلامي.

خامساً : إفساح المجال لركن الأدب والثقافة والنقد الأدبي في الصحف والمجلات الإسلامية، ودعوة كل قادر للمشاركة بالكتابة، وأن يتولى تحرير تلك الأبواب في الصحف والمجلات أصحاب نفوس مليئة بالأمل وسعة الأفق.

ملاحظات لابد منها :

١ ـ يلاحظ على بعض أدبائنا وخاصة الشعراء وكتاب القصة أنهم يحصرون قراءاتهم في جوانب معينة من الثقافة مع أنه من الأهمية بمكان أن يكون الأديب المسلم على اطلاع واسع بإنتاج الشعراء والأدباء من كل مكان وخاصة مشاهير الأدباء العالميين، ممن ترجمت بعض آثارهم إلى العربية، وأما من لديه القدرة على متابعة إنتاج أولئك في لغاتهم الأصلية فذلك أدعى بلا شك إلى أن يرفد الأديب المسلم ثقافته ويوسع آفاقه (١) والأدباء المسلمين من غير العرب هم أولى الناس بأن يطلع على إنتاجهم.

٢ ـ إن بعض الأدباء المسلمين لايتعرضون بالقدر الكافي للقضايا الحيوية التي تعيشها الأمة، أو بتعبير آخر تنقصهم الجرأة في معالجة بعض الأحداث المعاصرة أو التطرق إلى معاناة الجماهير اليومية، فمثلاً قضية الحرية لاتعط حجمها المطلوب، كما يطرحها أعداء الإسلام، وإن كان طرحهم لها مشوهاً ناقصاً (٢).

الأدباء الإسلاميون وممارسة النقد :

على الكبار من الأدباء أن يلتفتوا إلى عامل مهم من عوامل نشر الأدب وتوسيع قاعدة قرائه وهو أن يمارسوا (النقد الأدبي) على أوسع نطاق فيتناولون إنتاج الأدباء الآخرين بالدرس والنقد الصادق والمحايد، وجوانب التميز أو الضعف، وبيان ماتحتويه تلك الأعمال من مضامين وأفكار، ولعل القصور في هذه القضية

١ ـ نتكلم عن الأديب المسلم المحصن بطبيعة الحال أمام الشكوك والشبهات، أما من لايزال في مرحلة البناء الفكري فنخشى عليه أن يخدع أو تنطلي عليه بعض المفاهيم.

٢ ـ لاشك أن العلمانيين توفر لهم فرص للعمل في وسائل الإعلام ومراكز الثقافة ودور النشر الكبرى، حتى إنك تجد بعضهم يترك مهنته الأساسية ويتفرغ للأدب ثم يدعى للمشاركة في المؤتمرات وتقام له الأمسيات وعندما يهاجمون الاستبداد في بلد ما يخضعون له ويتملقون له في بلد آخر .

أوضح من عين الشمس كما يقال ولعل من ملامحها تلك الشكوى المرة التي يتحدث عنها بعض الأدباء الإسلاميين وفحواها أن العلمانيين حاصروهم إعلامياً خلال العقود الماضية ولايزالون، ونذكرهم أن الأديب والشاعر إذا لم يجد من يعرّف الجمهور بأدبه فلن يجد من يقرأ له، وبالتالي يموت إبداعه، ذلك أن مهمة الناقد هو أنه يمثل جسراً بين المبدع والقارىء، وإذا كان كبار أدبائنا يجأرون بالشكوى من تجاهل النقاد لهم، فلماذا يمارسون نفس الدور مع إخوانهم الشباب، فلا يشيدون بمن يتمتع بمواهب أدبية، ولا يدعون لقراءة انتاجهم، ومامن إنسان إلا وترتاح نفسه لكلمة تشجيع أو استحسان، وهذا شيء فطري، بشرط أن لايخرج هذا التشجيع إلى دائرة الملق والإطراء الكاذب.. ونحن لانريد الإشادة بالمحاسن فقط، بل نريد من يتعقب جوانب النقص والقصور، والمهم أن لايكون هناك إهمال.

وإنها لمسؤولية تتحملونها، وماندعوكم إليه هو جزء من حق إخوان لكم، وإذا أردتم أن تستفيد الأجيال من إنتاجكم فعليكم ممارسة النقد الأدبي وغربلة إنتاج الأدباء سواء الرافضين للإسلام أو الناشئين من الشباب المسلم، وإن ماينشر من سموم مقلدي الغرب أو الشرق لهو بأشد الحاجة إلى نقد أدبي قوي مستوحى من ينابيعنا الصافية □

درب الأخوة

أبو معاذ الخالدي

أشجـان قلبـي فـي صمـاخك تخفـق
شعـراً علـى سنـن الهـدى يتألـقُ
أسعـى لأفـرغ فـي القصيـد مشاعـراً
فيـاضة .. فـيصد عنـي المنطـق
ياأخوتـي درب الأخـوة روضة
غنـاء ... فيهـا كـل غصن مـورق
يتفيـأ الأحبـاب تـحت ظلالهـا
نـزلاً ... بـه الأنـداء جذلـى تعبـقُ
حبـي لكم ــ ياأخوتي ــ لمّـا يعـدْ
سراً ... وكيـف ؟ وكـل عيـن تنطـق !
بمحبـة الله العلـي .. أحبكـم
حبـاً علـى جنبـات قلبـي يُشرق
ولكـل فـرد فـي الفـؤاد مكانـه
مـاضاق عنـه القـلب ... وهـو الضيّـق!

★ ★ ★

نـفسي الخـؤون تجرنـي نحـو الثـرى
والطيـن ... والـروح الأبـي يحلّـقُ

وأظـــل بينهمـــا كـــنسرٍ طائـــرٍ
حينـاً .. وحينـاً في الحضيض يصفِّـقُ
ربّـاه عبـدك مـذنب قعـدت بـه
آثامـه ... فهـو الأسير الموثـق
إن لم تداركـه بسابـغ رحمة
فـخساره بين الأنـام محقـق
أستغفـر الله العـظيم جرائـراً
فيها كتـاب بالحقيقـة ينطـق

★ ★ ★

في بطـن أمك ـ يانسيُّ ـ تتابـعت
آلاؤه ، فهـو الكـريم المغـدق
وبظهـر آدم مَوْثِـقٌ أعطيتَـهُ
ألا تضل ... فهـل يُخـان الموثـق ؟
وأتـيت دنياك ـ التـي عُلِّقتـها ـ
نضواً ، حقيرَ الشأن ، حيـاً تـرزق
لوهـبت النسمـات أزعـج مسهـا
بشراً ... يكـاد لمسّهـا يتمـزق !
فـإذا استـويت نسيت سابـغ فضلـه !
وهـو الـذي يـولي الجميـل ... ويـرزق

★ ★ ★

ياأخـوة الـدرب الظليـل تحيـة
للراحـلين ... وكم جديـد يخلـق !



صور من الحياة

د . عمر عبد الله

ماإن أخذت مكاني من الطائرة، حتى رأيت ذات الرجل... كان أكثر المسافرين حديثاً وانشراحاً... ولم يترك فرصة لتقديم المساعدة لأحد إلا بادر..، وعلى الرغم من جسده النحيل وقامته الصغيرة، فإنه بدا أكثر أهل الحافلة الجوية نشاطاً!

أقبل نحوي وقال: يبدو أنك صديقي في الرحلة..، ومرافقي في المقعد.
ــ أجبت : يبدو ذلك.
استقر على الكرسي المجاور.. وتنهد ثم قال:
ــ كم من الوقت ويحل وقت المغرب؟
ــ ربع ساعة.
ــ اللهم يسر ولا تعسر.. لقد كان الجو لطيفاً اليوم.. حمداً لك ياواهب النعم.
أخذ في ترتيل دعاء السفر... ثم التفت إلي قائلاً:
ــ أتعرف أنني تعلمت هذا الدعاء من مذيع الطائرة... جزى الله خيراً من بادر لنشره وإذاعته.
ــ يبدو أنك تسافر كثيراً؟.

ـــ نعم .. كل أسبوعين.. كل نصف شهر أسافر إلى الرياض لأخذ « الكيماوي ».
ـــ الكيماوي؟!
ـــ علاج.. لقد ابتليت بمرض خطير... انظر... ثم وقف يريني ندباً من أثر الجراحات التي بدت متعددة.. أستأصلوه من البطن لكنه انتشر في بقية الجسم بعد عامين من العملية.. قضاء.. وقدر..!
ـــ الحمد لله على كل حال.

وأخذت أسترسل معه في الحوار، فعرفت أنه فراش في دائرة حكومية وأنه أب لسبعة أطفال أكبرهم في التاسعة، وبقية ذريته من الإناث ، ثم تابع:
ـــ تعرف ياأخي.. إن نعم المولى كثيرة..، ووالله أنني بخير.. أشعر أنني بنعمة مادمت أدب على الأرض، وعقلي معي ولساني يلهج بالثناء لصاحب المجد والملكوت.
سألته وقد كانت هيأته تدل على ضعف الحال:
ـــ هل تملك داراً لك ولأولادك؟
ـــ يا « مطوع » السعيد هو الذي يملك داراً هناك في الفردوس.. أما هنا فالديار عارضة!

كان يصر على مناداتي بلقب « يامطوع » وحينما أعلن دخول وقت الإفطار أصر على أن لاألمس أكل الطائرة قائلاً:
ـــ أكل خواجات يامطوع... لايصلح لنا، هاك التمر الحقيقي.. دع عنك « المعلب »!
ـــ كلاهما خير.
ـــ نعم ولكن حلفت عليك إلا أن تأكل.
ـــ شكرته وأكلت من قصعته... فإذا به يفاجئني وقد أخرج قرطاساً مليئاً « بالسمبوسة » وأقراص « الفلافل ».
ـــ سم الله وكل يامطوع.
ـــ جزاك الله خيراً.
ـــ أبداً يكفي اثنين، دائماً أحضر فطور جاري في المعقد..، أتعرف أجر المفطر،..

لاشك أنك تعرف يامطوع..
ـــ دعوت له وأخذت تحت إلحاحه آكل وأتحدث معه عن أسرته ومصاعبه المادية فبدا إيمانه عميقاً، وتوكله مطلقاً مع يواجهه من نوائب.
ـــ تعرف أنبي لاأملك بيتاً ولكني مطمئن.. مطمئن تماماً لو نزل القضاء قريباً.
ـــ كيف، هل هناك أقرباء يرعونهم؟
ـــ يامطوع.. كنت أحسبك ستفهم.. وراءهم من يطعم الطير في أعشاشها ويرزق الأجنة في الأرحام.. لن ينساهم ربهم..، إنني أتركهم في حال أسعد من حالي حين تركني والدي يتيماً... دع عنك المستقبل وتأمينه.. لايؤمن القادم إلا رازق كل ذي كبد رطب!!
ـــ صدقت، لكن الأسباب مطلوبة..
ـــ علم الله أنني لم أقصر... هاأنذا أقطع رحلتي السبعين طلباً للعلاج... وهاهم أهلي يطلبون مني أن أقلل من جهدي بسبب المرض.. أنني أعمل « قهوجياً » في حفلات الأعراس... وهي مستورة... مادام أنه رزق شريف، وكدح لايعيب.. فأنا بخير.

استمر الحديث حتى قطعته إطارات الطائرة وهي ترتطم بالأرض.. ولا أدري لماذا شعرت بالارتباط بهذا الإنسان البسيط، لقد تعلمت منه معاني عظيمة نعرفها جميعاً، لكن لايطبقها أو يمارسها بتلك القناعة سوى من رزقوا توكل الطير الخماص وهي تغدو، كم كان رائعاً وهو يضع مفاهيم القدر والسبب، وكم كان مقنعاً وهو يعيش النظرية والتطبيق بلا انفصام، كم كان كريماً وهو الفقير، ومقداماً وهو الضعيف، وشريفاً وهو المكافح، ومطمئناً في عصر القلق..

ودعته وأنا أقول كما قال أحد العلماء : « اللهم امنحني إيماناً كإيمان العجائز » وتفارقنا.. وأنا أصر أن يقبل دعوتي لإيصاله للمستشفى وهو يجيب بلهجة حازمة:

ـــ سائق سيارة الأجرة ينتظرني.. إني أعرفه وأنا أعينه وهو أبو العيال عندما أنقده الأجرة.. لاجعلك الله سبباً في قطع رزق محتاج!!!
حقاً كم هو عظيم هذا الدين وهو يحول هذه الشخصيات إلى أمثلة للفطرة السليمة والإيمان العميق في عصر القلق والبعد عن الله.

جناية الاستغراب على الأدب العربي

خميس بن عاشور

لكل أدب من الآداب خاصية وميزة يتميز بها عن غيره، ولا تكون شخصية الأدب واضحة مالم يتحلّ بهذه السمات الخاصة، ولا يعقل أن يتقمص أدب معين جميع الخصائص الفنية للآداب المختلفة في جميع العصور مثلما يريد المحسوبون على الأدب العربي، فهو عندهم تارة أدب شرقي؛ وطوراً أدب غربي وفي أحسن الأحوال يجمع بين هذا أو ذاك بأسلوب مبتكر...

إن اللغة العربية لايسعها أن تقحم في كل الميادين الفكرية المعاصرة إلا مكرهة، لأن الكاتب العربي المستغرب ليس بمقدوره الاستغناء عن أداته في التعبير « اللغة » هذه اللغة التي ترتبط بمفاهيم عقدية ارتباطاً وثيقاً، وأول هذه المفاهيم تلك التي تضمنها القرآن الكريم الكتاب الأول للعربية بلا منازع.

فبأي حق تظل الميادين التي تجد فيها العربية ذاتها مهجورة؟! وماذنب هذه اللغة إذا ماانحط أهلها وتخلفوا عن ركب التقدم؟.

نستطيع أن نقول: إن التراث يدخل في صميم التركيب الذي يتكون منه الأدب العربي، ومع ذلك فلا نحتاج إلى من يذكرنا بضرورة المعاصرة، لأنه لايخطر بلب العاقل أن العربي عندما ينشىء أدباً سيعمد إلى مقبرة فيلقي على سكانها من

الأموات ماجادت به سليقته ومافاضت به مخيلته.

لقد دأب المستغربون على تشويه شخصياتنا التاريخية عن طريق إحياء أكاذيب القصاص. وشعراء الشعوبية حتى ترسخت بعض المفاهيم الهدامة التي تخدش نزاهة وكرامة أبطالنا التاريخيين الذين قادوا الحضارة الإنسانية... ولم يبق للمستغربين إلا أن يدعونا صراحة لدخول جحر الضب حتى تكتمل بذلك أمنيتهم الغالية. وماذا أفاد « جورجي زيدان » في رواياته التاريخية التي هي انعكاسات لعقيدته وفكره المستغرب الذي يدعم به آراء المستشرقين.

إن الإسلامية أشمل وأعم من تلك المفاهيم الضيقة التي يعتنقها من لا تعنيهم هذه المسألة من المستغربين عامة، فالأدب العربي أدب إسلامي كذلك، وبالتالي فهو أدب عالمي تبعاً لعالمية الإسلام، وهو بذلك لايحتمل بعض المحاولات الذليلة لجعله إقليمياً انعزالياً كما يريده عبيد المدرسة الاستغرابية.

وهناك قضية أخرى وهي العالمية، فالعالمية فكرة نسبية تعتمد على مقاييس الذوق الغربي، فالأدب العالمي بالمفهوم السائد هو الأدب الذي ترضى عنه الأذواق والمقاييس الغربية، فالعالمية هي ذلك الطوق الذي يجعله الأديب المستغرب في عنقه ليصل إلى هذا الهدف الكبير وهو الحظوة بدخول جحر الضب..!

ومما لاريب فيه أن متعصبي نصارى العرب من هذه الحيثية ليسوا أمناء على العربية لأنهم عاجزون عن الدخول في كل الميادين التي تميز الأدب العربي منذ القديم. وربما يتساءل البعض عما قدمه نصارى العرب الأولون سواء في الجاهلية أو في الإسلام، والجواب هو أن مساهمة الأقدمين كانت لصالح اللغة العربية التي كانت قوية بقوة الثقافة الإسلامية آنذاك، أما اليوم فلا يمكن أن تكون هذه المساهمة كذلك بعدما أصبحت الغلبة للثقافة الغربية ذات العقيدة النصرانية في عمومها، ومادام الصراع الثقافي اليوم قائماً بين الغرب القوي المسيطر وبين غيره من الثقافات ـــ التي منها ماذاب في بحار التغريب، ومنها مايذوب ومنها ماهو باقٍ يتحدى عوامل الإفناء كالعربية ـــ أمام هذا الصراع فإنه ليس للأديب اليوم من خيار إلا أن

ينحاز إلى فئتة من الفئتين، أما محاولة التوفيق فهي مسبقاً في كفة الغرب الراجحة.

ومن هنا كثرت القواقع والحفريات الممسوخة التي تحس ترجيع أصوات الرياح التي تخترقها بشكل وتخرج بأشكال مختلفة..

إن الأدب الذي يسمونه تراثياً ــ رغم رداءة بعضه ــ هو في الحقيقة أدب حي لأنه ــ وإن كان نبتة ضئيلة ــ يمتلك جذوراً يستقي بها مادة الحياة. وعلى العكس من ذلك فإن حياة الشجرة التي اجتثت من تربتها الأصلية إلى تربة أخرى غريبة عنها موقوفة على مدة بقاء الماء في عروقها وأوراقها، والأدب الذي ينتمي إلى المدرسة الاستغرابية هو أدب ميت أو هو في طريقه إلى هذا المصير البئيس، وذلك لمجرد ماتنتهي مهمته المتمثلة في التبليغ لأن المثقف الواعي لايحبذ القراءة لصور منقولة بل يلجأ إلى الأصل ليقرأ الأدب الغربي بلغة غربية.

فالحروف العربية المقحمة في هذا الأدب هي حروف شكلية وتحف فنية جميلة مجردة عن الحياة لامناص من توظيفها مؤقتاً حتى يصل المارد الغربي فيجوس خلال الديار، وقد مهد لذلك وكلاء الغرب عندنا بالدعوة للعامية والإقليمية والتأليف على منوال هذا المنهج التفكيكي. وقد يخرج هؤلاء بين الفينة والفينة لإحداث بعض الزوابع الفكرية والثرثرات الأدبية سرعان ماتقوم مكبرات الصوت المستغربة بتفخيمها إلى درجة الثورات التجديدية؛ والمعارك والحروب الأدبية، تارة بمنح الوسام الفلاني للأديب الفلاني لأن عبقريته أوصلته إلى سب عشيرته واللهو بآثارهم وآدابهم، وتارة بإيثار الكاتب الفلاني بالجائزة الفلانية لأنه أحدث بدعة في مسار الأدب والفكر العربيين حتى أضحت هذه المكرمات دليلاً كافياً على العمالة والردة الفكرية.

إن أفضل الجسور التي يمر عليها الغرب هم عبيد المدرسة الاستغرابية ولاسيما نصارى العرب الذين يمثلون نسبة لاتعكس كونهم أقلية من ناحية العدد، ولكنهم من جانب آخر نصارى كما هي عقيدة الغرب الدينية. فهم إذاً لايجدون من الحرج مايجده العرب الآخرون عند

الاحتكاك بالثقافة الغربية التي تحن إليهم ويحنون إليها، ولايفعل مثل ذلك العرب المنتمون إلى الإسلام إلا وفي نفوسهم عقد كثيرة، فغياب هذه العقد عند نصارى العرب جعلهم القنطرة المفضلة للعبور والتلاقح ثم الذوبان البارد..

إن المستغربين لايستطيعون قراءة التراث بغير عقولهم النابتة على أصول الغرب، ولذلك جاء أدبهم خالياً من الوجدان العربي، ميتاً موتاً معنوياً، وهذا مايجعلنا نجزم بأن غير العربي المسلم لايمكن أن يكون أميناً على العربية وآدابها..

إن كثرة الإنتاج النقدي لاتعكس التطور الحقيقي للإنتاج الأدبي الإبداعي، وخاصة بعدما أفل نجم الأسلوبيين من أمثال الرافعي والمنفلوطي ومحمد البشير الإبراهيمي، وقد تكون العلة هي أن الإبداع في الأدب العربي لايتحقق في معزل عن التراث، فالإنتاج الأدبي اليوم تغلب عليه الانتماءات المختلفة التي تصب في مجملها في بحر الثقافة الأوربية، هذه الانتماءات التي يجمع أغلبها على التنكر للتراث والعبث به كلما سنحت بذلك فرصة، وهذا ظناً بأن ذلك كفيل بتحقيق الإبداع الذي يرضى عنه الغرب، ولكن النتيجة كانت تراجع الإبداع الأدبي وتقدم الإنتاج الفلسفي التأملي المشبع بأخلاط من العقائد والنحل حتى وإن لبس هذا الانتاج أشكالاً أدبية مختلفة، وكذلك فإن سيطرة المدرسة الاستغرابية اليوم على الأدب والنقد رسخ هذا التوجه المنحرف الذي تستحسنه الثقافة الغربية لأنه يضع لها وبدون مقابل أفضل الموصلات التي تنقل مضامين هذه الثقافة إلى الشعوب المختلفة واضحة وضوح كل لغة لدى أصحابها، لأن هذه الشعوب تمثل المجال الحيوي لانتشارها الاستعماري في زيه القشيب، وعلى العكس من ذلك فإن الاتجاه نحو الإبداع باعتماد سبله السليمة يقوي الآداب الأهلية ويحميها من الانحلال في الآداب الغازية.

إن بعض الأساليب التي توظف

الحرف العربي، إن لم تكن ترجمات رديئة لقراءات مستغربة ــ كحال بعض « المسارات » (١) الفكرية العميلة لوكالات الغرب ــ فهي دون شك تثير التقزز والآلام لأننا سنضطر إلى استرجاع معلوماتنا في التحليل النفسي لكي نعثر على الحلول والتوفيقات الملائمة لما يصادفنا من عقد لاشعورية هي نتيجة لعدم القدرة على نسيان مافي هذه اللغة نسياناً تاماً، مع الشعور بالضآلة والقزمية أمام محتويات الفكر والثقافة الغربية الباهرة، ولاندري لماذا لاتثير الميادين البناءة ــ بالنسبة لنا ــ في الفكر الغربي كلف المستغربين وشغفهم، فهم لايستوردون إلا مايجعلنا نتمرغ في تربة الغرب، حتى لانرفعها مرة أخرى، وقد يطرق بعضهم أحياناً أبواب الديار ولكنه يتخطى الأزمان لكي يجد نفسه مستريحة إما مع الفراعنة بناة الأهرام، وإما مع الفينقيين أو الوندال. وفي غياب من الحركة النقدية العربية الأمينة فقد تجرأ الكثيرون على اختراق حدود الأدب والفكر العربي، وصنع أجهزة الدعاية والإعلام الموجه من السخفاء والتافهين عمالقة □



١ ــ مجلة « المسار المغربي » تصدر في الجزائر وهي مثال نموذجي لذلك.

الطبقة الخامسة من الصحابة
في كتاب
الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد
« عرض وتحليل »
ـ ١ ـ

د. محمد بن صامل السلمي

إن الغالبية العظمى من مصادرنا التاريخية من أمثال، مغازي ابن إسحاق، ومغازي الواقدي، وطبقات ابن سعد، وأنساب الأشراف وفتوح البلدان، وتاريخ الطبري، وتاريخ بغداد، وتاريخ دمشق، قد دونت على منهج الجمع والتقميش، لا على منهج التحديث والتفتيش على حد قول الناقد البارع يحيى بن معين: إذا كتبت فقمش وإذا حدثت ففتش » (١).

فلا يستغرب الباحث الناقد وجود مجموعات من النصوص والأخبار الدخيلة والموضوعة في هذه المصادر وأمثالها مما دون على هذا المنهج، لأنه قد قام على اختراع ونشر وإذاعة هذه النصوص الباطلة جيش كثيف من أصحاب الأهواء والحاقدين على دين الإسلام وأهله، وأصحاب الاتجاهات البدعية تشويهاً لتاريخنا وتأييداً لأهوائهم ونحلهم الباطلة. وهذه

١ ـ سير أعلام النبلاء ١١/٨٥ .

النصوص والأخبار الموضوعة هي إحدى الوسائل التي استخدمها المستشرقون في تشويه تاريخنا الإسلامي، كما أننا نجد صداها ــ مع الأسف ــ في بعض الكتابات التاريخية المعاصرة.

ولذا فإن الأمر يتطلب من الباحثين صرف الهمم إلى تحقيق هذه المصادر والعناية بها، وتمييز صحيحها من سقيمها على مثال ماتم في ميدان السنة النبوية، حتى تعرف النصوص الباطلة ويكشف زيفها ويصحح مابني عليها من أحكام ونتائج وذلك على ضوء القاعدة الذهبية التي قررها علماؤنا: « إن كنت ناقلاً فالصحة، وإن كنت مدعياً فالبرهان والدليل ».

ومن المعلوم أن مجرد وجود الخبر في كتاب أو مصدر دُوّن على منهج الجمع والتقميش لايجعله صحيحاً، ومن ثم فلا يعفي من يستدل به من المسؤولية والتبعة مالم يتأكد الباحث من صحته أو يقف على مايؤيده.

وكتاب الطبقات الكبير لمحمد ابن سعد البصري المتوفي سنة ٢٣٠ هـ والمشهور بكاتب الواقدي، يعتبر من أوسع المصادر وأقدمها في تاريخ الصحابة، وصدر الإسلام، وفي هذه المقالة نعرض لدراسة الطبقة الخامسة من الصحابة في هذا الكتاب[١] وذلك في النقاط التالية:

ــ أهمية هذا القسم من كتاب الطبقات.

ــ منهجه في عرض المادة العلمية.

ــ دراسة تحليلية لهذه الطبقة.

أهمية هذا القسم من كتاب الطبقات:

يحتوى هذا القسم على تراجم صغار الصحابة رضي الله عنهم، ومعرفة هذه الطبقة من الصحابة مهمة في علم الحديث، حتى يعرف اتصال الرواية أو إرسالها، لأن بعض هؤلاء الصحابة ليس لهم سماع ورواية عن النبي ﷺ وإنما لهم رؤية وإدراك، وبعضهم لم يسمع من النبي ﷺ إلا القليل، فتكون أحاديثهم التي لم يسمعوها من النبي ﷺ من باب مرسل الصحابي الذي لم يسمعه من

١ ــ وقد يسر الله لنا تحقيقها على منهج علمي معلوم مقررة قواعده وأصوله « منهج المحدثين ».

الرسول ﷺ مباشرة، وإنما سمعه من صحابي آخر، وبعض هؤلاء ينازع في صحبته وابن سعد يثبتها، وهذه فائدة.

كما اشتملت هذه الطبقة على تراجم وأخبار مجموعة من الشخصيات المهمة والمؤثرة في الحياة العلمية والفكرية، والحياة السياسية والاجتماعية، فابن عباس، والحسن، والحسين، وعبد الله بن الزبير بن العوام، من الشخصيات المشهورة في التاريخ الإسلامي، والمؤثرة في مجرى الأحداث، وقد تزعموا قيادة المجتمع في عصرهم، وشاركوا في إدارة الدولة الإسلامية، وفي الجهاد، وفي الأحداث الداخلية، والقضايا العامة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى جمع شمل الأمة واتحادها، كما حصل على يد الحسن بن علي. كما قاموا بالمعارضة لما رأوه خروجاً عن القاعدة الإسلامية وترك الشورى في الولاية العظمى، كما فعل الحسين بن علي وابن الزبير من رفضهما البيعة ليزيد، ثم خرج الحسين إلى العراق، فكانت المأساة العظمى بقتله، واعتصم ابن الزبير بمكة رافضاً البيعة، حتى إذا مات يزيد دعا إلى نفسه؛ فبويع بالخلافة في معظم الأقاليم الإسلامية، ولكن بني أمية ومن شايعهم لم يبايعوا له، بل عقدوا بيعتهم لمروان ثم لابنه عبد الملك، وجرت أمور عظيمة، حتى حوصرت مكة، وضربت الكعبة بالمنجنيق، وقتل ابن الزبير مظلوماً في حرم الله.

وهذه الأحداث وقع في عرضها من الأخباريين والمؤرخين قديماً وحديثاً خلط وتشويه، يحتاج إلى تحقيق وتحرير، وابن سعد بما عرض من المعلومات والأخبار المسندة يساعد على إجلاء الصورة وتبين الحقيقة، والتمكن من نقد المرويات على ضوء أسانيدها، وقد تحقق لنا هذا من خلال المنهج العلمي الذي سلكناه في تحقيق نصوص هذه الطبقة، وقد وجدنا أن ابن سعد ينفرد بذكر نصوص لاتوجد عند غيره، سواء في باب الأخبار والوقائع أو في باب الآثار عن الصحابة رضي الله عنهم من الأقوال والأفعال، وبعض هذه النصوص بأسانيد صحيحة، وبعضها بأسانيد يستفاد منها في الشواهد والمتابعات لنصوص أخرى فترفع درجتها، وبعضها بأسانيد ضعيفة جداً.

كما أن في الأحاديث والآثار التي أوردها في تراجم أهل هذه الطبقة والبالغة خمسة عشر وسبعمائة سنداً، يستفيد منها أهل العلم في زيادة الطرق وتقويتها لما هو مروي عند غير ابن سعد.

وفي ترجمة ابن عباس أورد نصوصاً غاية في الأهمية، توضح المنهج الذي ينبغي أن يسلك في معاملة المخالفين، وكيفية محاجتهم، وبماذا يحاجون؟ فقد أرسله علي بن أبي طالب إلى الخوارج الذين أنكروا التحكيم، وخرجوا علي علي رضي الله عنه فقال له علي: اذهب إليهم ، وخاصمهم، وادعهم إلى الكتاب والسنة، ولاتحاجهم بالقرآن فإنه ذو وجوه.

وفي النص الثاني: القرآن حمال ذو وجوه، تقول، ويقولون، ولكن حاجهم بالسنن فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً، فخرج ابن عباس إليهم، فحاجهم بالسنن فلم تبق بأيديهم حجة (١).

فبيان الحق وإزالة الشبهة أول ماينبغي أن يبدأ به مع المخالف، ثم إن المحاجة والمناظرة في المسألة موضوع الخلاف لابد أن تكون على منهج واضح صحيح، وبحجة بينة قاطعة للنزاع، ولذا قال علي: القرآن ذو وجوه، تقول، ويقولون ، أي في تأويل الآيات، ولكن السنة عن النبي ﷺ تحدد الوجه المراد من الآية، وعندئذ لامجال للاجتهاد في تأويل المراد بالآية مع وجود النص من النبي ﷺ.

وقد أورد نصوصاً توضح موقف بعض الصحابة، مثل: ابن عباس، وابن عمر، من الأحداث التي جرت في وقتهم، مثل: بيعة يزيد، وخروج الحسين، وبيعة ابن الزبير، فقد بايع ابن عمر وابن عباس ليزيد بن معاوية، ونصحا من لم يبايع بالبيعة والدخول فيما دخل فيه عامة المسلمين، مع أنه يوجد في الأمة من هو أفضل من يزيد وأولى بالأمر منه، ولكن لايتوصل إلى ذلك إلا بارتكاب مفاسد أعظم من المصالح التي تتحقق بتولية الأولى والأفضل، وقد نظرا ــ رحمهما الله ــ إلى الأمر نظرة شمولية فاختارا

---

١ ــ انظر السند رقم (٩١، ٩٢) في الطبقة الخامسة (مطبوعة على الآلة الكاتبة) وهما بمعنى واحد والنص صحيح أخرجه أحمد وغيره وإن كان ابن سعد رواه من طريق الواقدي.

أخف الضررين جلباً لأكبر المصلحتين، وهذا هو منهج الاعتدال الإسلامي في التعامل مع مثل هذه الأحداث، وقد التزما بهذه البيعة، ولم يخلعا يزيداً عندما خلعه أهل المدينة، ولما دعاهما ابن الزبير إلى البيعة له بعد موت يزيد قالا له: أنت في زمن فرقة وليس عندنا خلاف ولكن ننظر حتى يتم الأمر وتأتسق لك البلاد، كما أنهما لم يبايعا لعبد الملك الذي دعا إلى نفسه في الشام، ولا لمروان قبله، فتركا الأمر حتى يجتمع الناس على واحد، وهكذا ينبغي أن يكون التعامل مع مثل هذه الأحداث، ينطلق من مبدأ شرعي ملتزم، ونظرة شمولية، توازن بين المصالح المفاسد، بحيث تتحقق أكثر المصالح وتندفع أكبر المفاسد، وماحمد الذين خرجوا موقفهم، وماتحقق ماأرادوا من المصالح إلا بارتكاب ماهو أعظم من المفاسد، ولكنهم مع ذلك اجتهدوا فأخطأوا في اجتهادهم والله يثيب المجتهد وإن أخطأ.

منهجه في عرض المادة العلمية:

لقد عرض ابن سعد مادته العلمية وفق منهج يتسم بالدقة، والأمانة، والموضوعية، وجودة السبك والتنسيق، إلا في مواطن قليلة قد يلاحظ فيها التكرار، أو التعارض، وعذره في ذلك يعود إلى طبيعة الأسلوب العلمي الذي اتبعه في تدوين المعلومات، والذي يقوم على الجمع والاستقصاء للروايات الواردة في الموضوع الواحد، وتدوينها بالأسلوب الحديثي القائم على الإسناد لكل معلومة وإن قل شأنها، والمستكثر للطرق وإن كانت المعلومة واحدة، وهذا الأسلوب يحقق الموضوعية العلمية، فينقل إلى القارىء الأقوال، برواتها، وألفاظها، دون أن يتدخل بالانتقاء والحذف، الذي يؤدي إلى سلك الموضوع في اتجاه معين، وهذا لايجعلنا نعتقد أن دوره هو الجمع فقط، ذلك أنه مع الجمع قام بعملية التصنيف والترتيب حيث وضع كل مادة علمية في موضعها المناسب، كما أنه مارس النقد والترجيح [1] بين الروايات ــ بعد أن وضعها أمام القارىء، وحتى لايلزمه برأي محدد ــ ولكنه لم يكثر من هذا.

---

١ ــ انظر أمثلة لذلك في الطبقات : ٢٤٥/٣، ٢٤٧، ٤٤٩، ٥٧٥، ٥٨٣، ٦٠١، ٦٢٦، والسند رقم ٦٧٧ في الطبقة الخامسة.

ـــ ومن معالم منهجه الالتزام بالإسناد في غالب الكتاب [١] وأسانيده منها المتصل، ومنها المرسل، ومنها المعلق، ومنها المنقطع، ومنها المبهم، مثل قوله: أُخبرت، ذُكر لي، روى قوم، قال بعض أصحابنا، قيل، رُوي، زعم بعض الناس.

كما أنه يستخدم الإسناد الجمعي في الأخبار الطويلة، ثم يقطعه بأسانيد مفردة، ثم يعود لسياق الخبر الأساسي، بقوله: رجع الحديث إلى الأول.

ـــ بعض التراجم مطولة [٢]، ويقسم الكلام فيها إلى مباحث وموضوعات، ويجعل لها عناوين، وبعضها مختصراً جداً [٣]، بل بعضها بدون ترجمة، ولعل مرد هذا إلى عاملين:

أولهما: مدى أهمية الشخص المترجم له وأثره في الحياة العامة أو الحياة العلمية.

وثانيهما: مدى توفر المعلومات عن الشخص المراد ترجمته، فبعض الأشخاص تكون المعلومات عنهم كثيرة، وبعضهم ممن لاتتوفر عنه معلومات عند المصنف على أقل تقدير.

يبدأ الترجمة بذكر الاسم، ثم يسوق النسب ويرفعه إلى القبيلة التي ينتسب إليها، ثم يذكر أولاده، الأبناء والبنات، وأمهاتهم ثم ينسب الأم ويرفع نسبها إلى البطن.أو القبيلة، إلا إذا لم تتوفر لديه معلومات.

ويوضح ـــ غالباً ـــ حال الأبناء من زواج وإنجاب، أو موت قبل الزواج، أو انقراض النسل، ويذكر تاريخ ولادة المترجم له إذا توفرت المعلومات، ويذكر بعض شيوخه وتلاميذه، وبعض ماروى، وانتقاله من مصر إلى آخر.

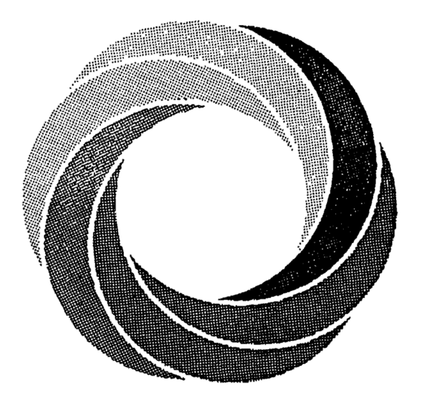
ويذكر تاريخ وفاته، وسببها، ومكانها، وينهي ترجمة غير الصحابي ـــ غالباً ـــ بالحكم عليه جرحاً وتعديلاً وبيان منزلته عند المحدثين □

---

١ ـــ يقل استخدام الإسناد كلما اقتربنا من عصر المؤلف وخاصة عن التابعين وأتباعهم في المناطق التالية: واسط، وخراسان، والمدائن، والري، وقم، وهمدان، وبغداد، والأنبار، والعواصم والثغور، ومصر، وأيلة، وأفريقية، والأندلس.

٢ ـــ مثل تراجم الخلفاء الأربعة، وخاصة عمر ومثل ترجمة ابن عباس، والحسن، والحسين، وعبد الله بن الزبير، وبعض التابعين مثل محمد بن الحنفية، وسعيد بن المسيب، وعلي بن الحسين، وعمر بن عبد العزيز، ومسروق، والشعبي، وسعيد بن جبير، وابن سيرين، والحسن البصري.

٣ ـــ انظر الطبقات: ٢٤٥/٥ ـــ ٢٥٢ و ٢٢٦/٧، ٢٢٧، ٢٤٥/٧، ٢٨٤/٧، ٢٨٥.



شؤون العالم الإسلامي ومشكلاته

ماذا وراء انتصارات الجبهة الشعبية في مصوع؟

بلال محمد أحمد

ثلاثون عاماً مرت على الصراع الإرتيري الأثيوبي ورحى الحرب مازالت دائرة يتعاقب عليها الطرفان دون أن تسحق أحدهما نهائياً، وإن كان الطرف الأثيوبي ظل يراهن على تصفية المقاومة الأرتيرية عسكرياً بيد أن الأيام أثبتت له ولغيره عدم جدوى هذه الفكرة بل لمس بيده مانجم عن هذه السياسة من مآسي عمت أثيوبيا كلها إذ كان من مضاعفاتها تفجر الثورات في إقليم تجراي، وأرمو، وتفاقم الأزمات الاقتصادية وتضعضع الأمن، وفقد الاستقرار، وتردي الأوضاع الاجتماعية، فالتشتت الأسري، ومظاهر التسول والتسكع كل ذلك من السمات البارزة التي خلفتها المشكلة الارتيرية على العاصمة الأثيوبية أديس أبابا حيث تجد شعارات الحرب المعلقة على الأبنية الشاهقة والداعية إلى توجيه كل شيء إلى ساحة القتال تظلل من تحتها أرصفة مليئة بالجوعى، والمتسولين.

ولم يأبه (منجستو) بكل معاناة شعبه وحصر دائرة تفكيره في حسم القضية الارتيرية عسكرياً إلا أن الجبهة الشعبية الارتيرية التي أريد لها الانفراد بالساحة الارتيرية بددت أحلامه وحالت دون تحقيقها،

وكانت جبهة « نادو » في الساحل الشمالي من إرتيريا أبرز المواقع التي تحطم فيها كبرياء العدو الاثيوبي، تلتها انتصارات مصوع الميناء الارتيري الذي سقط مؤخراً على يد الجبهة الشعبية بعد مقاومة من الجيش

الاثيوبي لم تدم أكثر من ست ساعات تقريباً حيث فوجئت القوى البحرية الاثيوبية بزوارق تغرق سفنها القتالية ولم تمض لحظات إلا وصار الجيش الاثيوبي بين قتيل وأسير وغريق، ومحاصر في جزر دهلك [1].

لقد بهرت هذه الانتصارات جموعاً كثيرة من الارتيريين وهي بحق إنجاز عسكري كبير إلا أن هذا لايعني أن تمضي هكذا دون وقفة تأمل وتفكر، ورغم أن العاطفة هي سيدة الموقف غالباً إلا أن النظرة الواقعية تزاحمها أحياناً، وأياً كان مردود هذا الانتصار على القضية الارتيرية فإن عدة عوامل ذاتية وأخرى موضوعية تجمعت لتجعل منه تاجاً يلمع على رؤوس الجبهة الشعبية الارتيرية.

معاذ الله أن نغمط الناس حقهم وإن كانوا دعاة إلحاد وزندقة فالتضحيات المقدمة من قبل الجبهة الشعبية مصانة ومقدرة غير أن حجم مامنيت به من خسائر يتضائل ويتصاغر لو قورن بأهمية الموقع واستراتيجيته حيث لم ترق المقاومة الاثيوبية للهجوم إلى مستوى أهمية الموقع بل كانت ظاهرة الهروب والاستسلام تسود الأوساط الاثيوبية المقاتلة ، فهل في الأمر شيء ما؟.

ثمة أمور تجري وراء الكواليس وهي جديرة بالاستنطاق والتقصي فعالمنا اليوم مليء بالمتناقضات والمؤامرات التي تحيكها قوى الاستكبار العالمية لتحقق مصالحها وأهدافها والمرء حين يعود إلى الوراء قليلاً يجد العامل الأمريكي يحتل موقع الصدارة من بين هذه العوامل ثم تأتي بعد ذلك عوامل داخلية أخرى من خلالها تبدو الجبهة الشعبية الفارس الذي لايقهر.

فمنذ أن تآمر الأمريكان على القضية الارتيرية في فترة تقرير المصير ظل اهتمامهم بالمنطقة ينمو مع نمو الثورة الارتيرية وتطورها، ولم يغب عن بالهم أن يوماً ما سيحل تكون فيه مصالحهم على خطر وقد حدث بعد سقوط حليفهم هيلاسلاسي عام ٧٤م أن تسلل الروس إلى أثيوبيا غير أن هذا

١ ــ هي مجموعة جزر ارتيرية تقع في البحر الأحمر . قال أبو المقدام:

ولو أصبحت خلف الثريا لزرتها   بنفسي ولو كانت بدهلك دورها

التسلل وإن كان لم يربك الأمريكان بشكل مفجع إلا أنه لم يجعلهم يغضون الطرف عن البحث عن حليف لهم يؤمن مصالحهم ويقيهم شر نمو حركات إسلامية جهادية في منطقة تشهد تمدداً إسلامياً، لذا شهدت الخرطوم عاصمة السودان حضور رجال الاستخبارات الأمريكية يشاركون في عملية تهريب الفلاشا إلى إسرائيل وفي ذات الوقت يراقبون عن قرب وكثب حركة التحرر الارتيرية بفصائلها المتعددة ويجمعون حولها دراسات وتقارير وعَبْر عملية معقدة ودقيقة للغاية استطاع الأمريكان أن يتخلصوا من أعتى تنظيم يمثل توجهاً ماركسياً خطيراً ويحمل في ذات الوقت بين أحشائه توجهاً إسلامياً وآخر قومياً عربياً يمكن أن يكون لهما شأن إذا ماتركا ينموان ويتكاثران ذلكم هو تنظيم جبهة التحرير الارتيرية المجلس الثوري الذي لفظ أنفاسه الأخيرة عام ١٩٨١ م بعد أن ألقى عتاده العسكري أمام الجيش السوداني نتيجة تعرضه لهجوم شكلي من الجبهة الشعبية.

ومنذ ذلك الحين خلت الساحة للجبهة الشعبية وانفردت وحدها بالجيش الاثيوبي تطارده من مكان إلى آخر وتفرغت لتقوية بنائها الداخلي اقتصادياً وعسكرياً، وشرعت في إبرام تحالفات مع قوى المعارضة الاثيوبية لاسيما تلك التي اتخذت من الولايات المتحدة موقعها الرسمي، وتولت أجهزة الاستخبارات الأمريكية مهمة استمالة كبار ضباط الجيش الاثيوبي وقياداته العسكرية للسير وفق الخطة الموضوعة لاسقاط منجستو، ومن هنا كانت العمليات العسكرية التي تشنها الجبهة الشعبية علي مواقع العدو الاثيوبي لاتلقى دفعاً قوياً بل على العكس من ذلك كان يرتب لها مسبقاً من القيادات العسكرية الاثيوبية المتآمرة كما حصل في موقعة « أفعبت » التي أسر فيها خبراء روسيون وغنمت منها معدات عسكرية هائلة.

وأشركت الجبهة الشعبية في محاولة الانقلاب التي نظمتها الاستخبارات الأمريكية عام ١٩٨٩م على منجستو حيث أعلنت وقف إطلاق النار من جانبها وتفاعلت معها بحماس.

وسبق هذه الأنشطة العسكرية تحولات جذرية أتت على التنظيم من

قواعده وجعلت منه يميناً متطرفاً بعد أن كان يساراً حيث قرر في مؤتمره الأخير الذي عقد عام ٨٧ م إدانة السياسة السوفياتية العالمية بإصرار من الأمين العام (إسياس أفورقي) الذي وصف السوفيات بالوقوف أمام نضالات الشعوب على المستوى العالمي وخاصة القرن الأفريقي ولم يبد المؤتمر اعتراضاً على السياسة الأمريكية المعادية لتحرر الشعوب الأفريقية والآسيوية، في حين أن تصريحات ماقبل هذا المؤتمر ظلت تؤكد قدرة الجبهة الشعبية على الافلات من قبضة الامبريالية الأمريكية حيث صرح عام ١٩٨١ م لجريدة الوطن الكويتية قائلاً: نحن ضد الامبريالية بشكل استراتيجي لايتغير مهما كانت التغيرات التي تحدث في المنطقة أو في أرتيريا.. نحن لن نقف إلى جانب الامبريالية الأمريكية لمواجهة مايسمونه بالخطر السوفياتي في هذه المنطقة، نحن لن نكون أداة لتغيير استراتيجيات امبريالية في المنطقة كما لن نكون أيضاً أداة لتنفيذ الاستراتيجية السوفياتية رغم أننا مازلنا نعتبر الاتحاد السوفياتي في قائمة الأصدقاء.

ويلمس المرء اليوم فارقاً كبيراً بين حاضر التنظيم وماضيه ويبدو أن الراية الماركسية التي رفرفت على أرضية التنظيم إنما كانت تكتيكاً اقتضته طبيعة الخطة المرسومة فعلى صعيد قيادة التنظيم تحولت من قيادة جماعية إلى قيادة فردية حيث قرر المؤتمر تنصيب (إسياس أفورقي) أميناً عاماً للتنظيم ليس بجانبه مساعد ولا لجنة قيادية جماعية وهمش رمضان محمد نور الذي شغل فيما مضى منصب الأمين العام.

وقد سبق هذا الاجراء القيادي التخلص من عناصر ماركسية يخشى بأسها حيث تمت تصفية القائد العسكري إبراهيم عافه المنافس الرئيسي لإسياس أفورقي تحت ظروف غامضة.

عقب هذه التحولات الجذرية في المواقف الفكرية والسياسية تحركت أمريكا بمبادرة كارتر للسلام، ومن قبل كان الاتحاد السوفياتي قد طلب من فرنسا عام ١٩٨٨ م أن تلعب دورها في إخماد فتيل الصراع المشتغل في القرن الأفريقي إلا أن شروع كارتر في مبادرته قطع على فرنسا طريقها.

ومن جانب آخر ضغط الروس على منجستو وأنذروه بقطع المعونات العسكرية التي بلغ حجمها أكبر من ستة آلاف مليون دولار سنوياً إن لم يسارع في حل مشاكله بالطرق السلمية وأوضح الكرملين لنظام منجستو أنه لن يجدد معاهدة التسلح مع أديس أبابا ١٩٩١م كل ذلك أرغم منجستو ودون رغبة منه أن يجلس مع الجبهة الشعبية في مائدة التفاوض في أتلانتا ثم نيروبي ولعل منجستو رأى فيها مظلة استراحة يلتقط فيها أنفاسه ريثما يبحث عن حليف آخر إلا أن ضربات الثوار في تجراي جعلت منه كلباً مسعوراً ينبح دون توقف فقد وصلت قواتهم إلى مشارق العاصمة أديس أبابا، وأخذت الجبهة الشعبية الارتيرية تعمل على ترتيب قواها العسكرية للإجهاز على نظام منجستو المهترىء، وعلى حين غفلة منه شنت غاراتها براً وبحراً على مدينة مصوع وتم الاستيلاء عليها، وبالطبع لم يكن هذا الهجوم مفاجئاً للاستخبارات الأمريكية التي كانت بالتأكيد على علم بترتيباته.

ويمكن أن نلمس هذا من خلال الندوة التي أقامها الأمريكان إثر سقوط مصوع، فقد نشرت جريدة الحياة تاريخ الجمعة ١٩٩٠/٣/٩ الموافق ١٤١٠/٨/١٢ أن الأمريكان عقدوا عقب سقوط مصوع ندوة شارك فيها هيرمان كوهين مساعد سكرتير الدولة لشؤون القارة الأفريقية، واندريو ناتوسيوز مدير الإغاثة الأفريقية في وزارة الخارجية الأمريكية، وبول هنز الكاتب الخبير في شؤون القرن الأفريقي، والباحث أدموند كيلر والأستاذ الجامعي جان هاوك، ومسؤول جمعية الاغاثة الكاثوليكية، وتوصلوا إلى نقاط أبرزها:

١ ــ الشعب الارتيري ربط بأثيوبيا فدرالياً ضد رغبته وذلك قبل أن تضم أرتيريا نهائياً عام ١٩٦٢ ومنذ هذا التاريخ فإن الشعب الارتيري يحارب في سبيل حقوقه الشرعية وحقه في تقرير المصير.

٢ ــ على الحكومة الاثيوبية أن تقول بصراحة ماإذا كانت حقاً راغبة في تحقيق السلام لأنها أولاً ماطلت في القضايا الشكلية لبدء المفاوضات الحقيقية قبل أن تقف عقبة كأداء في وجه مشاركة الأمم المتحدة كطرف محايد ومراقب في مجرى

سير المفاوضات وعليه فإنها تتحمل مايترتب على ذلك.

٣ ــ الجبهة الشعبية لتحرير أرتيريا تقاتل الجيش الأثيوبي بأسلحته التي استولت عليها إبان المعارك وأن الارتيريين الموجودين في المهجر يقدمون لهم دعماً مادياً.

٤ ــ إن تنظيم الجبهة الشعبية بات وطنياً أكثر مما كان ماركسياً على صعيد القيادة والقاعدة ولم يعد لدينا أي شك في ذلك.

٥ ــ إن الجبهة الشعبية في تقديرنا لن تعلن استقلال ارتيريا بعد استيلائها على مدينة مصوع لأنها قبل ذلك ستعمل لخلق أرضية إيجابية على الصعيد الدولي عموماً وعلى صعيد الدولتين العظميين خصوصاً وفي نهاية الندوة صرح بول هونز بقوله: لابد من إزاحة منجستو هيلي ماريام حتى يتحقق السلام بين أرتيريا وأثيوبيا.

وقال مشاركون في الندوة أن الدعم الإسرائيلي لأثيوبيا في خضم هذه التطورات التي يشهدها القرن الأفريقي عموماً، والصراع الأرتيري الأثيوبي خصوصاً خطأ كبير.

وهذا الموقف الأمريكي في هذا الظرف بالذات يبعث على التساؤل ذلك أن ارتباط أرتيريا بأثيوبيا إنما تم بإصرار من أمريكا التي دعمت نظام هيلا سيلاسي سياسياً وعسكرياً تأميناً لمصالحها الاستراتيجية وصرح وزير خارجيتها جون فستر دالاس ١٩٥٠ قائلاً: « إن المصلحة الاستراتيجية في البحر الأحمر وضرورات الأمن والسلام في العالم يقتضيان ضم أرتيريا إلى أثيوبيا الصديقة »، وكلما أرادت أمريكا تأمين مصالحها في منطقة ما ركبت ظهر السلام وعزفت على قيثارته فقد دعمت موقف هيلا سيلاسي تذرعاً بالأمن والسلام وهاهي الآن تتذرع أيضاً بالأمن والسلام وتحمل منجستو مغبة عرقلته لمساعيها، ألم تكن أمريكا هي التي عكرت صفو الأمن والسلام في هذه المنطقة وحكمت على شعوبها بالموت والتشرد، ويكفي أن أسياس أفورقي قال في تصريح له عام ١٩٨٧: يجب أن لا ننسى بأن الولايات المتحدة هي أصل البلاء الذي يعم أرتيريا منذ ثلاثة عقود أو أكثر.

فما الذي بُشِّرت به حتى تقلب ظهر المجن وتسجل هذا الموقف الجديد من القضية الأرتيرية؟ أم لم

تعد أرتيريا ذات أهيمة للمصالح الأمريكية؟ أم أعطيت عهوداً ومواثيق تضمن لها بقاء مصالحها الاستراتيجية؟ وماهي ياترى النتائج التي يتحملها منجستو بإعاقته لمفاوضات السلام؟ ألا يمكن أن تكون هذه العبارة حبلى بالجنين الأمريكي ــ أعني الاستقلال الكلي أو الجزئي؟.

وهل صحيح أن الجبهة الشعبية لاتتلقى دعماً خارجياً وتكتفي بما تغنمه من أسلحة وبما تحصل عليه من إسهامات الارتيريين في المهجر؟ إذن من أين أتت الزوارق البحرية؟ حتى ولو قبلنا مقولة اقتنائها من الأسواق الحرة فكيف نصدق خلو هذه الأسواق من إشراف المخابرات؟ أم أن هذا تمهيد وتوطئة للعون الأمريكي المنتظر؟

ثم ماهي العوامل التي جعلت الأمريكان يؤكدون وبدون شك وتردد وطنية تنظيم الجبهة الشعبية على مستوى القيادة والقاعدة ألأن القيادة أصبحت في قبضة إسياسي أفورقي وزمرته بعد أن أقصي عنها قطعان الجويم من أبناء المسلمين الذين عبدوا ماركس ولينين وظلوا عليهما عاكفين؟ وماذا وراء هذا التأكيد بالوطنية لتنظيم الجبهة الشعبية؟ ألا ترى معي أن الأمريكان يعبدون له الطريق المؤدي إلى أرتيريا وإعلان كيانها؟

إن الأيام مثقلة والأحداث تشير إلى أن فصول المسرحية قد اكتملت أو كادت وفيما يأتي من أيامنا سنشهد تحركاً واسعاً على المستوى الدولي تمهيداً لإعلان أرتيريا المستقلة على يد الجبهة الشعبية، وسيسعى الأمريكان جهد طاقتهم في إيجاد أرضية صالحة تسير عليها قدما إسياسي أفورقي بأمن وسلام وتذهب في ذات الوقت بمنجستو إلى حيث لارجعة فكما صرح بول هونز في نهاية الندوة « لابد من إزاحة منجستو هيلي ماريام حتى يتحقق السلام.. » طبعاً السلام الذي يخدم مصالح أمريكا ليس إلا.

وسوف لن يغفل هذا التحرك عن تطمين إسرائيل التي طالما أبدت تخوفها من استقلال أرتيريا وتحول البحر الأحمر إلى بحيرة عربية إسلامية، ولكن إذا ماكان هذا ممكناً ومتوقعاً فهل يمكن أن تترك أثيوبيا حبيسة بلا منفذ بحري أم ستطرح حلول أخرى؟ مهما كان فإن الغرب

ينظر إلى أثيوبيا نظرة إشفاق وعطف لكونها جزيرة مسيحية في محيط إسلامي من هنا يستبعد جداً أن تسحب أرتيريا بكامل مساحتها من الخارطة الاثيوبية دون أن يقتطع منها ميناء عصب الواقع جنوب البلاد على المدخل الشمالي لمضيق بـاب المندب، ويستشف هذا من بعض المعلومات التي تسربت إلى دوائر دبلوماسية أجنبية في أديس أبابا حيث أفادت هذه الدوائر بـأن آخـر المعلومات التي سربتها شخصيات أثيوبية مقربة من الحزب الحاكم تفيد بأن استقلال أرتيريا إذا كان شراً لابد منه للخروج بالبلاد من متاهة أطول حـرب عرفتهـا القـارة السوداء وللحيلولة دون تمزق أثيوبيا إلى أشلاء قومية، وعرقية، وربما قبلية، وتسخير كل الطاقات لبناء أثيوبيا الحديثة يفترض الشروع في إرساء أسس سياسية جديدة تحفظ ماء وجه أثيوبيا(١).

صحيح أن من الفصائل الارتيرية من لايقبل التنازل عن شبر من أرضه ولكن يبدو أن المطبخ الأمريكي قد فرغ من إعداد الوجبة بجميع مشهياتها والضيوف المدعوين علم كل منهم مأكله ومشربه، وبهذا تكون أمريكا أسدلت الستارة لتبدأ مرحلة جديدة تحمل على عاتقها حماية المولود الجديد من الحركات الإسلامية الجهادية وتزويده بكل مايسهل له عملية قمعها وإزالتها من الوجود وكفى بك أن تعلم أن الجبهة الشعبية نشرت في مجلتها (ساقم) العدد الثامن عشر الصادر في يناير ١٩٨٩م مايضعك على يقين مما قلت حيث قالت: « إن صيغة مايعرف بالبديل الإسلامي هي صيغة غير مقبولة في أرتيريا ولا تتماشي مع الواقع الارتيري وأصحاب هذا التوجه تنتفي عنهم صفة الوطنية ».

ولايخفى ماتنطوي عليه عبارة (تنتفي عنهم صفة الوطنية) فإنها مشحونة بما هو معروف وغير معروف من أساليب الإرهاب □

---

١ ــ الحياة : ٢ ــ ٣ كانون الأول ــ ديسمبر / ١٩٨٩م .

إنصافاً لعلماء اليمن
وتعقيباً على فهمي هويدي حول الوحدة اليمنية

يحيى محمد أبو زيد

يعيش اليمنيون هذه الأيام آمال تحقيق الوحدة بين الشعب الذي فرقته الحدود المصطنعة والتي قامت على أساسها الدول الإقليمية الصغيرة، ولا خلاف بين العقلاء أن الوحدة خير من التجزئة خاصة في هذا العصر الذي تتكتل فيه الدول الكبرى فكيف سيكون مصير الدول الصغرى؟!

ولاخلاف كذلك أن الوحدة إذا لم تقم على أساس متين فتأجيل قيامها أفضل من التعجل فيها، والتجارب الوحدوية السابقة خير مثال على ذلك، وليس هناك أساس متين غير الإسلام فهو هوية الأمة وثقافتها وحضارتها. وعند الحديث عن الوحدة بين شطري اليمن طُرح مشروع دستور دولة الوحدة وهو مشروع فيه مالا يتناسب مع تطلعات الأمة وأمانيها في حفظ دينها، وقد قام علماء في اليمن الشمالي، ومن قبيل النصيحة بنقد هذا المشروع، وبيان الثغرات الخطيرة فيه، وبدلاً من تأييدهم في تحفظاتهم أو مناقشتهم مناقشة علمية قام الصحفي فهمي هويدي بالرد على العلماء في مقالات نشرت في صحيفة الأهرام وفي عدة صحف عربية أخرى، وقد تيسر لي أن أقرأ بإمعان

ماكتبه في هذه الصحف فوجدته قد أخطأ ووقع في زلات، وخاصة في المقالين الثاني والثالث، وحشر نفسه في غير مايجيد مع فقر في خلفيات الموضوع، وخاطب العلماء بما لايليق بهم، ولا أخفي على القارىء أنني ظننت ابتداء أن الرجل قد غُرر به وأعطي معلومات مغلوطة وغير دقيقة عن موقف العلماء فيما ذهبوا إليه، خاصة وأن له تجربة سابقة عندما كتب عن اليمن متأثراً ببعض ماسمعه من ذوي التوجه العلماني الذين رافقوه عند زيارته لليمن في العام الفائت. ولكن تبين لي أنه قد اطلع على ماكتبه العلماء في بيان ملاحظاتهم، وعجبت أشد العجب إذ كيف يلتبس عليه الفهم في مسائل وضحها العلماء بأجلى بيان.

مزالق هويدي :

جاءت مآخذ العلماء على مشروع دستور الوحدة في نقاط تسع، أوردها فهمي هويدي مختصرة اختصاراً مخلاً، ومع ذلك فإن القارىء الواعي سيكفيه ماأورده من كلامهم ليقتنع بما قالوه، خاصة أنهم أشفعوا ماقالوه بالدلائل والتفاسير العلمية من الكتاب والسنة بالإضافة إلى استنادهم للدستور الدائم لليمن، قال العلماء في نقدهم لمشروع الدستور:

« نص المشروع على أن القانون يحدد الحالات التي يحرم فيها المواطن من حريته » وعقبوا على ذلك: « وذلك مايفتح الباب للعدوان على حريات الناس بالقانون، بينما في دستور اليمن الشمالي الحالي ينص على كافة الحريات في حدود الشريعة وأن للدماء والأعراض حرمتها، ولكن مشروع الدستور لم يشر إلى ذلك فما كان من الأستاذ فهمي هويدي إلا أن عقب بقوله:

« إنهم ــ أي العلماء ــ باسم الغيرة على الدين قدموا الإسلام وكأنه ضد المساواة وضد الحرية، وضد المرأة » ويتابع نقده: « إنهم شغلوا أنفسهم بالعقائد والضمائر والأخلاق وماقد يوصف بأنه حقوق الله، بينما لم تحتل حقوق الناس في خطابهم حظاً يذكر ».

وعجيب أن يفهم هويدي من خطاب العلماء أنهم غير حريصين على حقوق الناس مع أنهم نقدوا مشروع الدستور لأنه أعطى مجلس الرئاسة الحق في إعلان حالة الطوارىء

التي في ظلها يتمكن الحكام ــ والكلام للعلماء ــ من الظلم والجور واستعباد شعوبهم. ثم على افتراض أنهم شغلوا أنفسهم بالكلام عن (حقوق الله) أفلا يستحقون الشكر على ذلك، أم أن حقوق الله لا مكان لها لدى الأستاذ؟ وكيف غاب عنه ماتفعله الحكومات بشعوبها في ظل قانون الطوارىء.

وهل صحيح أن علماء اليمن قدموا الإسلام وكأنه ضد المرأة وقد قالوا في مأخذهم التاسع: إن من ثغرات مشروع الدستور أنه ألغى الأحكام الخاصة بالنساء، وقرر المساواة بين الرجل والمرأة « بينما كان النص في الدستور الحالي : للنساء من الحقوق وعليهن من الواجبات ماتكفله الشريعة » فهل في هذا الكلام مايشم منه بأنه ضد المرأة؟! سبحانك ربي هذا بهتان عظيم!

وهل الأستاذ هويدي أكثر إنصافاً للمرأة من خالقها ونبيها الكريم، وهل من مصلحة المرأة أن تتساوى مع الرجل؟! إن واقع الأمم التي استجابت لإغراء كلمة (المساواة) تتمنى اليوم لو أنها لم تفعل.

ادعاء آخر تنقصه الحصافة :

ثم إني أتساءل كيف يدعي الأستاذ هويدي : بأن العلماء قد قاموا بمحاكمة وثيقة بالغة الأهمية لمشروع الدستور دون أن يكونوا مسلحين بالحد الأدنى من المعرفة المطلوبة لمباشرة تلك المحاكمة ».

هل لدى الأستاذ هويدي مستند أو أثارة من علم تؤيد صحة ماذهب إليه، وهل امتحن أولئك العلماء، أم غره أن صحف ومجلات وندوات العلمانيين وحكوماتهم تفتح له الباب على مصراعيه ليقول مايريد، وهل كان يظن أن تلك الصحف والمجلات تفسح له صدرها لو أنه التزم الجادة دائماً؟!

وشاهد آخر على تحامله :

قال في نهاية العبارة السابقة: « وعلماء اليمن طالبوا الدستور بما لاينبغي أن يكون فيه، وفهموا مصطلحاته على غير وجهها الصحيح!! والحقيقة أنهم حاكموا مشروع الدستور إلى الدستور الدائم، وهل يجب عليهم أن يتنازلوا عن المبادىء الإسلامية من أجل إرضاء ذوي الأهواء! كما يريد الأستاذ هويدي الذي ندعوا الله أن يبصره بعيوب نفسه ويجنبه مرض الغرور ومغبة اتباع الهوى.

الجزائر في الصحافة الغربية

لابد أن نتابع ماتكتبه الصحف الغربية المهمة عن بلادنا، ونحلل أبعاد العقلية التي يفكر بها القائمون على هذه الصحف... وهذه ترجمة لمقال نشرته صحيفة التايمز في عددها الصادر في ١٩٩٠/٢/٢٦ وعنوان المقال : « ثورة الجزائر ليست إلا جعجعة » وأهم ماورد في هذا المقال:

أن فرنسا تفكر بالتدخل في الجزائر إذا انفجر الوضع الحالي فيها، ولقد استفاضت الأخبار التي تؤكد عزم فرنسا على اتخاذ مثل هذا الموقف، وهذا لايعني أنها الآن واقفة على الحياد ولا تتدخل، الحقيقة أن لها تحركاً واسعاً ولها أنصار داخل الجزائر.

ـ تأزم الخلافات بين قادة جبهة التحرير، وتهديدات قادة الجيش بأنهم لن يقفوا مكتوفي الأيدي إذا فشلت التجربة الديمقراطية، أو ازداد المد الإسلامي، وهذا أيضاً صحيح، فخلافات قادة الجبهة لم تعد من الأسرار، والهوة واسعة بين الأطراف المتصارعة.

ـ أما رموز المعارضة الذين وضعهم بن جديد في الحكومة، فالمقصود رموز المعارضة داخل جبهة التحرير، وهذا شأن الأحزاب الحاكمة في بلادنا. أما الأحزاب الجديدة من غير جبهة التحرير فلا نعلم أنهم يشاركون في الحكومة، وتستدرك الصحيفة نفسها فتقول: إن الحكومة والجمعية الوطنية كلها من أعضاء حزب جبهة التحرير.

إن الوضع غير مستقر في الجزائر، والناس يشكون من انتشار الفساد

وغلاء الأسعار، وهناك جهات فعالة في جبهة التحرير ناقمة على كل مايحدث، ولن تتردد هذه الجهات إذا ــ استطاعت السيطرة على شؤون الحزب الحاكم ــ في نسف الدستور الذي سمح بتعدد الأحزاب، والعودة إلى الوضع الذي كان في عهد بومدين. ولانعتقد أن الإسلاميين في الجزائر غافلون عن ذلك.

ثورة الجزائر

« نحمد الله على أحداث عام ١٩٨٨م، فلولاها لحدث انفجار في الجزائر، لاسيما وأن الجزائريين يشاهدون على شاشات التلفاز صور المظاهرات الشعبية العارمة التي تجتاح أوربا الشرقية » هذه كلمات قالها مسؤول حكومي رفيع المستوى بلسان فرنسي متقن. إلا أن الآخرين في المدن الجزائرية الكبرى قد لايذهبون إلى حد التوجه إلى الله بالشكر من أجل ذلك الأسبوع الذي مر عليه الآن مايقرب من سبعة عشر شهراً، والذي كان حافلاً بأحداث شغب خطيرة فتح خلالها رجال الجيش نيران أسلحتهم على المتظاهرين الشباب فقتلوا ــ وفقاً للتقديرات المتحفظة ــ عدة مئات. وليس من المؤكد أن يلي أحداث أكتوبر أحداث أشد خطورة منها.

ويعرف عن الحكومة الفرنسية قلقها الشديد حيال الأجواء الملتهبة في هذا البلد الذي كانت تظن فرنسا على أنه سيبقى تحت حكمها على الدوام. وتقول تقارير صحيفة فرنسية أن باريس قد تفكر بالتدخل بشكل من الأشكال إذا ماانفجر الوضع الحالي وتحول إلى نزاع مفتوح.

إن الانفجار السياسي سيكون احتمالاً كبير الوقوع يوم الخميس (١/٣/١٩٩٠م) وهو اليوم الذي يتوقع أن يشن فيه الاشتراكيون المتشددون تحدياً محسوباً للاصلاحات الاقتصادية الأخيرة وذلك في اجتماع اللجنة المركزية لحزب جبهة التحرير الوطني الحاكم.

وكانت الجبهة قد تشكلت لخوض معركة التحرير الضروس التي دامت

ثمانية أعوام، ومنذ تحقيق النصر في عام ١٩٦٢م وهي تترأس دولة ذات نهج اشتراكي ونظام حزب واحد. ويسعى أفراد النظام السابق إلى إحداث تغيير في المكتب السياسي للحزب الذي يشكل فيه دعاة الإصلاح أغلبية والذي كان قد تم انتخابه في شهر كانون أول (ديسمبر) الماضي.

لقد كانت المشكلة الرئيسية لأولئك الذين خرجوا إلى الشوارع في عام ١٩٨٨م سوء الأوضاع الاقتصادية، ومنذ ذلك الوقت لم يحصل تبدل في أي شيء، يقول أحد رجال الأعمال الجزائريين: لو أن أحداث الشغب ومارافقها من سقوط القتلى قد وقعت في هذه الأيام أي في أعقاب التطورات التي اجتاحت أوربا لما كان بإمكان الحكومة الصمود.

ولكي يجعل المسؤولون الشعب يستوعب هذه الحقيقة؛ وهو يراقب مايحدث في أوربا الشرقية؛ فإن ماكان يطلق عليه اسم حوادث ١٩٨٨ أصبح يطلق عليه الآن ثورة ١٩٨٨ .

وخلافاً لما يحدث في دول أوربا الشرقية فإن ثورة الجزائريين يتم توجيهها من الجهات العليا، فقد تقدم الشاذلي بدستور جديد للبلاد، كما أن نظام الحزب الواحد قد انتهى رمزياً مع تشكيل عشرين حزب سياسي جديد، إلا أنه لم تُجر بعد أية انتخابات عامة في البلاد. وتتألف الحكومة والجمعية الوطنية بشكل كامل من أعضاء حزب جبهة التحرير.

ويتحدث الرئيس الشاذلي بن جديد عن الحاجة إلى الوحدة الوطنية وقد وضع بعض رموز المعارضة في الحكومة، إلا أن حسين آيت أحمد ــ الذي عاد مؤخراً من منفاه ــ طالب علانية بحل الجمعية الوطنية وإجراء انتخابات. كما أن القوات المسلحة والمتركزة حالياً في ثكناتها وفقاً لمطالب الدستور الجديد

أعلنت على لسان قادتها بأنها لن تقف موقف المتفرج إذا مافشلت العملية الديمقراطية أو ازداد المد الإسلامي الجزائري المتطرف وأصبح يشكل خطراً.

لقد أصبحت الجبهة الإسلامية للإنقاذ ـــ منذ أن باتت هي الحزب الإسلامي الوحيد المرخص له في المغرب العربي ـــ أكبر مظلة يتجمع تحتها وبشكل مطرد الأنصار الساخطون على نمط معيشتهم اليومية، ولجبهة الإنقاذ سيطرة على خطب الجمعة في مساجد العاصمة الرئيسية، وقد ناشدت الجبهة ـــ وهي أقوى أحزاب المعارضة ـــ أعضاءها ضرورة تحقيق الوحدة فيما بينهم.

إلا أن الشباب الذين خرجوا إلى الشوارع في مظاهرات عارمة احتجاجاً على ارتفاع نسبة البطالة وغلاء الأسعار وانتشار الفساد مازالوا ينتظرون من يوفر لهم العمل والسكن. وقد نجحت الجبهة في استغلال حالة الشعور بخيبة الأمل التي أصابت هؤلاء الشباب أروع استغلال وهو الأمر الذي باتت الدول المجاورة للجزائر تخشى من عواقبه.

التايمز ١٩٩٠/٢/٢٦م

اضطرابات تركستان الصينية

أخبر قادمون إلى بكين من أورومكي ـــ عاصمة تركستان الشرقية ـــ عن حدوث اضطرابات قرب مدينة كشغر في أوائل شهر نيسان (إبريل) وأن قوات الأمن الصينية قامت بقمع المتظاهرين بعد أن قتلت ما لايقل عن (٦٠) مسلماً تركستانياً ومنعت المراسلين الصحفيين من دخول المنطقة، ولم يصدر عن أي مسؤول صيني أي تعليق عن الأحداث. ومن المحتمل أن تكون الأحداث قد امتدت الى مناطق أخرى من تركستان. وكانت هذه الاضطرابات قد بدأت عندما منعت السلطات الصينية الأهالي من بناء مسجد جديد ومدرسة دينية في المنطقة. وتعكس الطريقة التي تعاملت بها قوات الأمن مع الأحداث حساسيتها من الخطورة التي تنطوي عليها لاسيما وأن المنطقة تمثل حقلاً لبرنامج التجارب النووية، ومركزاً هاماً لمحطات التنصت الأمريكية الموجهة نحو الاتحاد السوفييتي، كما أن قربها الجغرافي من جمهوريات آسيا الوسطى المسلمة يجعلها غير مستقرة، وكان رئيس الوزراء الصيني قد دعا في شهر شباط (فبراير) الماضي إلى الاحتراس والحذر من تلك الحفنة من الانفصاليين، وقال: « إن علينا استئصال جميع النشاطات الانفصالية وهي في طور تشكلها ».

ويبلغ تعداد السكان في إقليم تركستان الشرقية ـــ الذي تعادل مساحته ضعف مساحة فرنسا ـــ (١٤) مليون، منهم نسبة ٦٠٪ من المسلمين و ٣٠٪ من الصينيين الذين كانوا قد نُقلوا من أماكن مختلفة من الصين لإحداث تغيير ديموغرافي في الإقليم، ويحتكر هؤلاء جميع المناصب العليا هناك لاسيما الحزب والجيش.

وكانت تركستان الشرقية قد شهدت مظاهرات احتجاج واسعة النطاق في عامي ١٩٨١ م و ١٩٨٨ م قام الجيش بقمعها في آنها، ويعتبر تاريخ تركستان الشرقية منذ احتلال الصين له أول مرة في منتصف القرن الثامن عشر حافلاً بالثورات والاحتجاجات التي كانت تقابل دائماً من قبل الصينيين بالبطش وسفك الدماء.

فاينشيال تايمز ١٩٩٠/٤/١١، الايكونوميست ١٩٩٠/٤/١٤، الإندبندنت ١٩٩٠/٤/١٥



قواعد إسرائيلية في أرخبيل دهلك

ذكرت وكالة رويتر للأنباء في ١٦/٤/١٩٩٠م أن الجبهة الشعبية لتحرير أريتريا وجهت تحذيراً إلى الحكومة الأثيوبية من عواقب دعوة وجهتها الأخيرة إلى إسرائيل لإنشاء قواعد لها في أرخبيل دهلك الواقع في البحر الأحمر قبالة الساحل الأرتيري، وأشارت الجبهة إلى أن هذا التطور الجديد سيعني تورطاً إسرائيلياً مباشراً في الحرب الدائرة في أرتيريا ضد القوات الأثيوبية، وهو يأتي في أعقاب نجاح الارتيريين في تحرير ميناء مصوّع.

إيران : قتل واعتقالات بالجملة

ذكرت وكالة الأنباء الفرنسية في نبأ لها من طهران أن قوات الحرس الثوري قامت في يوم ١٥/٤/١٩٩٠م باعتقال (٦٥) شخصاً بتهمة اطلاق شعارات سياسية في مكان عام في ضواحي طهران الشمالية، وأوردت الصحف الإيرانية الحدث وقالت أن « مشاغبين » قاموا بالاخلال بالأمن العام وأطلقوا شعارات ضد الأخلاق العامة. كما ذكرت الصحف الإيرانية أن اشتباكات أخرى وقعت في حي

فقير في جنوب العاصمة وأن أعداداً من المواطنين غير محددة قد تم اعتقالها.
ومما يجدر ذكره أن وسائل الإعلام الإيرانية كانت قد ذكرت أن مالايقل عن (٣٠) شخصاً قتلوا وتم جرح أعداد كبيرة في مصادمات مع حراس الثورة والجيش النظامي من جهة « وأعداء الثورة » من جهة أخرى، وذلك في منطقتي سيستان وبلوشستان المحاذية لباكستان وأفغانستان.

الحياة ١٩٩٠/٤/١٧م

هروب الهندوس من الانتفاضة

في وقت تشتد فيه مجابهة المسلمين الأصوليين في وادي كشمير ــ بشكل ينذر بالسوء ــ للقوات الهندوسية المعززة، أخذ عشرات الآلاف من الهندوس المستوطنين هناك بترك منازلهم وقراهم والابتعاد عن مسرح الانتفاضة التي يقودها المسلمون (الانفصاليون)، وتضيف هجرة الهندوس هذه بعداً جديداً للصراع هناك الذي يكتسب هذه المرة طابعاً دينياً لم يعرف من قبل، وقد غادر مايزيد على (١٢٠) ألف من الهندوس وهو مايشكل نصف عددهم هناك، ويستعد النصف الآخر للرحيل، ويترافق هذا الرحيل مع قيام منظمات جهادية بفرض الإسلام الأصولي على مرافق الحياة اليومية هناك، وتسيطر هذه المنظمات على مجريات الحياة اليومية في كشمير في وقت اختفى فيه التعلق التقليدي بالصوفية المتحررة.

من جهة أخرى، استمرت تهديدات الحرب من كلا الطرفين الباكستاني والهندي بشأن النزاع في كشمير على الرغم من تأكيد مسؤولين في إسلام آباد ودلهي على عدم توقع وقوع قتال على نطاق واسع.

التايمز ١٩٩٠/٤/١٦م





د . خالد الموسى

إن رياضة المشي رياضة سهلة وبسيطة، يقدر عليها الصغير، والكبير السليم والسقيم الصحيح، والمعافى والمريض، وهي بحد ذاتها ممتعة ومسلية خاصة إذا اختار صاحبها وهاويها الأماكن الطبيعية المناسبة كالتمشي في الحدائق تحت ظلال الأشجار أو على شط البحر أو الأنهار. فتضفي جمال الطبيعة مع التأمل في قدرة الخالق وتسبيحه وحمده على نعمه متعة شخصية.

والمشي والهرولة رياضة مفيدة لكل أعضاء الجسم إذ أثبتت الدراسات الحديثة فائدتها في:

١ ــ علاج أمراض القلب الوعائية: حيث ينصح مرضى القلب بالتدرج بالمشي والهرولة وذلك لأنها تؤدي إلى:

أ ــ تقوية العضلة القلبية وزيادة النتاج القلبي الفعال.

ب ــ إنقاص وتخفيض نسبة الدهون الضارة والكولسترول بالجسم.

ج ــ زيادة نسبة الدهون الواقية من تصلب الشرايين والمفيدة للجسم.

٢ ــ علاج ارتفاع التوتر الشرياني: حيث أظهر الكثير من الدراسات جدوى علاج ارتفاع الضغط الشرياني الخفيف والمتوسط الشدة بالمشي والهرولة اليومية لمدة ساعة إلى ساعتين حتى بدون اللجوء للأدوية في كثير من الحالات.

٣ ــ علاج البدانة وزيادة الوزن: حيث تعتبر مع الحمية الغذائية حجر الزاوية في

في علاج البدانة وذلك بحرق كميات لابأس بها من الحريرات والسعرات الواردة للجسم. ولها الدور الأول والأساسي للمحافظة على الوزن وثباته وذلك بالاستمرار اليومي على المشي.

٤ ــ علاج الآلام العضلية والمفصلية: حيث تؤدي إلى تليين وسهولة حركة ونشاط المفاصل واتساع مدى فعاليتها إضافة لارتخاء العضلات وليونتها مع تخفيف الشد والتشنج الذي كان بها، وأيضاً تقوية تحمل العضلات والمفاصل.

٥ ــ علاج عسر الهضم ومتلازمات تشنج الكولون والإمساك المزمن، حيث تساعد على حركة الأمعاء وتخفيف الآلام الكولونية إضافة لتخفيف الغازات والشعور بالانتفاخ والغثيان. مع تنظيم إفراغ الكولون.

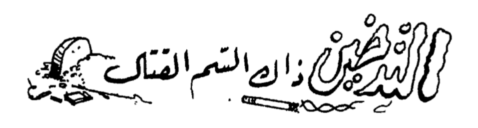
٦ ــ تساعد في عملية التنفس الطبيعي بتقوية عضلات التنفس والعضلات الصدرية مما يزيد السعة الرئوية والتبادلات الغازية الدموية وبالتالي فعالية التنفس وتحسين وظيفة الرئتين في كثير من الأمراض التنفسية المزمنة.

والمهم في فائدة هذه الرياضة البسيطة الخفيفة أن يتعود عليها الإنسان وببرنامج شبه يومي أو أسبوعي بدون انقطاع ويمكن استغلال الوقت من خلال المشي بمراجعة بعض الكتب الصغيرة أو قراءتها أو حفظ القرآن ومراجعته أو بذكر الله تعالى وبذلك يرتبط مع الله عز وجل إضافة للفائدة الجسمية.

أمراض عصرية في الميزان

سنتناول في سلسلة من الحلقات بإذن الله بعض الأمـراض القديمة ــ الحديثة من منظور عصري ومن منظار إسلامي بنفس الوقت وسواءً كانت هذه الأمراض عضوية أم نفسية أم اجتماعية وسلوكية أو بيئية.. لما لها من تأثير ضار على الإنسان سواءً على صحته أو نفسيته وسلوكه، أو مايفسد بيئته ومحيطه من التأثيرات الضارة..

ونظراً لانتشار الكثير من هذه الأمراض في عصرنا فإنه من الواجب علينا توضيح هذه الأوبئة العصرية، بصورة مبسطة وعلمية كخطوة أولية للحفاظ على الصحة.. بل والوقاية من الأمراض أصلاً.. وذلك كضرورة دينية لأن ذلك من تحقيق مقاصد الشرع في حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال.



لقد عرف التدخين والتبغ عند الهنود الحمر في أمريكا اللاتينية والمكسيك وكوبا، ومن ثم انتقل إلى أرجاء العالم. لقد اعتاد كثير من الناس على تدخين السجاير أو الغليون أو النرجيلة وتفشت هذه العادة السيئة في كثير من المجتمعات

الإسلامية بل والأسر المسلمة والبيوت المتدينة والمحافظة، وذلك نتيجة للاحتكاك والاختلاط الاجتماعي والدولي والتجاري منذ القديم وإلى الآن بصورة أوسع وأسرع.

وللأسف لقد ساد مفهوم خاطىء عند البعض بأن التدخين يمثل وجهاً حضارياً جديداً، ومعبراً عن الرقي والمكانة الاجتماعية ودليلاً على المستوى الثقافي والمركز العلمي.. بل اعتبره البعض دلالة على الرجولة وعلامة على القوة والشباب ودلالة على الفتوة والنشاط.

وقد تفشت هذه العادة حتى عند النساء والسيدات في مجتمعاتنا بدعوى التمدن والتقدم والرفعة الاجتماعية... ومع هذا برزت مغريات وراجت دعايات خاطئة بأنه يريح النفس ويهدىء الأعصاب ويساعد على قوة التركيز وزيادة النشاط الذهني..

ونسي أو تناسى أولئك أن هذا السلوك هو اتجاه خاطىء وعادة خطيرة.. سواء على مستوى الفرد أو المجتمع بل إنه انتحار بطيء مع سبق الإصرار والتصميم وقتل النفس، وطريق للهلاك، والدمار. يقول تعالى: ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ [البقرة/١٩٥].

ومن هذه التهلكة تأثير التدخين (بشتى أنواعه) على معظم أجهزة الجسم بشكل تدريجي وبطيء.

ومنذ البدء نشير إلى أن التأثير الضار للتدخين يكون باتجاهين مهمين:

١ ــ تأثير ضار موضعي مباشر: عن طريق استنشاق أغبرة ودخان السجاير أو الغليون والنرجيلة.

٢ ــ تأثير ضار عام: بما يحتويه من مواد كيماوية ضارة.. ومسرطنة: كالنيوكوتين والقطران وتأثيراتها على الجسم وأجهزته.

ورغم انتشار التدخين في البلاد الغربية فحملات التوعية ومكافحة التدخين

والمراقبة على شركات تصنيع السجاير لتنقيته من القطران والمواد المسرطنة، وبالرغم من التوضيحات الضارة على علب السجاير، واتخاذ القوانين الصارمة ببعض المجالات مازالت السجاير تشكل نسبة كبيرة من أسباب الوفيات في العالم والتي تقدر بالملايين سنوياً، وللأسف مازالنا نحن في مجتمعاتنا كبقية بلدان العالم الثالث نروج للسجاير بوسائل الإعلام المختلفة فضلاً عن فقدان المراقبة لما تحويه السجاير من المواد المسرطنة والضارة ومن نسبة تركيزها في السجاير.

يسير العالم نحو حرب ضد السجاير والتدخين.. فحري بنا نحن المسلمين أن نكون أول من يتخذ خطوات إيجابية للوقوف أمام تفشي هذه العادة السيئة والخطيرة.

وطبقاً لتقرير منظمة الصحة العالمية فإن التدخين يعتبر أخطر وباء عرفه الجنس البشري، والوفيات الناتجة عنه تعد أكثر الوفيات التي عرفها تاريخ الأوبئة، وخصوصاً في الدول الفقيرة، حيث تكثف شركات التدخين دعايتها، وتروج أردأ أنواع الدخان وأخطرها ضمن خطة تستهدف الربح المادي أولاً وتدمير لبنية تلك الشعوب ثانياً.

نسأل الله لكل مدخن أن يرزقه الإقلاع الفوري عن هذا الوباء القتال.

الجرح والتعديل في ثقافتنا المعاصرة

إبراهيم بن محمد العبد الله

إذا كان موضوع الجرح والتعديل قديم الطرح فإن الرؤية الجديدة والصياغة الحديثة له تجعل منه موضوعاً جديراً بالبحث والدراسة والمدارسة الواسعة.

وقد تبين لي ــ من خلال مثاقفة بعض المفكرين والقراءات المتعددة لكثير من الكتّاب من أصحاب الفكرة الإسلامية ــ أننا بحاجة ملحة إلى صياغة هذا الفن العلمي والتخصص النادر على واقعنا الثقافي في البلاد الإسلامية، ولعل هذا يعتبر من الواجبات على أهل العلم والدعاة المخلصين العارفين بالله وبعباد الله.

وعلى هذا سار علماء الجرح والتعديل الأوائل معتبرين أن جرح الضعفاء في الأمة من النصيحة بل من الواجبات الشرعية التي ألزموا أنفسهم بها.

يقول الإمام الترمذي رحمه الله معللاً كلام علماء الجرح والتعديل بقوله: « وإنما حملهم على ذلك ــ عندنا ــ والله أعلم: النصيحة للمسلمين، لايظن بهم أنهم أرادوا الطعن على الناس أو الغيبة! وإنما أرادوا ــ عندنا ــ أن يبينوا ضعف هؤلاء لكي يُعرفوا لأن بعضهم كان صاحب بدعة أو متهماً في الحديث ــ وبعضهم ــ كانوا أصحاب غفلة وكثرة خطأ، فأراد هؤلاء الأئمة أن يبينوا أحوالهم شفقة على الدين وتثبيتاً له. لأن الشهادة في الدين أحق أن يتثبت فيها من الشهادة في الحقوق والأموال » اهـ. [كتاب العلل للإمام الترمذي ٧٣٩/٥] .

وبهذا تبين لنا أن الجرح والتعديل ضرورة ملحة وفريضة شرعية على علماء الأمة في القديم والحديث لصيانة شريعة الله عز وجل وحفظاً لسنة المصطفى ﷺ من ضلالات المنحرفين وافتراءات الأعداء.

وبعد نظر ومعايشة فكرية لما يظهر في ساحتنا وأسواقنا الفكرية من أحاديث متنوعة حول « الإسلام والحل الإسلامي » لمشكلاتنا المعاصرة والملازمة للأمة الإسلامية في واقعها المتخلف أخلاقياً وعلمياً وحضارياً . فإني أرى أنه من اللازم على علماء أهل السنة الذين يملكون رؤية شمولية عن الإسلام أن يحيوا هذا المنهج السديد في حفظ دين هذه الأمة، بالتأصيل والربط بالواقع لكي يتمكن أبناء الصحوة الإسلامية في عالمنا الإسلامي من الحذر من طرح رؤية وفكر أهل الباطل المتكلمين بلسان الإسلام وطرح الحلول لواقعنا المتخلف في جميع جوانبه وزواياه المتنوعة.

ولكي يحذر شباب هذه الصحوة من الإملاءات الفكرية في الكتب والمنشورات والمجلات التي تحمل التشكيك في صلاحية هذا الدين، وأشد مايحتاج إليه في هذا الأمر هو بيان حال هؤلاء الكتاب الذين يدافعون عن الإسلام ويحملون حماساً قوياً للإسلام ومع هذا كله لايلتزمون بالإسلام سلوكاً ومعتقداً عملياً في حياتهم إنما هو الإسلام الفكري فقط.

مشاهد من المطارات العربية

محمد سليمان

كثيرة هي هموم المواطن العربي، فرياح التغيير لم تصله بعد، حتى يتنسم نسائم الكرامة والإنسانية، في أوربا يستعدون لعام ١٩٩٢ وهم الآن يتنقلون بالبطاقة الشخصية، عند الحدود يبرز البطاقة من بعيد، فيهز الموظف المسؤول رأسه بالموافقة ودون حاجة للتأكد، منظر مؤلم لنفس العربي المسلم الذي لايرى هذه المعاملة من موظفي (الحدود) فالشك هو الأصل، والحسابات والهواجس تأكل رأسه قبل دخوله وحتى ينتهي من الإجراءات.

في أحد المطارات العربية كان أصحاب الشارات الأجنبية يدخلون دون صعوبات، ولكن العربي (ينظر في أمره) وتذكرت قول شاعرنا الكبير المتنبي:

ولكن الفتى العربي فيها   غريب الوجه واليد واللسان

وفي مطار آخر انتظر ركاب الطائرة ثلاث ساعات ونصف بالتمام والكمال حتى جاء دورهم ليتخذ الموظف المسؤول إجراءات الدخول، هذه الشعوب التي كانت بالانتظار ليس لها أهمية عند الموظف لأنهم غير (مواطنين).

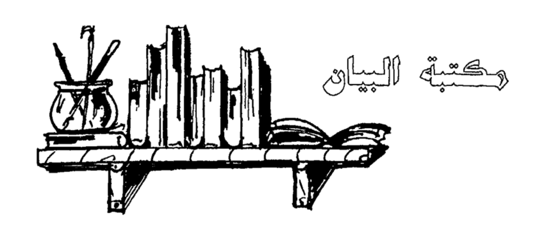
ألا يشعر هؤلاء أن هذه المعاملة تغرس في القلوب الأحقاد والضغائن وأنه لأحد يستفيد من هذه التصرفات؟ لقد كان المسنون من المنتظرين يجلسون على الأرض من التعب، وبعد كل هذا يأتي زميل الموظف المكلف ويقول له:

إذا لم ينتظموا في الدور فاتركهم حتى الصباح..!، مرحى مرحى لهذه الإنسانية. ولهذه الأخلاق.

في الصورة المقابلة وفي المطار نفسه كانت هناك أشياء إيجابية يرتاح لها المسلم، ففي رحلة العودة وبعد إجراءات الخروج حانت الصلاة فجاء عدد كبير من الموظفين للصلاة معنا، وكان سمتهم يدل على أنهم اختاروا الإسلام عن رضا وقناعة وأن بعضهم عاد إلى الله من قريب ووجد الطمأنينة والراحة في كنف الإسلام. صور متناقضة لعلها تزول قريباً ويعود الانسجام، وتتوحد مظاهر السلوك في الشخصية المسلمة.

أمثال

ــ لاتخلع نعليك من قدميك قبل أن تقترب من النهر.
ــ لاتضع قدرك على النار لتطبخ الصيد، والصيد مايزال في الغابة.



١ ـ الكتاب : **الجهاد الأفغاني ودلالاته** .
المؤلف : الأستاذ محمد قطب .
الناشر : مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة ـ جدة .
حجم الكتاب : ١١٠ صفحة من القطع الصغير .

٢ ـ الكتاب : **الغرباء الأولون : أسباب غربتهم ومظاهرها** .
المؤلف : الشيخ سلمان العودة .
الناشر : مكتبة ابن الجوزي ـ الدمام .
حجم الكتاب : ٢٥٥ صفحة من القطع المتوسط .

٣ ـ **الغرب في مواجهة الإسلام : معالم ووثائق** .
المؤلف : مازن المطبقاني .
الناشر : مكتبة ابن القيم ـ المدينة المنورة .

٤ ـ **صحيح سنن أبي داود باختصار السند** .
المؤلف : الشيخ محمد ناصر الدين الألباني .
الناشر : مكتب التربية العربي لدول الخليج ـ الرياض .

الأخ عبد الله حماد الجهني ــ الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة: أرسل لنا قصة قصيرة، ونحن إذ نشكره على ذلك وعلى ثقته بالمجلة نطلب منه التعمق في قراءة أصول فن القصة القصيرة، ونرجو أن نتسلم منه تجارب أكثر نضوجاً.

الأخ : محمد فرحان عبد الظاهر ــ الإسماعيلية ــ مصر:
أرسل إلينا يسأل بعض الأسئلة ونحن نجيبه على مانستطيع منها:
١ ــ عنوان الأخ يوسف إسلام هو:

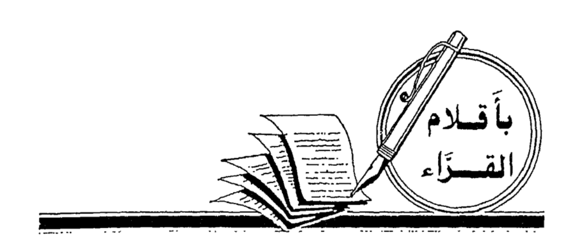
Br. Yosif Islam
Islamia school trust / Islamic circle organisation
2 Digswell Street
London N7 8JX

٢ ــ لاندري عن الحزب الإسلامي الألماني شيئاً، أما الحزب الإسلامي البريطاني فيمكنك مراسلته والحصول على معلومات عنه، وعنوانه هو:

Islamic Party of Britain
Hazelwell House
Hazell Road
Birmingham B30 2PQ
Tel. 0860-646828

٣ ــ قضية هجرة اليهود السوفييت ننظر لها من منظار النظرة الإسلامية إلى قضية فلسطين، وإلى اليهود بشكل عام والصراع معهم الذي لم يبدأ باحتلالهم فلسطين فقط بل بمحاربتهم الإسلام والمسلمين منذ فجر التاريخ الإسلامي.

٤ ــ لقد كتبنا عن الشيخ حسن البنا رحمه الله في العددين السادس عشر والثامن عشر.



ضوابط الإعجاب

لاشك أن المسلم يعجب بشخص النبي ﷺ الذي هو سيد ولد آدم وكذلك يعجب بصحابته الكرام أولئك الذين اصطفاهم الله سبحانه لصحبة نبيه والتربي على يديه حتى يصبحوا مشاعل هدى للأمة من بعدهم وما أجدرنا أن نقرأ سيرهم ونتشبه بهم فقد قيل:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم　　　إن التشبه بالكرام فلاح

ومع وجود كثير من الأسماء اللامعة في تاريخ المسلمين المعاصر ممن يهتم بالدعوة إلى الله والعلم المبني على المنهج الصحيح؛ ويستحوذون على إعجاب كثير من الأنصار والأتباع؛ لكن لايعني هذا عصمة هؤلاء وبعدهم عن الخطأ، ثم التطرف في الإعجاب بهم والاقبال على مايكتبون دون وعي، ودون إبداء ملاحظات إن وجدت، فينبغي أن نفهم جيداً أن لامعصوم من البشر إلا الأنبياء والرسل لا غيرهم، وقد يخطىء هذا المفكر أو الكاتب في كتابه أو مقالته مما قد يطعن في بعض شرائع الإسلام ومنهج المسلمين، عند ذلك قد تجد بل حتماً ستجد المعجب بمثل هذه الآراء المتعصب لها المنقاد لها لأنها صدرت ممن؟! صدرت من فلان الفلاني المفكر العلامة

(الذي لايخطىء) هكذا تصورهم، نعم قد يكون بعض هذا التصور صحيحاً، لكن ليس بهذه المبالغة التي يضعونها.

وعندما يهب بعض الصادقين المخلصين من طلبة العلم وغيرهم في الرد على بعض الأفكار الناتجة عن مثل هؤلاء المفكرين عند ذلك يهب المعجبون [بدون مناقشة] لعدم تصديقهم وأن هذا افتراء عليه وو...

عفواً دعونا نبحث ماالذي يدفعنا أو يدفع الكثير إلى الإعجاب المطلق، إن ثمة أشياء لعلك أيها القارىء الكريم تدركها في واقعنا المرير:

١ ــ عدم بناء القاعدة السليمة القوية من العقيدة السليمة وعدم تغلغل هذه العقيدة في القلب.
٢ ــ عدم الوعي الكامل بما يخالف دين الله أو يطعن فيه.
٣ ــ عدم المعرفة الكاملة بحال الكاتب وإلى أي مدرسة ينتسب.

هذه بعض الدوافع ويمكن أن تكون ثمة أسباب أخرى. وصلى الله على نبينا وسلم.

أحمد بن أحمد جعفري

قديم جديد

من الأشياء القديمة المتجددة ماشكى منه المؤلفون أو الكتاب، من الإعراض عن القراءة أو من كثرة اقتراحات القراء. وفي هذه الزاوية ننقل كلاماً للأديب عباس محمود العقاد، وللشيخ محمد عبده.

— ١ —

المقترحون والمؤلفون

بين جمهرة القراء في اللغة العربية طائفة لاترضى عن شيء، ولا تكف عن اقتراح، ولاتزال تحسب أنها تفرض الواجبات على الكتاب والمؤلفين، وليس عليها واجب تفرضه على نفسها.

إن كتبتَ في السياسة قالوا: ولم لاتكتب في الأدب؟

وإن كتبتَ في الأدب قالوا: ولم لاتكتب في القصة؟

وإن كتبت في القصة قالوا: ولم لاتكتب للمسرح؟

وإن كتبت للمسرح قالوا: ولم لاتحيي لنا تاريخنا القديم ونحن في حاجة إلى إحياء ذلك التراث؟

وإن أحييت التراث قالوا: دعنا بالله من هذا وانظر إلى تاريخنا الحديث فنحن أحق الناس بالكتابة فيه.

وإن جمعت هذه الأغراض كلها قالوا لك: والقطن؟ ومسائل العمال؟ ورؤوس الأموال؟ وكل شيء إلا الذي تكتب لهم فيه.

وقد شبهت هذه الطائفة مرة بالطفل المدلل الممعود: يطلب كل طعام إلا الذي على المائدة، فهو وحده الطعام المرفوض.

إن قدمت له اللحم طلب السمك، وإن قدمت له الفاكهة طلب الحلوى، وإن قدمت له صنفاً من الحلوى رفضه وطلب الصنف الآخر، وإن جمعت له بين هذه الأصناف تركها جميعاً وتشوق إلى العدس والفول، وكل مأكول غير الحاضر المبذول.

سر هذا الاشتهاء السقيم في هذه الطائفة من القراء معروف، سره أن الجمهور في بلادنا العربية لم « يتشكل » بعد وإنما نعد الجمهور القارىء متشكلاً إذا وجدت فيه طائفة مستقلة لكل نوع من أنواع القراءة، وإن ندر ولم يتجاوز المشغولون به المئات.

وسنسمع المقترحات التي لانهاية لها، ولانزال نسمعها كثيراً حتى يتم لنا « التشكيل » المنشود، وهو غير بعيد.

العقاد : يسألونك / ١٩٢

— ٢ —

« وإنا لو فرضنا أن كتاب الجرائد لايقصدون بما يكتبون إلا نجاح الأمم مع التنزه عن الأغراض فبعد ماعمّ الذهول، واستولت الدهشة على العقول وقل القارئون، والكاتبون لاتجد لهم قارئاً، ولئن وجدت القارىء فقلما تجد الفاهم، والفاهم قد يحمل مايجده على غير مايراد منه لضيق في التصور أو ميل مُع الهوى، فلا يكون منه إلا سوء التأثير... ».

محمد عبده: العروة الوثقى /٥٦.

تجارة الورق

عبد القادر حامد

تقذف المطابع العربية كل يوم أكداساً هائلة من الكتب والدراسات التي تدور حول الإسلام، ولكن هل يجري تقويم ونقد صحيح بعيد عن المجاملة لأكثر ماتقذف به هذه المطابع؟ الجواب: لا.

إننا نرى ــ مع الأسف ــ أن كثيراً من المؤلفين المتطفلين على مهنة العلم والتعلم يحاولون أن يثبتوا قدمهم على هذه الطريق بكثرة ما يطبعون وينشرون لأنفسهم من العناوين، وينسون أو يتناسون مدى حاجة المجتمع لما يسودون من صفحات، ويكون الهدف الأخير هو الربح المادي، وهذه ــ والله ــ أهم آفات العلم التي تفقده الأثر والتأثير.

وكثرة هذه المؤلفات التي لاتنبع من حاجة اجتماعية صحيحة يحدث بلبلة فكرية وفوضى ثقافية إذا أضفنا إليها سهولة استغلال القارىء عن طريق فتنة أخرى هي الأشرطة المسجلة فإننا لانستطيع أن نتنبأ بحدود هذه الفوضى التي لايعلمها إلا الله.

وسبب هذه الفوضى المستشرية هو غياب الحدود المقاييس التي تقاس بها البحوث، وضعف النقد الذي تلجمه اعتبارات كثيرة وتعيقه معوقات المجاملة والخوف وعدم الثقة بالنفس.

لابد من أن يكون للمسلمين مدرسة نقدية لاتخاف ولا تحابي، تصدع بالحق، وتستلهم منه العدة الكافية لمواجهة ماتحفل به ساحة العلم الشرعي في العصر الحديث من غياب المنهج □



العدد التاسع والعشرون : ذو القعدة / ١٤١٠ هـ ــ حزيران (مايو) ١٩٩٠ م

مجلة إسلامية شهرية جامعة
تصدر عن

المنتدى الإسلامي

لندن

رئيس التحرير : محمـــد العبـــدة

المراسلات والاشتراكات
AL-MUNTADA AL-ISLAMI TRUST
7 Bridges Place, Parsons Green
London SW6 4HR U.K.
Tel.: 071-731 8145
Fax.: 071-736 4255

بسم الله الرحمن الرحيم

العلماء : الواقع والمنتظر

إذا تسنى لك أن تستمع إلى حوار دار بين مجموعة من العلماء وحاكم من الحكام فإن ذلك يعتبر فرصة نادرة لأخذ العبرة والدرس، لأن هذين الصنفين من الناس عليهما مدار الأمر في كل مجتمع، إذا صلحا صلح المجتمع، وإذا كانا غير ذلك فعندئذٍ تكون الفوضى هي الصفة الغالبة. بل إذا كانت العلاقة بين هاتين الجهتين علاقة الحب والتراحم والتناصح والتشاور فسوف يقطف المجتمع بأسره ثمرة ذلك.

لقد كان العلماء على امتداد التاريخ الإسلامي هم ضمير الأمة الذين لاتستغني عنهم في ساعات العسرة والأوقات العصبية، ومالمعالم البارزة في هذا التاريخ إلا نتيجة تلاقح بين أفكار العلماء وحكمتهم وبين حزم الحكام وشعورهم بثقل الأمانة التي أسندت إليهم.

إن العلماء يقومون دائماً بدور الطلائع الذين يكتشفون الخطر قبل وقوعه، وينبهون قومهم على المزالق قبل التورط فيها، ولذلك فإذا أردت أن تقيس وعي أمة وقيمتها فانظر إلى علمائها وأثرهم ونظرة المجتمع إليهم.

ومن جهة أخرى؛ فحيثما انتشر الطغيان ــ سواء منه طغيان الفرد وطغيان الجماعة ــ وسادت العقليات التي تضيق بالمسائلة والنصح، وتحكمت العصبيات والأهواء؛ فإنك واجد انحساراً لأثر العلماء، لأنهم أول من يتأثرون بهذه الموجات

التي هي وبال على الأمة، كلها.

وسبب أنهم أول من يتأثر هو أن الشيطان ــ العدو الأول للإنسان والعدو الأول لعنصر الخير فيه ــ أول مايتوجه بكل قوته إلى هذا العنصر من الأمة ليفسده لأنه بفساده يسهل إفساد الأمة، وتعطى الحجة لكل ضعيف النفس خائر العزيمة كي ينطلق ــ مسوقاً بالشبهات والشهوات ــ نحو الفساد والإفساد.

وسبب آخر هو أن أدوات الطغيان والتسلط والعصبيات لاتشعر بالأمن والطمأنينة؛ ولاتطول مدتها إلا في غياب أو (تحييد) هذه العناصر المهمة من المجتمع.

إن مهمة العلماء مهمة صعبة، لأنهم يتصدون لجبهات صعبة، ولايفوزون بالتفاف الجماهير حولهم وبثقتهم بهم إلا بعد انتصارهم على هذه الجبهات التي يتصدون لها، ومن هذه الجبهات: جبهة النفس ومافيها من أهواء وشهوات، وجبهة الإغراءات الخارجية التي تخاطب حظوظ النفس هذه، وجبهة التهديد والتخويف من أجل كتم كلمة الحق؛ أو إضفاء الشرعية على الباطل.

كان لابد لهذه القرون المتطاولة على المسلمين والتي أصابهم فيها ماأصابهم، وحاق بهم ماحاق من الغفلة عن أمور دينهم، والإهمال لأسس التقدم والرقي؛ من أن تترك أثراً في النفوس. ومن أشدماابتلى به المسلمون في عصور انحطاطهم ومايزالون فيه؛ فقدان الحرية، وجهلهم بما يجب لهم من حقوق، ومايجب عليهم من واجبات، حتى كادوا يتحولون إلى جموع كثيفة فاقدة الإحساس بالحياة، لقد تركت هذه البلوى ــ فقدان الحرية ــ في النفوس تردداً وخوفاً، ونكتت في القلوب نُكَت الضعف والانكفاء على الذات والهروب من مواطن الكفاح من أجل خير الجماعة، حتى العلماء الذين من المفترض أن لايخافوا في الله لومة لائم؛ أصبحتَ في كثير من البلاد لاترى فيهم إلا قلوباً منخوبة من الفزع، ونفوساً مسكونة بحب السلامة.

من السلبيات التي تلاحظ ــ إذا مااجتمع جمع من العلماء لأمر ــ الإسهاب في القضايا الفرعية، والخروج عن الموضوع الذي اجتُمِع من

أجله، فلو افترضنا أن المجال أعطي لعدد منهم كي يبدي رأيه في مسألة؛ فإنه لايدخل في الموضوع مباشرة، بل يجول جولة خطابية أو علمية، وقد يذهب بعيداً فيتعب نفسه، ويتعب من يستمع إليه ولايصل إلى النقطة التي طلب منه إبداء الرأي فيها إلا وقد غزا الملل النفوس وأغلق عليها منافذ قبول وجهة نظره حتى لو كانت صحيحة أو قيِّمة، وهكذا لايعطي المجال لغيره إلا بعد أن لايكون قد ترك في نفوس السامعين إلا الضجر، فيأتي الآخر متأثراً بهذا الجو الذي أحس به عندما كان يستمع فيعلن أنه لايريد أن يكون خطيباً ولا واعظاً فالمقام لايسمح ! وماإن يتلفظ بعبارة أو عبارتين حتى ينسى نفسه، وينزلق إلى مثل ماانزلق به الأول، وقد يغرق في قضية أخرى قد تكون من وحي تجاربه الشخصية ويسترسل في الحديث عن نفسه، ثم يمسه طائف من الرحمن فيتذكر فيبدأ بالاعتذار من مدير الجلسة ثم من مساعديه ثم من المستمعين ... ! وقد يقاطَع بأن الوقت لايكفي، فيستمهل حتى يكمل هذه الفكرة الأخيرة، فإما أن تضيع الفكرة الأساسية في هذا الخضم المتلاطم من الكلام المتزاحم؛ وإما أن لايبقى وقت أصلاً لعرضها.

وقد ينبرى آخر للكلام ليسد الخلل ويصلح ماأفسد من سبقه، فيلوي من عنان الإفاضة والاستطراد عن الموضوعات الفرعية، والبطولات الشخصية إلى المدح العريض الذي تعافه النفوس لمسؤول كبير أو صغير.

لقد فكرت في هذه السلبيات وغيرها التي تعتري كثيراً من العلماء عند طرقهم لمسألة من المسائل، أو انتدابهم للإدلاء برأيهم في قضية من القضايا، أمام جهة رسمية أو مسؤول حكومي، وتساءلت بيني وبين نفسي عن أسبابها، ولماذا لايكون هناك التأثير المطلوب لهذه الآراء والانتفاع المنتظر منها. ولا أدعي أنني اهتديت إلى وجه الحق الكامل في ذلك.

١ ــ يغلب على العلماء التفكير الفردي المزاجي، ولايفكرون تفكيراً جماعياً قبل مناقشة الفكرة الأساسية ولذلك يحرص كل واحد على عدم كشف أوراقه، فلا يناقش مع غيره كيف سيطرح فكرته ولا كيف سيناقش أفكار غيره، ويعتد كل بأسلوبه، ويستهين بوجهات نظر الآخرين في طريقته، ويقوم نفسه وقدراته تقديراً مبالغاً فيه، وقد يكون عدم مناقشته ماذا سيقول ويطرح أمام أصحابه

خوفاً من نقدهم وتهرباً من مواجهتهم.

٢ ــ هناك مشكلة أخرى ومرض يصيب بعض العلماء وهو مرض الكلام (إذا صح أن نطلق هذا المصطلح) وهو أن بعضهم لاعتياده مخاطبة الناس يصاب بنوع من الإدمان على ذلك، ومعنى الإدمان هنا أنه يفقد التمييز بين المواقف التي يصلح فيها الاختصار، والمواقف التي يصلح فيها الإطناب والتفصيل، ويظن أنه إذا أسهب مرة أو أثنى الناس عليه فهذه دعوة له ليطنب ويسهب مرات أخرى، مع أنه « لكل مقام مقال ».

٣ ــ أما مشكلة المبالغة في المدح فهذه قد يكون مبعثها الرهبة والخوف من الممدوح، أو رجاء شيء عنده، والمبالغة في المدح تشمل مدح الشخص بما ليس فيه، وهذا أمر خطير، وصدوره من العلماء أخطر لأنه كذب وبهتان، فمن الكذب والبهتان أن يقال لمن لايهتم بكتاب ولا بسنة : أنت ملتزم بالكتاب والسنة، ومن الكذب وشهادة الزور أن يوصف من يسخر من الدين والمتدينين بأنه متدين ! ومن الكذب كذلك أن يوصف حديث شخص يتسم بالمداورة والمناورة بأنه كلام وافٍ شافٍ ليس عليه غبار.

وإن الإنسان ليعجب كثيراً من علماء أمة من عقيدتها أن الخوف والرجاء لايكون إلا لله.ومن هدي رسوله ﷺ قوله: « إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب »[1] ومع ذلك يضطرون إلى هذا الأسلوب، وبعضهم يلجأ إلى تسويغ ذلك بطرق غير مسلّمة فيظنون أن هذا من (الحكمة) حتى يكسبوا الناس ويستميلوهم إلى حظيرة الإسلام، ولكنهم ينسون أن مدح الشخص بما ليس فيه والمبالغة في الثناء عليه لاتستميله، بل قد تبعده، لأنه أعرف بنفسه من غيره فماذا سيكون ظنه بمن يجعله من بقية السلف الصالح وهو عند نفسه من المردة والشياطين؟! أما إذا صدَّق واعتقد أنه كما يقول المادح وهو ليس كذلك فهذا فتنة له، وتغرير به، ومساعدة على هلاكه، لا إنقاذه.

إننا نربأ بالعلماء أن يُختَبَروا فتنكشف منهم نقاط الضعف التي تطمع بهم

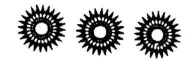
---

١ ــ صحيح مسلم : كتاب الزهد والرقائق ، ح ٦٩ .

من لايريد بهم الخير، ولايريد لرسالتهم في المجتمع أن تُبلَّغ.

ونختم هذه الكلمة بالتذكير بعنصر مهم جداً في بناء الشخصية بعامة، وشخصية العالم بخاصة، وهو الثقة بالنفس التي تنبع من العقيدة التي يؤمن بها ويعمل لأجلها، ومن الحق الذي يمثله في نظر من يلتف حوله، وهذه الثقة هي غير الادعاء الذي يدفع بعض الناس للتطاول واحتقار آراء الآخرين، والاعتقاد بصواب مايأتون به هم فقط وتسفيه ماعداه. ثقة إيجابية تبعث الطمأنينة في النفوس، ولاتبالي بكثير من الرسوم والظواهر التي ينخدع بها السُذَّج والبسطاء.

إن الثقافة العلمانية التي سادت في القرن الأخير عملت على زرع أمراض كثيرة؛ كالتردد، والخوف، واستصغار النفس واحتقارها في نفوس كثير من علماء المسلمين، ومالم تقدم ثقافة قائمة أساساً على نفوس محصنة ضد هذه الأمراض؛ فسوف تظل للعلمانية اليد العليا، وهذا مالا ينبغي في مجتمعات تعتقد أن كلمة الله هي العليا □



آية من كتاب الله

﴿ ولا تقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا ﴾

« نهى جل وعلا في هذه الآية الكريمة عن اتباع الإنسان ماليس به علم، ويشمل ذلك قوله: رأيت؛ ولم ير، وسمعت؛ ولم يسمع، وعلمت؛ ولم يعلم، ويدخل فيه كل قول بلا علم، وقد أشار جل وعلا إلى هذا المعنى في آيات أخر كقوله: ﴿ إن الظن لايغني من الحق شيئاً ﴾.

أخذ بعض أهل العلم من هذه الآية الكريمة منع التقليد، قالوا: لأنه اتباع غير العلم. ولا شك أن التقليد الأعمى الذي ذم الله به الكفار في آيات على منعه، أما استدلال بعض الظاهرية كابن حزم ومن تبعه بهذه الآية على منع الاجتهاد في الشرع مطلقاً، ومنع التقليد من أصله، فهو من وضع القرآن في غير موضعه، لأن مشروعية سؤال الجاهل للعالم وعمله بفتياه أمر معلوم من الدين بالضرورة، ومعلوم أنه كان العامي يسأل بعض أصحاب النبي ﷺ فيفتيه، فيعمل بفتياه، ولم ينكر ذلك أحد من المسلمين، وسنذكر هنا طرفاً قليلاً من ذلك به صحة القول بالاجتهاد والقياس فيما لانص فيه، وأن إلحاق النظير بنظيره المنصوص عليه غير مخالف للشرع الكريم ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ فلا تقل لهما أف ﴾ فإنه لايشك عاقل في أن النهي عن التأفف المنطوق به يدل على النهي عن الضرب المسكوت عنه.

ونهيه ﷺ عن التضحية بالعوراء يدل على النهي عن التضحية بالعمياء مع أن ذلك مسكوت عنه، وقوله تعالى: ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى.. ﴾ لاشك في أنه يدل على منع إحراق مال اليتيم وإغراقه لأن الجميع إتلاف له بغير حق.

ومن الأدلة الدالة على أن إلحاق النظير بنظيره في الشرع جائز، ماأخرجه الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: يارسول الله: إن أمي ماتت وعليها صوم نذر، أفأصوم عنها، قال: « أفرأيت لو كان على أمك دين فقضيته أكان ذلك يؤدى عنها ؟ » قالت : نعم، قال: « فصومي عن أمك » □

الشيخ محمد الأمين الشنقيطي / أضواء البيان ٣ / ٥٢٤



من نـــور النبـــوة

من صفات المؤمن

١ ــ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « المؤمن غِرٌّ كريم، والفاجر خَبٌّ لئيم » (١).

صحيح سنن الترمذي ٢ / ١٨٧

٢ ــ عن ابن مسعود عن النبي ﷺ : « يحرم على النار كل هَيّنٍ ليّنٍ قريب سهل ».

صحيح ابن حبان / ١٠٩٦. الترمذي / ٤٢٨٨

٣ ــ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « المؤمن لا يُلسع من جحر واحد مرتين » وفي رواية : « لايلدغ المؤمن من جحر مرتين » (٢).

أخرجه البخاري ومسلم

---

١ ــ قال صاحب جامع الأصول: الغر: الذي لم يجرب الأمور لسلامة صدره، وحسن الباطن والظن في الناس، فكأنه لم يجرب بواطن الأمور، ولم يطلع على دخائل الصدور، فترى الناس منه في راحة، لايتعدى إليهم منه شر، والخب: الخداع المكّار الخبيث.

٢ ــ قال الخطابي: يُلدغ : بالضم على وجه الخبر ومعناه أن المؤمن هو الكيّس الحازم الذي لايؤتى من جهة الغفلة، والمراد به الخداع في أمر الدين ولا في أمر الدنيا.

أزمة الحوار الديني (*)

مراجعة : محمد سليمان

من الكتب التي أحدثت في الآونة الأخيرة ضجة وردوداً بين صفوف الإسلاميين كتاب الشيخ محمد الغزالي (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث) والجديد في كتاب الغزالي هو أنه خلاصة آراء له كان ينشرها هنا وهناك في كتبه القديمة والحديثة، مع زيادة في حدة اللهجة وعصبية وتشنج ربما كان يكتمه سابقاً.

ولخطورة الآراء التي طرحت، أو بالأصح لخطورة المنهج التي طرحت فيه، فقد رُدّ عليه ردوداً علمية من أبرزها ماكتبه الشيخ سلمان العودة في (حوار هادىء مع الشيخ الغزالي) ونعرض في هذا المقال نقداً آخر يركز على ماوراء هذا الكتاب والجو الذي أحيط به.

قدم الكاتب للموضوع بمدخل مهم جداً، وهو أن (الهمّ الداخلي) أصبح في السنوات الأخيرة أولى من (الوافد الخارجي) فالتيارات العلمانية والقومية شهدت الهزائم التاريخية ولم يبق منهم إلا الفلول، وتحولّ بعضهم لمحاولة التلفيق بين العلمانية والإسلام.

من هنا تبدأ الخطورة، ومن هنا نبدأ بتلمس طرف الخيط كما يقال: « فقد أصبح الداخل الإسلامي خليطاً بفعل توافد جماعات من المفكرين والباحثين ممن

* ــ أزمة الحوار الديني : نقد كتاب (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث). المؤلف: جمال سلطان. الصادر عن مكتبة السنة، توزيع دار الصفا ــ القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ ــ ١٩٩٠ م.

يحملون تراثاً شخصياً علمانياً أو قومياً أو شيوعياً توافدهم إلى الساحة الإسلامية، واتجاههم إلى البحث ومخاطبة الجماهير تحت شعارات الإسلام » (١).

« وهذه النماذج الفكرية التي دلفت إلى (الداخل) الإسلامي، قد نجحت في إحداث بعض التأثير في توجهات وهموم بعض المفكرين والدعاة الإسلاميين » (٢).

« وهذه النماذج لم تدخل عن إيمان راسخ أو إسلام صادق وإنما دخلوا على أساس أن الأرضية التي يمكن أن يكون لهم وجود على أساسها تحولت كلية نحو الإسلام » (٣).

هذه الفلول التي عاشت سابقاً في مناخ التكتيك السياسي رأت أن التحدي الأكبر لهم هو « كيفية إزاحة علماء الأمة ودعاتها ورموزها لكي يتبوؤا هم ريادة العمل الإسلامي، ولأنهم هم الممثلون (للعقلانية) (وللاستنارة) الدينية، وهذا التيار يلقى ترحيباً ودعماً من أجهزة ذات سلطان نافذ ومن تأمل المساحات الإعلامية المتاحة لهم يعلم ذلك » (٤).

وأظن أن القارىء بدأ يدرك من هم المقصودون بهذا الكلام والذين تتاح لهم المساحات الواسعة من الإعلام، ولكن لايزال عند المؤلف أشياء مهمة عن هذه الفلول، ففي سبيل تحقيق أهداف هذه الاتجاهات الجديدة في الفكر الإسلامي لابد من (كاسحات ألغام) تنظف لهم الطريق، فستعترضهم حصون علمية لاقبل لهم بها لضعف مقدرتهم العملية أو لافتقارهم إلى الرصيد الدعوي الجهادي. إذن ماذا يعملون، لابد من إحداث (خرق) في جدران القلعة، ولابد لمن يحدث هذا الخرق أن يكون من الشخصيات ذات الاستقامة الدينية والتراث الدعوي الشخصي.

هذه الشخصيات هي التي يراد توريطها لتقوم بهذه المهمة، وهذا الصنيع

---

١ ــ أزمة الحوار الديني / ٨ .
٢ ــ المصدر السابق / ٩ .
٣ ــ المصدر السابق / ٩ .
٤ ــ المصدر السابق / ١١ ــ ١٢ .

يتم عبر صياغة القضايا الفقهية والفكرية الإسلامية وحصرها ضمن إطار معين، ومن الأمثلة على ذلك « ماحدث في أوائل الثمانينات إذ قامت إحدى المجلات الثقافية الكويتية ذات الطابع العلماني بتنظيم ملف شهري عن (التطرف الديني) كان جل المشاركين فيه ممن يحملون عداوة للفكر الإسلامي، ثم فوجىء القراء المسلمون باسم أحد الدعاة الإسلاميين يتوسط المشاركين في الملف، لم يكن حديث الدكتور يوسف القرضاوي في هذا الملف هُجراً، ولكن المنبر الذي عرض من خلاله والتوقيت الذي صدر به الملف كل ذلك جعل من المقال (ورطة) استدعت من فضيلة الدكتور أن يعتذر عنها فيما بعد » [1] .

إن صاحب فكرة كتاب (السنة النبوية) هو (المعهد العالمي للفكر الإسلامي) في واشنطن، الذي يصفه المؤلف بأنه أحد المؤسسات الإسلامية التي دلف إليها مؤخراً نفر من هذه الفلول الفكرية، فلماذا يوجهون الشيخ الغزالي إلى هذا البحث وهم يعلمون أن الشيخ لايدخل ـــ علمياً ـــ تحت وصف (الفقيه) كما لا يدخل تحت وصف (المحدث).

إن من وجه الدعوة إلى الشيخ في هذه المواضيع إنما كان يبحث عن (كاسحة ألغام) تمهد له الطريق أمام أطروحات أكثر خطورة، وقد صرح الغزالي بأن هذا المنهج ليس منهجه الشخصي بل شيء متفق عليه « وقد تدارست مع أولي الألباب هذا الجو الفكري السائد واتفقت كلمتنا على ضرورة التعامل معه برفق واقتياده إلى الطريق المستقيم بأناة ».

بعد هذا المدخل المهم، الذي نوافق فيه المؤلف على مجمل الصورة التي عرضها وخطورتها، ونعتقد أن الشيخ الغزالي كان عنده الاستعداد لمثل هذه الكتابات ولايخلو الأمر من توريط.

بعد هذا ناقش المؤلف مضمون الكتاب وركز على منهج الغزالي في طرحه للمواضيع التي أثارها:

١ ـــ الفقه: لم يعالج الغزالي القضايا الفقهية بمنطق العلم والدليل وعرض أقوال

---

١ ـــ المصدر السابق / ١٨ .

العلماء واختيار أصحها وأقواها، بل ربما حسب ذوقه الشخصي، فعندما بحث موضوع الفن من موسيقى وغناء ونحت ومسرح ... قال: « ماالمنهج الذي أقدمه لهذه الأوساط الأوربية، هل أطلب إليهم إلغاء الفنون الجميلة جملة وتفصيلاً » ومعلوم أن الفتوى لاتتعلق بأهواء البشر وإنما بمستندها الشرعي، فهل نهدر قيمنا لإرضاء الذوق الغربي! وعندما تكلم على تحريم كل ذي ناب من السباع كما ورد في الحديث. رد هذا الحديث بحجة أن الحديث لاينسخ القرآن، وهذا تجاهل منه لمقررات أصول الفقه، والحديث لم ينسخ آية وإنما نسخ دلالة الآية، وهكذا عالج مسألة (الحجاب والنقاب) فعندما رجح بتقديره أن تغطية الوجه ليست واجبة، لم يحترم الرأي الآخر بل أراد مصادرته وأن من يقول به يسيء للإسلام. هذا الاستخفاف بالقضايا الفقهية و (الزي الإسلامي) شجع أمثال أحمد بهاء الدين على توبيخ المسلمين لأنهم يبحثون: هل الربا حرام أم حلال بينما الأمريكيون يتابعون رحلات الفضاء!!

٢ ــ ولعل أخطر مافي كتاب الغزالي هو تناوله للحديث النبوي بصورة تفتح الباب على مصراعيه للتجرؤ على السنة، فقد استبعد أحاديث لمجرد أنه لايستسيغها، ودون أي قاعدة علمية، ولو كان الأمر إليه لحذف كثيراً من الأحاديث، وهكذا رد حديث موسى عليه السلام مع ملك الموت، وحديث: أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه، وحديث : تحريم كل ذي ناب من السباع... الخ، بل وصل الأمر إلى الاستهزاء عندما قال: « كان أئمة الفقه الإسلامي يقررون الأحكام وفق اجتهاد رحب يعتمد على القرآن أولاً فإذا وجدوا في ركام (!) المرويات مايتسق معه قبلوه، وإلا فالقرآن أولى بالاتباع » فانظر إلى تعبير (ركام المرويات) وهل هذا مما يليق بالحديث عن أشرف المرسلين.

٣ ــ يلاحظ أن الغزالي حريص على إبراز الإسلام أمام الغرب والشرق، وهذا

الحرص سبب له مزالق تهدر به القواعد العلمية.

ففي معرض تعليق الغزالي على منع شهادة المرأة في القصاص والحدود قال: « ولست أحب أن أوهن ديني أمام القوانين العالمية بموقف لا يستند استناداً قوياً إلى النصوص القاطعة » إن من الخطورة بمكان أن يُدخل عالم مسلم مايسميه (القوانين العالمية) في موازناته الشرعية، وإلا فسيجر البحث عن ميراث المرأة، وشهادة المرأة..

٤ ـــ عامل الشيخ أبناء الصحوة الإسلامية الذين قال أنه سيقتادهم برفق! عاملهم بقسوة واستخفاف، وهذا ليس من المنهج القرآني في شيء ﴿ أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾.

وأخيراً فإن كتاب (أزمة الحوار الديني) على صغر حجمه إلا أنه عالج بصدق منهج الغزالي في التفكير وطريقة تناوله للموضوعات التي أثارها، والأهم من هذا هو اكتشافه التيار الذي يكمن وراء هذه الاطروحات، وأما معالجة القضايا التي طرحها الغزالي، فلاشك أنها تحتاج إلى كتابات مستقلة يوضح فيها منهج أهل السنة في ذلك، وهو نفسه منهج الفقهاء والمحدثين، ولانفرق بينهما كما فعل الغزالي □.



توجيهات تربوية

صالح بن عبد الله الدرويش

إن الحمد لله، نحمده ونستعين به ونعوذ به من سيئات أعمالنا وبعد: فإن الخير في هذه الأمة باق إلى قيام الساعة مهما ادلهمت الفتن وانفض الأعوان عن الطائفة المنصورة، ومن بشارات الخير عودة الناس ورجوعهم إلى ربهم سبحانه وتعالى، والمناداة بالرجوع إلى هدي الرسول ﷺ والعمل على ذلك.

ومع بروز الصحوة الإسلامية واستبشار المسلمين بها إلا أنه لايغني عن دراسة الواقع لتقييم الخلل والسعي لإكمال النقص، من غير نقد للأشخاص أو تشهير بالجماعات والأفراد، بل التمسك بالحق وحده.

صور من الميدان العملي:

الدارس لميدان الدعوة العملي يجد قضايا كثيرة تحتاج إلى بيان، ونقف اليوم مع إحدى تلك القضايا ألا وهي تأثير صغار الشباب على زملائهم، وذلك لانشغال غيرهم بالمؤتمرات وبحوثها، والتأليف في مواضيع مكررة غالباً مع حرصهم على نشرها، ناهيك عن مشاغل الحياة وفتور الهمم، وحصل من هذا أن تولى تربية الشباب أمثالهم، فهم الذين يقومون بالتوجيه والإرشاد، بل وتقويم الكتب والرجال والمدارس الدعوية، لذا لابد من تدارك الأمر بمشاركة طلبة العلم الشباب ومصاحبتهم والكتابة لهم بما ينير الطريق أمامهم.

الوقفة الأولى: الجانب التعبدي :

تسمع مايعجبك من أن العبادة اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وأنه لاعون للمسلمين إلا بصدق الالتجاء إلى الله.. وإذا نظرت في مصداق ذلك من خلال الواقع العملي تجد التفريط بالواجبات المكتوبة، وفعل المحرمات، ومن الأمثلة:

أ ـــ التهاون بأداء الصلاة مع الجماعة، لاسيما الفجر، وقد يؤديها المصلي بعد شروق الشمس.

ب ـــ عقوق الوالدين وإهمال حقوقهما وكذا سائر من تجب صلته.

ج ـــ موالاة الكفار وعدم التفريق بين المسلم وغيره في التعامل، ومحبة أهل البدع وتأييدهم.

د ـــ التهاون بالذنوب عامة والإصرار عليها كأكل الربا، والمال الحرام، والخلوة بالأجنبية.. وغير ذلك مما حرمه الله، وهذه المظاهر ينبغي دراستها والنظر في أسبابها وكيفية التخلص منها وعلاج الواقع، ولاسيما أن الدارس يجد الأمثلة الحية التي لاتحصى والتي تؤكد وجود النقص بل الخلل لدى قطاعات كبيرة من المجتمعات الإسلامية التي لاحرج من الجزم بأنها تعيش على عقيدة الإرجاء، لذا لابد من إعادة النظر في المناهج التربوية التي يسير عليها الدعاة وينبغي بذل كل مافي الوسع لغرس عقيدة الخوف من الله سبحانه وتعالى ومراقبته في النشء وتربية الشباب على الرغبة فيما عند الله من الأجر والثواب. وغرس هذه العقيدة في النفوس يحتاج إلى زمن وتضافر جهود، والمهم السير في الطريق.

وثمار تأصيل هذه العقيدة لاتحصى، ويكفي أن عامة المشاكل المستعصية في الساحة الإسلامية بسبب ضعف الخوف من الله سبحانه ومراقبته.

الوقفة الثانية: الجانب العلمي:

يمكن رصد مايلي بوضوح وبلا مشقة على مستوى العالم الإسلامي، وإن كان الوضع في بعض المناطق الإسلامية يبشر بخير والحديث هنا عن الشباب عامة والمنتسبين لطلب العلم منهم خاصة ويلاحظ:

١ ـــ قلة الاهتمام بالدراسات الشرعية الجادة،ة الإنتاج التجاري كثير

ولكن الدراسات العميقة الأصيلة قليلة، والأهم من ذلك أنك لاتجد مناهج للبحث.

٢ ــ التساهل في تلقي المعلومات وعدم البحث والتدقيق والنظر للعمل بالراجح وتغليب الخمول والتقليد، والاعتماد على السماع في عامة المسائل الفقهية ونحوها، ويبرر الشباب وضعهم بأنه لاحرج من الاستفتاء وأن حملة الفقه كثيرون، وهذا العذر مقبول من غير المتخصصين في الشريعة، ولكن المصيبة حاصلة في قضايا الفكر المعاصر، وبالتحديد في فقه الدعوة وفقه الواقع واتخاذ المواقف والقرارات في الأحداث المستجدة على الساحة الإسلامية فتجد الانغلاق الفكري وعدم السماع إلا من أفراد معدودين ولو كانوا باعتراف أتباعهم جهلة في العلم الشرعي، فيتساهل الشباب في قبول الفتاوى من أي جهة، وفي أي نازلة.

٣ ــ يحرص بعض الدعاة على التقليل من أهمية العلم والعلماء وفهم من لايتورع من نقد العلماء وإبعاد الشباب عنهم، فهذه مصيبة والحديث عنها يطول وأختصره بإيراد قصة وسؤال.

أما الحادثة فقد وقعت في إحدى المناسبات ففي تجمع شبابي، قدمت قصص فيها لمز بالعلماء وبعدها جرى نقاش في الموضوع وخلاصته: هل يوجد في هذه الدولة علماء، وأجمع من حضر أنه لايوجد ومع هذا تجد النقد المؤلم يوجه للعلماء، والسؤال: أيهما أهم تعلم العلم الشرعي أو سائر العلوم الأخرى في حالة قلة الدارسين للعلم الشرعي من الدعاة، ولكي يتضح المراد نضعه بالصيغة التالية:

تنبيهات لابد منها :

١ ــ إشعار الشباب بحاجة المجتمع عامة والدعوة خاصة إلى العلماء الربانيين، وأن الأمة عامة، والصحوة الإسلامية خاصة تعاني أشد المعاناة من قلة هؤلاء.

٢ ــ حث الشباب على طلب العلم وترغيبهم بذلك وتشجيعهم بالقول والعمل، لعل الله سبحانه وتعالى يخرج من بينهم علماء عاملين، ومعلوم أنه في كل فن يقوم بدراسته والتخصص فيه آلاف الأشخاص، ولا ينبغ منهم إلا النادر

وكذلك في الشريعة الإسلامية فالشباب بأمس الحاجة إلى من يفقه الواقع ويتمكن من العلم الشرعي وأصوله ويتحلى بالورع والحكمة.

٣ ـــ الحذر من تقليل شأن العلم الشرعي، والابتعاد عن نقد العلماء لكي يستفيد الشباب من علمهم والدراسة عليهم، وهذا لايمنع من بيان نقاط الضعف عندهم أو التحذير من أخطائهم.

٤ ـــ لابد من بيان المنهج السليم لطالب العلم الشرعي للشباب وتشجيعهم على سلوكه لأنه منهج السلف الصالح، فعلى المربين الاهتمام والنظر في ميول الشباب ورغباتهم وتوجيههم لطلب العلم.

الوقفة الثالثة: الوعي السياسي:

هذا الباب يدخل في فقه الواقع، ورحم الله ابن القيم حيث جعل فقه الواقع يقابل الفقه الشرعي وشطره، بل ذهب الإمام القرافي رحمه الله إلى أبعد من ذلك حين بين الفرق بين أدلة الأحكام وأدلة وقوع الأحكام وخرج بأن وقوع الأحكام أوسع ويحتاجها القاضي والمفتي وغيرهم، فلا يمكن إيقاع الحكم على حادثة معينة إلا بعد معرفة أدلة وقوعها ومايتعلق بها.

إن الدارس لواقع الشباب يجد اهتماماتهم جيدة في متابعة أخطاء وزلات غيرهم، ويعتقد البعض أن تتبع العثرات هو قمة الوعي السياسي والحقيقة أن هذه نظرة سطحية وتظهر فيها الضحالة لفقه الواقع والشرع، ومن سلبياتها التربوية مايلي:

أ ـــ تعويد الشباب على الغيبة وذكر الشائعات وعدم التثبت من صحة الأخبار وبالتالي يصبح الشباب نقلة أخبار.

ب ـــ فيه استهلاك للجهد والوقت وخاصة أن بعضهم يعتقد أن متابعة هذه الأخبار ونشرها عين الدعوة، وأنهم بهذا العمل يخدمون الإسلام بينما العمل الإسلامي بحاجة إلى العمل ومواصلة التربية الإيمانية دون القيل والقال.

ج ـــ زعم كثير منهم أنه بتلك المتابعة أصبح من علماء السياسة مع جهله بصحة الأخبار وعدم قدرته على تحليلها وإدراك أبعادها، لذا يرى من هذا وصفه أنه ليس بحاجة إلى غيره لفهم الواقع وأن قراراته وأحكامه

هي الصحيحة.

ضرورة شرعية لابد منها

لابد من ربط الشباب بعقيدة الولاء والبراء والتأكيد على التعامل مع الناس من خلال تلك العقيدة فإن الدارس لعقيدة الولاء والبراء يتعامل مع أقاربه وجيرانه وسائر المجتمع من خلالها، فلا تنحصر المحبة لمن يوافقه في أفكاره وآرائه بل المحبة لسائر المؤمنين من أقاربه وجيرانه وسائر الأمة.

وينبغي تنبيه الشباب على حفظ ألسنتهم وأسماعهم من الغيبة والقيل والقال ولا رادع عن ذلك إلا بالخوف من الله سبحانه وتعالى ومراقبته عز وجل وإذا جاء النقد من خلال الدراسات (وثائق وحقائق وأرقام) فهذا مطلب شرعي ولا حرج فيه.

الوقفة الرابعة:

يزداد يوماً بعد يوم عدد الشباب الذين من الله عليهم بالتمسك بتعاليم الإسلام، ولكن آثارهم في الواقع الاجتماعي أقل من حجمهم، وكسب الواقع اجتماعياً وجعله واقعاً إسلامياً من مهام الداعية الأساسية، وخاصة في المدن الصغيرة والقرى والأرياف وذلك بالقيام بتطبيق تعاليم الإسلام وبذل مزيد من الجهد والعمل الإيجابي الجاد ليكون لهم دور قيادي وفعال في مجتمعاتهم والمصالح المترتبة على ذلك كثيرة، وهنا لابد من ذكر بعض الملاحظات:

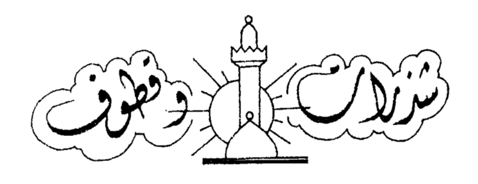
أ ــ لايمكن أن يكون للداعية ولاسيما الشباب قيمة في المجتمع وله قبول ومحبة لدى العامة من غير عمل إيجابي للعامة، يُحمد عليه، والأعمال ولله الحمد متنوعة ومنها اليسير السهل ومن قام به نال الأجر والثواب، ومن الأمثلة التي يغفل عنها مع أهميتها: صلة الرحم وزيارة الجيران والمناصحة، وتولي إمامة المسجد، وكذا الأذان والخطابة.

ب ــ ينبغي أن يكون للشباب تواجد في المشاريع الخيرية التي

تخدم البلد والمساهمة في ذلك قدر الطاقة فإذا لم يكن ثمة مشاريع قائمة فعلى الشباب السعي والبدء بها، لأن المشاركة في المشاريع الخيرية العامة تساهم في توثيق الصلة بين الشباب وغيرهم من أعيان ووجهاء البلد وبالتالي إزالة الفجوة فيما بينهم.

ج ــ ضرورة مخالفة الشباب للعادات المحرمة شرعاً وبيان سبب مخالفتهم لها، والسعي لأن يفعل غيرهم فعلهم، وكذلك امتثال الأوامر الشرعية وإحياء السنن، وحث غيرهم على ذلك ومتى كسب الشباب ثقة المجتمع سهل عليهم القيام بالمهمة الشاقة وهي مخالفة العادات ومحاربة البدع والمنكرات وإحياء السنن والعمل بها والله الموفق □



إعداد : نجوى محمد الدمياطي

أركان التوحيد

الرضى بالله رباً : أن لايتخذ رباً غير الله تعالى يسكن إلى تدبيره، وينزل به حوائجه، قال الله تعالى: ﴿ قل أغير الله أبغي رباً، وهو رب كل شيء ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : « سيداً وإلهاً » يعني فكيف أطلب رباً غيره وهو رب كل شيء؟ وقال في أول السورة : ﴿ قل أغير الله أتخذ ولياً ؟ فاطر السموات والأرض » يعني معبوداً وناصراً ومعيناً وملجأ . وهو من الموالاه التي تتضمن الحب والطاعة. وقال في وسطها : ﴿ أفغير الله أبتغي حكماً ؟ وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً ﴾ أي أفغير الله أبتغي من يحكم بيني وبينكم، فنتحاكم إليه فيما اختلفنا فيه؟ وهذا كتابه سيد الحكام فكيف نتحاكم إلى غير كتابه؟ وقد أنزله مفصلاً، مبيناً كافياً شافياً..

... وكثير من الناس يرضى بالله رباً، ولايبغي رباً سواه، لكنه لايرضى به وحده ولياً وناصراً، بل يوالي من دونه أولياء، ظناً منه أنهم يقربونه إلى الله، وأن موالاتهم كموالاة خواص الملك وهذا عين الشرك...

العدد : ٢٩ ـــ ذو القعدة / ١٤١٠ هـ ـــ ٦ / ١٩٩٠ م

... وكثير من الناس يبتغي غيره حكماً، يتحاكم إليه، ويخاصم إليه، ويرضى بحكمه... وهذه المقدمات الثلاث هي أركان التوحيد: أن لايتخذ سواه رباً، ولا إلهاً، ولاغيره حكماً.

ابن القيم الجوزية : مدارج السالكين ١٨٩/٢

قاعدة الدعوة

إن نظام الله خير في ذاته، لأنه من شرع الله.. ولن يكون شرع العبيد يوماً كشرع الله.. ولكن هذه ليست قاعدة الدعوة، إن قاعدة الدعوة أن قبول شرع الله وحده أياً كان، ورفض كل شرع غيره أياً كان، هو ذاته الإسلام، وليس للإسلام مدلول سواه.

سيد قطب ــ معالم في الطريق

توجيه طاقة المسلم

نحن بحاجة إلى إعادة تنظيم طاقة المسلم الحيوية، وتوجيهها، وأول مايصادفنا في هذا السبيل هو أنه يجب تنظيم تعليم « القرآن » بحيث « يوحي »

من جديد إلى الضمير المسلم « الحقيقة » القرآنية، كما لو كانت جديدة، نازلة من فورها من السماء على هذا الضمير...

وثاني مايصادفنا هو أنه يجب تحديد رسالة المسلم في العالم. فبهذا يستطيع المسلم منذ البداية أن يحتفظ باستقلاله الأخلاقي، حتى لو عاش في مجتمع لايتفق مع مثله الأعلى ومبادئه، كما أنه يستطيع أن يواجه ــ رغم فقره أو ثرائه ــ مسئولياته مهما يكن قدر الظروف الخارجية الأخلاقية والمادية.

مالك بن نبي ــ ميلاد مجتمع

سبيل المجرمين

حتى يظهر الحق فلابد أن يستبين الباطل.. وطالما أن الباطل متخف وراء شعارات وأسماء فلن يكون الحق ناصعاً ــ إلا لمن عصم الله ــ .

فإظهار عوار المبطلين وجهل الجاهلين وألاعيب المزيفين هو ظفر في حد ذاته لدين الله تعالى، وقد قال عز وجل ﴿ ولتستبين سبيل المجرمين ﴾ ، فاستبانة سبيل المجرمين هدف بذاته مطلوب بنص كتاب الله تعالى ــ وهو هدف أسمى.

محمد العبدة

مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم



من سنن الأنبياء

الأخذ بالأسباب المادية

في غمرة الاندفاع العاطفي، وزحمة الأحداث والقراءات السطحية، يتناسى المسلمون، أو قد يجهلون سنن التغيير التي أودعها الله سبحانه وتعالى في كتابه أو أجراها على لسان نبيه ﷺ، بل إن بعض هذه السنن قد يعرفها الناس بالتجربة الطويلة والخبرات المتراكمة المتأملة، ومن هذه السنن أن الدعوات الصادقة إذا أريد لها النجاح لابد لها من قوى تؤيدها وتنصرها، قوى من التكتل الجماهيري الذي يلتف حول هدف واضح محدد. أو « بمصطلح ابن خلدون» لابد من (العصبية) التي تعني الالتحام والتعاضد والتناصر لتحقيق هدف معين، وليس المعنى المذموم لكلمة (عصبية)، وإذا كان التكتل سابقاً يعتمد على القبائل والعشائر، فإنه في العصر الحديث يعتمد على جميع شرائح المجتمع، الذين يلتفون حول علماء ــ فقهاء، يعلمون بفقههم وتفكيرهم سنن التغيير وتحويل المجتمعات والتأثير فيها، وخاصة مانحن فيه من تعقيدات هذا العصر.

هذه القوة والمنعة هي التي افتقدها نبي الله لوط عليه السلام حين قال: ﴿ .. لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد ﴾ [هود/٨٠] فقال رسول الله ﷺ: « رحم الله لوطاً كان يأوي إلى ركن شديد، ومابعث الله بعده نبياً

إلا وهو في ثروة من قومه »(١) .

ويقول الإمام الجويني: « ومابتعث الله نبياً في الأمم السالفة حتى أيده وعضده بسلطان ذي عدة ونجدة، ومن الرسل عليهم السلام من اجتمعت له النبوة والأيد والقوة كداود وموسى وسليمان صلوات الله عليهم أجمعين » (٢). فإذا كان الأنبياء يؤيدون (بثروة من قومهم) وهي القوة والمنعة في العدد والعدة، وهم مع ذلك مؤيدون بالمعجزات وخوارق العادات، فكيف بغيرهم الذين يرومون التغيير بالعشرات أو المئات، ويقولون نحن نتوكل على الله. لاشك أن المسلم يطلب العون من الله ويتوكل عليه، والله سبحانه وعد بنصر المسلمين، ولكن لابد من الأخذ بالأسباب الشرعية، ومن أهمها تجميع القوى التي تناصر وتعاضد.

هل درسنا هذا الموضوع بعمق وأناة أم أن مقولة (نعمل والنتائج على الله) لاتزال هي الشائعة والأكثر قبولاً ورواجاً، مع أنها ظاهرياً صحيحة فهي كلمة حق تستخدم في غير محلها، فالقول بأننا نعمل يجب أن يمحص، إذ ماأدراك أن عملك صواب، قد أخذت فيه بالأسباب؟ نعم إذا بذل الجهد الصحيح فالنتائج على الله، أما أن يُعمل أي عمل ثم يقال (النتائج على الله) فهذا ضرب من حب السهولة، وحتى نستريح نفسياً من اللوم والتقريع، وحتى لاننقد أنفسنا، حتى لو فرضنا أنه توفر عنصر الإخلاص في هذا العمل، فهذا لايكفي إذ لابد من معرفة سنن الله في التغيير □





١ ـــ صحيح الجامع الصغير ٣ / ١٧٦ . وقال عنه حديث حسن .
٢ ـــ غياث الأمم / ١٨٢ .

الطبقة الخامسة من الصحابة
في كتاب
الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد
« عرض وتحليل »
ــ ٢ ــ

د. محمد بن صامل السلمي

دراسة تحليلية للطبقة الخامسة من الصحابة :

خصص المؤلف هذه الطبقة للذين كانوا أحداث الأسنان يوم قبض النبي ﷺ، ولم يغز أحد منهم معه، وقد حفظ عامتهم ماحدثوا به عنه، ومنهم من لم يحفظ ماحدث به عنه، ولكن أدركه ورآه. فهذا شرطه في من يذكره في هذه الطبقة ويعتبره منهم، فلننظر هل وفى بهذا الشرط؟ وهل استقصى كل من ينطبق عليهم هذا الشرط فذكرهم؟

لقد ترجم لستة وأربعين رجلاً في هذه الطبقة، منهم عشرة من بني هاشم، ورجلان من بني أسد، وثلاثة من بني زهرة، وستة من بني مخزوم، وتسعة من بقية قريش وحلفائهم، وسبعة من الأنصار، وخمسة من سائر القبائل، وأربعة من أبناء اليهود الذين أسلموا، وكلهم ينطبق عليهم شرطه إلا ثلاثة:

١ ــ عبد الله بن الزبير بن عبد

المطلب، ذكر أن عمره يوم مات النبي ﷺ نحواً من ثلاثين سنة، وقتل مجاهداً في أجنادين سنة ثلاث عشرة، فإذا كان هذه عمره يوم مات النبي، فكيف يكون من أحداث الأسنان؟ ولعل قائلاً يقول: إنه نص على أنه لم يغز مع النبي ﷺ وهذا من شرطه. ولكن ليس كل من لم يغز مع النبي ﷺ يدخله في هذه الطبقة وإن كان كبيراً في السن.

٢ ـــ ثابت بن الضحاك بن خليفة بن ثعلبة بن عدي بن كعب الأشهلي. فإنه قد وهم في اعتباره من هذه الطبقة بسبب التشابه بين اسمه واسم صحابي آخر هو ثابت بن الضحاك بن أمية بن ثعلبة الخزرجي، والأول أوسي، ولعل الخزرجي هو مراد ابن سعد فإنه هو الذي ينطبق عليه شرطه في هذه الطبقة أما الأوسي فإنه ممن شهد الحديبية.

٣ ـــ عبد الله بن صياد، وأمره مشكل، واختلف فيه هل هو الدجال الأكبر أم غيره؟ وجزم كثير من أهل العلم بأنه دجال من الدجاجلة.

وقد عرض عليه النبي ﷺ الإسلام فلم يقبل، وكونه أسلم وصلح حاله بعد ذلك، لايكون مسوغاً لإدخاله في الصحابة، لأنه لم يؤمن بالنبي ﷺ حال لقياه له، ولكن ابن سعد لم ينفرد باعتباره من الصحابة، بل ذكره غيره ممن ألف في الصحابة.

وبالنسبة للسؤال الثاني الذي طرحناه، هل استقصى كل من انطبق عليه شرطه في هذه الطبقة، والجواب: أنه لم يشترط الإحاطة والاستيعاب، فإذا وجد من هذا حاله ولم يذكره فلا يؤاخذ عليه. وإن ممن يمكن اعتباره في هذه الطبقة، النعمان ابن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، فإنه في سن عبد الله بن الزبير أو قريباً منه، ولم يغز مع النبي ﷺ، وهو ممن روى عن النبي ﷺ وحفظ عنه، وأحاديثه كثيرة مشهورة، قال الذهبي: هو من الصحابة الصبيان باتفاق (١).

وكذا يزيد بن الأسود بن سلمة بن حجر الكندي، فقد نص ابن حجر في الاصابة على أنه من الصحابة الصغار (٢)، ولم يترجمه ابن سعد في هذه الطبقة ولا غيرها إلا أنه ذكره

١ ـــ سير أعلام النبلاء : ٣ / ٤١١.

٢ ـــ الإصابة : ٦ / ٣٤٨ .

عندما ترجم لوالده في الطبقة الرابعة وقال: إنه وفد على النبي ﷺ مع والده وهو صغير فدعا له [1].

وفي ترتيبه للأسماء داخل الطبقة، التزم بالترتيب على النسب كما فعل في الطبقات السابقة إلا في أشياء يسيرة، فقد ذكر عبد الرحمن بن أبزى مولى خزاعة، بعد السائب بن يزيد الكندي، وكان حقه أن يذكر بعد نافع بن عبد الحارث الخزاعي ـــ حسب المنهج الذي سار عليه في الطبقات السابقة بذكر مولى القوم وحليفهم معهم. ومن ذلك ذكره عبد الله بن ثعلبة بن صغير، حليف بني زهرة وعبد الله بن عامر بن ربيعة، مولى الخطاب بن نفيل، بعد مولى خزاعة وكان حقهما أن يذكرا ضمن حلفاء قريش ومواليهم وأيضاً بالنسبة للأنصار فإنه لم يفصل الأوس عن الخزرج بل ذكر الأسماء مختلطة.

وقد ذكرنا من الظواهر العامة في منهجه، أنه يطيل في بعض التراجم ويختصر في أخرى، وهذا بين في هذه الطبقة، فإن أربعة منهم [2] قد شغلوا أربعاً وعشرين ومائة لوحة من المخطوطة، وبقية التراجم وعددها اثنتان وأربعون ترجمة كانت في إحدى وأربعين لوحة فقط. وبالنسبة للروايات والأسانيد، فقد بلغت في هذه الطبقة خمس عشرة وسبعمائة رواية. منها اثنتان وسبعون وخمسمائة رواية في تراجم الأربعة المذكورين، وثلاث وأربعون ومائة رواية في بقية التراجم.

ولو بحثنا عن سبب ذلك لوجدنا أن أهمية المترجم، وتوفر المعلومات لدى المصنف لها نصيب في هذا، فهؤلاء الأربعة كان لهم اسهامات علمية، ومشاركات سياسية، ولهم منزلة قيادية في توجيه المجتمع والتأثير عليه.

ولـذا اعتنـى بتتبـع أخبارهـم وفضائلهم، وحياتهم الاجتماعيـة، والسلوكية، ومواقفهم السياسية، وقد وجد مادة علمية تساعده على بناء الترجمة وصياغة تاريخها.

فمثلاً في ترجمة عبد الله بن عباس، بعد أن ساق نسبه وذكر أولاده، ساق سبع روايات تتعلق بتحديد زمن ولادته، ثم سبع عشرة

١ ـــ الطبقات: ٧ / ق ٢٠٣.

٢ ـــ هم ابن عباس، والحسن، والحسين، وعبد الله بن الزبير.

رواية عن دعاء النبي ﷺ له، ورؤيته لجبريل، ثم ركز على فضائله العلمية، وتقدمه في ذلك حتى صار إماماً يستفتى في كثير من العلوم الشرعية والعربية، وذكر ملازمته لعمر بن الخطاب، وعلاقته مع عثمان بن عفان وأنه استخلفه على الحج عندما حُصر، ثم وقوفه مع علي بن أبي طالب بالمشورة والعمل له، ومحاجته للخوارج، ثم موقفه من خلافة يزيد، ومن عبد الله بن الزبير، ثم ذكر ثلاثين رواية تتعلق بهيئته الشخصية مثل خاتمه، ولباسه، وعمامته، وإزاره، وشعره، وخضاب لحيته... الخ. ثم ذكر أكثر من عشر روايات تتعلق بوفاته وثناء المعاصرين له عليه.

والمعلومات التي قدمها عن ابن عباس معلومات أولية قيمة موثقة بالإسناد حفظها ابن سعد في هذا الكتاب الذي يعتبر من أقدم المصادر التي وصلت إلينا عن تاريخ الصدر الأول من الصحابة والتابعين، وبعملية إحصائية نجد أنه قدم هذه المعلومات من خلال إحدى وأربعين ومائة رواية بلغت الأسانيد الصحيحة أو الحسنة ستة وخمسين سنداً، والأسانيد الضعيفة اثنين وسبعين سنداً، والأسانيد الضعيفة جداً ثمانية أسانيد، والأسانيد المتوقف في الحكم عليها خمسة أسانيد، وبلغ عدد المتون التي وردت من طرق أخرى صحيحة أو حسنة ثلاثة وخمسين سنداً، وبذلك يرتفع عدد المتون الصحيحة إلى تسعة ومائة متن، أي بنسبة ٧٧٪ بالنظر إلى عدد المرويات، وهذه نسبة عالية إذا قورنت مع كتب التراجم والأخبار المماثلة.

وفي ترجمة الحسن والحسين، قدم معلومات وافية عن تسميتهما وحلق شعورهما والعقيقة عنهما، وفضائلهما، وحياتهما الاجتماعية، ومواقفهما السياسية وأطال في قصة خروج الحسين إلى العراق ومقتله، ووصف ذلك وصفاً دقيقاً متتابعاً، وأورد من التفاصيل الدقيقة عن لحظة مقتله مايثير الشك في صدق تلك التفاصيل، ومقدرة الرواية في ذلك الزمن على حفظ هذه المعلومات الدقيقة ونقلها، وقد أورد خبر المقتل بأسانيد مجموعة كلها ضعيفة من طريق الواقدي عن شيوخه، والمدائني عن شيوخه ثم كمل ذلك بروايات مفردة من طريق المدائني ومن طريق الواقدي ومن طريق شيوخ آخرين،

وبلغ عدد الروايات المفردة خمساً وأربعين رواية والذي صرح إسناده منها ثمان روايات فقط، مما يدل على مبلغ التزيد والوضع في هذه القضية، التي كانت فرصة جيدة للمذهب الشيعي في الدعاية له والاجتماع حول مبادئه، واستغلال عواطف الناس ومشاعرهم بهذه القضية المؤثرة، والمتابع لنشأة التشيع وتطوره، يجد أنه قد دخل في طورٍ وتحولٍ فكري جديد بعد حادثة مقتل الحسين، وأنه اتخذ هذه الحادثة معلماً من المعالم المتجددة في كل عام، ومأتماً يظهرون به الجزع والحزن لإثارة العامة وكسب مشاعرها.

وهذا القسم يشكل جزءاً مستقلاً، عنونه بقوله: مقتل الحسين صلوات الله عليه وفي آخره قال: آخر مقتل الحسين بن علي رحمه الله.

أما ترجمة ابن الزبير فقد شغلت إحدى وثلاثين لوحة ذات وجهين من المخطوطة، استوعب فيها نواحي متعددة من حياة عبد الله بن الزبير، عن ولادته ونشأته، وأولاده، وفضائله، ومشاركته في الحياة العامة، وزهده وعبادته وموقفه من الأحداث في عصره، وموقفه من بيعة يزيد بن معاوية، ثم مبايعته بالخلافة بعد موت يزيد، والأحداث التي تمت في خلافته، مثل بناء الكعبة، وثورة التوابين ومقتل المختار، ومعركة مرج راهط، وانتزاع عبد الملك بن مروان العراق، ومقتل مصعب بن الزبير، ويختم الترجمة بوصف مقتله والأحداث التي صاحبت ذلك، ويصف الساعات الأخيرة وصفاً تسجيلياً دقيقاً، وقد يكون فيها مبالغة ولكن رواته هنا أمثل قليلاً من رواته في مقتل الحسين رضي الله عنه، ولبعض ماذكره بإسناده الجمعي في مقتل ابن الزبير شواهد صحيحة، وقد اشتملت الترجمة على مائة رواية، عن تسعة وعشرين شيخاً، والراوية الأساسي فيها هو الواقدي، حيث تشكل نسبة الرواية عنه ٣٩٪ من عدد المرويات، ومنها خمس روايات طويلة وبأسانيد مجموعة تمثل الجانب التاريخي من حياة ابن الزبير، وتمثل ٥٠٪ من النصوص الواردة في ترجمته مما يمكن معه القول بأن حوالي ٧٥٪ من ترجمة ابن الزبير هي من طريق الواقدي، ولذلك فإن نسبة النصوص الصحيحة فيها أقل مما في ترجمة ابن عباس، إذ تبلغ نسبتها قريباً

من ٥٢٪ من عدد المرويات.

وفي ترجمة المسور وهو ممن عاش مع ابن الزبير وناصره، نجده يقدم ترجمته من خلال سبع وثلاثين رواية منها ست وعشرون رواية من طريق الواقدي وهي تشكل ٧٠٪ من عدد المرويات، وعدد المتون الصحيحة في الترجمة بمثل ٣٨٪ وهي نسبة قليلة، ولكن إذا أخذنا في الاعتبار النصوص التاريخية التي يرويها الواقدي من طرق عبد الله بن جعفر عن عمته أم بكر بنت المسور فإن النسبة ترتفع إلى ٧٥٪.

بينما نجد ترجمة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وهي تأتي بعد ترجمة المسور في الطول ــ وهو حجازي عاش بالمدينة ــ لاتمثل روايات الواقدي فيها سوى ٣٤٫٥٪ بالنسبة لعدد المرويات البالغ ثلاثاً وعشرين رواية، ونسبة المتون الصحيحة فيها ٥٦٫٥٪.

وفي ترجمة الضحاك بن قيس الفهري يورد المؤلف سبع روايات، واحدة عن عفان بن مسلم، واثنتان عن الواقدي، وأربع روايات عن المدائني، منها رواية بأسانيد مجموعة، وفيها تفصيل لموقعة مرج راهط ومقتل الضحاك، وهي طويلة إذ تشكل حوالي ٧٠٪ من كامل الترجمة.

أما بقية التراجم فهي قصيرة ورواياتها قليلة.

ولو تتبعنا المعلومات والنصوص المتعلقة بالأحداث التاريخية والتي أوردها المصنف من خلال تراجم هذه الطبقة وحاولنا تحليلها ونقدها لوجدناها تعطي صوراً متباينة، وتعكس وجهات نظر متعددة، لايمكن تصنيفها في اتجاه واحد، مما يعطي صورة واضحة عن مدى أمانة المصنف واستقامته، وحرصه على عرض النصوص كما بلغته دون أن يتدخل في توجيه النصوص وفرض رأي محدد على القارىء، لقد تعمد أن يترك له الحكم عل الروايات من خلال المصادر، ومعرفة عدالة الرواة وجرحهم واتجاهاتهم الفكرية، وقد أسهم في بيان شيء من هذا في تراجم غير الصحابة رضي الله عنهم.

وذكر نصوصاً مضيئة في ترجمة الحسن بن علي ورغبته في جمع الأمة، وإيقاف القتال، وأن ذلك لم يكن عن عجز منه، وإنما تحققت فيه

نبؤة النبي ﷺ: «إن ابني هذا سيد وعسى الله أن يصلح به، وفي رواية على يده، بين فئتين من المسلمين عظيمتين» ، فكان أول مابايع أهل العراق بعد مقتل علي، أنه اشترط عليهم أن يدخلوا فيما دخل فيه، ويرضوا بما رضي به [1]، ثم خطبهم وقال في خطبته: وإني والله ماأحببت أن ألي من أمر أمة محمد مايزن مثقال حبة من خردل يهراق فيه محجمة من دم، قد علمت مايضرني مما ينفعني [2]، وقال في موطن آخر: كانت جماجم العرب بيدي يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت فتركتها ابتغاء وجه الله [3] ، وقال في الخطبة التي تنازل فيها لمعاوية: إني كنت أكره الناس لأول هذا الحديث، وأنا أصلحت آخره، لذي حق أديت إليه حقه أحق به مني، أو حق جدت به لصلاح أمة محمد[4]. وقال في موضع آخر: ولكني خشيت أن يأتي يوم القيامة سبعون ألفاً وثمانون ألفاً أو أكثر من ذلك أو أقل كلهم تنضح أوداجهم دماً، كلهم يستعدي الله فيم أهريق دمه [5].

فهذه النصوص الصحيحة تبين بجلاء موقف الحسن من النزاع في أمر الخلافة، وحرصه على حقن الدماء، وجمع كلمة الأمة، واطراح المصلحة الخاصة في سبيل المصلحة العامة.

وقد تعرض لذكر الأحداث الكبيرة المثيرة التي مرت بها الأمة، مثل مقتل الحسين رضي الله عنه، والحرة، وحريق الكعبة، ومرج راهط، وثورة المختار بن أبي عبيد ثم مقتله، ومقتل مصعب بن الزبير، وحصار مكة الثاني والقتال في الحرم، ومقل ابن الزبير.

وأورد الأخبار عن هذه الأحداث بأسانيد مجموعة، ويكملها بأسانيد مفردة، والأسانيد المجموعة من ناحية درجتها حسب أصول الصناعة الحديثية، إما ضعيفة، أو ضعيفة جداً، أو موضوعة.

أما الأسانيد المفردة ففيها الصحيح والحسن وفيها الضعيف والضعيف جداً، أما متون هذه الأخبار، ففيها الصحيح، والمشهور

١ ــ قد بينا والحمد لله درجة الأسانيد التي رويت بها هذه القضايا، وخرجنا النصوص من المصادر الحديثية والتاريخية وعلقنا على كل قضية في تحقيقنا لهذا الجزء من طبقات ابن سعد.

الذي له شواهد تعضده وتقويه، وفيها مايقارب الواقع ولا يستنكر، وفيها مافي ألفاظه نكارة، وفيها ماتظهر عليه لوائح الوضع والكذب.

وكل واحدة من هذه القضايا (1) تحتاج إلى دراسة مستقلة، تجمع فيها الروايات على سبيل الحصر والاستقصاء لكافة المصادر وبحسب تنوعها، ثم تحقق وفق الأصول العلمية، ليعرف الصواب من الزائف، والحق من الباطل، وذلك يحتاج إلى جهد كبير ودراية علمية، وخبرة واسعة بمصادر التراث الإسلامي، وهذا ينطبق على كافة القضايا في التاريخ الإسلامي، إذ كثير من الباحثين المعاصرين يكتبون في هذه القضايا وهم لايملكون الدراية العلمية بمناهج علمائنا السابقين، فتأتي أبحاثهم ناقصة، وأحكامهم ضعيفة ومستعجلة، وغير محيطة بالقضية من كافة جوانبها، ومما ينبغي التنبيه عليه في هذا المقام أن الاستقامة الفكرية على الاعتقاد الصحيح ومنهاج أهل السنة والجماعة، من أكبر العوامل لإصابة الحق، وتوفر الاتزان العلمي في البحث، وذلك أن التلوث بشيء من الانحرافات الفكرية المعاصرة، أو الاتجاهات البدعية التي ظهرت على امتداد التاريخ الإسلامي، لايوفر لصاحبه الاتزان العلمي المطلوب في بحث القضايا، وإنما يسوقه هواه، وانحرافه وبدعته، إلى تبني أحكام مسبقة، ثم يلتقط من الأدلة مايؤيدها ويقررها ويترك ماعداها □



1 ــ قد بينا والحمد لله درجة الأسانيد التي رويت بها هذه القضايا، وخرجنا النصوص من المصادر الحديثية والتاريخية وعلقنا على كل قضية في تحقيقنا لهذا الجزء من طبقات ابن سعد.

اختيارات فقهية

صرف الزكاة لشراء كتب العلم

قال ابن تيمية: « ومن ليس معه مايشتري كتباً يشتغل فيها، يجوز له الأخذ من الزكاة مايشتري به مايحتاج إليه من كتب العلم الذي لابد لمصلحة دينه ودنياه منه ».

مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ١٦/٢

الذهاب إلى الأسواق والمنتزهات

« ليس للإنسان أن يحضر الأماكن التي يشهد فيها المنكرات ولا يمكنه الإنكار، إلا لموجب شرعي: مثل أن يكون هناك أمر يحتاج إليه لمصلحة دينه أو دنياه لابد فيه من حضوره أو مكرهاً، فأما حضوره لمجرد الفرجة وإحضار امرأته تشاهد ذلك، فهذا مما يقدح في عدالته ومروءته إذا أصر عليه والله أعلم ».

ابن تيمية : الفتاوى ٢٨ / ٢٣٩

شرح حديث : أنت ومالُك لأبيك

عن عائشة رضي الله عنها : « أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ يخاصمُ أباه

في دَيْنٍ عليه، فقال نبي الله ﷺ : « أنت ومالك لأبيك » [صحيح ابن حبان ١ / ٣١٦].

قال ابن حبان: معناه أنه ﷺ زجر عن معاملته أباه بما يعامل به الأجنبيين، وأمر ببره والرفق به في القول والفعل إلى أن يصل إلى ماله فقال له: أنت ومالك لأبيك، لا أن مال الابن يملكه الأب في حياته عن غير طيب نفسي من الابن به.

القيام والتقبيل

سئل الإمام مالك رحمه الله: « قيل: فالرجل يقوم للرجل له الفقه والفضل فيجلسه في مجلسه ؟ قال: يكره ذلك ولابأس أن يوسع له.

وسئل عن الرجل يقبل يد الوالي أو رأسه ، قال : ليس ذلك من عمل الناس (عمل أهل المدينة) وهو من عمل الأعاجم.

أبو زيد القيرواني : الجامع / ١٩٧

القيام وإصلاح ذات البين

« ولم تكن عادة السلف على عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين أن يعتادوا القيام لما يرونه عليه السلام كما يفعله كثير من الناس، فكانوا إذا رأوه لم يقوموا له، كما يعلمون من كراهته لذلك ... وأما القيام لمن يقدم من سفر ونحو ذلك تلقياً له فحسن »

« وإذا كان من عادة الناس إكرام الجائي بالقيام ولو ترك لاعتقد أن ذلك لترك حقه أو قصد خفضه، ولم يعلم العادة الموافقة للسنة، فالأصلح أن يقام له لأن ذلك أصلح لذات البين، وإزالة التباغض والشحناء ».

ابن تيمية / الفتاوى / ٣٧٤

معن بن عدي الانصاري

معالي عبد الحميد حمودة

عندما نستعرض تاريخ الصحابة الأماجد عليهم من الله سحائب الرحمة والرضوان نجد تاريخاً عظيماً لأبطال عمالقة، ومن هؤلاء معن بن عدي بن عجلان الأنصاري، وهو صحابي مجاهد، كان رجلاً مثقفاً في جاهليته، يجيد الكتابة بالعربية، وكان من يكتب حينئذ في العرب تتجه إليه الأنظار بكل الاهتمام والتقدير.

انطلق معن بن عدي وكان مثقفاً متعلماً، فأسرع للإسلام والإيمان برسالة المصطفى ﷺ، ولذلك كان أحد السبعين البواسل الذين سبقوا إلى الاستجابة في بيعة العقبة الأخيرة.

وتمت الهجرة النبوية، وآخى رسول الله ﷺ بين معن بن عدي وزيد بن الخطاب شقيق عمر رضي الله عنهما، والغريب أن هذين المتآخيين في الله تآخيا كذلك في ميدان الجهاد في سبيل الله تعالى، وتآخيا كذلك لنيل الشهادة معاً في معركة واحدة، هي موقعة اليمامة فمضيا أخوين إلى عالم البقاء.

معن يشارك في هدم مسجد الفتنة :

حرص معن بن عدي رضي الله عنه على مواقف الفداء والوفاء لكلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله، فشهد غزوات بدر، وأحد، والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، لكن في غزوة تبوك قام المنافقون بالإقدام على عمل غاية في الخطر، من شأنه تفريق كلمة المسلمين وتشتيت وحدتهم فبنوا « مسجد

الضرار » ليكون مكاناً تحاك فيه المؤامرات ضد الإسلام والمسلمين.

هذا التصرف الذي صوره القرآن الكريم في سورة التوبة: ﴿ والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون ﴾ [التوبة/١٠٧].

اختار رسول الله ﷺ ثلاثة رجال، وأمرهم بالتوجه إلى ذلك المسجد وهدمه وإحراقه، انطلق الرجال وكانوا: مالك بن الدخشم، ومعن بن عدي، وشقيقه: عاصم بن عدي، وأنجزوا المهمة على خير وجه، حرصاً على كلمة الإسلام ووحدة المسلمين، ومنعاً من انتشار الفتنة.

معن بعد وفاة النبي ﷺ :

تتجلى معادن الرجال في المواقف التي تتطلب الرجولة والسيطرة، ولا يعرف تاريخ الإسلام كله موقفاً في منتهى الخطورة مثلما حدث عند وفاة النبي ﷺ، هذا الموقف الذي لولا عناية الله تعالى بدينه، ماكان للإسلام بقية.

انتقل النبي ﷺ إلى جوار ربه الكريم، وأخذ المسلمون يبكون وهم يقولون: (والله لوددنا أنا متنا قبله، نخشى أن نفتن بعده)، وبكل الثبات والرجولة والإيمان العميق الكامل، يقف معن بن عدي رضي الله عنه كما جاء في « الطبقات الكبرى » لابن سعد ويقول: « وإني والله ماأحب أني مت قبله حتى أصدقه ميتاً كما صدقته حياً ». هذه العبارة رغم أنها توضح عدم استخفاف معن بن عدي بالمصيبة الكبرى في فقد النبي ﷺ، إلا أنها تشير إلى وجوب الثبات على الإسلام وعلى متابعة النبي ﷺ سواء أكان حاضراً أم كان غائباً.

ولذلك نرى معن بن عدي يحرص على ألا تكون هناك فتنة بسبب اختيار

خليفة للرسول ﷺ، وعندما رأى بعض التعدد في الآراء في اختيار الخليفة، سارع مع الصحابي: عويم بن ساعدة، إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وجعل يقول له مع صاحبه: (إنه باب فتنة... نرجو أن يغلقه الله بك).

معن شهيداً في سبيل الله :

لكل إنسان أجل لايتقدم ولا يتأخر لحظة أو ثانية واحدة... وظل الصحابي المجاهد النبيل يجاهد في كل موقع، ويحافظ على وحدة المسلمين، ويحارب تفرقهم إلى أن حانت اللحظة الأخيرة المجيدة.

كانت هذه اللحظة يوم موقعة اليمامة، إذ خرج الأخوان المجاهدان معن ابن عدي، وزيد بن الخطاب رضي الله عنهما، وكانت الفتنة يومها ضارية، إذ انتشرت الردة هناك بقيادة (مسيلمة بن حبيب) مسيلمة الكذاب انتشاراً خطيراً...

تقدم معن بن عدي وزيد بن الخطاب ومعهما أبطال الإسلام، كان هدف الجميع وضع حد نهائي لهذه الفتنة مهما كان الثمن، وحمل زيد الراية، وهتف معن بالمسلمين ليثبتوا ويتقدموا، وظل البطلان يتقدمان ويجاهدان حتى حققا مع إخوانهما النصر المبين.

وكان للنصر ثمن كبير هو الشهادة في سبيل الله. وسقط معن بن عدي مع زيد بن الخطاب... فرضوان الله تعالى عليهم أجمعين □

ركائز الدعوة الى الله

موزة بنت محمد

الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى واجب على كل مسلم ومسلمة كل حسب طاقته وقدرته، وظروفه، قال تعالى: ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعن وسبحان الله ومأأنا من المشركين ﴾ [يوسف/١٠٨].

والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم الجاهل ووعظ الغافل ومجادلة الفاسق والكافر هي سبب خيرية هذه الأمة، وقد هيأ الله سبحانه برحمة منه وفضل لهذه الأمة علماء فضلاء كان لهم دور كبير في هذه الصحوة المباركة، فأثمرت دعوتهم هذه الجموع من الشباب المستقيم على دين الله في حماسة وقوة واندفاع والذين أصبح الكثير منهم اليوم دعاة إلى الله ورسوله وصراطه المستقيم كأنهم النجوم الزاهرة تهدي بإذن الله من يشاء... فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

ولكن هناك بعض الأخطاء لابد من ذكرها، فقد تجد الشاب يستمع لبعض الدروس أو يقرأ في كتاب أو يجالس مجموعة فيتأثر بها ثم يصبح بين عشية وضحاها داعية متأثراً بفكر هذا الشخص أو ذاك أو هذه المجموعة أو تلك وباندفاع الشباب وحماسته يصبح داعية لهذه الجماعة مهاجماً لغيرها مبتعداً عن منهج الله في الدعوة إليه، ولا يخفي مالهذه الفرقة بين جماعة المسلمين من أضرار

جسام على الدعوة وعلى الأمة بوجه عام، ومافيها من مخالفة للصراط المستقيم وأوامر الله سبحانه حيث يقول: ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ [الأنفال/٨].

ومن باب حب الله ورسوله ودينه وأمته، والنصيحة لهم كان لابد من التواصي بالحق بين المؤمنين. وأحببت التواصي مع أمل كل مؤمن وكل غيور على هذه الأمة.. مع الدعاة.

المنهج في الدعوة إلى الله :

يقول الله سبحانه: ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ [فصلت/٣٣]، فهذه الآية العظيمة من كتاب الله العظيم تبين أن ركائز وأساسيات الدعوة إلى الله ثلاث وهي:

أ ــ الدعوة إلى الله وحده.

ب ــ العمل الصالح.

ج ــ الولاء للإسلام.

أ ــ الدعوة إلى الله وحده: لاشريك له، فيكون هدف الداعية هو مرضاة الله سبحانه ونيل الأجر والمثوبة منه وحده وليس للأغراض الدنيوية مكان في نفسه فهو لايدعو من أجل ربح مادي ولا سمعة ولا رياء، ولا من أجل جماعة أو دولة أو غير ذلك، وعليه فلابد من اتباع ماأمر الله به، وعلى من يريد ارتياد طريق الدعوة أن يتزود بأمور:

أولها : الإيمان بالله وحده لاشريك له، الإيمان الصادق الحي ومايتضمن من رقة القلب وتقوى الله ورجاء في ثوابه، وخوفاً من عقابه، يقول الله سبحانه: ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾ [البقرة/١٩٧]. ورقة القلب والتقوى نعمة من الله وهي لاتأتي بسهولة بل بمجاهدة للنفس، ومن أحسن مايعين عليها ــ بعد عون الله تعالى ــ قراءة القرآن بتمعن وتدبر والتفكير في سنن الله وملكوته والإكثار من النوافل، والتقرب إلى الله بالطاعات وبالبعد عن المعاصي، والدعاء

في كل وقت، وخاصة في جوف الليل بأن ييسرها الله سبحانه ويعين عليها.

وطريق الدعوة شاق وصعب ويحتاج الداعية فيه لقوة كبيرة على التحمل والمتابعة، وهذه القوة مستمدة من الإيمان والارتباط بالله سبحانه واتخاذه وكيلاً وعدم الغفلة عن ذكره، وقد أوصى الله سبحانه نبيه محمداً ﷺ إمام الدعاة وقدوتهم الحسنة بذلك في خواتيم سورة الأعراف، فبعد أن بين جوانب من طريق الدعوة قال: ﴿ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون، واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولاتكن من الغافلين ﴾.

ومن نتائج الإيمان الصادق تطهير النفس من كل رذيلة كما يقول الإمام ابن قدامة المقدسي رحمه الله في كتابه (مختصر منهاج القاصدين):

« وإياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك، واشتغل بإصلاح باطنك، وتطهيره من الصفات الذميمة كالحرص والحسد والرياء والعجب قبل إصلاح ظاهرك... فإن مهلك نفسه في طلب صلاح غيره سفيه، ومثله مثل من دخلت العقارب تحت ثيابه وهو يذب الذباب عن غيره ».

ثانيها : العلم النافع المستمد من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ: يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين في رسالة (زاد الداعية إلى الله عز وجل):

« وأول مايتزود به الداعية إلى الله عز وجل أن يكون على علم مستمد من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ الصحيحة المقبولة، وأما الدعوة بدون علم فإنها دعوة على جهل والدعوة على جهل ضررها أكبر من نفعها لأن هذا الداعية قد نصب نفسه موجهاً ومرشداً فإذا كان جاهلاً فإنه بذلك يكون ضالاً مضلاً والعياذ بالله ».

ويظهر أثر هذا الإيمان وهذا العلم على المؤمن بالسكينة والوقار والخشوع والتواضع وحب الناس وتمني الخير لهم والعطف عليهم، والنصح لهم في غير فظاظة ولا تجريح ولا تشهير، ويظهر البشاشة في وجهه ويحفظ لسانه، ويراعي الله سبحانه ويتقيه في كل قول وفعل، فهو يتمثل صفات عباد الرحمن كما وصفهم ربهم.

ب ـ **العمل الصالح** : يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر »:

« العمل الصالح الذي أمر الله به ورسوله هو الطاعة فكل طاعة عمل صالح، وهو العمل المشروع المسنون، لأنه هو المأمور به أمر إيجاب أو استحباب، فهو العمل الصالح وهو الحسن وهو البر وهو الخير وضده المعصية والعمل الفاسد والسيئة، والفجور، والظلم والبغي ».

كما يجب أن يكون عمل الداعية مطابقاً لقوله ويكون هو بتصرفاته وأخلاقه، وأعماله قدوة لمن يدعوهم لما يدعوهم إليه من اتباع للصراط المستقيم فهو بكل مايقوم به من قول أو فعل مثال للمؤمن الصالح المتبع لدينه وهدي نبيه عليه الصلاة والسلام فلا يدعو لصلاة الجماعة ويتخلف عنها، ولا يدعو لإصلاح السريرة وقلبه مليء بالحقد والحسد، ولا يدعو الناس لترك الغيبة والنميمة ثم يأتيها هو وكذا باقي الأعمال.

والعمل الصالح والإيمان مترابطان تمام الارتباط فكلاهما مؤثر ومتأثر بالآخر. ومن العمل الصالح المطلوب من الداعية هو الدعوة على بصيرة يقول الله سبحانه: ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله ومأأنا من المشركين ﴾ [يوسف/١٠٨].

ويذكر فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين: أن البصيرة في ثلاثة أمور: هي بصيرة فيما يدعو إليه وهي العلم بالكتاب والسنة، وبصيرة في حال المدعو، وبصيرة في كيفية الدعوة.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: « ولا يكون عمله صالحاً إن لم يكن بعلم وفقه.. فلابد من العلم بالمعروف والمنكر والتمييز بينهما، ولابد من العلم بحال المأمور وحال المنهي ».

ولابد في ذلك من الرفق، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ﴾ [آل عمران/١٥٩]، ويقول الرسول ﷺ: « ماكان

الرفق في شيء إلا زانه، ولا كان العنف في شيء إلا شانه » [رواه مسلم].

ومما لاشك فيه أن الدعوة إلى الله من أشرف المهام التي يقوم بها الناس وأصعبها ولابد أن يواجه الداعية من الأذى والآلام الشيء الكثير لذا وجب عليه التحلي بالحلم والصبر، يقول ابن تيمية رحمه الله: « ولابد أيضاً أن يكون حليماً، صبوراً على الأذى فإنه لابد أن يحصل له أذى، فإن لم يحلم ويصبر يفسد أكثر مما يصلح، كما قال لقمان لابنه: « وأمر بالمعروف وانه عن المنكر، واصبر على ماأصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴾ ».

ويقول سبحانه: ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين، ولا تستوي الحسنة ولا السيئة، ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم، ومايلقاها إلا الذين صبوا ومايلقاها إلا ذو حظ عظيم، وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم ﴾ [فصلت/٣٣ ــ ٣٦].

ومما جاء في تفسير هذه الآيات (١): أن الله سبحانه يثني على الداعية ويخبر عنه أنه هو في نفسه مهتد بما يقوله، فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد وليس من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه، وينهون عن المنكر ويأتونه بل يأتمر بالخير، ويترك الشر يدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى. كما تبين في أسلوب الدعوة والحث على الحلم والصبر فيقول أن هناك فرق كبير بين الحسنة والسيئة، ولذا ادفع من أساء إليك بالإحسان إليه فإنك إن أحسنت إلى من أساء إليك قادته تلك الحسنة إلى مصافاتك حتى يصير كأنه ولي حميم، وبالطبع ليس هذا بالأمر الهين الميسر لكثير من الناس ولكن مايلقاها إلا ذو نصيب وافر من السعادة لأنه صبر على الأذى في سبيل الله فهو سعيد في الدنيا والآخرة.

ولأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ولأنه توعد بأن يضل كل من يستطيع إضلاله من بني آدم وخاصة من يسير منهم على الصراط المستقيم فقد يحس الإنسان بنزغ ووسوسة من الشيطان وعندها يبين الله سبحانه العلاج

---

١ ــ تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، محمد نسيب الرفاعي.

ألا وهو الاستعانة بالله إنه هو السميع العليم. وجدير بالذكر أن هذا النزغ والوسوسة تأخذ صوراً شتى منها الكبر وغمط الناس ومنها العجب ومنها الحسد ومنها حب الظهور والسمعة ومنها الغلو والبدع وغيرها كثير لمن تفكر...

ج ــ **الولاء للإسلام** : ﴿ وقال إنني من المسلمين ﴾ فانتماؤه للإسلام ودعوته للإسلام واعتزازه بالإسلام فقال إنني من المسلمين ولم يقل إنني من هذه الجماعة أو تلك وليس في قلبه ولاء لغير الله ورسوله ودينه الذين ارتضى بل يؤكد قولاً وفعلاً أنه من المسلمين.

وبعد : إذا اجتمع في الداعية إيمان صادق وإخلاص لله وعلم نافع وعمل صالح وولاء لله وحده فلابد أن يكون قوله هو أحسن الأقوال وحاله أحسن الأحوال، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم □



إليك زميلتي...

أروى إبراهيم عباس

أختي المسلمة : أيتها الطالبة الفاضلة ... أيتها الأخت المربية... أيتها الأم الحاضنة؛ أنت معهد الرجال، ومنبت الأبطال، وأم العظماء، ومدرسة القادة الأفذاذ.. أنت مفخرة الزمان وأساس البناء ونواة المجتمع.

أنت زميلتي أمل الأمة؛ بصلاحك يصلح المجتمع بأسره وتسعد الأجيال قاطبة، وبانحرافك ـــ لاسمح الله ـــ ينهار كيان الأمة ويتحصم بنيانها، فأنت صلب البناء الذي تقوم عليه أعمدة الخير، وأنت في الوقت ذاته العقبة التي تتحطم عليها الآمال العظام متى حادت عن الطريق.

فلتعلمي أيتها الطفلة وأنت ترفلين في ثوب البراءة.. وأنت أيتها البنت وأنت تحلمين بعش العفاف والطهر والنقاء، وأنت أيتها الزوجة كلما شغلت فكرك تفكرين في سعادة فلذات كبدك ومستقبلهم... لتعلمي زميلتي الطالبة وأنت تسهرين الليالي في طلب العلم ابتغاء وجه الله والدار الآخرة.. لتعلمي أختي المسلمة وأنت تسعدين بأي مرحلة من مراحل العمر وتعبرين أي طريق من طرق السعادة والعيش في هذه الحياة، أنك تعيشين في غربة عز فيها الحق، وندر فيها سالكوه وفشا فيها الجهل والفجور وكثرت فيها طرق الغواية، وتنوعت سبل الضلال وقل الخير والصلاح.

نعم ـــ ياعزيزتي ـــ إنك تعيشين في عالم لايأبه بك، ولا يحترم لك قدراً، ولايقيم لك وزناً، ولا يعرف لك فضيلة، وليته يتركك وشأنك فيكفيك حينئذ رصيد الفطرة ليقودك إلى الحق وإلى طريق مستقيم، بل ليعاديك أشد العداء ويضللك من خلال جميع المنافذ والمسالك والثغرات وعبر كل قناة من قنوات الشر والفساد.

إنه ينصب شراكه ويرسل أعوانه وشياطينه لملاحقتك في كل مكان ليدعوك باسم الحرية التي أصبحت المرأة الغربية تئن من جمرها وقد رأت بعينيها بريقها الزائف وقناعها المزور.

إنهم ينادونك اليوم ـــ كما نادوها بالأمس ـــ ينادونك بأسماء زائفة وألقاب طنانة وتساعدهم على ذلك وسائل الإعلام المختلفة التي يمسكون بخطامها ويوجهونها حيث شاءوا.. إنهم يهتفون لك ويلوحون: بالموضة .. بالأزياء.. بالفرنجة.. بالتحرر.. بالحب.. بالجمال.. بالفن.. بالزينة.. بكل مايغري الأنوثة من أسماء وكلمات وكلها شراك خبيثة ومصائد تفتك بعفتك وتخدش حياءك وتنال من كرامتك وتدنس عرضك وشرفك وتقتل مروءتك وتزعزع عقيدتك ثم ترمي بك في أوحال الرذيلة ومستنقعات الجريمة وهوة الدمار.

فاستيقظي ـــ أختي المسلمة ـــ وكوني على حذر، فلا تخدعنك سموم هذه الألقاب الجوفاء والأسماء اللامعة والشهرة المصطنعة، فقد تندمين ولات ساعة مندم، وتصرخين فلا تجدين من يمد لك يد المساعدة.

مجلات الفن والتمثيل والمسرح.. المجلات الهابطة الخليعة التي تستعرض فيها زينات النساء وتزين أغلفتها بصور العاهرات المائلات المميلات.. ماذا تريد منك؟ وماذا يريد منك أصحابها ومحرروها؟ هل يريدون مصلحتك؟ هل يريدون تعليمك الأخلاق القويمة والآداب الحسنة؟ هل يريدون إرشادك إلى الحق؟ هل يريدون صيانتك والمحافظة على دينك واستقامتك عليه؟ هل يريدون أن يذكروك بقول الحق جل ذكره: ﴿ ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ﴾؟! كلا وربي.

منظر ذلك العملاق الضخم ذي العضلات المشدودة والسروال الذي

قد يغطي سوءته أو شيئاً منها وبقية عورته مكشوفة لناظريك تمتلىء به عينك العفيفة الطاهرة الشريفة، وهو يصارع مثيله في حلبة الشر وميدان الفجور على اقرار وإعجاب شديدين من آلاف المشاهدين. ماذا تريدين أن يترك في نفسك من أثر ـــ وإن كان حياؤك أمام الناس ليمنعك من مشاهدة الشيخ العفيف الوقور المستتر السائر إلى بيت من بيوت الله؟!.

صوت الأغنية الفاجرة في شريط الكاسيت، ومايصاحب ذلك من سم زعاف وآهات كاذبة تريد أن تغزو قلبك العامر بذكر الله لتملأه قيحاً وصديداً، هلا استبدلت بها ذكر الله وتلاوة القرآن الذي فيه شفاءٌ ورحمة للمؤمنين.

كلمات القصة الغرامية التي يكتبها القلم الفاسد الخبيث أو المستأجر الماكر وتنشرها وتوزعها دور النشر الماسونية الكافرة أو أعوانها من الدور التجارية الجشعة المغفلة والتـي تسوقك حبكتها الفنيـة الفاجـرة وأدوارها الماكرة إلى سوق الفتنة والبغـاء فتـأسر فكـرك وتشوه عقيدتك.. هذه القصة وأمثالها ماذا تجنين من ورائها من خير؟!.

ألا تسألين نفسك هذه الأسئلة وتحاسبينها اليوم قبل أن يأتي يوم لاينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً..

هلا تعودين إلى رشدك وتعزمين على الحياة في ظلال القرآن والسنة تنهلين من معينهما العذب وترشفين من رحيقهما الصافي وتكونين قرة عين لأهلك وقدوة خير لزميلاتك..

هلا تسارعين إلى حديقة الإيمان وتتوجهين إلى محرابك لتؤدي فريضة الصلاة كلما نادى المنادي قائلاً: الله أكبر لتكون لك نوراً وبرهاناً يوم القيامة وليثبتك الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

هلا تعزمين العزم الأكيد على مقاطعة الأفلام الفاجرة والشرائط المحرمة والمجلات المضللة وأماكن السوء والفجور وخليلات العشق والسفور لتكوني عوناً على قيادة اخواتك إلى بر الأمان.

هذا ماأرجو والله يوفقكن وإياي إلى مافيه الخير والصلاح □



وأثاره على الفم والأسنان والعين

د . خالد الموسى

ينتج عن تدخين السجائر أو الغليون أو مضغ أوراق التبغ :

١ ــ في الأسنان واللثة:
ــ اصطباغ وتلوث الأسنان واللثة.
ــ ضعف وتشقق وتآكل الطبقات الحامية للأسنان (المينا).
ــ التهاب اللثة وتقيحها، ونزفها.

٢ ــ في الجوف الفمي والبلعومي:
ــ البَخَر ورائحة الفم النتنة الكريهة التي تفوح من المدخنين.
ــ بقع ملونة تظهر على الشفة واللثة واللسان والأسنان وباطن الفم.
ــ التهابات الأغشية المخاطية للفم والبلعوم نتيجة ضعف مقاومتها تجاه الجراثيم.
ــ والعوامل المرضية حيث إن التدخين يشل وظيفتها الدفاعية بما تفرزه

من مواد مخاطية حاوية على مواد مطهرة وقاتلة للعضويات الممرضة بواسطة المواد الحالة الخمائرية كالليزونيمات وغيرها.

ــ سرطان الفم والبلعوم.. وغالباً مايسبق بظهور الطلاوة البيضاء والتي تعتبر مرحلة سابقة للسرطان.

٣ ــ في الشفة:

ــ التهاب الصوار وتشقق الشفة: وذلك نتيجة التأثير المخرس الموضعي ونتيجة العوز الفيتاميني المرافق أحياناً وخاصة عوز فيتامين ب ٢.

ــ الطلاوة البيضاء على الشفة وباطن الخد واللسان وهي مقدمة ومهيئة لحدوث السرطان في مكان ظهورها.

٤ ــ في اللسان:

ــ التشققات والتقرحات على اللسان.

ــ التهاب الحلميات الذوقية المزمن.. وبالتالي فقد الذوق ونقص الشهية.

ــ اتساخ اللسان وثخانته وترسب طبقات كثيفة مع نمو العضويات الممرضة بسهولة كالمبيضات البيض وبعض الجراثيم.

ــ الطلاوة البيضاء.

٥ ــ في أمراض الغدد اللعابية :

ــ يؤثر التدخين على الغدد اللعابية بنقص إفرازها من اللعاب بتأثير النيكوتين وبتأثير موضعي مما يؤدي لالتهابها وربما انسدادها وبالتالي قد تتشكل حصيات فيها. وإن نقص إفراز اللعاب يزيد جفاف الفم وتشققه وتأثره. وانتشار الرائحة النتنة (البخر) من الفم.

٦ ــ التدخين والعين:

إن تأثير نفث السجاير يخرش العين والأجفان مما يؤدي إلى:

ــ التهاب أطراف الأجفان وبالتالي تساقط الأهداب وتعرض العين للغبار والعوامل الممرضة، إضافة لزوال جمالها الطبيعي وتشوه الأجفان المرافق.

ــ التهابات وخراجات الغدد الدمعية، والشعرة الجفنية العينية.

ــ التهاب ملتحمة العين التحسسي الأرجي ومايسببه من ألم واحتقان واضرار بالعين.

ــ التأثيرات غير المباشرة على العين وذلك نتيجة مايحدثه التدخين من تصلب الشرايين والخثرات مما يمهد لحدوث نثرات الوريد الشبكي العيني وتصلب شرايين العين □



محمد فرحان محمد

أعتقد أن لفظ رجل في القرآن لم يأت هكذا، ولكنه أتى وصحبه موقف.. والرجل كل الرجل لابد أن يكون صاحب موقف.. ويأتي على رأس الرجال أصحاب المواقف.. الأنبياء والمرسلون والأمثلون من الصالحين والمصلحين.. وإليكم بعض الأمثلة:

١ ـ مؤمن آل فرعون :

﴿ وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم. إن الله لايهدي من هو مسرف كذاب ﴾ [غافر/٢٨].

انظر إلى هذا الرجل .. الذي وقف كالجبل وأظهر إيمانه في وقت كان لابد وأن يظهر ويقف أمام طاغية ومدعٍ للربوبية وتسانده حاشية سوء، ثم يقوم الرجل بتذكير قومه ويخوفهم من بأس الله ويدعوهم إلى الله وإلى الإيمان به سبحانه وتعالى ولكنهم يدعونه إلى الكفر والإشراك بالله.. ويدعوهم إلى الجنة والمغفرة ويدعونه إلى النار وبئس المصير.. ويتكرر هذا الموقف في كل عصر وأمام كل

طاغية .

٢ ــ قال ﷺ: «لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير ذلك الأمير ونعم الجيش ذلك الجيش».

سمع الطفل محمد الفاتح هذا الحديث وكبر في ذهنه حتى إذا بلغ الـ ١٧ ربيعاً حان الوقت الذي يحقق فيه حلم المسلمين وتحقيق حديث رسول الله، وكان .. لقد حاول المسلمون منذ القرن الأول فتح القسطنطينية مرات عديدة، وقد قتل الصحابي أبو أيوب الأنصاري تحت أسوارها.

وادخر فتحها لهذا السلطان العثماني الذي كان نعم الأمير وجيشه نعم الجيش.

٣ ــ طفل الحجارة في فلسطين المحتلة :

ذلك العملاق هو رجل بحق لأنه الوحيد الذي عرف الطريق لتحرير المسرى والأرض من النهر إلى البحر، ذلك الطفل الذي تربى على فائدة القرآن الكريم داخل المساجد الذي يريد أن يحقق ماجاء في سورة الأسراء من وعد بالنصر.. حتى يقول الحجر والشجر يامسلم ياعبد الله هذا يهودي خلفي تعالَ فاقتله. ذلكم الطفل هو أفضل من الذين يجاهدون بالخطب في هيئة الأمم والمحافل التي تضيع الوقت وتدعي أنها سوف تقاتل إسرائيل بالسلام!! ويجاهدون من خلف المكاتب المكيفة، إن جميع المنظمات لم تصل إلى مرتبة ذلكم العملاق الرجل الطفل طفل الحجارة.

٤ ــ ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدلوا تبديلاً ﴾ [الأحزاب].

الشهيد سيد قطب رحمه الله :

عندما طلب من الشهيد سيد قطب أن يؤيد الطاغية العبد الخاسر قال: إن

السبابة التي أشهد بها في كل صلاة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله لايمكن أن تكتب سطراً فيه ذل أو عبارة فيها استجداء، وعندما سيق رحمه الله إلى حبل المشنقة يوم ٢٩ أغسطس ١٩٦٦م كان من المعتاد أن يحضر شيخ ليلقن الذي ينفذ فيه حكم الاعدام الشهادتين، فقال له سيد قطب رحمه الله: إنني لم أقف هذا الموقف إلا من أجل لا إله إلا الله محمد رسول الله.. فهناك أناس يأكلون الخبز بلا إله إلا الله وآخرون يقدمون رؤوسهم إلى المشانق من أجل لا إله إلا الله!!

٥ ــ الشعب الأفغاني :

هذا الشعب البطل الذي لم يرض بالاحتلال الروسي لأرضه، ووقف وحيداً في حلبة الصراع مع أول أو ثاني دولة على مستوى العالم!! وكان له يد طولى في إذلال الشيوعية وإرغامها بينما نجد أن بعض المشايخ الرسميين المعممين يذهب إلى كابل ويصافح وزيرة الشباب ويهديها مصحفاً، ولايستح وهو (شيخ معمم) من هذا الموقف المتخاذل، بينما الأمر الطبيعي أن يذهب إلى الخنادق ليشد من أزر الرجال المقاتلين □



((البيان)) الأدبي

- الأدب والثقافة علاقة مصيرية
- الفصاحة العلمية
- الصيف ضيعت اللبن (شعر)



د . مصطفى بكري السيد

تتجاوز هذه الدراسة الجدل القديم الحديث حول مصدر الفن، لتتناول جانباً آخر من الموضوع وهو محاولة الكشف عن دور المقروء والجهد الثقافي في النسيج الأدبي، فنحن عندما نستعرض الأدب والأدباء الذين نقشت أسماؤهم في ذاكرة البشرية، وأنعشت أعمالهم مشاعر الجمال في النفوس، حتى غدت إبداعاتهم معالم بارزة في تاريخ الفكر الإنساني، عندما نغفل ذلك يلفت نظرنا أمران:

الأول : المكث والتؤدة في إنضاج العمل، وهناك أمثلة أدبية: الألياذة كتبت في ثلاثين سنة، والقاص الفرنسي فلوبير ربما استغرق أكثر من أسبوع في كتابة فقرة من قصته (مدام بوفاري) ١٨٥٧ م[١] ، ويعلن جارثيا ماركيز قاص أمريكا الجنوبية الأول أنه كتب قصته (مائة عام من العزلة) في ستة عشر عاماً، ومدرسة التصويريين الشعرية تقول صراحة إن (التركيز هو جوهر الشعر)[٢] .

ويرى الشاعر الانجليزي المعاصر تيفن سبندر (أن كل شيء في الشعر

جهد، وقد يستمر الجهد في النظم يوماً أو أسابيع أو سنين)(٣) وأكد بعضهم (على أن الإنشاء الأدبي يتطلب من الدقة والتحري ماتتطلبه الرياضيات نفسها من تفكير منطقي ودقة وهندسة)(٤).

الثاني : الارتواء من معين الثقافة ومختلف ميادين المعرفة لتوظيف ذلك كله في خدمة الصورة الشعرية، والمعمار الفني ورسم معالم الشخصية، وذلك حتى لاتكون النصوص (وكل الأعمال الفنية نصوص) ثماراً موسمية (لأن النص قائم على التجددية بحكم مقروئيته، وقائم على التعددية بحكم خصوصية عطائيته تبعاً لكل حال يتعرض لها في مجهر القراءة، فالنص من حيث هو ذو قابلية للعطاء المتجدد المتعدد يتحقق له ذلك بتعدد تعرضه للقراءة)(٥) لأن هذا النص كما يقول (بارت) : (لايحظى بالخلود لأنه يفرض على القراء العديدين معنى واحداً فيه، وإنما هو يخلد ويستمر لأنه يقترح على القارىء الواحد معاني عدة في متجدد اللحظات)(٦) ولم يكن (مارك توين) بعيداً عن هذا الفهم عندما قال إنه يقرأ (دون كيشوت) في كل سنة مرة.. رائعة سرفانتس. وهكذا يكون النص مرآة تجلوها القراءات المتعددة، (فهاملت شكسبير) أفرز مكتبة أدبية كاملة(٧). (في (هاملت) مواضيع كثيرة التقابل بين القوة والأخلاق، بحث التفاوت بين النظرية والممارسة، وغاية الحياة، فيها مأساة الحب، والدراما العائلية فيها كل ماتشاء بما في ذلك التحليل النفسي العميق، والقصة الدامية والمبارزة والمذبحة الشاملة، للمرء أن يختار وفق إرادته ولكن عليه أن يعرف كيف يختار ولماذا.)(٨) وهكذا فإن روايات (شكسبير) ترفض أن تصبح أبداً قديمة (يمكن تخليص هاملت في عدد من الأشكال: كسجل تاريخي، كرواية بوليسية، أو كدرامة فلسفية .

إن هذا المعرض الشكسبيري حدا بطالبة أمريكية أن تتشكك بهذه القدرة على رسم كل هذه الصور وإبداع هذه المسرحيات، قرأت شكسبر بعناية فساورها الشك بأن هذه الإنتاج الضخم الساحر لايتأتى لشخص وأن النقاد ربما كانوا ضحية وهم كبير في قبول هذا الإبداع من شخص واحد فشدت رحلها إلى بريطانيا وضحت بشبابها لتثبت عبثاً وهمية شخصية شكسبير.

وفي العدوة العربية نجد (أبا الطيب المتنبي) غب الموهبة الشعرية ثمرة ناضجة لقراءة الأدب الجاهلي والأموي والعباسي وماانتهى إلى يديه من الفلسفة اليونانية، ثم أليس كتاب (الوساطة) للجرجاني بحثاً في عروق وعمق هذه المقروءات (المتنبية).

(إن كتاب الوساطة خير نموذج عملي لدراسة التناص الذي هو حدوث علاقة تفاعلية بين نص سابق ونص حاضر لانتاج نص لاحق)(٩) والحقيقة أن كل شعر لابد أن يذكر بشعر آخر فهذه خصوصية اللغة الشعرية وامتيازها .

كيف تأتى لشعر أبي الطيب أن يفجر في الأرض الأدبية ينابيع النقد لولا الأسئلة التي تستدعيها قراءته والقراءة التي تغذي أسئلته؟

إن المتنبي (حين يعبر عن رؤياه فإنما يفصح عن إحساس شامل بالفجيعة أو الفرح، أو البطولة ولا يعود وتراً منفرداً، بل يندرج في نبرته أنين عام هو أنين البشر كلهم ونشوة شاملة هي نشوتهم جميعاً، ولا تنمو رؤيا الشاعر بمعنى آخر، إلا عبر ارتباط حميم بالآخرين ولا تتجسد بشكل مؤثر إلا حين يصبح صوته، رغم فرديته وسريته صوتاً إنسانياً ونشيداً شاملاً لمجد شعب ومكابدته)(١٠).

لقد وجد المتنبي في (أصوات الآخرين تأكيداً لصوته من جهة، وتأكيداً لوحدة التجربة الإنسانية من جهة أخرى، وأنه يدل بذلك على التفاعل الأكيد بين أجزاء التاريخ الروحي والفكري للإنسان)(١١).

وهكذا نجد (أن قدامى الشعراء أو المترسمين خطاهم كانوا مثقفين ولعل أجمل ماننفعل به من الشعر القديم هو شعر أمثال هؤلاء)(١٢) (لأن القصيدة في النهاية، ليست إلا محصلة لجهد الشاعر، وتجسيداً جمالياً حسياً لمسلكه الثقافي والذوقي والنفسي في لحظة حياتية ما)(١٣).

(وإذا كان ابن خلدون يحكم باستحالة وجود شاعر لايكون قد حفظ شعراً ثم نسيه، فإننا نحكم باستحالة وجود مبدع يكتب أيضاً نصاً أدبياً دون سابق تعامل معمق مكثف مع النصوص الأدبية في مجال معين أو في عدة مجالات لأن المخزون من النصوص المقروءة من قبل هو الذي كثيراً مايتحكم في صفة النص

المرقوم »[14].

ويقول الدكتور محمد جابر عصفور:

« الأصل الذي يتوصل الشاعر به إلى استثارة المعاني الشعرية واستنباط تركيباتها هو: التملؤ من العلم بأوصاف الأشياء ومايتعلق بها من أوصاف غيرها، وذلك يجعل من الشعر ممتعاً ومعلماً »[15] ، وهكذا يصبح للفكر الأدبي دوره المميز في حياة الأمة حتى يغدو عنصراً من عناصر البناء الثقافي العام في هذا المجتمع .

وكلما كثر المحفوظ الشعري كثرت المواد بين يدي الشاعر ورحب المجال أمامه في إعادة السبك فيكون كمن اغترف من واد قد مدته سيول جارفة من شعاب مختلفة كما يقول ابن طباطبا[16].

وليست القراءة غذاء الشعر فحسب بل هي البنية المعنوية للنثر، قال خالد ابن عبد الله القسري:

حفظني أبي ألف خطبة ثم قال لي: تناسها، فتناسيتها، فلم أرد بعد ذلك شيئاً من الكلام إلا سهل علي.

ولقد توقف العقاد في حديثه عن المتنبي ليلفت النظر إلى أهمية الفكر والثقافة للشعراء فيقول:

« وكيف يتأتى أن تعطل وظيفة الفكر في نفس إنسان كبير القلب، متيقظ الخاطر مكتظ الجوانح بالإحساس كالشاعر العظيم؟ إنما المفهوم المعهود أن شعراء الأمم الفحول كانوا من طلائع النهضة الفكرية فمكانهم في تاريخ تقدم المعارف والآراء لايعفّيه ولا يغض منه مكانهم في تواريخ الأدب والفنون »[17].

والترسانة الثقافية التي يستند إليها الأديب باتت أمراً ملحوظاً، يقول إليوت: إن مايجب على الشعراء أن يعرفوه هو أن يكتبوا أقل مايمكن.

ولقد ذكر أن جوستاف فلوبير (١٨٢١ ـــ ١٨٨٠) هو الذي قرأ ألفي كتاب من المكتبة الوطنية بباريس لكي يدرس البيئة الاجتماعية والجغرافية لأحد أعماله الروائية[18].

أرأيتم كيف يخدم الأديب نصوصه ويستشعر المسؤولية تجاه أدبه وقرائه،

لعل في ذلك بعثاً لهمم الناشئة من شعرائنا وكتابنا حتى تأتى أعمالهم ناضجة تحمل للقراء مايؤملون فيها من أدب نضيج، وألا تكون علاقتهم بالتراث العربي العظيم مادرسوه في كتب المخفوظات كما يقول أحد النقاد.

وأخاطب بشكل أخص الأديب المسلم كي يجعل من إبداعه إضافة حقيقية لتجد قراءها، وألا تعتمد على النوايا الطيبة والمشاعر الجميلة فقط لأنه إذا كان الشعر ترجماناً مباشراً عن الذات فإن الفكر هو الإطار الموضوعي الذي يضم هذا الشعور، والشاعر كلما ازداد نضجاً ازدادت قدرته على الخروج من إطار مشاعره الذاتية إلى الاطار الموضوعي.

عبقرية الشاعر تكمن كلها في إبداعه اللغوي، أما الحساسية المفرطة فلا تكفي لتكوين أي شاعر (وليس هناك ماهو أكثر سوءاً من أن يظن الإنسان أنه يمارس صناعة التفكير في الواقع، وهو إنما يشغل نفسه، بطائفة من الأماني والمشاعر لا أكثر)[١٩].

(صحيح أن العمل الأدبي صناعة لغوية، لكنه ليس صناعة بسيطة بل هو صناعة مركبة من عناصر كثيرة توجد أصولها في اللغة والفكر وفي التراث القديم وفي التراث الحديث)[٢٠].

إن العالم يتلهف إلى الرؤية الإسلامية من قلم صناع وشعر يتسلل إلى مسارب النفس ليطلق العقل المحتجن في إسار المادية ليتنسم أنسام العقيدة المتكاملة المتوازنة.

والكلمة التي نقلت حبر اليهود عبد الله بن سلام رضي الله عنه إلى بحر الإيمان هي عينها التي انتزعت بعض كبار الملحدين من براثن الملل والنحل إلى شاطىء الأمان.

إن هذه الكلمة مدعوة اليوم لكي تؤدي دورها أن تتزين بالقراءة، وتتأثث بالثقافة وتتدجج بالمعرفة لتفجر ينابيع الأمل في سهوب الإملاق الروحي والمحل الفكري والقحط الوجداني.

إن هذه الكلمة (لابد لها كي تكون فاعلة، وفي سياقها السليم من أن ترتبط

بنظرة إلى العصر ومستجداته من جهة، وإلى التراث وكوامنه التعبيرية القادرة على الاستمرار من جهة أخرى)(٢١).

وإذا كان الأدباء كذلك (كانت أقوالهم كالرياح التي تفتح المصاريع المغلقة على الرؤى والتجارب والبطولات)(٢٢). والأديب المسلم مالم يمتلك ناصية القول في المكان والزمان الذي يعيش فيه، ومالم ينتج أدبه وإبداعه المؤصل جمالياً وثقافياً محكوم عليه في النهاية بالخروج من ساحة الفكر وميدان الحياة، لأن العقم الثقافي هو جسر الاعتزال الحياتي، ومنذ فقد المسلمون خطابهم العميق بدأت عمليات تدميرهم.

هل لي أن أذكر أن عمر رضي الله عنه كان لايكاد يمر عليه موقف دون أن يستشهد بنص شعري، وأن الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما كانت تحفظ للبيد بن ربيعة ألف بيت من الشعر.

إن القراءة بعد الموهبة تحدد للأديب المسلم النوع الأدبي الذي يجد نفسه من خلاله أكثر عطاء وفرادة، وتعصمه من الاتكاء على المعنى فقط (وبذلك يكون المعول ليس على المحتوى الخلقي فحسب، بل على الكيفية التي يقدم بها هذا المحتوى للمتلقي)(٢٣) وبذلك تتحقق العلاقة التفاعلية بين الباث والمتلقي لا بالاستناد إلى القيم الأخلاقية وحدها؛ ولا بالاعتماد على الشكلانية بذاتها.

وختاماً : نريد لأدبنا أن يغترف من حافظة يقظة مثقفة، وأن تتفجر تجربته الغنية من غنى حسي ووجداني وفكري، وألا تكون إبداعاته سطواً مكشوفاً على متحف الذاكرة المترهل الكسول. أرجو أن يكون هذا الإسهام قد وفق لأن يضيف دليلاً آخر يتأكد من خلاله أن الأدب ليس ترفاً فكرياً ولا صوتاً معزولاً عن مسيرة الأمة، (ونحن أحوج الناس أن ندرس مايمكن أن يسمى جماليات اللغة المثقفة)(٢٤) نفعل ذلك كي لايسقط أدبنا في مقبرة اليومية، وكي لايستمد أصالته من المناسبة التي استدعته؛ بل من الثقافة التي أبدعته (لأن كل عمل فني عظيم يضيف إلى الوجه الإنساني روعة وغنى)(٢٥)□

الهوامش

١ ــ الفن والحلم والفعل ، جبرا إبراهيم جبرا. دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد.
٢ ــ في النقد الحديث . د نصرت عبد الرحمن / ١٩٨ ، مكتبة الأقصى ، عمان .
٣ ــ النقد الأدبي الحديث، د محمد غنيمي هلال / ٣٤٩ .
٤ ــ في مناهج الدراسات الأدبية ، حسين الواد / ٦٧ .
٥ ــ في نظرية النص الأدبي، د عبد الملك مرتاض / ٥ .
٦ ــ المصدر السابق.
٧ ــ شكسبير معاصرنا : إيان كوت ترجمة جبرا إبراهيم جبرا .
٨ ــ المصدر السابق.
٩ ــ في نظرية النص الأدبي / ٦ .
١٠ ــ مجلة الآداب ، عدد ١٠ ــ ١٢ / ٣٩ ، ٤٨.
١١ ــ الشعر العربي المعاصر، د عز الدين إسماعيل / ٣١١ .
١٢ ــ المصدر السابق .
١٣ ــ مجلة الآداب / ٣٤ .
١٤ ــ في نظرية النص الأدبي / ١٧ .
١٥ ــ محمد جابر عصفور : مفهوم الشعر في التراث / ١٨٦ .
١٦ ــ عيار الشعر / ٣٥ .
١٧ ــ مجلة المجلة المصرية ، ص ٤١ ، عدد ٣١ ذو الحجة ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م.
١٨ ــ في الرومانسية والواقعية، سيد حامد النساج / ٧٩ .
١٩ ــ نظرية البنائية في النقد الأدبي ، د صلاح فضل .
٢٠ ــ أحمد عبد المعطي حجازي من مقال في الأهرام ١٩٨٩/٨/٣٠م.
٢١ ــ مجلة الآداب / ٤٨ .
٢٢ ــ الفن والحلم والفعل / ٢٥٨ .
٢٣ ــ محمد جابر عصفور : مفهوم الشعر في التراث / ١٩٠ .
٢٤ ــ اللغة بين البلاغة والأسلوب : د مصطفى ناصف.
٢٥ ــ هذه العبارة لـ (البير كامي) .



الفصاحة العلمية

للأمم في تنافسها بالمناقب والمزايا ألوان من المفاخرة بلغاتها يضيق بها نطاق البحث في بضعة سطور. فمنها التي تفخر بوضوح عباراتها وعذوبة جرسها (١).

ومنها التي تفخر بوفرة كلماتها واتساع ثروتها من ألفاظ الأسماء والأوصاف والأفعال، ومنها التي تفخر بثرائها الأدبي وذخيرتها الفنية، ومنها التي يزعم أبناؤها أنهم هم الناطقون المبينون ومن عداهم متبربرون، لا يبينون عن أنفسهم ولا يحسنون فهم البيان من الآخرين.

ومعظم هذه المفاخر دعوى لادليل عليها، أو دعوى لها أدلتها التي تتشابه وتتقابل، ولا ترجح فيها الكفة مرة حتى تقابلها الكفة الأخرى برجحان مثله، وحجتها الكبرى « أنانية » قومية تشبه « أنانية » الفرد في حبه لنفسه وإيثاره لصفاته بغير حاجة إلى دليل، أو مع القناعة بأيسر دليل.

لكن الفصاحة العربية في دعوى أهلها مفخرة لاتشبه هذه المفاخر في جملتها، لأن دليلها العلمي حاضر لا يتعسر العلم به والتثبت منه على ناطق بلسان من الألسنة، ولا حاجة له في

١ ـــ الصوت أو خفيه .

هذا الدليل إلى غير النطق وحسن الاستماع.

إن اللفظ الفصيح هو اللفظ الصريح الذي لالبس فيه ولا اختلاط في أدواته، وهذا هو « اللفظ العربي » بدليله العلمي الذي لاتعتمد دعواه على « أنانية » قومية ولا على نزعة عاطفية، تقابلها نزعات مثلها عند غير العرب من الناطقين بلغات الحضارة.

فلالبس بين مخارج الحروف في اللغة العربية، ولا إهمال لمخرج منها، ولا حاجة فيه إلى تكرار النطق من مخرج واحد، تتوارد منه الحروف التي تتميز بغير التثقيل أو التخفيف. وجميع المخارج الصوتية في اللسان العربي مستعملة متميزة بأصواتها، ولو لم يكن بينها غير فرق يسير في حركة الأجهزة الصوتية.

والفصاحة هي امتناع اللبس كما تقدم، وهذه هي الخاصة النطقية التي تحققت في اللغة العربية لمخارج الأصوات كما تحققت للحروف. فليس في اللغة العربية حرف يلتبس بين مخرجين، وليس في النطق العربي مخرج ينطبق فيه حرفان، ليس في اللغة العربية حرف يستخدم مخرجين كحرف (بسي) في اللغة اليونانية وهو مختلط من الباء الثقيلة والسين، وليس فيها حرف يستخدم مخرجين كحرف تشي في تلك اللغة وهو خليط من التاء والشين، وليس فيها حرف يعبر عنه بحرفين كالذال أو الثاء اللذين يكتبان مما يقابل عندنا التاء والهاء (th) ويتغير النطق بهما في مختلف الكلمات.

ولا تزدحم أصوات الحروف في اللغة العربية على مخرج واحد كما تزدحم الفاء الثقيلة والباء والباء الثقيلة (p. b. v. f) مع ترك مخارج الحلق مهملة، وهي تتسع من أقصى الحلق إلى أدناه لسبعة حروف هي الهمزة والهاء والألف والعين والحاء والغين والخاء، وهي مميزة في النطق والسمع بغير التباس ولا ازدواج في الأداء.

واللسان العربي المبين يتجنب اللبس في الحركات الأصلية كما يتجنب اللبس في الحروف الساكنة، فلا لبس بين الفتح والضم والكسر والسكون، وإذا وقعت الإمالة بين حركتين لم تكن وجوباً قاطعاً تثبته الحروف، بل كان قصاراه أنه نمط

من أنماط النطق يشبه العادات الخاصة عند بعض الأفراد أو بعض الجماعات في أداء الحركة وأشباعها أو قصرها، كيفما كان رسم الحرف في الكلام المكتوب، وكيفما كان جوهرة المميز في الكلام المسموع.

فإذا قال قائل أن فصاحة النطق مزية نادرة تمتاز بها اللغة العربية فليست هي دعوى من دعاوى الفخر والأنانية، ولكنها حقيقة يقررها علم وظائف الأعضاء. لأن جهاز النطق في الإنسان وظيفة معروفة، ولا خفاء بالفرق بين تقسيماته التي تستوفي الأداء وتميز الحروف والمخارج وبين تقسيماته التي تعطل بعض الأداء ويعرض فيها اللبس والتلفيق لما تؤديه. فإن الحكم في ذلك كالحكم على كل أداة ناطقة أو عازفة من أدوات الأنغام والأصوات.

وبقي أن نعرف كيف انفردت اللغة العربية بهذه المزية النادرة؟ هل هي مزية من مزايا المصادفة لانعرف لها علة طبيعية؟ أو هي نتيجة من نتائج التطور الطبيعي. أو نتائج الاختيار بين الأفصح من اللهجات وبين اللهجات التي دونها في الفصاحة على ألسنة المتكلمين بلغة واحدة؟

العقاد / اللغة الشاعرة





شعر : مروان كجك

(يروى عن العرب ان امرأة كانت متزوجة من رجل موسر فكرهته فطلقها، وكان الوقت صيفاً، فتزوجت من آخر كان فقيراً مملقاً، فلما أصابتها الفاقة، ولذعتها الحاجة ذهبت إلى مطلقها تطلب منه لبناً: عطاءً ومعونة، فأبى أن يستجيب لرجائها، وقال لها: «الصيف ضيعت اللبن» فذهب قوله هذا مثلاً).

لاتبك سلماً عشت فيه بلا محن
أنت الذي اخترت الخديعة والغَبَن (١)

أنت الذي مزقته حتى غدا
جرحاً عسير البرء نزافاً زمِن (٢)

وبعثت من خَلَلِ الرماد شوائظاً
هوجاء حاقدة تموج بها الفتن (٣)

وعلوت، عدواناً، مقام فحولة
ونسيت أنك للصغائر مرتهَن

١ ـ الغبن هنا : الخديعة في الرأي.
٢ ـ البرء: الشفاء . نزفاً: دائم النزف، زمن: مستمر (مزمن).
٣ ـ الخلل : الفراغ بين الشيئين.

ولكم زعمتَ صلاحَ أمركَ كاذباً
حتى استويت على الأباطح والقُنَن (١)
وأذعت للدنيا بأنك مصلح
أسلمت روحك للطهارة، والبَدَن
وغدوت مفتاح الشرور وذلها
وملاذ كل رذيلة ترجو الأَمَن (٢)
الأرض أرضك فاستضف فيها الذي
يمناه قاتلة، ويسراه الكفن
واحمل لنا من كل حدب خسةً
واكتب على جنباتها : عاش الوطن
حتى أتى ليل يموج سفاهة
فطرحت مئزرك الدنيَّ المُدَّهَن (٣)
ونسيت ماقد كنت تزعم من سجا
يا الطهر والإيمان والقول الحسن
ورجعت للجحر الخبيث تعب من
سم الأفاعي ماتهيجُ به الإحَن (٤)
حتى غدوت لكل طاغية مضى
رمزَ الكِياسة والسياسة والفِطَن
إن شئت تخريب البلاد فذاك إصـ
ـلاح لها، ورعاية فوق المنن
أو شئت قتل قبيلة برجالها
ونسائها فافعل فإنك مؤتمن

---

١ ــ الأباطح : جمع أبطح وهو مسيل الماء فيه حصى صغيرة. ويقال له أيضاً: البطحاء. القنن: جمع قنة وهي أعلى الجبل.
٢ ــ الأمن بفتح الميم: الأمن .
٣ ــ المدهن: المدهون قصداً للتعمية.
٤ ــ عب : شرب، مرة وراء مرة. الإحن: جمع إحنة وهي الحقد.

أو شئت أن نغدو يهوداً أو عبيـ
ـداً أو بقايا عالقات في الدمن (١)

فافعل فأنت مخير وكفاك أن
ترقى على أجسادنا فناً بفن

واقتل ذوي الأحساب واتبع ظلهم
لايفلتنْ أحدٌ ولو عَظُمَ الثمن

فلعل مولوداً يَحِنُّ لقومه
يوماً فيلحنَ مثل ماموسى لَحَن (٢)

فتثور أودية، وتلتهب الذرى
وتهيج أرواح فتكفأ كل دَن (٣)

* * *

ياأيها الحقد الذي أضحى له
جسد يخور بأرضنا، وبها عَدَن (٤)

مهلاً فلست بخالد أبداً ولا
أنت المسوَّدُ بالمحبة والعلن

وغداً إذا انجلت الحقيقة وانتهى
عهد الخيانة والسفالة والعفن

لاترجُوَنْ منا شفاعة شافع
أبداً: فإنَّ الصيف ضَيَّعَتِ اللبن

٤ / ٧ / ١٩٨٩

---

١ ــ الدمن: جمع دمنة وهي المزبلة.
٢ ــ لحن له: قال له قولاً يفهمه المخاطب به ويخفى على غيره.
٣ ــ أرواح: جمع ريح، تكفأ: تقلب، تكب. الدن: جمع دنان وهو الجرة أو الخابية. وهنا المقصود بها الخوابي التي تعتق فيها الخمرة.
٤ ــ عدن بالمكان: أقام فيه.



شؤون العالم الإسلامي ومشكلاته

- □ لا تغيير في تونس
- □ الإسماعيلية في أفغانستان خطر يتنامى
- □ الجزائر في الصحافة العربية

لا تغيير في تونس

عبد الحميد إبراهيم

أمل الشعب التونسي عند سقوط بورقيبة أن تتغير أحواله، وينتقل من حالة الشلل التي أصيب بها أواخر أيام الدكتاتور السابق، إلى حالة يثق فيها بنفسه وقدراته، ويتمتع بحريته حيث يصبح قادراً على التفكير والإنتاج، وأن الوعود كانت خصبة في شتى الاتجاهات. ماالذي كان يشكو منه الشعب التونسي، وكان يكبله عن تحقيق مايطمح إليه ؟ إنه الوضع النفسي والاقتصادي.

أما الوضع النفسي فيتمثل في عبادة الذات التي كانت سمة بارزة في سلوك بورقيبة، وإضفائه على نفسه من الصفات والقدرات والمواهب مالا يطلق إلا على الآلهة. وقد حاول الحاكم السابق خلال ثلاثين سنة أن يفرض على الشعب التونسي هذا الأسلوب من عبادة الشخصية، ويعمل على أن يجعل كل شيء يدور حوله، وكان يعتقد أنه يعرف مصلحة التونسيين أكثر منهم أنفسهم. وشيئاً فشيئاً أنبتت حوله حاشية تجسد فيها نفاق وفساد لايوازيه إلا نقص في الكفاية، وعدم اكتراث بحاجات الشعب الحقيقية.

وأما الوضع الاقتصادي فكشأن الدول التي تسود فيها نظريات حكم الفرد، أو نظريات الحزب الواحد، فلابد أن تواجه ضعفاً وركوداً اقتصادياً سببه قتل الطموح والمبادرة

في النفوس، وعدم الأمان والاستقرار الذي هو شرط أساسي للازدهار الاقتصادي، وحكم بورقيبة كان مزيجاً من تسلط الفرد وتسلط الحزب الواحد بل إنه جمع أسوأ مافي هذين الأسلوبين، وهكذا عندما بدت بوادر التململ من هذا الجو الذي وجد الشعب التونسي نفسه فيه لم يكن من علاج لهذه البوادر غير القبضة الحديدية. ولكن هذه السياسة ليست علاجاً بل هي مسكّن. وهكذا كان التغيير الذي حدث في تونس في لحظة حاسمة، عندما وصل الطاغية إلى أقصى درجة من الطغيان، فتقدم بن علي وقطف ثمرة الحالة التي أوصل بورقيبة تونس إليها، ولو لم يفعل هو لقطفها غيره.

إن الشعب التونسي شعب مسلم عريق في إسلامه، يشكل الإسلام في كيانه نسيجاً ليس من السهل تجاهله وتجاوزه، وعلى الرغم من التخريب الفكري والثقافي الذي أحدثه بورقيبة خلال فترة حكمه الطويلة إلا أنه لم يزد على أن جعل الشعب التونسي يطوي جوانحه على كراهية مستكنة لجرأة هذا الدعي ووقاحته على الإسلام الذي هو عقيدة الشعب التونسي، لم يفهم بورقيبة كأمثاله من المتسلطين بغير حق أنه عندما كان يقف الساعات الطوال أمام مكبرات الصوت والمنابر الإذاعية المحروسة يحقر أحكام الإسلام وينتقي ماشاء من تعاليمه وشعائره كـالصلاة والصوم، ونظرته إلى المرأة، ويجعل من ذلك مجالاً لسخريته وتهجمه وهرائه الذي يجبر الشعب على سماعه وحفظه، لم يفهم أنه كان يهين عقيدة الشعب الذي يحكمه، والذي يهين عقيدة الشعب لن يحوز على ثقته ولا محبته، لقد كان حفنة من المتملقين المنافقين المنتفعين يحيطون به ويزينون له فعله القبيح هذا ويرضون فيه حب العظمة والنفوذ الذي اشتهر به، بالإضافة إلى الأقلام التي لايهمها الإسلام من قريب أو من بعيد داخل تونس وخارجها التي كانت تكيل له المدح على وقاحته التي يسمونها شجاعة، وجرأته على الباطل التي يسمونها ألمعية، ولكن البلاد لاتجني من أهواء الطغاة والمنافقين والمنتفعين الانتهازيين سوى ماجنت تونس من سياسة ذلك المسمى بورقيبة.

إن الرئيس التونسي الجديد أعلم

الناس بالذي أوصل الحالة في تونس لما وصلت إليه من تأزم، وهو عليم أيضاً أن الباحثين عن الشرعية في الشعوب التي عقيدتها الإسلام لابد لهم من احترام هذه العقيدة، لذلك فقد قدر الشعب التونسي كل التقدير الخطوات التي بدت مخالفة للمنهج السابق، فبينما كانت دعاية النظام في العهد البائد لاتألو جهداً أن تحقر كل مظاهر التمسك الجماعي بالإسلام، وارتباط تونس بعمقها العربي الإسلامي، وتربطها ربطاً متعسفاً بأوربا وبالفكر الغربي، باسم التطور والمدنية، وتنعت أصحاب الاتجاه الإسلامي بأقبح النعوت أثراً عند الجمهور من مثل: الظلاميين، المتطرفين، الذين يريدون إعادة تونس إلى ظلامية القرون الوسطى... بينما كان ذلك وأكثر منه هو أسلوب الدعاية.. فرح الشعب التونسي من عودة كلمات تقدير الإسلام والهوية العربية الإسلامية للشعب التونسي، والنية للنظر في تحسين المناهج التربوية بما يعيد الاعتبار للعروبة والإسلام في المجتمع التونسي.

ورافق هذا التقدير الكلامي خطوات فعلية، فقد توقفت ملاحقة الإسلاميين واعتقالهم، وأفرج على مراحل عن الأعداد الكبيرة ممن اعتقل منهم على عهد الحاكم السابق، وقد نظر الشعب التونسي بأجمعه إلى هذه الخطوات نظرة التقدير، واعتبرها تغييراً ذا بال في مجال الحقوق الطبيعية التي كانت مهانة حتى الناس الذين ظلمهم النظام السابق وألصق بهم شتى الافتراءات لم يبخلوا بإعطاء هذه الخطوات ماتستحقه من اعتبار، وأحاطوها بالآمال العريضة التي بدت في بعض الأحيان ومنذ وقت مبكر مغرقة في التفاؤل. إلى هنا أصبح في تونس نظام جديد وشعب ذو أمل جديد، نظام يتخذ من التغيير الذي حمل قمة الإنجاز، ويثمن هذه الخطوات تثميناً مسرفاً ويطالب بالثناء والاعتراف بالجميل، ولكن الشعب اعترف بهذا الجميل وقام بواجب الشكر، وهو ينتظر ممن قاموا بتلك المبادرة فتحركت الرمم في أجداثها، وانتعشت الآمال التي كادت تموت، أن يزيلوا القيود الفعلية التي تبعث الخوف والرهبة، وتجعل الشعب دائماً خائفاً يترقب! ولكن إلى الآن لم يحدث شيء.

بل إن الشعب التونسي أصبح يحس أن ماحصل عندهم يشبه ماحصل في ألمانيا الشرقية على أثر سقوط (إريك هونيكر) حيث تسلل جهاز المخابرات السيء الذكر (ستازي) ليخلفه، ولكن مع فرق بسيط وهو أن النظام الجديد في تونس نجح في التسلل حيث فشل (ستازي) وبدأ التونسيون يكتشفون أن الخدمات الشفوية للإسلام لها هدف آخر، وأن ماحصل من إفراجات هو أقصى مايمكن تقديمه من أمور فعلية.

ويبدو غريباً جداً لمن هم في داخل تونس ومن هم خارجها تصرف الحكومة تجاه بعض الحالات، فبينما تعترف هذه الحكومة للشيوعيين وباقي اليساريين والعلمانيين بشرعية العمل السياسي، وتعطي هؤلاء من الاهتمام أكبر من حجمهم في صحافتها وإعلامها ذي البعد الواحد، تراها تضن بأي اعتراف قانوني لكل ذي توجه يشم منه اسم الإسلام ولو مجرد شم.

هذا مع أن قادة الاتجاه الإسلامي لم يتهاونوا في اتخاذ كل مايمكن أن تطلبه حكومة منصفة من مواقف، فلم يقصروا في المدح والثناء على مواقفها، ولا أعلنوا برنامجاً يسيء إلى أحد، حتى الشيوعيين والعلمانيين الذين لايوفرون من ألفاظ الهجوم على الإسلام شيئاً، وهم خارج السلطة، ولا يوفرون من مواقف الإثارة والكبت والعسف والأذى للمسلمين موقفاً وهم داخل السلطة.. حتى هؤلاء اعترف لهم قادة الاتجاه الإسلامي في تونس بحرية العمل وأعطوهم أكثر مايؤملون. وأعطوا من المواثيق على الإيمان بالتعددية؛ والديمقراطية؛ والخصوصية التونسية؛ مالم يعط غيرهم. والخلاصة أن قادة الإتجاه الإسلامي يتمتعون بكل الشروط التي يستحقون عليها التكرم بالاعتراف بهم، فهم تونسيون، وهم ذوو وزن معتبر، وهم يفضلون العلنية، وهم متطورون، وهم غير ناكرين للجميل، وهم راضون بالاستقسام (بأزلام) التعددية، ويسبحون بحمد الديمقراطية.

ماعلتهم إذن؟!

يتحدثون بالإسلام؟! هل الحديث عن الإسلام أصبح عاراً؟! كيف تعطى الشرعية لمن يجعل أسس برنامجه تقوم على هدم الإسلام بل هدم

الأديان كلها (كالشيوعيين) وتعطى لمن يقول: لا مكان لظلامية العصور الوسطى في حياتنا المعاصرة (يقصدون أحكام الإسلام والفكر الإسلامي) يحاربون الفكر الإسلامي (كالعلمانيين واللادينيين وعبيد فرنسا)؛ وتحجب هذه الشرعية عمن ليس له ذنب إلا أن يقول: أنا مسلم؟! إذا كانت الدولة لاتريد أن يزج باسم الإسلام في مجال العمل السياسي، ولذلك لاتحب أن يشار إلى الإسلام في التسميات؛ لامانع، هانحن نتقدم بحزب يفي اسمه بهذا الشرط اسمه (النهضة) وهذا برنامجه، ونطلب من الدولة التي نعترف بها سلفاً (حيث نطلب منها لا من غيرها) الترخيص.

بعد خمسة أشهر من تقديم طلب الترخيص مع برنامج الحزب المفصل يُعاد الطلب مرفوضاً دون ذكر الأسباب، سوى أن الوقت غير مناسب! وطلب منهم أن يتقدموا ثانية فيما بعد. وحينما استأنفوا الطلب مرة أخرى في ١٩٨٩/١٢/١٣ رفضت وزارة الداخلية تسلم الطلب من حيث المبدأ: ألا يتناقض هذا مع الميثاق الوطني الذي وضعه النظام، وأقرته جميع الاتجاهات السياسية في البلاد وأهم بنود هذا الميثاق:

- احترام حرية التعبير.
- احترام حرية الاختلاف في وجهات النظر.
- إدانة الإرهاب والعنف.
- العمل على رفع المستوى (الروحي) واللغوي للشعب.
- الحفاظ على الهوية التاريخية للشعب التونسي.

هل جماعة النهضة لايقرون بهذه المبادىء وأكثر منها مما تريده الدولة؟ ماالمشكلة إذن؟ يصعب على المرء أن يفصِّل في هذه القضية، ولكن يبدو أن الشعب التونسي بدأ يكتشف أن مشكلة النظام مع جماعة الاتجاه الإسلامي هي أنه لايريد أن يخضع نفسه للولاء للإسلام عقيدة الأمة، ولكنه يصعب عليه أن يعترف بهذه الحقيقة، ويدور حولها بأسلوب المداورة، وخلط الموضوع الحقيقي بموضوعات أخرى جانبية، وهو أسلوب الجدل العلماني المستورد من الفكر الأوربي والذي لم يعد يقنع أحداً، وكنموذج على هذه المداورة الممجوجة نقدم ماأوردته جريدة

القبس الدولي ١٩٩٠/٦/٥ نقلاً عن وكالة أنباء الشرق الأوسط المصرية :

« أكد المنجي بوسنينة وزير الدولة للتربية في تونس أنه: لن يتأسس حزب ديني في مجتمع يدين بالإسلام وانتقد الوزير التونسي بشدة (!!) في اجتماع حزبي لأعضاء التجمع الدستوري (!) الديمقراطي (!) الحاكم في مدينة الوردية بالضاحية الجنوبية للعاصمة التونسية من وصفهم بـ (قوى الظلام ودعاة الفتنة) وقال: إن ظاهرة التطرف الديني تقوم على المغالطة والتضليل وابتزاز المشاعر الدينية والتحريض على الفتنة لتحقيق مآرب سياسية معروفة (!) تحت غطاء الدين.

وتقوم قيادات التجمع الديمقراطي الحاكم بنشاط مكثف وعقد ندوات ومؤتمرات شعبية في مختلف أنحاء تونس لمواجهة التيار الإسلامي »[١].

هناك أسئلة كثيرة يمكن أن تطرح تعليقاً على مثل هذا النموذج المتكرر من النشاطات المكثفة والندوات والمؤتمرات الشعبية في مختلف أنحاء البلاد:

● لماذا يسمح بتأسيس أحزاب ذات نظريات كفرية في مجتمع يدين بالإسلام ولا يسمح بتأسيس حزب ديني؟

● ثم هل أصحاب الاتجاه الإسلامي يدعون إلى إقامة كنيسة وتنصيب بابا، أم يتقدمون ببرامج اجتماعية أساسها الإسلام الذي ليس هو مسجد يفتح للصلاة فقط ويغلق بعد انتهائها؟

● ماذا تعني هذا العبارة: قوى الظلام ودعاة الفتنة؛ غير وصم الناس وتشويههم دون دليل صحيح؟

● مادمت تقول بحرية الرأي في مجتمع متحضر؛ لماذا تتهم من يخالفك الرأي بهذه التهم وتسب هذا السب المرّ؟ هل هذا سلوك قوم متحضرين؟!

● لماذا استيراد الحجة الواهية من البلاد التي قد يكون فيها أقليات غير مسلمة، والتي تقول: لانسمح بإقامة حزب ديني، (أي إسلامي) حرصاً على مشاعر مواطنينا الآخرين؟ في حين أن هذه الحجة ــ إن صدقت في تلك البلاد ــ لا تصدق في بلد كتونس أغلبيته الساحقة مسلمون؟

● ألا تقدم للناس الذين تخاطبهم معنى محدداً للتطرف الديني، حتى يلمسوا (المغالطة والتضليل وابتزاز المشاعر الدينية والتحريض...)

---

١ ــ الأقواس وعلامات التعجب ليست في نص الجريدة، بل هي منا. (التحرير) .

وسائر هذه التهم التي تكال جزافاً! والتي لو نوقشت بإنصاف من قبل قوم يحترمون العقل والمنطق والتحضر، وأخيراً: الإسلام؛ لانهارت واحدة بعد أخرى؟ صحيح:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه
وصَدّقَ مايعتادُهُ من تَوَهم
وعادى محبيه بقول عداتِهِ
وأصبح في ليلٍ من الشكِّ مظلمِ

إن السلطة التونسية تتهم قطاعاً عريضاً من الشعب التونسي لهم حقهم المشروع أن يعبروا عن عقيدة لم يستوردوها استيراداً من أوربا، ولا أمريكا؛ بل هي نابتة نباتاً طبيعياً في ترابهم، وسقيت من دمائهم ودماء آبائهم وأجدادهم، ولاتفتأ تتهمهم باحتكار الإسلام، مع أنهم لم يدَّعوا ذلك، ولا يمكنهم لو ادعوه، في الوقت الذي تتلبس هذه السلطة ــ كالكثير من السلطات ــ باحتكار كل شيء : السلطة والنطق باسم الأحياء والأموات، وادعاء الشرعية والقانونية، والوصاية على الأرض والسماء.

ومن أغرب الأمور أن يظل النظام التونسي مشدود الأعصاب مهيأً لتحميل أصحاب الاتجاه الإسلامي كل مايحصل في المجتمع التونسي من سلبيات وكوارث، حتى مالايقع تحت يد البشر، وكشاهد على ذلك فقد اجتاحت الجنوب التونسي سيول مدمرة هدمت حوالي ٤٠ ألف بيت، وخربت أكثر من ألف كيلومتر من الطرق، بالإضافة إلى مزارع ومحاصيل كثيرة، ولم يصل أحد من قبل الحكومة إلى هذه المنطقة المنكوبة إلا بعد ثلاثة أيام وكأنها تقع في قارة أخرى، بل ولم يتحرك النظام إلا بعد المظاهرات التي اندلعت تصف الحكومة بالإهمال.. هنا فقط استيقظت الحكومة من سباتها، ولكن لتصب جام غضبها على المتطرفين: « الذين يحاولون استغلال الظروف العصيبة! » لكن هل فعلت الحكومة شيئاً عملياً للتخفيف عن المنكوبين؟! بعد عشرة أسابيع كانت لاتزال أعداد كبيرة تنتظر المساعدة والمأوى! إن الإنسان في كثير من بقاع العالم الإسلامي يربى على أن يستسلم لجميع أنواع الكوارث؛ ماكان منها من صنع البشر وماليس كذلك، ويقابلها بخضوع وتسليم حتى يكون مؤمناً مسلماً، وإلا فهو متطرف متعصب مضلل محرض على الفتنة،

بل قد يتهم بالكفر! ألم يحاول التنكر للإيمان بالقضاء والقدر؟!

ومع أن النظام في خلاف مع شرائح متعددة مع الشعب: مع العمال، والطلبة، والمعلمين، والمهندسين.. لكنه يحاول التنصل من نتائج هذه الخلافات والمشاكل بإلقاء المسؤولية على أصحاب الاتجاه الإسلامي، معتقداً أنه إذا حصر النار في هذه الزاوية فإن المشاكل تحل، مع أن تجارب كثيرة مماثلة حدثت في أماكن أخرى من العالم لكنها لم تحل المشاكل بل زادتها وعقدتها.

إن تونس تنزلق مرة ثانية لتجد نفسها على عتبة مرحلة شبيهة بالمرحلة التي غادرها فيها بورقيبة، وتبدو هذه السياسة التحريضية التي يشير بها المخططون للسلطة السياسية الحالية كأنها محاولة لإيجاد المسوغات التي تبطش بسببها بمن تعتقد أن البطش بهم يخلي لها جو العمل كما تشاء، بعيداً عن الاحتجاج والمساءلة، وهؤلاء المخططون تغرهم أمثلة حصلت وتحصل هنا وهناك، وتوحي لهم أنه لاحل إلا بذلك، مع أنه لا أحوال هذه الأمثلة؛ ولا الحال في تونس يمكن أن تتحسن بهذه الطريقة غير المتحضرة، التي أثبت التاريخ الحديث عقمها وتخلفها، بل وخطورتها، أعني طريقة وضع « معارضة معينة » تحت ظروف الكبت والمطاردة، وجعلها مشدودة دائماً، ليقوم شخص غير مسؤول بعمل ما يعطي الأنظمة مسوغات البطش والتنكيل.

لقد اختار قادة النهضة مختلف الطرق المسماة حضارية في التعامل، على الرغم من الأجواء المحيطة بهم، وهم يتحملون بصبر وإباء كل ظروف الإثارة والحرمان من الحقوق الأساسية، وعلى الرغم من عدم السماح لهم بقنوات « قانونية » تسهل لهم ضبط أنفسهم وعناصرهم؛ فإنهم يبدون متمسكين بأعلى درجات الانضباط في ظروف يصعب فيها ذلك، ولكن تلوح في الأجواء علائم (لفبركة) حادثة عنف تكون بمثابة الذريعة ليتكرر في تونس مافعله عبد الناصر من قبل.

ولكن هل سيظل التاريخ يعيد نفسه؟! □

الاسماعيلية في أفغانستان
خطر يتنامى

أحمد موفق زيدان

انتعش نفوذ فرقة الإسماعيلية الباطنية في أفغانستان خلال الحرب الأفغانية الروسية الأخيرة، الأمر الذي مكنهم من اللعب على غدة حبال في سبيل تحقيق مصالحهم حتى ولو تضاربت مع المصلحة الأفغانية فضلاً عن المصلحة الإسلامية.

وقد ساعدهم على هذا التنامي الموقع الذي يحتلونه قرب العاصمة كابل والذي يعد منفذاً لعدد من الولايات الأفغانية الشمالية وقربه من روسيا، كما يتحكم في بعض الطرق المؤدية للعاصمة. ويؤكد القادمون من جبهاتهم بأن وجودهم يزداد وبشكل مطرد.

الوجود السكاني :

ينتشر الوجود الإسماعيلي في أفغانستان في ثلاثة مواقع وهي: ولاية بغلان التي تعتبر معقلهم الذي فرضوا وجودهم ونفوذهم من خلاله، ولسان واخان الذي يصفه الاستراتيجيون بأنه لسان القوة الواقع في ولاية بدخشان المحاذية لثلاث دول وهي روسيا والصين وباكستان، والمنطقة الثالثة لهم هي مديرية شمالي في ولاية بروان القريبة من العاصمة كابل.

وقد قام العديد من ساكني لسان واخان الإسماعيلية بالهجرة أثناء الغزو الروسي ولم يدافعوا عن بلادهم حيث لجؤوا إلى باكستان ولكن لعدم

ملائمة جو باكستان الحار لطبيعتهم التي اعتادت على الجو البارد جداً تكفلت الحكومة التركية بنقلهم إلى بلادها بحجة أصولهم التركية.

دولة بغلان المزعومة :

أثناء الغزو الروسي لأفغانستان حاول السوفييت كسب تأييد ومساندة عدد من القوميات أو الطوائف لصفهم أو تحييدها على الأقل ومن الطوائف التي اكتسبوها لصفهم طائفة الإسماعيلية، خاصة وأنها توجد في ولاية بغلان القريبة من كابل، ويقود هذه الفرقة في بغلان سيد منصور الذي يعتبر نفسه مندوباً لمرشدهم الأغا خاني ابن عم صدر الدين منسق عام الأمم المتحدة للدعم الإغاثي للمهاجرين الأفغان والذي عُين في أعقاب الانسحاب الروسي، وتعتبر مدينة (كيان) عاصمة دولتهم هذه.

وكان سيد منصور أمير دولتهم المزعومة قد سجن مع ثلاثة من إخوانه في عام ١٩٧٦، وأرسل ابنه سيد جعفر الذي كان يبلغ من العمر (١١) عاماً إلى انجلترا للدراسة ويعيش مع أقربائه هناك، وبعد سنة ونصف ترك سيد جعفر بريطانيا وتوجه لأمريكا للدراسة في مدرسة (نادري) ويصفه أحد أساتذته بأنه كان سريعاً في كسب الأصدقاء وانضم حينذاك إلى عصابة الدراجات النارية، وفي أوائل عام ١٩٨١ تم إطلاق سراح سيد منصور من السجن ويتوقع البعض أن يكون إطلاقه ضمن صفقة سياسية مبرمة بينه وبين السوفييت وذلك بأن يقف إلى جانبهم إذا ماأطلق سراحه وقد أثبتت الأيام هذا عندما دعمهم وساندهم ضد قوات المجاهدين، ولدى عودة سيد جعفر من دراسته في أمريكا في تلك الفترة عينه والده قائداً عسكرياً لميليشيا الإسماعيلية في الولاية والتي يصل عددها إلى (١٢) ألف مسلح.

شخصية سيد جعفر :

في فيلم فيديو قام بتصويره صحفي بريطاني يقول سيد جعفر عن نفسه بأنه قضى أياماً ممتعة في أمريكا حيث كان في عصابة الدراجات النارية كما كان يحب الضرب على الطبول ويضيف فيقول: إذا عملت هذا وسط منطقتي الآن فيعدوني مجنوناً وأحمقاً، ويقول في هذه

المقابلة التي سجلت في الفيديو: إن الحرب هذه كانت لمصلحتنا ١٠٠٪ لأن أي حكومة مستقبلية لابد لها من التعامل معنا كقوة مستقلة.

ويتمتع سيد جعفر بشعبية قوية بين جماعته حيث يستقبله الرجال والنساء اللواتي يلبسن لباساً أحمر معيناً وتنحر الأغنام والأبقار احتفاءً بمقدمه.

القوة والنفوذ :

يبلغ عدد ميليشياته كما ذكرنا (١٢) ألف عسكري مسلح وذكر بنفسه هذا الرقم في مقابلته السابقة ويؤكد المجاهدون القادمون من منطقته أن عدد مليشياته قريب من هذه النسبة ويشبهه بعض المجاهدين بتنامي قوته ونفوذه بالقائد أحمد شاه مسعود إلا أنهم يفرقون بين الاثنين في أن الأخير يتمدد أفقياً ورأسياً ويتجذر في الأرض إلا أن سيد جعفر يتمدد أفقياً. ويتحكم في جزء من طريق سالانج الاستراتيجي الذي يعتبر شريان الحياة لنظام كابل الذي يتلقى من خلاله الامدادات العسكرية الروسية وفي منتصف شهر يوليو الفائت اتهم القائد الميداني عبد الحق التابع للشيخ يونس خالص الإسماعيلية بتولي حماية طريق سالانج من هجمات المجاهدين ويقومون بجباية الضرائب من أهالي منطقتهم ليقوموا بتوزيعها على فقرائهم وتقوية جيشهم الذي يملك دبابات وأسلحة ثقيلة وذخائر كبيرة.

وظروف منطقتهم الآمنة من الحرب والقتال أهلتهم للزراعة والعمل بخلاف المناطق الأفغانية الأخرى التي تعيش حالة الحرب ولديهم مستشفى يديره الغربيون.

العلاقة مع السوفييت والحكومة العميلة :

علاقتهم مع السوفييت والحكومة العميلة أوضح من أن تذكر حيث اعترف سيد منصور بنفسه في مقابلة صحفية بشريط الفديو المذكور: « لدينا صداقة مع روسيا وحكومة كابل وكذلك لنا صداقة مع المجاهدين ولا يقدر أحد على إزعاجنا ».

كما أظهر شريط الفديو صور لقاءات سيد جعفر حاكم الولاية والقائد العسكري لمليشيا الإسماعيلية

مع المستشارين الروس وهم يتصافحون ويتفكهون وتحدثوا جميعاً حول تأمين طريق سالانج من هجمات المجاهدين أثناء انسحاب السوفييت من أفغانستان حيث كان الاجتماع قبل الانسحاب، وتعهد سيد جعفر بحماية طريق سالانج وقامت مجلة (الحياة) الإنجليزية الصادرة في أمريكا بنشر صور اللقاءات وتوزيع الابتسامات.

كما تلقوا مساعدات وامدادات عسكرية من الروس وقد اعترف سيد منصور بجزء من هذا في مقابلته السابقة. ويقول سيد منصور : نحن لانقاتل المجاهدين ولا حكومة كابل، والأفغان كلهم يثقون بنا. وبعد انسحاب القوات الروسية تمتنت علاقاته مع حكومة كابل.

العلاقة مع المجاهدين :

على الرغم من ادعاء سيد منصور بعلاقاته الجيدة مع المجاهدين إلا أن الحوادث التي جرت بين الطرفين تكذب هذا الادعاء فقد أظهر شريط الفديو الوثائقي احتجاز الإسماعيلية لأفراد عديدين من الحزب الإسلامي، والجمعية الإسلامية وأصبح لهم عدة سنوات في السجن الأرضي الذي يديره سيد جعفر. ويقول الأخير: « إن هذه الجبال لنا مشيراً إلى جبال حول المنطقة التي كان يتحدث منها، وكذلك جبال الهندكوش لنا وأي رجل يأتي لمقاومتنا سنقاومه وبعنف وقوة ».

وأثناء انسحاب الروس قام عدد من الإسماعيلية في بدخشان بمهاجمة المهاجرين التابعين للجمعية الإسلامية وقتلوا منهم أكثر من ستين شخصاً، كما قام المجاهدون بعد هذه الحادثة بقتل ٨٠ شخصاً وجرح ٦٠ آخرين من مليشيا النظام في شمال قندوز عندما كان سيد جعفر يجمع أعداد كبيرة من مساعديه ومؤيديه في نادي سبينزار ليشكل ميليشيا لحماية نظام كابل ولكن لم يتأذ جعفر.

ويتحاشى قادة المجاهدين الاصطدام معهم لأن مشاكلهم التي يواجهونها كثيرة. فيريدون حصر العدو في الخارج فقط ولكن عدد الخارجين يستعد ويعد لمرحلة مابعد سقوط النظام.

العلاقة مع الأغاخاني :

يعتبر سيد جعفر أن علاقتهم

مع الأغاخاني علاقة دينية فهو مندوب له، ويقول في لقائه الصحفي السابق: « إذا طالب الأغاخاني بموتنا جميعاً فنحن مستعدون لقتل أنفسنا ».

وتقول أخبار غير مؤكدة بأن بعض قادة المجاهدين طالبوا الأغاخاني معبود الإسماعيلية التاسع والأربعين بشجب التدخل الروسي ولكنه رفض ذلك وهذا يفسر موافقة وسيا على عمه صدر الدين الأغاخاني عندما عين منسق الأمم المتحدة لدعم المجاهدين الأفغان.

وتتهم مصادر المجاهدين صدر الدين بمحاباته لطائفة دون أخرى خاصة بعد أن ركز في مؤتمره الصحفي الذي عقده في بيشاور على دعم المناطق المركزية الأفغانية والمعروف أن الشيعة والإسماعيلية يتواجدون فيها.

دعم دولي :

لاحظ المراقبون أنه عقب انسحاب القوات الروسية من بدخشان نشطت الدبلوماسية البريطانية والأمريكية في دعم ومساندة هذه المنطقة حيث طار السفير البريطاني والاسترالي إلى جترال الباكستانية المحاذية لاقليم بدخشان والتي تضم عدداً كبيراً إسماعيلية باكستان واقترح السفيران إصلاح طريق جترال ـــ بدخشان ويتوقع أن يتم الفراغ منه قريباً وبذلك تستطيع السيارة قطع الطريق من جترال إلى بدخشان في محاولة لدعم الإسماعيلية في بخشان وربط إسماعيلية أفغانستان مع إسماعيلية باكستان، كما لاحظ أن القنصل الأمريكي في بيشاور يتردد إلى منطقة جترال والاشراف على تعمير وإصلاح الطريق وسيوصل الطريق شاهي ساديم في جترال مع توب خانة في بدخشان حيث سيخترق أودية صغيرة جداً، وقد قامت الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم دعم لتحسين هذا الطريق وإصلاحه والذي سيبلغ صوله ٢٠ كم لتسهيل حركة السيارات الكبيرة أيضاً في نقل الأسلحة.

إسماعيلية بدخشان تستسلم لمسعود :

ليس هناك وجود مستقل للإسماعيلية الموجودين في بدخشان ولكنهم إما منضوون تحت لواء

ميليشيا نظام كابل خاصة في منطقتي كران منجان أو تحت لواء الأحزاب الشيوعية الموالية للصين والضعيفة مثل (سنم ملي) أي الاضطهاد الوطني، و (شعلة حاويد) أي الشعلة الأبدية.

ويعتبر شاه عبد الجبار مرشدهم الروحي في المنطقة وهو يوالي الحكومة وقد وقعت معارك ضارية بين جماعة أحمد شاه مسعود وميليشيا الإسماعيلية المدعومة من حكومة كابل في منطقة كران منجان عام ١٩٨٨ وفي زيباك عام ١٩٨٩ لمساندتهم نظام كابل وقد أسفر الهجوم عن استسلامهم للقائد أحمد شاه مسعود.

دولة الحزام الأمني :

يشير بعض المراقبين إلى وجود نية لدى عدة أطراف عالمية ومحلية في تهيئة الأجواء لتشكيل أو تأسيس دولة إسماعيلية تجمع إسماعيلية باكستان في مناطق جترال وهنزة وجليميشا وبلتستان مع الإسماعيلية الموجودين في ولاية بدخشان خاصة بعد الطريق الذي اعيد ترميمه في محاولة لربط الطرفين ببعضهما . حيث امدادات إغاثية وغذائية لإسماعيلية باكستان من إيران ودولة باطنية أخرى، كما أسفرت لقاءات المسئولين الإيرانيين مع المسئولين الصينيين إلى سماح الأخيرين لنشاط شيعي في منطقة تركستان الشرقية (اسكيانج) المحاذية لهذه الدولة المزعومة، وبدأ عدد من الشباب الصيني السني القاطن في هذه المنطقة بالتوجه للدراسة في طهران تمهيداً لتشييعه.

ويقوم الأغاخاني بزيارات ميدانية لمنطقة هنزة وجليجييت الباكستانية وغيرها ، ويوزع اتباعه المساعدات والإعانات على الشعب هناك حتى على أهل السنة وللأسف فقد انجر بعضهم وراء دعاياتهم الإنسانية وأحسنوا الظن به.

ولكن أصدر عدد من علماء السنة في باكستان مثل (ولي حسن تونكي) فقيه باكستان فتوى بعدم جواز أخذ المساعدة من الأغاخاني. وأغلب سكان هذه المنطقة شيعة وليس إسماعيلية ولكن علاقاتهم قوية مع بعضهم وهناك منظمة باسم (مؤسسة الأغاخاني) ويرأس المؤسسة في بلشتان شخص باسم

(مطهر علي شاه) من أصول سنية وراتبه كبير حتى انهم يعطون السائق العادي التابع لمؤسستهم (٥) آلاف روبية باكستانية وهو راتب ضخم في باكستان، أما المشرف العام على المؤسسة فهو (سلطان شعيب) من السنة أيضاً ويبلغ راتبه (٦٠) ألف روبية باكستانية ولديه ثلاق طائرات هليوكبتر تحت تصرفه.

ونشاط الإسماعيلية في هذه المناطق يتمحور على الاقتصاد ولا يعتنون بالدعوة إلى مذهبهم حتى لايفاجئوا أهل السنة. وكانت وزارة الزراعة الباكستانية في عام ١٩٨٨ وقبله تقوم بنفسها بتوزيع الأسمدة على المزارعين أما في ١٩٨٩ ومابعدها قام الأغاخاني بشراء الأسمدة ومنعها عن المزارعين حتى يجعلهم يعتمدون عليه وليس على الحكومة.

ويرى المراقبون في هذا خطراً ماحقاً إذ أنه تمهيد لتأسيس دولة إسماعيلية وقد تنبه لهذا رئيس كشمير الحرة (سر دار عبد القيوم) عندما صرح قبل أكثر من سنة بأن مناطق حلبجيت بلتستان وغيرها في حالة تحول إلى دولة للإسماعيلية.

ورئيس كشمير الحرة هو من يعنيه هذا المخطط إذ أن هذه الدولة ستكون عازلة بين باكستان والهند وستكون مثل دولة الحزام الأمني في جنوب لبنان لمنع المقاتلين من التوجه لفلسطين.

وبعد :

فإن أهل السنة هم الذين ضحوا بكل مايملكون في الجهاد الأفغاني، وهم الذين جادوا بالنفس والنفيس، وكان خصومهم من الطوائف الأخرى يتربصون ويعدون العدة لما بعد النصر ليقطفوا الثمرة، فهل يتحد أهل السنة ويفوتون الفرصة على هذه الطوائف التي تتقن التسلق على أكتاف الآخرين، وحتى لايكونوا هم الخاسر الوحيد □

الجزائر في الصحافة العربية

الجزائر في هذه الأيام هي محط الأنظار، وحديث الصحافة، الصحافة الغربية والصحافة العربية، وكل ينظر من زاويته التي يريدها، وقد نقلنا في العدد الماضي ماتقوله الصحافة الغربية، وأما الصحافة العربية التي تحمل أخلاطاً من القومية والعلمانية فهي تتكلم عن الجزائر بعين الإشفاق ظاهرياً، بينما هي تحرض وتلمز من التيار الإسلامي وتخاف على هذا البلد من (الأصوليين).

فـ (الوطن العربي) في عددها (١٦٣) بتاريخ ١٩٩٠/٤/٢٧ تعنون لمقالها: الجزائر في الطريق نحو المجهول . (الجيش سيتدخل لإحباط الدكتاتورية باسم الدين)!! إلى آخر هذا التهويل والتحريض، والعجيب أن هؤلاء القوميين يقولون: نحن نؤمن بالديمقراطية والحرية، ويعتذرون عن الأخطاء السابقة (أخطاء مصر عبد الناصر لضرب الإسلام) فإذا أتيحت الحرية للشعب واختار الإسلام يقولون: هذه دكتاتورية، وفي أسلوب لايليق تحاول المجلة الغمز من التيار الإسلامي بأنه استغل الجفاف في الجزائر وعلم من الأرصاد الجوية موعد سقوط الأمطار فذهب ليصلي صلاة الاستسقاء !! [الوطن العربي ١٩٩٠/٤/٢٧] وقد بلغ الغضب منتهاه عند رئيس التحرير عندما كتب في العدد (١٦٥) بتاريخ ١٩٩٠/٥/١١ : « من الأردن إلى مصر إلى الجزائر، والسلف الصالح بريء من هذه السلفية ».

ولاندري ماذا فعل له مسلمو الجزائر عندما يصورهم بأنهم (يخربون أساسات التنمية العربية) هل الشباب المسلم الذي يحمل شتى الاختصاصات

العلمية ومستعد لبذل علمه في سبيل بناء بلاده هو الذي يخرب؛ أَمْ الدكتاتورية التي يتباكى عليها رئيس التحرير، دكتاتورية عبد الناصر وبومدين، وهذا الأخير هو الذي خرب الزراعة في الجزائر بحجة التصنيع، فأصبحت الجزائر الواسعة الكبيرة لايستطيع الإنسان أن يزرع فيها وينتج لقمة عيشه.

وبالأسلوب نفسه تتكلم مجلة (اليوم السابع) فتكتب بتاريخ ١٩٩٠/٤/٣٠ : « السلطة تتراجع أمام الأصوليين » وتنقل رأي جبهة التحرير بأن الأصوليين استغلوا المساجد لأغراض حزبية وأن ممارساتهم (المنافية للقانون) قد كثرت!! وطبعاً بمنطقهم العلماني، يريدون من المساجد أن تكون كالكنائس لايبحث فيها أمر المسلمين، ونلاحظ أنه في كلتا المجلتين يشم رائحة استعداء السلطة على الإسلاميين وتحذيرها من ازدياد حجمهم.

وإذا كان هذا رأي الصحف التي تحقد على التيار الإسلامي فإن المسلمين ينظرون بعين الحب والاشفاق على الجزائر من مكر أعداء الإسلام، ولمنع المد الإسلامي أو إحباطه بشكل من الأشكال، ويرون أن تفويت الفرصة على أمثال هؤلاء هو باتحاد الكلمة ووضوح الهدف ودراسة كل خطوة دراسة جادة شرعية، تعلم الواقع وتعلم تحرك من لايحبون الإسلام، وإنها فرصة كي يثبت الإسلاميون أنهم على وعي بواقعهم، وأنهم على مستوى الأحداث □





١٥٩ طفلاً فلسطينياً يسقطون بنيران الجيش الإسرائيلي

حمّل تقرير نشرته منظمة سويدية اسمها : « أنقذوا الأطفال » السلطات العسكرية الإسرائيلية مسؤولية الاعتداء على الأطفال بشكل متكرر ومنتظم في الأراضي المحتلة، وذكر التقرير الذي يعد الأكثر تفصيلاً لأحوال الأطفال الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة أن (١٥٩) طفلاً فلسطينياً كانوا قد قتلوا في العامين الأولين من عمر الانتفاضة إما عن طريق الإصابة بطلقات نارية؛ أو الضرب، أو الغازات المسيلة للدموع. وتشكل نسبة الذين سقطوا بنيران الأسلحة ٦٧٪ من مجموع القتلى .

ديلي تلغراف ١٩٩٠/٥/١٧ م

موسكو : تفشي مرض الإيدز

من المقرر أن تعقد الحكومة السوفياتية مؤتمراً في نهاية شهر أيار (مايو) الجاري يشترك فيه كل من جهاز الشرطة ومسؤولين في وزارة الصحة، وذلك

لمناقشة الطرق الكفيلة بكبح تفشي مرض الإيدز. ومن بين الحلول المطروحة في جدول الأعمال هو احتمال إضفاء الصفة القانونية على البغاء الذي بات ظاهرة منظورة في المناطق التي يكثر تردد الأجانب عليها.

وكان وزير الصحة السوفياتي قد بين في نهاية شهر نيسان (أبريل) أن هناك ارتفاعاً حاداً في عدد الحاملين لجرثومة مرض الإيدز في الإتحاد السوفياتي، وأوضح الوزير أن عدد هؤلاء قد يرتفع مع نهاية هذا القرن ليصل إلى (١ر٥) مليون.

التايمز : ١٢ / ٥ / ١٩٩٠ م

التعذيب مازال قاعدة في السجون التركية

ذكر تقرير لمنظمة العفو الدولية نشرفي ٩ / ٥ / ١٩٩٠ م أن المعتقلين في السجون التركية مازالوا يتعرضون للتعذيب وافتقاد الحقوق الشرعية الأساسية، ويقول التقرير : إن من المعتقد أن حوالي (٥٠٠٠) معتقلاً سياسياً بما في ذلك مئات المعتقلين بسبب الأفكار التي يحملونها، ويشتمل هؤلاء على أصحاب

اتجاهات إسلامية، وصحفيين، وأكراد بالإضافة إلى نقابيين، وذكر التقرير أن التعذيب أمر روتيني حتى بالنسبة للذين يمضون أياماً قليلة في الاعتقال، وتقول منظمة العفو أن لديها معلومات تشير إلى امتداد أعمال التعذيب لتشمل الأطفال، وأن أعداداً غير معلومة من هؤلاء قد لاقوا حتفهم نتيجة لهذه الإجراءات.

كما جاء في التقرير أن تهديدات بالتصفية الجسدية تصدر بحق الذين يرفضون العمل كمخبرين في جهاز المخابرات.

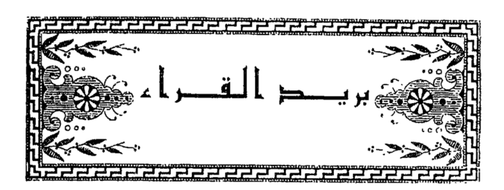
الجارديان : ٩ / ٥ / ١٩٩٠ م

تركيا تبيع المياه لإسرائيل

ذكرت مصادر في تل أبيب أن إسرائيل قد تشرع قريباً وبشكل تجريبي باستيراد المياه من تركيا، وكانت إسرائيل قد فرضت قيوداً على استهلاك المياه لاسيما للأغراض الزراعية والصناعية، وذلك لمواجهة العجز المتنامي في كميات المياه الذي قد يهدد فرص التوصل إلى تسوية في الشرق الأوسط.

ومن جهتها لم تُبد حكومة تركيا ــ وهي دولة مسلمة (!) ــ ممانعة في تصدير المياه إلى إسرائيل أو جيرانها العرب الذين كانوا قد تلقوا عروضاً مشابهة، ومما يذكر أن إسرائيل تعاني عجزاً في كميات المياه يصل إلى حد (٤٠٠) مليون متر مكعب، وقد يكون لهذا الوضع أثر على استعداد إسرائيل للتنازل عن الضفة الغربية التي تحتوي على نسبة ٩٥٪ من مصادر المياه المتبقية.

ديلي تلغراف : ١٧ / ٥ / ١٩٩٠ م



الأخ أحمد بن عبد الرحمن العباد أرسل إلينا يقترح زيادة حجم شؤون العالم الإسلامي والأخبار العالمية إلى نصف حجم المجلة، ونحن إذ نشكر الأخ أحمد على مشاعره الطيبة نقول له: إن البيان مجلة إسلامية جامعة، ومن المتعذر تنفيذ هذا الاقتراح لأنه سيكون على حساب القضايا الأخرى وهي مهمة أيضاً، والله الموفق.

الأخ إبراهيم البدراني ــ الرياض : يقترح على المجلة الكتابة عن الفكر الإسلامي المعاصر كدراسة موسعة على نمط ماكتب في (البيان) عن مالك بن نبي أو ماكتبه الشيخ سلمان العودة عن فكر الشيخ محمد الغزالي كما يذكر الأخ البدراني أن الغرض من هذا هو أن يكون الجيل المسلم على وعي بفكر رواد الثقافة الإسلامية.

البيان: نشكر الأخ إبراهيم اهتماماته الكبيرة ونعده بأننا سنحاول تنفيذ هذا الاقتراح إن شاء الله ونسأل الله الإعانة والتوفيق.

الأخ فهد بن سليمان الخليفة : بعث إلينا يعبر عن تقديره للكتابات في المجلة كما أنه يبدي بعض الملاحظات منها:

١ ـــ هناك نقص في الكتابات التي تعتني بالشباب وهمومهم ومشاكلهم.

٢ ـــ استمرار المقالات أحياناً على ثلاث حلقات أو أكثر.

البيان : نشكر الأخ فهد اهتمامه وسنحاول إن شاء الله تلافي النقص بشأن الاهتمام بمشاكل الشباب. أما موضوع استمرار المقالات فهذا لابد منه أحياناً، وقد حاولنا في الأعداد الأخيرة التقليل منه ماأمكننا ذلك.

الأخ فهد السالمي ـــ جدة: أرسل مشاركة أدبية وكذلك اقتراحات منها :

١ ـــ استمرار كتابات الدكتور مصطفى السيد، والدكتور وليد الطويرقي الأدبية.

٢ ـــ استحداث زاوية (من الصحافة العالمية) تنقل فيها الأخبار والتحليلات مع تعليق مناسب.

٣ ـــ مسابقة أدبية ترعاها المجلة.

البيان : نشكر الأخ فهد على المشاركة وعلى اهتماماته، واقتراحاته المفيدة.



خبر وتعليق

الصومال تسمح بدخول (القات)

« رفع الحظر المفروض منذ سبع سنين على « القات » الذي تأتي وارداته من كينيا وأثيوبيا، وكانت الصومال قد فرضت حظراً على القات في عام ١٩٨٣ لأنه يتسبب في إصابة الرجال بالكسل ويكلف الدولة (٨٠) مليون دولار في العام لاستيراده »

الشرق الأوسط ١٩٩٠/٤/٢٨

وبتاريخ ١٩٩٠/٢/٥ نشرت الشرق الأوسط أيضاً الخبر التالي: « كرر الرئيس الصومالي أمس دعوته للمعارضة لإجراء مفاوضات بمناسبة يوم العمال وأعرب عن أسفه للظروف المعيشية السيئة للعمال الصوماليين، وقال رئيس الصومال: إن الحرب الأهلية والعجز في ميزان التجارة الخارجية والتهرب من الضرائب كلها أدت إلى تردي الوضع الاقتصادي ».

تعليق : إن تصرفات أمثال هذه الدول من الأشياء المضحكة المبكية، فرغم العجز والفقر، والاعتراف بفساد الوضع الاقتصادي، وطبعاً (المخفي أعظم) والكل يعرف أحوال الناس في الصومال. ورغم هذا يسمح باستيراد (القات) مما يكلف الشعب الصومالي (٨٠) مليون دولار، لماذا؟ والشعب بحاجة إلى (القوت) وليس إلى (القات) وهل مثل هذه الشعوب بحاجة إلى زيادة كسل أم تحتاج إلى تشجيع الزراعة وإنتاج المواد الغذائية مثل القمح، والذرة، أو إنتاج المواد الزراعية الصناعية.. هل هذا تخبط أم شيء مدروس؟!!

ولماذا لايعترف رئيس الصومال بأن نظام حكمه هو سبب المشكلة كلها، فيترك الصومال لأهلها المسلمين فيريح ويستريح، بدلاً من اتهام الشعب بالتهرب من الضرائب. إن أحوال الشعوب الإسلامية وحكوماتها شيء عجيب. إنهم يجمعون بين السيئات والمتناقضات كما جاء في الحديث من ذم (العائل المستكبر).

□ □ □

« يُعقد في الثالث والعشرين من الشهر الحالي (مايو) في واشنطن مؤتمر لبحث مبادرة شاملة تهدف إلى مساعدة الديمقراطيات الناشئة في دول أوربا الشرقية اقتصادياً من قبل الدول الصناعية الغربية على أن يشارك في المبادرة القطاع الخاص في هذه الدول، وقد وصفت هذه المبادرة بأنها تشبه مشروع مارشال الذي أعقب الحرب العالمية الثانية وقد أكد على الدور الكبير للقطاع الخاص في هذه المبادرة ».

الشرق الأوسط ١١ / ٥ / ١٩٩٠

تعليق :

هكذا يبادرون لسد الخلل في دول أوربية لرفع مستوى الدخل الفردي فيها، وتؤهل لتكوين أوربا الموحدة ولتصبح كتلة كبيرة في مواجهة أي تكتل آخر، فمتى يبادر الأغنياء عندنا على مستوى الدول أو على مستوى الشركات والأفراد لإقامة المشاريع الاقتصادية عند الشعوب الإسلامية الفقيرة، لمساعدتهم على العيش الكريم ومن خلال العمل والكسب لا من خلال المساعدة والصدقة.

واجبنا تجاه المنهج الإسلامي

١ ــ الانكباب على دراسته ومعرفته حق المعرفة، لا أن نأخذه مجرد وراثة دون وعي.

٢ ــ التسليم بما جاء في مصدريه: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، دون أدنى شك في النفس أو تردد أو مشاورة للنفس التي تنازعها ضعفها وشهوتها والشياطين من جميع أطرافها. قال تعالى: ﴿ وماكان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ [الأحزاب/٣٦].

٣ ــ بذل الجهد في نشره بين الناس، إذ أنه ليس خاصاً بنا وحدنا قال تعالى: ﴿ إن هو إلا ذكر للعالمين ﴾ وكما أنك سعدت به وتلذذت بالعيش تحت كنفه فمن الواجب عليك تأدية زكاته بتبليغه لتلك البشرية المتعطشة له والتي تتخبط في جاهليتها.

٤ ــ الذود عنه أكثر من الذود عن حظ نفسك وأهلك وشرفك ومالك، قال ﷺ: « لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه ».

إن سفينة هذا المنهج سائرة، قائدها محمد ﷺ متحدية الأمواج بحفظ من الله تبارك وتعالى، شعارها قول الله تعالى: ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ [آل عمران/٨٥].

عثمان ناصر السعيد

من أخبار المنتدى الإسلامي

● ـ تم تأسيس نادٍ للكمبيوتر، وقد انتسب إليه كثير من الشباب المحترفين والهواة، وقد حاز النادي إعجاب كل من المنتسبين والزائرين الذين اطلعوا عليه، وقدروا الأهمية التي يمكن أن يتمخض عنها هذا المشروع.

● ـ توسعت مدرسة نهاية الأسبوع وذلك بازدياد المنتسبين إليها، بعد أن أدرك المشتركون فيها ماتقوم به من سد ثغرة في المجال التربوي وربط المسلمين بمفاهيم دينهم وثقافتهم.

● ـ سيقوم مركز الحج والعمرة في المنتدى بتنظيم رحلة الحج لهذا العام ١٤١٠ هـ بعد النجاح الملحوظ الذي لمسه من اشتركوا في الرحلات السابقة عن طريق المنتدى .

وستغادر رحلة الحج هذا العام في ٢٩ ذي القعدة ١٤١٠ هـ الموافق ٢٣ / ٦ / ١٩٩٠ م إن شاء الله .

المظلوم لايبني ولا ينتج

عبد القادر حامد

قد يعجب بعض الذين لاتسرهم الحال التي تعيشها الأمة الإسلامية وغيرها من الشعوب الفقيرة.. يعجبون من الكسل والشلل الذي يبدو أنه يلف هذه الشعوب، كيف أنها لاتفكر في معالي الأمور، وتغرق في المعيشة يوماً يوماً، ولايظهر عليها قلق مما يجري حولها من تكتلات اقتصادية، ولا يستثيرها هذا التباري المسعور الذي يحس ويلمس عند الشعوب المتقدمة.

وينسى هؤلاء الذين تؤلمهم هذه الحال الخاملة؛ وهذه الحياة التي تبدو مجردة من الأهداف ــ ماخلا الحاجات الدنيا التي تحفظ النوع والنفوس ــ ينسون حقيقة وبديهية بسيطة واضحة للعيان أن الذي يجرد الإنسان فرداً أو جماعة، من الأهداف العليا هو الظلم.

فالظلم هو الذي يسحق بشرية البشر، ويقصر تفكيرهم على الحد الأدنى من العيش، ويجعلهم يرضون بالدون من الحياة، ويلفتهم لفتاً عن مجرد التفكير في التعمير والتثمير، وهو الذي يقنعهم بالقول:

لِدوا للموت وابنوا للخرابِ!

وهذا الداء الوبيل داء الظلم، هو الوباء الذي ضرب المسلمين وأقام بينهم لايريم (١)، ومع أن شعوباً كثيرة استطاعت أن تضع حداً له، وتعيش في منجاة من نكايته، وتحد من انتشاره؛ لكننا مع الأسف نتقلب في ناره، ونعاني مانعاني من شدة ثباته في أرضنا واستقراره.

هذه الجموع العريضة تتذوق شتى أنواع الظلم، فهم بين مظلوم في ماله، ومظلوم في دينه، ومظلوم في حريته، ومظلوم في حقوقه الأدبية والشخصية، كل منهم جثم عليه من الظلم ــ نوع أو أكثر ــ مايجعله دائم التفكير في ظالمه، زاهداً في إنجاز أي شيء سوى الانتصاف لنفسه إن استطاع، مشلول التفكير والإرادة إلا عن التقلب على جمر الغيظ وحب الانتقام.

ولأمر ما عَنْوَن ابن خلدون فصلاً مهماً من مقدمته بالقول: « الظلم مؤذن بخراب العُمران » ولأمر ما اختار كلمة (مُؤْذِن) حتى يجعلك لاتغتر إذا رأيت قصراً منيفاً يتربع فيه ظالم بين الأضواء والرياش، أو سلطة يتحكم بها متجبِّر عات يأمر فيطاع، فهاهو ذا الظلم ينعق في جنباتها، مؤذناً بدك بنيانها من القواعد □

---

١ ــ لايتحرك ولا ينتقل .



العدد الثلاثون : ذو الحجة / ١٤١٠ هـ ـ تموز (يوليو) ١٩٩٠ م

مجلة إسلامية شهرية جامعة
تصدر عن

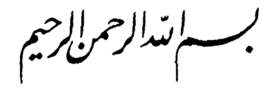
المنتدى الإسلامي

لندن

رئيس التحرير : محمد العبدة

AL-MUNTADA AL-ISLAMI TRUST

7 Bridges Place, Parsons Green
London SW6 4HR U.K.
Tel.: 071-731 8145
Fax.: 071-736 4255



الافتتاحية

لبيك لاشريك لك ..

إذا أردنا وصف هذا الدين بكلمة واحدة لقلنا: إنه دين (التوحيد)، فقاعدته الأساسية هي إفراد العبودية والتلقي والتوجه لله سبحانه وتعالى ومحاربة الشرك بشتى ألوانه وأصنافه، حتى يخلص الدين لله، وتتطهر الأرض من أنواع الطواغيت، وكل الأعمال إذا خالطها الشرك تتحول هباء منثوراً.

وفي هذه الأيام حيث تغرق البشرية بأنواع الشرك والخضوع لغير الله والجهل بدين الله في كل ناحية من نواحي حياتهم؛ يبرز الإسلام كهادٍ وحادٍ للإنقاذ من وهدة الضلال وطريق الانحدار. وإن منسك الحج من أعظم شعائر الإسلام تمثيلاً للتوحيد، ففيه تعود بنا الذكريات إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي حطم الأصنام ليكون الدين كله لله، وترك بلاد الأصنام مهاجراً إلى ربه، وهو الذي سمانا المسلمين من قبل، وهو الذي بنى مع ولده إسماعيل عليه السلام أول بيت للناس يعبد فيه الله وحده، وفي الطواف والسعي والوقوف والرمي يتجلى التوحيد ناصعاً، والدعاء كله لله (لبيك لاشريك لك ...) بينما كان دعاء العرب في الجاهلية (لبيك لاشريك لك إلا شريكاً هو لك، تملكه وماملك) ولذلك وصف الصحابي حَجة رسول الله ﷺ عندما أحرم من ذي الحليفة قال: فأهلَّ

بالتوحيد وهو يعني التلبية.

إن أغلى مايملكه المسلم عقيدته الصافية التي يجب التمسك بها ولو انحرف عنها أهل الأرض، ولو أن هناك محاولات (لعصرنة) الإسلام والتنازل عن شيء منه مقابل اعتراف الغرب بنا أو رضاه عنا.

إن رسول الله إبراهيم عليه السلام هو الذي حدد لنا هويتنا، إنها الملة الحنيفية، وليس لنا هوية غيرها، وبمجرد التنازل عن شيء منها يبدأ العد التنازلي لحضارتنا وقوتنا، إن الشريعة تكفل لنا العيش في هذا العصر إذا كنا على مستوى الاجتهاد والفقه في الإسلام، ولكن أن نتنازل عن هويتنا بسبب جهلنا بما تبيحه الشريعة وبما تمنعه فهذه هي الطامة. ولانزال نسمع في هذه الأيام من يدندن حول التجديد في (أصول الإسلام) أي التطوير في أصول الإسلام [1] حتى يتناسب مع هذا العصر، ولم يعلموا أن الثبات على المبدأ والتمسك به هو الذي يعطينا القوة أمام الأعداء. وإن الأخطار التي تواجه المسلمين وخاصة (المنطقة العربية) لاينجي منها إلا الوقوف تحت راية (التوحيد).

ومن يفقه هذا الدين ويعلم تفاصيله يدرك أنه وسط بين الملل المتشددة والمترخصة، وأنه حنيفية سمحاء، كما أن أهل السنة وسط بين المذاهب الإسلامية، فالذي لايعرف قدرهم يظن أنهم حرفيون، نصيون لايفقهون مرامي الكتاب والسنة، وهذا كله بسبب الجهل بحقيقة فهم أهل السنة وطرائقهم في الاستدلال والتفكير، والحقيقة أن التطرف لايصلح عليه أمر الخلق، فكيف يبقى الإسلام ويبقى مذهب أهل السنة لولا أنه يحمل بذور بقائه وهذا من حفظ الله له.

وفي مناسك الحج يبرز أمر آخر لابد من التنبيه عليه والتنويه به، وهو (توحد) المسلمين، فالحج من أعظم شعائر الإسلام إبرازاً لهذه الخاصية، ففيه يجتمع المسلمون من شتى أقطار الأرض، ألا يوحي لنا هذا بمحاولة التوحد، التي

---

١ ـــ انظر مقابلة (الشرق الأوسط ١٢ / ٦ / ١٩٩٠) مع الدكتور محمد فتحي عثمان .

نرى ونحس بعض إرهاصاتها ولكن لم تتحقق بعد على أرض الواقع، حتى بين أصحاب المنهج الواحد مع أن هذا التوحد فيه مصلحة الدين والدنيا، ومع كثرة الأوامر به والزواجر عن ضده « ذروني ماتركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم » [صحيح الجامع الصغير ١٥٦/٣].

ومع هذا فلا تزال فكرة التوحد ضعيفة لما تأخذ مجرى التطبيق العملي بعد، ولم يتم الإسراع بها وسبب ذلك هو ضعف البصيرة عن العواقب، والنظر إلى العاجل من مغانم سطحية مؤقتة لاتسمن ولا تغني من جوع.

إن أهل السنة مدعوون الآن أكثر من أي وقت مضى لإظهار خاصية من خصائص الإسلام وهي جمع الناس على دين واحد، وإذا كان الغرب الأوربي والغرب الأمريكي قد انفرد بالساحة وحده ولم يعد له منافس من الشرق الشيوعي فإنه يعلم ويصرح علناً أن المنافس الآن هو الإسلام . وإذا لم نتمكن من التوحد تحت راية (التوحيد) فسنبقى رقماً كما أطلق علينا (العالم الثالث) .



﴿أصلها ثابت وفرعها في السماء﴾

د. عبد الكريم بكار

سيظل للكلمة أثرها الفعال في تغيير أفكار الناس وأمزجتهم ومشاعرهم وواقعهم، وذلك إذا استوفت شروطاً معينة. وليس أدل على رفعة مكانة الكلمة في حياة البشر من أن الأنبياء ــ عليهم الصلاة والسلام ــ كانوا يجيدون استخدامها في التعبير عن الحقائق الراسخة والربط بينها وبين واقع البشر ورصيد الفطرة المتبقي لديهم.

فهذا نوح ــ عليه السلام ــ يجادل قومه باستفاضة حتى ضج قومه من ذلك حين قالوا: ﴿ يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا ﴾ [هود/٣٢]. وهذا إبراهيم عليه السلام يكرمه الله تعالى، فيهبه من قوة الحجة مايفحم قومه: ﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم ﴾ [الأنعام/٨٣]. وهذا موسى عليه السلام يقول: ﴿ واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي ﴾ [طه/٢٧، ٢٨] ثم يطلب من الله تعالى أن يتفضل عليه بإشراك هارون معه في التبليغ لفصاحة لسانه حين يقول: ﴿ وأخي هارون هو أفصح من لساناً فأرسله ردءاً يصدقني إني أخاف أن يكذبون ﴾ [القصص/٣٤]. والله تعالى يقول لخاتم أنبيائه: ﴿ وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً ﴾

[النساء/٦٣]. وكل هذا قبس مما نسبه الباري جل وعلا لنفسه حين قال: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنعام/ ١٤٩].

وحجج النبيين ومضامين خطابهم للخلق — في الأصول — واحدة أو تكاد؛ مما يجعل جذور الكلمة الطيبة ضاربة في أعماق الزمن من لدن نوح عليه السلام إلى خاتمهم محمد ﷺ؛ وهذا يجعل حركة التايخ كلها في سياق عام واحد هو التأكيد على أهمية الكلمة الطيبة في إنقاذ البشرية من الضلالة.

ونحن في كثير من الأحيان نستخف بقيمة الكلمة، ومع أهمية العمل إلا أن لكل منهما مجاله الذي لايصلح فيه غيره، وفي تاريخنا الإسلامي أمثلة كثيرة جداً غيرت فيها الكلمة مسار شخص أو مدينة بل قارة، فمما يذكرون في هذا الصدد أن وفداً من بعض بلاد أفريقية وفد حاجاً، فالتقى بالإمام مالك بن أنس صاحب المذهب؛ فأثنى مالك على والي ذلك البلد خيراً، وتمنى لو رزقت المدينة مثله في عدله وصلاحه. فبلغ ذلك والي ذلك البلد الإفريقي، فأمر بتدريس كتب مالك في بلده، وأدى ذلك إلى انتشار المذهب المالكي في أرجاء أفريقية! وماأظن أن ماحدث كان يخطر للإمام على بال.

وقد تغني الكلمة الواحدة غناء جيش أو جيوش، كما حدث في غزوة الأحزاب حين أسلم نعيم بن مسعود، واستخدم عدم علم المشركين بذلك في تبديد الثقة بين قريش واليهود على ماهو مشهور.

وقد أدركت الشركات والمؤسسات التجارية قيمة الكلمة في التأثير على المشتري ودفعه إلى شراء مالايحتاج له، قال أحدهم: لو كان لي عشرة دولارات لتاجرت بواحد وصنعت دعاية بالتسعة الباقية.

وإذا أردت أن تشل فاعلية شخص ما فيكفي أن تقنعه أن عمله غير ذي فائدة.

والآية التي نحن بصددها زاخرة بالمعاني والصور التي تجعل الكلمة في أرقى حال جمالاً وكمالاً ونفعاً. ولنقرأ الآية وماتلاها لنقبس شيئاً من نورها، قال الله جل وعلا: ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة

كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ﴾ [إبراهيم/٢٤، ٢٥].

لقد شبه الباري ــ عز اسمه ــ الكلمة الطيبة بشجرة طيبة، وهذه الشجرة الطيبة تتصف بثلاث صفات أساسية، ثبات أصلها وعمق جذورها ثم ذهاب فروعها وأفنانها في السماء، ثم نفعها الدائم للخلق باستمرار أكلها وثمارها. ولنفصل القول في تنزيل هذه الصفات على الكلمة الطيبة.

١ ــ ثبات الأصول :

حين نعرف أن أصول دعوات الأنبياء عليهم السلام واحدة تركزت في الدعوة إلى التوحيد الخالص وعبادة الله تعالى وإقامة الحق والعدل في الأرض وإعمارها بما يسمح بإقامة مجتمع التوحيد ــ ندرك أي جذور ضاربة تمتلكها الكلمة الطيبة على اتساع أمداء الزمان والمكان، وندرك أي رصيد من المنطق العام الذي بناه الأنبياء تستند إليه، وأي رصيد ضخم من الفطرة يؤازرها في عملية البلاغ المبين.

وقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلاّت أمهاتهم شتى ودينهم واحد ». قال ابن حجر: ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد، وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع [فتح الباري ٦/٤٨٩].

فالكلمة الطيبة إرث موروث متصل بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام. ولكن المشكلة أن التفريق بين الأصول والفروع قد لايتهيأ لكل الناس مما يجعل الخلط بينهما وارداً، وحينئذ فقد يجمد ماينبغي أن يتطور، وقد يتطور ماينبغي أن يثبت.

واليوم نتيجة لعلميات الضغط الفكري التي تمارسها التيارات المادية نجد أن كثيراً من الكتاب والمفكرين الذين لهم صبغة إسلامية بدؤوا يتزحزحون عن كثير من مواقعهم مصطحبين معهم أفكاراً أو أحكاماً عليها الإجماع، أو السواد الأعظم من علماء المسلمين، بل بعض الأصول التي ليست موضع نزاع.

ويحضرني هنا ماكتبه أحد الذين لهم نفس إسلامي عن لقائه مع

القسس الذين يعيشون في بعض بلدان العالم الإسلامي حيث أثنوا على كتاباته، وسألوه عن الوضع الذي ينبغي أن يكونوا عليه وهم يعيشون بين المسلمين؟ وقد أجابهم بقوله: أول مانطلبه من النصراني الذي يعيش بيننا أن يتمسك بنصرانيته...!! وهذا المطلب عجيب غريب، وهو غني عن كل تعليق. فهل يصح لهذا وأضرابه أن يدعي أنه يكمل مهمة نبيه ﷺ في تبليغ الرسالة وهداية الخلق؟!.

وقريب من هذا الفتاوى التي صفق لها كثيراً الذين في قلوبهم مرض من أمثال إباحة الربا الذي تتعامل به البنوك اليوم، ومن مثل القول بعدم وجود حد للردة في الشريعة .... الخ. وإذا استمر هذا النهج على ماهو عليه اليوم فسنجد أنفسنا أمام دين يقبل كل إضافة كما يقبل أي حذف، ويصبح قابلاً للتشكيل على مايشتهي أهل الأهواء والشهوات، لأنه صار شيئاً ليس بذي طعم ولا لون ولا رائحة... ولكن ذلك لن يكون بإذن الله مانشط أهل الحق في توضيحه والذود عن حياضه.

٢ ـ مرونة الأساليب وتنوعها:

على مقدار ماتكون جذور الكلمة الطيبة وأصولها راسخة ثابتة تكون أساليبها مرنة نامية منوعة، وهذا في حد ذاته أحد مقتضيات ثبات الأصول؛ فأحوال البشر وأفهامهم مختلفة، ولذلك تعدد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وتنوعت شرائعهم، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وماأرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾ [إبراهيم/٤] فالرسول يكلم الناس بلغتهم التي يتكلمون بها على أوسع ماتحمله هذه الكلمة من دلالات، والهدف هو: أن يبين لهم مايدعو إليه، وقد أخذ الأسلوب القرآني من العرب كل مأخذ وتحداهم وطاولهم في التحدي، وأقام عليهم الحجج الدامغة التي تناسب أوضاعهم الفكرية آنذاك.

واللغة في أبسط تعاريفها هي مجموعة الإمكانات التعبيرية في بيئة من البيئات وهذه الإمكانات التعبيرية تتسع باتساع حضارة اللاغين بها واتساع غنى الخلفيات الثقافية لديهم. وهذه الإمكانات دائمة التغيير والتشكل تمر بعين الأطوار التي يمر بها الكائن الحي من الولادة إلى الموت ومابينهما من مراحل. ولغتنا الفصحى تنمو ضمن أطر صارمة، فالفاعل لن ينمو ليصبح مجروراً، والمضاف إليه لن ينمو ليكون

مرفوعاً، ولكن بين تلك الأطر مساحات واسعة شاسعة تتحرك فيها اللغة على مستوى التراكيب والدلالات والأصوات، وتلك الحركة تساير وتناغم شلالات الثقافة في الأمة في تنوعها ودرجة عنفها.

لغة العصر :

من سمات حركة التاريخ أن دور العبادة تظل كهوفاً لنوع أو لأنواع من العلم مهما ساءت أحوال الأمة الثقافية؛ وعلى امتداد تاريخنا الإسلامي كان علماء الشرع يشكلون السواد الأعظم من الكتاب والباحثين والمفكرين مما جعل اللغة التي يتكلم بها الصفوة من الناس هي عين اللغة التي يتحدث بها الدعاة؛ لأنهم هم الذين شكلوها، وعلى ألسنتهم تطورت، ونمت... ولكن الزمان قد اختلف حيث إن اللغة التي يتكلم بها النخبة اليوم تكونت من جهد ثقافي متنوع، فأجهزة الإعلام والجرائد والمجلات والقصص والروايات والكتب التي صنفها باحثون تنوعت ثقافاتهم مضامين وأساليب، وبفعل وسائل الاتصالات الحديثة صار العالم بمثابة قرية صغيرة تكثفت فيها الآراء والاتجاهات والثقافات...

وكان في هذا تحدٍ عظيم لكل من يريد مخاطبة الناس، والتأثير فيهم، إذ أن الخلفية الثقافية للمخاطبين صارت أكثر تعقيداً بسبب ثراء الساحة الثقافية وتنوعها، مما أسفر عن وجود حواجز كثيرة على الكلمة أن تتجاوزها قبل الاستقرار في الذهن أو العاطفة؛ كما صار التزام الدقة في أداء الكلمة شرطاً أساسياً للحيلولة دون أن يساء فهمها، كما صار اختيار العبارات المناسبة للحقيقة التي يراد إيصالها للمخاطب أمراً ضرورياً جداً.

فإذا كانت الحقيقة التي نريد توصيلها أدبية أو حضارية فإن العبارة القادرة على اختراق الحجب هي التي تحمل في تركيبها قابلية تعدد المعاني عند مختلف الدارسين بحيث يكون لكل منهم فيها خطة من التفسير والتأويل بشرط أن يكون ذلك ضمن طاقة التركيب اللغوي الذي بين يديه. أما الحقيقة العلمية الكونية أو العقدية أو الفقهية فينبغي أن تصاغ بعبارة غاية في الدقة لاتدع مجالاً إلا لمعنى واحد، كما أن ذلك المعنى لايجد دقة صياغته إلا في تلك العبارة.

فإذا لم يراع المتحدث أو الكاتب هذا أحدثت عباراته للناس فتناً، وأوقعته في الريبة مع سلامة قصده، وفتحت عليه من نوافذ النقد ما لا قبل له به.

من خصائص لغة العصر :

يتمخض عن تلاطم الأفكار والثقافات المختلفة قناعات ومفاهيم عند السواد الأعظم من الناس، وهذه المفاهيم قد تكون صحيحة، وقد لاتكون لأنها لاترتكز في أكثر الأمر على حقائق موضوعية بقدر ماتنبع من قوة الفعاليات على الساحات الثقافية والفكرية؛ وهذه القناعات تشكل مفردات التركيب الذهني لدى الناس مما يجعل امتصاصهم للمعلومات التي يطلعون عليها ذا سمات خاصة تنسجم مع ذلك التركيب. وحينئذ فإن الداعية مطالب بمعرفة تلك القناعات والمفاهيم، كما أنه مطالب بتحسس التركيب الذهني السائد في عصره حتى يخاطب الناس بلسانهم، ومن هذه الخصائص:

أ ــ اعتماد الإحصاء بدلاً عن

الفلسفة :

كانت الفلسفة تسمى ملكة العلوم، وذلك بسبب تأثير منهج أرسطو في منحنيات الفكر البشري ومساراته؛ وقد كان الناس إلى عهد قريب يسمون من أوتي فيهم مقدرة خاصة على التعبير بـ (الفيلسوف)، بل إن بلداً مثل بريطانيا مازال يستخدم كلمة (فلسفة) في شهادات التخصصات العليا لديه. وقد تأثر الفكر الإسلامي قديماً بالمنطق الأرسطاليسي، وتسربت مقولاته وأقيسته إلى كثير من كتب الأصول والفقه والعربية، بل والعقيدة. ذلك الفكر الذي لايقيم للتجربة أدنى وزن، ومن الطرائف المتناقلة في هذا أن أرسطو كان يزعم أن أسنان الرجل أكثر من أسنان المرأة! ولو أن زوجته فتحت فمها وعد أسنانها لعرف أن زعمه حديث خرافة..

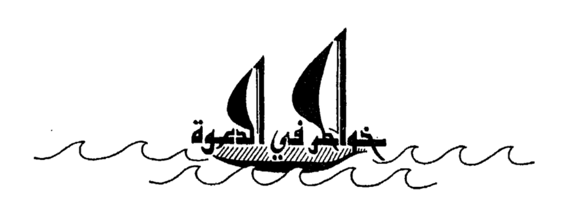
وقد أدركت أوربة في أوائل عصر نهضتها ألا نهضة ولا تقدم قبل نبذ الفكر الأرسطي القياسي ثم الاتجاه إلى التجريب لتتويجه ملكاً على العلوم المادية، ومن ذلك اليوم بدأت قناعات الناس تنحو منحى لغة الرقم لاستفتائها والبناء عليها، وهذه نقطة

إيجابية إذا أحسنا التعامل معها؛ ولكن كثيرين منا مازالوا غير واعين لهذه الحقيقة مما يجعلهم يستمرون في سوق الحجج العقلية مع توفر أرقام واقعية تدعم قوله، وتؤيده؛ فعلى سبيل المثال فإن تقديم نماذج واقعية ذات أرقام محددة على مايكن أن ينتج من الأمن والرخاء نتيجة تطبيق الحدود والنظام الاقتصادي الإسلامي ــــ أجدى وأنجع بكثير مــن سرد مجلدات من العلل والحجج العقلية التي تشرح فوائد الالتزام بالإسلام أو تلك التي توضح سلبيات الربا وتطبيق القوانين الوضعية.

ومن المفيد هنا أن نقول إن أرسطو أنشأ فنَّ الجدل ليسد الثغرات التي يتركها الاستقراء الناقص للأحداث والأفكار كما أنشئت فلسفة التاريخ فيما بعد لتسد النقص في التفاصيل التاريخية، أما اليوم فقد أضحى الإحصاء إحدى أهم سمات عصرنا البارزة، مما يسهل استخدامه حتى نخفف من الجدل والمماحكات اللفظية العقيمة □

للبحث صلة



الملل من كواذب الأخلاق

جاء في صحيح ابن حبان عن عائشة رضي الله عنها تصف خلقاً من أخلاق الرسول ﷺ، قالت: « كان عمله ديمة » [1]، وفي حديث آخر قالت: « كان أحب الأعمال إلى رسول الله ﷺ الذي يدوم عليه صاحبه » [2].

أراد رسول الله ﷺ تعويدنا على المثابرة والدأب على العمل الذي نبدأ به، وأن يكون نَفَسنا طويلاً فلا ننقطع لأي عارض، ولاشك أن هذا الخلق وهذه العادة من أكبر أسباب نجاح الأمم والأفراد، لقد افتقدنا هذا الخلق في الأزمنة المتأخرة فما أن نبدأ بعمل أو مشروع ما حتى ننقطع، وما أن نسير خطوات حتى نملَّ ونتعب، وكم من مشاريع علمية أو اقتصادية بُدىء بها ثم انقطعت سواء كانت مشاريع فردية أم جماعية، وبعد الانقطاع تتغير الوجهة ونبدأ من جديد. والسبب في هذا هو أن الطبع ملول ولم نتعلم بعد (فن التعاون) فيما بيننا ونريد قطف الثمرة بسرعة، ولو تصفحنا التايخ لوجدنا أن كبار علمائنا لم يصلوا إلى

---

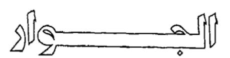
١ ــ صحيح ابن حبان ٢٧/٢ بتحقيق الأرنؤوط، قال ابن الأثير: الديمة المطر الدائم في سكون.
٢ ــ المصدر السابق ٢٨/٢ .

ماوصلوا إليه إلا بالمثابرة والمصابرة، وكم عانى علماء الحديث من الترحال ومشقة الأسفار، وغيرهم من العلماء ماتسنموا هذه المنازل إلا بعد أن جثوا على الركب سنين، وكان أحدهم يسهر أكثر الليل يفكر بالمسألة ويقلب فيها وجهات النظر.

وإذا جاز لنا التعلم من الأعداء ، فإن هذا الخلق موجود عند الغربيين، يستقر المبشر بالنصرانية في قرية منقطعة في غابات آسيا أو أدغال أفريقيا سنوات وهو يدعو إلى باطله، وتكون النتائج غالباً ضئيلة فلا يخرج إلا بالآحاد الذين تنصروا، ومع ذلك لايسأم ولا يمل، وقد يتعجب المرء إذا علم أن بعض الصحف والمجلات الغربية لاتزال تصدر من مئة سنة، أو أكثر وبالاسم نفسه دون انقطاع، وبعض مؤسساتهم عمرها مئات السنين لم تتغير، حتى في شكلها، فمقر رئاسة الوزراء في بريطانيا (١٠ داوننغ ستريت) عمره (٢٥٠) سنة ولم يفكروا بالانتقال إلى مكان أوسع وأرحب، وأما مشاريعهم العلمية الطويلة الأمد فيعرفها كل طالب علم كالمعجم المفهرس لألفاظ الحديث، وكتابة المستشرق (دوزي) لتاريخ المسلمين في الأندلس استغرقت عشرين سنة، ومشروع تاريخ التراث العربي...

إن هذا الاستمرار الطويل يعطي رسوخاً وتجربة، ويخرج أجيالاً تربت من خلال هذه الاستمرارية، والانقطاع لاينتج عنه إلا الخيبة والندامة، وقد نهانا الله سبحانه وتعالى أن نكون ﴿ كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ﴾ [النحل/٩٢] وهذا عمرو بن العاص رضي الله عنه عندما كان أميراً على مصر وقد ركب بغلة قد شمط وجهها واجتاز بها منازل أمراء الصحابة وكبار القواد في الفسطاط، فقال له أحدهم أتركب هذه البغلة وأنت من أقدر الناس على امتطاء أكرم ناخرة (فرس) بمصر؟ فقال: لاملل عندي لدابتي ماحملت رحلي، ولا لامرأتي ماأحسنت عشرتي ولا لصديقي ماحفظ سري، فإن الملل من كواذب الأخلاق □





إعداد : عادل التل

المعنى اللغوي :

الجوار: المجاورة.
والجِوار والجُوار بمعنى واحد ولكن الكسر أفصح.
وجمع جار: أَجْوار وجيرة وجيران، ولفظ الجار له معاني كثيرة منها:
الجار الذي يجاورك بيت بيت، والحليف، والناصر، والقاسم، والشريك في التجارة، وجارة المرأة ضرّتها، والمرأة جارة لزوجها، لأنه مؤتمر عليها، وأمرنا أن نحسن إليها ولا نعتدي عليها لأنها تمسكت بعقد حرمة الصهر، وصار زوجها جارها لأنه يجيرها ويمنعها.

والجار الجنب: أن لايكون له مناسباً (ليس من أقاربه) فيجيء إليه ويسأله أن يجيره، أي يمنعه، فينزل معه ومنه يقال للذي يستجير بك: جارٌ، وللذي يجير: جارٌ، ومنه الجار الذي أجرته من أن يظلمه ظالم وأجار الرجل: خفره.

المعنى الاصطلاحي :

قال تعالى: ﴿ قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً ﴾ أي لن يمنعني من الله أحد، ولن ينصرني عليه أحد، وقال أيضاً: ﴿ قل من بيده

ملكوت كل شيء، وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ﴾ أي وهو السيد العظيم له الخلق والأمر والعظمة والكبرياء فلا يحول شيء دون حكمه وأمره. يلتقي معنى الاجارة مع الاستعاذة، فكل منهما يطلب خلاله الحماية والمنعة، ولكن الاستعاذة لاتكون إلا بالله، بينما تكون الإجارة في الدنيا من الناس.

ويختلف حكم الجوار عن المعاهدة، والتي تكون بين المسلمين وغيرهم وتضع أحكاماً على الطرفين المتعاهدين بينما الجوار لاينشأ إلتزامات متبادلة وإنما يقع الالتزام على طرف واحد وهو المجير، لصالح المستجير بأن يحميه ويرفع عنه الظلم وفق أعراف الجاهلية ومثال المعاهدة (صلح الحديبية) ومثال الجوار، دخول رسول الله ﷺ مكة بجوار المطعم بن عدي وقد كان سابقاً في حماية عمه أبي طالب وبني هاشم، وهكذا يأخذ الجوار معنى الأمان والحماية والمنعة.

من أحكام المصطلح :

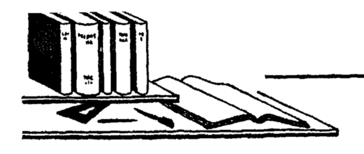
قال تعالى: ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك، فأجره حتى يسمع كلام الله، ثم أبلغه مأمنه ﴾ [التوبة/٦] وفيها جواز إعطاء الكافر الأمان في بلاد المسلمين حتى يسمع كلام الله تعالى ويطلع عن قرب على أمر الدين فتقوم الحجة عليه، وكذلك لابد من ضمان عودته إلى بلاده آمناً، وقد قال رسول الله ﷺ: « يد المسلمين على من سواهم، تتكافأ دماؤهم وأموالهم، ويجير على المسلمين أدناهم » أخرجه ابن ماجه لذلك قال لأم هانيء: « قد أجرنا من أجرت » أخرجه البخاري.

أما عندما يكون المسلمون في حالة الضعف، في مرحلة الدعوة، وعندما يشتد عليهم أذى المشركين وتنزل بهم المحن والخطوب، فليس أمامهم إلا تحمل الآلام والمشقة، أو الدخول في جوار أحد من الناس، أو الهجرة إلى مكان آمن، وقد خرج جماعة من الصحابة فراراً بدينهم ــ ومن بينهم رجال من كبار

الصحابة ــ مصطحبين معهم النساء والأبناء، حيث قصدوا أرض الحبشة ونزلوا مطمئنين بجوار ملكها العادل ــ وذلك قبل أن يدخل النجاشي بالإسلام ــ ومن المشهور عن الصحابة أنهم لم يتنازلوا من أجل الحماية والأمان عن أي شيء من أمر دينهم ولم يبدلوا من سلوكهم أو مواقفهم لقاء هذه الحماية، وكان الدخول بالجوار دون قيد أو شرط يحول بين المسلم ودينه، ولا يشترط في عقد الجوار أن يكون صريحاً من إيجاب وقبول، فقد يكون من طرف واحد يعلن حمايته لهذا الرجل، وذلك من أجل قرابة أو حباً في مواقف الشرف، وقد يكون الجوار على شكل بلاد مفتوحة أمام المهاجرين بحيث يستطيع الإنسان أن يقيم فيها دون الالتزام بقيود في مجال الاعتقاد، وإنما يعتمد على قوانين تلك البلاد التي لاتتعرض للأحوال الشخصية للناس كما هو الحال في بعض البلاد الأوربية وغيرها.

ومن المآثر التي خلفها لنا أصحاب رسول الله ﷺ أن منهم من رفض قبول جوار المشركين وهو يقول: « إني دخلت في جوار من هو أعز منك.. لقد دخلت في جوار الله تعالى » ومنهم من رد الجوار بعد أن حاول المجير أن يحد من مواقف ونشاط المتسجير، ولقد رد أبو بكر الصديق رضي الله عنه الجوار لابن الدّغنَّة عندما طلب منه أن لايصلي خارج بيته، قال أبو بكر: « أو أرد عليك جوارك، وأرضى بجوار الله ». □





الشهرستاني وكتابه الملل والنحل

عبد العزيز بن محمد
آل عبد اللطيف

في هذه الدراسة المختصرة، سأتحدث عن أحد الأعلام البارزين الذين كان لهم دور ظاهر في تدوين مقالات الفرق والمذاهب سواءً كانت إسلامية أو غير إسلامية، فكان كتابه موسوعة موجزة ومرتبة للكثير من الآراء والمعتقدات للفرق الإسلامية وغيرها.

هذا العَلَم هو أبو الفتح محمد بن عبد الكريم المعروف بالشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ) وكتابه هو « الملل والنحل ».

ولعل من المناسب أن أشير إلى أهمية دراسة شخصية الشهرستاني، وكتابه الملل والنحل، فالشهرستاني ــ فيما هو مشهور ومعلوم عند الكثير من الدارسين ــ أحد شيوخ الكلام، وواحد من علماء الأشاعرة، وله دراية وخبرة بمقالات الفرق والمللل والنحل، ولكن هناك جوانب مهمة عن الشرستاني قد تخفى على بعض الدارسين كاتهامه بالميل إلى الباطنية، أو القول بتشيعه، ولعلنا نلقي بعض الضوء على هذه القضية.

وأما كتابه « الملل والنحل » فهو مرجع مشهور، ومصدر متداول بين أيدي الباحثين، وقد ترجم إلى عدة لغات؛ ومع ذلك فلا توجد

دراسة علمية مطبوعة (١) ـــ فيما أعلم ـــ تتحدث عن منهج الشهرستاني في هذا الكتاب المهم، وتبين مصادره، وتوضح مزاياه، كما تذكر المآخذ عليه.

ولد الشهرستاني سنة ٤٧٩ هـ بليدة شهرستان في أقليم خراسان، وهو ـــ كما يقول الذهبي ـــ « شيخ أهل الكلام، والحكمة، وصاحب التصانيف »(٢)، برع في الفقه والأصول، والكلام، تفقه على أحمد الخوافي، أخذ الأصول والكلام على أبي نصر بن القشيري، ودخل بغداد سنة ٥١٠ هـ، وتوفي بمسقط رأسه سنة ٥٤٨ هـ.

ألف الشهرستاني تصانيف كثيرة تصل إلى تسعة وعشرين كتاباً، منها المطبوع والمخطوط، والمفقود. ومن كتبه المطبوعة: الملل والنحل، ونهاية الإقدام في علم الكلام، ومصارعة الفلاسفة. ومن كتبه المخطوطة: رسالة في اعتراضات الشهرستاني على كلام ابن سينا، والمناهج في علم الكلام، وقصة يوسف عليه السلام(٣)، وغيرها.

ومن كتبه المفقودة: مناظرات مع الإسماعيلية، وتاريخ الحكماء وغيرهما(٤).

والآن ـــ أخي القارىء ـــ أنقل لك بعض أقوال أهل العلم الذين اتهموا الشهرستاني بالميل إلى الإسماعيلية الباطنية.

قال ابن السمعاني: كان [الشهرستاني] متهماً بالميل إلى أهل القلاع ـــ يعني الإسماعيلية ـــ والدعوة إليهم، والنصرة لطاماتهم.

وقال في التحبير: إنه متهم بالإلحاد، غال في التشيع.

وقال ابن أرسلان في « تاريخ خوارزم عن الشهرستاني: عالم كيِّس متفنن، ولولا ميله إلى أهل الإلحاد، وتخبطه لكان هو الإمام (٥).

ونقل صاحب شذرات الذهب عن كتابه العبر أنه اتهم بمذهب الباطنية(٦).

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية شيئاً من ذلك، ولكن بصيغة « تمريضية » فقال رحمه الله: « وقد قيل إنه صنف تفسيره « سورة يوسف » على مذهب الإسماعيلية: ملاحدة الشيعة (٧).

وفي المقابل نجد علماء ينفون هذه الدعوى عن الشهرستاني، فهذا السبكي يدافع عن الشهرستاني فيقول بعد أن ذكر أقوال من اتهم الشهرستاني بالميل إلى الباطنية:

« فأما (الذيل) [٨] فلاشيء فيه من ذلك، وإنما ذلك في (التحبير)[٨]، ومأدري من أين ذلك لابن السمعاني، ويقع أن هذا دُس على ابن السمعاني في كتابه (التحبير) وإلا فلِمَ لم يذكره في (الذيل) »[٩].

وينفي شيخ الإسلام ــ في موضع آخر ــ هذه التهمة عن الشهرستاني فيقول:

« يذكر (الشهرستاني) أشياء من كلام الإسماعيلية الباطنية، ويوجهه، ولهذا اتهمه بعض الناس بأنه من الإسماعيلية، وإن لم يكن الأمر كذلك »[١٠].

ومما يؤكد ذلك أن الشهرستاني صنف في ذكر فضائح الباطنية [١١]، كما أن للشهرستاني صولات وجولات مع ابن سينا الفيلسوف الباطني، يقول ابن القيم:

« وصارع محمد الشهرستاني ابن سينا في كتاب سماه (المصارعة) أبطل فيه قوله بقدم العالم، وإنكار المعاد، ونفي علم الرب تعالى وقدرته وخلقه العالم »[١٢].

وإضافة إلى ذلك، فقد تحدث الشهرستاني عن الباطنية، وذكر شيئاً من مقالاتهم[١٣]، ولكن كان الواجب على الشهرستاني أن يكشف عن معتقدات الباطنية، ويبين إلحادهم وزندقتهم، وكيدهم لأهل الإسلام، كما فعل سلفه عبد القاهر البغدادي في (الفرق بين الفرق) [١٤]وغيره.

ونقف وقفة يسيرة أمام هذه الأقوال المتعارضة، لنقول: إنه يمكن أن نعزو رمي واتهام الشهرستاني بالإسماعيلية إلى جملة أسباب تتعلق بشخصه، منها أن الشهرستاني ــ وللأسف ــ مع كثرة اطلاعه ومعرفته للمذاهب والفرق الإسلامية، فإنه كان جاهلاً بمذهب السلف الصالح، فلا يعلم معتقد أهل الحديث، وقد ذكر ذلك شيخ الإسلام في غير موضع، فقال:

« فالشهرستاني صنف الملل والنحل، وذكر فيها من مقالات الأمم ماشاء الله، والقول المعروف عن

السلف والأئمة لم يعرفه، ولم يذكره »(١٥).

ولقد ورثت هذه المعرفة الواسعة للمذاهب المختلفة صاحبنا ـ مع الجهل بمذهب السلف الصالح ـ حيرة واضطراباً، عبر عنها بهذين البيتين من الشعر فقال:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها
وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كف حائر
على ذَقَنٍ أو قارعاً سن نادم(١٦)

وتتمثل هذه الحيرة وعدم الاستقرار على مذهب ما، ما نلاحظه في الشهرستاني من موافقة للأشاعرة، ومن ميل للإسماعيلية مرة أخرى، وإظهار التشيع (١٧) مرة ثالثة، وربما تأثر بفلسفة أو تصوف.

وسبب آخر جعل بعض العلماء يتهم الشهرستاني بالباطنية، وهو ماأشار إليه ابن حجر رحمه الله حيث قال معقباً على ماذكر من وقوع الشهرستاني في ذلك:

« لعله كان يبدو من ذلك على طريق الجدل، أو كان قلبه أشرب محبة مقالتهم لكثرة نظره فيها، والله أعلم »(١٨).

إذن فإلحاح الشهرستاني وإمعانه في مناظرة الإسماعيلية، وكثرة جداله معهم، ربما كان سبباً في رميه بالباطنية لتأثره بتلك المناظرات، وقد صرح الشهرستاني بكثرة مناظراته للإسماعيلية فقال: « وكم قد ناظرت القوم على المقدمات المذكورة، فلم يتخطوا عن قولهم: أفنحتاج إليك؟ أو نسمع هذا منك؟ أو نتعلم عنك »(١٩).

وعلى كل فلا تزال هذه المسألة تحتاج إلى مزيد من التوثيق والبحث، ولعل الاطلاع على الكتب الخطية للشهرستاني يعطي مزيداً من المعلومات حول هذه المسألة.

وفي ختام الحديث عن شخصية الشهرستاني، لابد من الإشارة إلى ميل الشهرستاني إلى التشيع، وقد أشار شيخ الإسلام إلى هذا بقوله: « وبالجملة فالشهرستاني يظهر الميل إلى الشيعة إما بباطنه، وإما مداهنة لهم، فإن هذا الكتاب ـ كتاب (الملل والنحل) ـ صنفه لرئيس من رؤسائهم، وكانت له ولاية ديوانيه، وكان للشهرستاني مقصود

في استعطافه له، وكذلك صنف له كتاب (المصارعة) »[٢٠].

وهذا الأمير الشيعي الذي من أجله ألف الشهرستاني كتابيه: الملل والنحل، والمصارعة هو علي بن جعفر الموسوي، وكان أميراً في خراسان[٢١].

وقد صرح الشهرستاني بذلك، فقال في مقدمة كتابه (مصارعة الفلاسفة) ــ بعد إطراء ومدح طويل لهذا الأمير الشيعي ــ : « انتدب أصغر خدمه محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، لعرض بضاعته المزجاة على سوق كرمه، فخدمه بكتاب صنفه في بيان الملل والنحل، على تردد القلب بين الوجل والخجل، فأنعم بالقبول، وأنعم النظر فيه »[٢٢].

ويظهر تشيع الشهرستاني عندما يقول: « وبالجملة كان علي رضي الله عنه مع الحق، والحق معه »[٢٣]، وقد علق شيخ الإسلام على هذه العبارة.. فكان مما قاله:

« هذا الكلام مما يبين تحامل الشهرستاني في هذا الكتاب مع الشيعة، وإلا فقد ذكر أبا بكر وعمر وعثمان، ولم يذكر من أحوالهم أن الحق معهم دون من خالفهم، وهذا التخصيص لايقوله أحد من المسلمين غير الشيعة »[٢٤].

وقد كذب شيخ الإسلام الشهرستاني في بعض آرائه التي تدل على تشيعه، وناقشها وبسط القول فيها، فكذبه ابن تيمية مثلاً في دعواه أن عمر رضي الله عنه في خلافته رد السبايا والأموال لمانعي الزكاة[٢٥]، كما كذبه في دعواه اختلاف الناس على خلافة عثمان رضي الله عنه[٢٦].

وعلي كل فإن الإنصاف والعدل يجعلنا نذكر لك أن الشهرستاني له شيء من الردود على مطاعن الشيعة في الصحابة[٢٧] مع أن الرد والمناقشة ليست من منهجه في كتاب الملل والنحل كما سيأتي، كما أنه يصفهم بالحيرة والضياع[٢٨].

وربما كان هذا التذبذب من أجل إرضاء الطرفين، أهل السنة والشيعة، والله أعلم.

وأما كتابه (الملل والنحل) والذي طبع عدة مرات، واعتنى به كثير من المحققين، وترجم إلى عدة

لغات، فإنه يعتبر موسوعة جامعة وموجزة لمختلف المقالات والملل، والأهواء والنحل.

وقد اعتنى الشهرستاني فيه بحسن الترتيب، وجودة التنظيم وعرض المعلومات، يقول السبكي: « وهو (أي كتاب الملل والنحل) عندي خير كتاب، صنف في هذا الباب، ومصنف ابن حزم (يعني الفِصَل) وإن كان أبسط منه، إلا أنه مبدد ليس له نظام »(٢٩).

ويذكر شيخ الإسلام أن هذا الكتاب: « أجمع من أكثر الكتب المصنفة في المقالات، وأجود نقلاً »(٣٠).

وتميز المؤلف بمنهجية في البحث، وأسلوب محكم في التصنيف، ويظهر هذا جلياً أثناء عرضه للمقدمات الخمس المهمة، قبل الشروع في الكتاب، فقد ذكر في المقدمة الأولى: تقسيم أهل العالم، فعرض من الأقوال في ذلك، وبين أنهم يقسمون في هذا الكتاب حسب آرائهم ومذاهبهم إلى قسمين:

١ ـ أرباب الديانات والملل مطلقاً كالمسلمين وأهل الكتاب والمجوس.

٢ ـ أهل الأهواء والنحل كالفلاسفة والدهرية وعبدة الكواكب.

وكانت المقدمة الثانية: في تعيين قانون ينبى عليه تعدد الفرق الإسلامية، حيث حصر مسائل الخلاف بين الفرق الإسلامية في أربعة أصول وهي:

١ ـ التوحيد والصفات.
٢ ـ القدر ومايلحق به.
٣ ـ الوعد والوعيد والأسماء والأحكام.
٤ ـ السمع والعقل والرسالة والإمامة.

ثم توصل إلى تحديد أصول أو كبار الفرق الإسلامية وهي:

١ ـ القدرية.
٢ ـ الصفاتية.
٣ ـ الخوارج.
٤ ـ الشيعة.

وأشار الشهرستاني إلى طريقته في ترتيب الفرق وهي أن يضع للرجال وأصحاب المقالات أصولاً، ثم يورد مذاهبهم في كل مسألة.

ثم ذكر الشهرستاني في شرطه في إيراد الفرق فقال: « وشرطي على نفسي أن أورد مذهب كل فرقة على

ماوجدته في كتبهم، من غير تعصب لهم، ولا كسر عليهم، دون أن أبين صحيحه من فاسده »[٣١].

ومع ذلك فلا يخلو كتابه من بعض الردود والمناقشات، والإشارات النقدية[٣٢].

من مزايا هذا الكتاب أنه يعرف بالفرق ابتداءً، ثم يورد الأصول التي اتفقت عليها إحدى الفرق الإسلامية الكبار، ثم يذكر مايختص بكل طائفة من طوائف هذه الفرقة[٣٣].

ويهتم الكتاب بذكر أبرز رجال بعض الفرق، وذلك عند نهاية الحديث عن إحدى الفرق[٣٤].

وكتاب (الملل والنحل) مرجع جيد في معرفة أقوال الأشاعرة والفلاسفة، كما يقول ابن تيمية:

« ولما كان (الشهرستاني) خبيراً بقول الأشاعرة وقول ابن سينا ونحوه من الفلاسفة، كان أجود مانقله قول هاتين الطائفتين »[٣٥].

وأما مصادر هذا الكتاب في الحديث عن الفرق الإسلامية، فيقول ابن تيمية:

« مانيقله الشهرستاني وأمثاله من المصنفين في الملل والنحل، عامته مما ينقله بعضهم عن بعض، وكثير من ذلك لم يحرر أقوال المنقول عنهم، ولم يذكر الإسناد في عامة ماينقله، بل هو ينقل من كتب من صنف المقالات قبله، مثل أبي عيسى الوراق وهو من المصنفين للرافضة، المتهمين في كثير مما ينقلونه، ومثل أبي يحيى وغيرهما من الشيعة، وينقل أيضاً من كتب بعض الزيدية والمعتزلة الطاعنين في كثير من الصحابة »[٣٦].

ويقول في موضع آخر: « والشهرستاني أكثر ماينقله من المقالات من كتب المعتزلة »[٣٧] حيث « أنهم من أكثر الطوائف وأولها تصنيفاً في هذا الباب »[٣٨].

ويظهر جلياً كثرة نقل الشهرستاني عن المعتزلة، فهو ينقل مثلاً عن الكعبي (المعتزلي)[٣٩]، وربما نقل عن الوراق[٤٠] وغيرهما، وإن كان ينقل أحياناً عن الأشعري[٤١]، كما أنه ينقل عن أشخاص آخرين، وقد يذكر كتباً غير موجودة ــ الآن ــ وينقل عنها مثل كتاب عذاب القبر لابن كرام، وكتاب في مقالات الخوارج للحسين الكرابيسي، وكثيراً ماينقل

الشهرستاني الأقوال دون عزو إلى مصادرها، وقد يترجم بعض الكلام فينقله من الأعجمية إلى العربية، كما فعل بما كتبه أحد الباطنيين(٤٢).

وعندما نتحدث عن المآخذ على هذا الكتاب، فمنها عدم اشتراطه نقد الفرق المنحرفة، والرد عليها، والمسلم مطالب بنصرة الحق والدعوة إليه، ورد الباطل والتحذير منه، فأهل الاستقامة يحبون الحق ويعرفونه، كما يرحمون الخلق فيدعونهم للخير، وربما كان هذا الشرط الذي اشترطه الشهرستاني على نفسه سبباً في رميه ببعض الاتهامات(٤٣).

ومأخذ آخر وهو نقل الشهرستاني عن الشيعة والمعتزلة بلا تمحيص ولا توثيق، وهذا ماأشار إليه ابن تيمية آنفاً، ومن ثم فإن كتابه يحوي أقوالاً لازمام لها ولا خطام، ومثاله ماذكره في المقدمة الثالثة في أول كتابه حيث قال: « في بيان أول شبهة وقعت في الخليقة، ومن مصدرها في الأول، ومن مظهرها في الآخرة »(٤٤)، وقد بنى على هذه المناظرة الكثير من النتائج المهمة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية معلقاً على ذلك:

« فهذه الشبهة التي ذكرها الشهرستاني في أول كتابه (الملل والنحل) عن إبليس في مناظرته للملائكة لاتعلم إلا بالنقل، وهو لم يذكر لها إسناداً، بل لا إسناد لها أصلاً، فإن هذه لم تنقل عن النبي ﷺ، ولا عن أحد من الصحابة، ولا عن أئمة المسلمين المشهورين، ولا هي أيضاً مما هو معلوم عند أهل الكتاب »(٤٥).

وقد عرض شيخ الإسلام لكثير من الأقوال التي أوردها الشهرستاني، ونقدها (٤٦)، ويظهر أن الشهرستاني قليل المعرفة بالحديث، وقد تعقبه شيخ الإسلام في عدة مواضع(٤٧)، يقول :

« والشهرستاني لاخبرة له بالحديث وآثار الصحابة والتابعين »(٤٨).

ومأخذ ثالث — وهو وثيق الصلة بما سبق — وهو أن الشهرستاني مع كثرة ذكره للمقالات وأقوال أهل الديانات وأهل الأهواء، إلا أنه لم ينقل مذهب الصحابة وسلف الأمة، لاتعمداً منه لتركه، بل لأنه لم يعرفه، وذلك لقلة خبرته بنصوص الرسول ﷺ وأصحابه والتابعين.

وفي الختام أرجو أن أكون قد وفقت في بيان شيء من المعلومات عن هذا المتكلم وكتابه، ونسأل الله عز وجل أن يهدينا لما اختلف فيه من الحق بإذنه إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم □

الهــوامــش

١ ـــ توجد رسالة علمية في مصر عن الشهرستاني وآرائه الكلامية والفلسفية لسهير مختار، وهناك رسالة علمية سجلت أخيراً بجامعة الإمام محمد بن مسعود عن الشهرستاني ومنهجه في (الملل والنحل).
٢ ـــ سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٨٧/٢٠.
٣ ـــ وقد ذكرت د. سهير مختار هذه القصة في تحقيقها لكتاب مصارعة الفلاسفة للشهرستاني. فقالت: « وهي في شرح سورة يوسف، وهو شرح لطيف مع تسجيل بعض الروايات عن الصوفية ».
٤ ـــ انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٢٨٦/٢٠، وطبقات الشافية للسبكي ١٢٨/٦، وشذرات الذهب ١٤٩/٤، وانظر مقدمة كتاب مصارعة الفلاسفة بتحقيق د. سهير مختار.
٥ ـــ سير أعلام النبلاء ٢٨٧/٢٠، ٢٨٨، وطبقات الشافعية للسبكي ١٣/٦.
٦ ـــ شذرات الذهب ١٤٩/٤.
٧ ـــ درء تعارض العقل والنقل ١٧٣/٥.
٨ ـــ كتابا ابن السمعاني.
٩ ـــ طبقات الشافعية للسبكي ١٣٠/٦.
١٠ ـــ منهاج السنة ٣٠٥/٦.
١١ ـــ درء تعارض العقل والنقل ٨/٥.
١٢ ـــ إغاثة اللهفان ٣٨١/٢، وانظر مقدمة الشهرستاني لكتابه (مصارعة الفلاسفة)، ص ١٦، وانظر كتابه نهاية الإقدام، ص ٥، ص ٣٣، كما أن كتاب (نهاية الإقدام) قد تضمن ردوداً على عموم الفلاسفة، والدهرية، والمعتزلة.
١٣ ـــ انظر الملل والنحل للشهرستاني ١٩١/١ ـــ ١٩٨، تحقيق محمد سيد كيلاني.
١٤ ـــ انظر الفرق بين الفرق ، ص ٢٨١ ـــ ٣١٢.
١٥ ـــ درء تعارض العقل والنقل ٣٠٧/٢، ٦٧/٩، وانظر المنهاج ٢٦٨/٥، ٣٠٣/٦، ٣١٩.
١٦ ـــ الملل والنحل ١٧٣/١.
١٧ ـــ هناك من أصحاب المقالات من يفصل بين الإسماعيلية والشيعة، وهناك من يجعل الإسماعيلية فرقة من فرق الشيعة، كما يفعل الشهرستاني.
١٨ ـــ لسان الميزان ٢٦٤/٥.
١٩ ـــ الملل والنحل ١٩٧/١.
٢٠ ـــ منهاج السنة ٣٠٦/٦.
٢١ ـــ أنظر ترجمته في طبقات أعلام الشيعة لآغابزرك الطهراني ١٨٢/٦، وانظر مقدمة (المصارعة)، ص ١٣.
٢٢ ـــ مصارعة الفلاسفة، ص ١٤.
٢٣ ـــ الملل والنحل ٢٧/١، ومرة يقول: « لقد كان علي على الحق في جميع أحواله، يدور الحق معه حيث دار » الملل والنحل ١٠٣/١.
٢٤ ـــ منهاج السنة ٣٦٢/٦ باختصار.

٢٥ ــ انظر منهاج السنة ٣٤٧/٦.
٢٦ ــ المصدر السابق ٣٥٠/٦.
٢٧ ــ انظر الملل والنحل ١٦٤/١، ١٦٥.
٢٨ ــ المصدر السابق ١٧٢/١، وانظر ٩٣/١. يقول الشهرستاني في نهاية الإقدام: اعلم أن الأمامة ليست من أصول الاعتقاد، بحيث يفضي النظر فليها إلى قطع ويقين بالتعين » ص ٤٧٨ ولاشك أن هذا الكلام رد على الشيعة الإمامية.
٢٩ ــ طبقات الشافعية ١٢٨/٦.
٣٠ ــ منهاج السنة ٣٠٤/٦.
٣١ ــ الملل والنحل ١٦/١.
٣٢ ــ انظر الملل والنحل ٦٤/١ ــ ٨٣، ١٤١ ــ ١٤٧.
٣٣ ــ المصدر السابق ٤٣/١، ٤٦، ١١٥، ١٤٦.
٣٤ ــ المصدر السابق ١٣٧/١ (رجال الخوارج)، ١٤٦ (رجال المرجئة)، ١٩٠ (رجال الشيعة).
٣٥ ــ منهاج السنة ٣٠٤/٦، وانظر كلام د. سامي النشار عن هذا الكتاب في كتابه نشأة الفكر الفلسفي ٥٢٥/١.
٣٦ ــ المصدر السابق ٣٠٠/٦.
٣٧ ــ منهاج السنة ٣٠٧/٦.
٣٨ ــ الفتاوى ١١٥/٨.
٣٩ ــ انظر الملل والنحل ٥٥/١، ٦٤، ٦٧، ٧٠، ٧٥، ٩٠.
٤٠ ــ انظر الملل والنحل ١٨٤/١، ١٨٧.
٤١ ــ المصدر السابق ٧٣/١، ١٠٥، ١٢٩.
٤٢ ــ المصدر السابق ١٩٥/١.
٤٣ ــ انظر مثلاً عرضه لمذهب النصيرية ١٨٨/١.
٤٤ ــ الملل والنحل ١٦/١ ــ ٢٠.
٤٥ ــ منهاج السنة ٣٠٦/٦.
٤٦ ــ انظر مثلاً المنهاج ٣١٨/٦، ٣٢٤، ٣٤٧، ٣٥٠.
٤٧ ــ انظر المنهاج ٣٢٣/٦، ودرء تعارض العقل والنقل ١٣٢/٣.
٤٨ ــ منهاج السنة ٣١٩/٦.

حتى يكون المسار سليماً والعمل مثمراً

محمد بن عامر الثوباني

أعظم منة من الله تبارك وتعالى على العبد هي أن يهيء له الأسباب، ليكون من حملة هذا الدين، وممن يبذلون الغالي والنفيس، لإقامة حكم الله في الأرض، وتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، تلك المنزلة التي هي أشرف المنازل، وأعلى المقامات، منزل المرسلين وسبيلهم، عليهم أفضل الصلاة والسلام.

ولاشك أن الداعية إلى الله تعالى هو صفوة الله وخيرته من خلقه، أحب لله فهو أحب أهل الأرض إلى الله، وأجاب دعوة الله. ودعا الناس إلى ماأجاب الله فيه، فعمله أفضل الأعمال وأزكاها، وكلامه أعذب الكلام وأطيبه، لأن كلمة الدعوة هي أحسن كلمة تقال في الأرض وتصعد في مقدمة الكلم الطيب إلى السماء، وقد ذكر ربنا ذلك في أوجز عبارة وأصدق بيان: ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ [فصلت/٣٣]. قال الحسن البصري رحمه الله بعد تلاوة هذه الآية: « هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ماأجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحاً في إجابته، وقال: إنني من

المسلمين » (١).

ولأن الأمر بهذه المنزلة وبهذا السمو فإنه لابد لأي داعية يريد وجه الله والدار الآخرة أن تتضح عنده أمور، حتى يكون المسار سليماً، والعمل مثمراً، ومن هذه الأمور مايلي:

أولاً ــ سلامة القصد والغاية:

فمقصود الداعية وغايته إعلاء كلمة الله، وتحكيم شريعة الله في الأرض، وليس لشخصه ولا لقومه، أو جنسه، أو عشيرته، أو قبيلته، حظ في ذلك ولا نصيب، وإنما الأمر لله والعمل من أجل الله، ولهذا نلحظ في كتاب الله التركيز على هذا الأمر. ﴿ قل هذه سبيل أدعو إلى الله ﴾ [يوسف/١٠٨] ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله ﴾ [فصلت/٣٣] ﴿ ادع إلى سبيل ربك ﴾ [النحل/١٢٥]. إنها دعوة إلى الله وإلى سبيل الله فحسب، دعوة تبين للبشرية غاية خلقهم وتعرفهم بربهم وخالقهم ورازقهم، وتبين لهم كيف يكون الإنسان شريفاً بعبوديته لله، وكيف يكون ذليلاً عندما يكون عبداً لغير الله، تبين لهم كيف تكون الحرية والسؤدد والرفعة والمجد عندما يتحاكمون إلى شرع الله، وكيف يكون الكبت والذل والصغار عندما يرضون بحكم الجاهلية، وقوانين البشر، وتخرصات أهل الزيغ والضلال، من الفلاسفة والعقلانيين والوضعيين وغيرهم.

ثانياً ــ سلامة الوصول والطريق الموصل إلى الغاية:

وطريق الداعية إلى الله ووسيلته هي طريق المصطفى ﷺ ووسيلته، فإنه أمر الخلق بكل ماأمر الله به، ونهاهم عن كل مانهى الله عنه، أمرهم بكل خير ونهاهم عن كل شر، ولم يأمر بشيء من عنده ولا نهى عن شيء من تلقاء نفسه، بل كل دعوته بإذن الله، ولم يشرع ديناً لم يأذن به الله، كما قال عز وجل: ﴿ ياأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً. وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾ [الأحزاب/٤٥، ٤٦]، قال شيخ

١ ــ ابن كثير، المجلد الرابع، ص ١٥٢ .

الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « فالله أمر رسوله ﷺ بالدعوة إلى الله تارة، وتارة بالدعوة إلى سبيله، كما قال تعالى ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ وذلك أنه قد علم أن الداعي الذي يدعو غيره إلى أمر، لابد فيما يدعو إليه مَن أمرين:

أحدهما: المقصود المراد.

والثاني: الوسيلة والطريق الموصل إلى المقصود فلهذا يذكر الدعوة تارة إلى الله، وتارة إلى سبيله، فإنه سبحانه هو المعبود المراد المقصود بالدعوة »[1].

ثالثاً ـ البصيرة في الدعوة:

لكي يحقق الداعية الغاية والمقصود، ويسلم سبيله في الدعوة من الالتواءات والانحرافات، ولكي يسلك سبيل الله ويدع السبل المتفرقة، فلابد من العلم والبصيرة في الدعوة إلى الله تعالى ﴿ قل هذه سبيل أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعن وسبحان الله وماأنا من المشركين ﴾.

والبصيرة هي العلم، علم بالله وبسنة رسوله ﷺ، علم يجعل صاحبه وقافاً عند حدود الله، طالباً للحق مذعناً له متى ظهر وإن خالف هواه، علم يجلو القلوب من أصدائها ويزرع فيها تقوى الله وخشيته وحب الله وحب رسوله وحب عباده المؤمنين وحب العمل الذي يقرب إلى حب الله ورسوله.

رابعاً ـ الفقه في الدعوة إلى الله:

١ ـ معرفة أحوال المخاطبين والمدعوين، فإن معرفة أحوالهم مما يعين على اختيار الطريق المناسب، ووضع الأمور في مواضعها، قال تعالى: ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ قال ابن القيم رحمه الله تعالى حول هذه الآية:

« ذكر سبحانه مراتب الدعوة، وجعلها ثلاثة أقسام، بحسب حال المدعو، فإنه أما أن يكون طالباً للحق، محباً له، مؤثراً له على غيره إذا عرفه، فهذا يدعى بالحكمة، ولا يحتاج إلى موعظة وجدال، وإما أن يكون مشتغلاً بضد الحق، لكن لو

١ ـ الفتاوى ١٥/١٦٢.

عرفه آثره واتبعه، فهذا يحتاج إلى الموعظة بالترغيب والترهيب، وإما أن يكون معانداً معارضاً فهذا يجادل بالتي هي أحسن، فإن رجع وإلا انتقل معه إلى الجِلاد إن أمكن »[1].

فإذن في الناس من تكون الحكمة أبلغ في دعوته من سواها، والحكمة شأنها عظيم، وقد جاءت في الآية السابقة مستقلة واضحة كالشمس لاتحتاج إلى مزيد بيان وتوضيح، بخلاف الموعظة والجدال فقد جاءا موصوفين، الموعظة بأنها الموعظة الحسنة والجدال بأنه بالتي هي أحسن، ومن المهم أن نعرف أن الشدة في بعض الأمور ولبعض الناس هي من الحكمة، وفي الحكمة سر عظيم، وخير عميم، ﴿ ومن يؤتَ الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾ وبعض الدعاة يبالغ في اصطياد الحكمة، فيذهب الوقت عليه بين مد وجزر، حتى يفلت الأمر من يده قبل أن يبلغ الحكمة أو يقرب منها، وبعضهم يأخذه الحماس والغيرة والاندفاع، فيتجاوز الحكمة بمسافات بعيدة.

وفي الناس من تدخل قلوبهم الموعظة الحسنة، وتأسر مشاعرهم وتتعمق فيها بلطف، ولكن يجب أن تكون حسنة في ألفاظها وفي معانيها تجعل القلوب تتوق وتتشوق إلى ماعند الله، فتنقاد إلى سبيل المؤمنين لتفوز بالجنة، كما يجب وهي تحذر من عواقب العصيان، وسوء منقلبه، أن تكون حسنة لا فجاجة فيها ولا غلظة ولا تقبيح فيها ولاتأنيب في غير موجب، فتعود القلوب الشاردة وتحيا القلوب المريضة بالموعظة الحسنة.

وفيهم من يأسرهم الجدال، عندما يكون الجدال بالتي هي أحسن ــ بصيغة التفضيل أحسن ــ لأن الأمر خطير وحساس، يقول سيد قطب رحمه الله:

« فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها، وهي لاتنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق، حتى لاتشعر بالهزيمة، وسرعان ماتختلط على النفس قيمة الرأي وقيمتها عند الناس، فتعتبر التنازل عن الرأي تنازلاً عن هيبتها واحترامها وكيانها، والجدل بالحسنى هو الذي يطامن من هذه

---

١ ــ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص ٨٦.

الكبرياء الحساسة، ويشعر المجادل أن ذاته مصونة، وقيمته كريمة، وأن الداعي لايقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها، والاهتداء إليها، في سبيل الله، لا في سبيل ذاته، ونصرة رأيه، وهزيمة الرأي الآخر »(1).

٢ ــ أن يكون عنوان الداعية هو طلب الحق، فإن وفق إليه لزمه وانتصر له، وإن تبين له مجانبة الصواب في أي مسألة من مسائل الشرع، أو أي أسلوب أو منهج قبل النصح وعاد إلى الصواب، مرتاح البال مطمئن الضمير، فإن الأمر لله ولرسوله ﷺ ﴿ وماكان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ [الأحزاب/٣٦] ولاشك أن الأمر عزيز المنال، وأن الإذعان للحق مرتقى لايرتقيه كل الناس، ولكن أهل التقوى والإخلاص ــ وهم قلة ــ يرتقون هذا المرتقى، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

٣ ــ أن يعترف الداعية لأهل الفضل بفضلهم، وأن لايبخس الناس حقوقهم، وأن لايتعدى بأي هفوة أو زلة حجمها وقدرها الذي يجب أن لاتتعداه، وأن يحذر تتبع العثرات والزلات، عند العلماء والدعاة،

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها
كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه

٤ ــ أن يكون الداعية على علم بواقعه المعاصر، وعلى دراية بحجم الجاهلية وقوتها وتبجحها واستهتارها، وأن يدرك المكر الذي يمكره أعداء الله ليلاً ونهاراً، لإخماد أي جذوة أو بصيص من نور تظهر في أي بقعة من العالم لإعلاء كلمة الله.

٥ ــ أن يكون صريحاً في كلامه، واضحاً في منهجه وسلوكه، متميزاً عن الجاهلية، معتزاً بدينه مترفعاً عن أن يساوم بشيء من دينه، مستقلاً تماماً عن أنظمة الجاهلية، معرضاً عن الأنظمة المشبوهة، منتمياً لأولياء الله، موالياً للمسلمين، متبرئاً من المشركين، يقول بملء فيه: ﴿ إنني من المسلمين ﴾ ويقول: ﴿ سبحان الله وماأنا من المشركين ﴾ وماأحسن كلام سيد رحمه حول قول الله تعالى ﴿ قل هذه

---

١ ــ في ظلال القرآن ٤/٢٢٠٢.

سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعن ﴾ يقول:

« وأصحاب الدعوة إلى الله لابد لهم من هذا التميز، لابد لهم أن يعلنوا أنهم أمة وحدهم، يفترقون عمن لايعتقد عقيدتهم، ولا يسلك مسلكهم، ولايدين لقيادتهم، ويتميزون ولا يختلطون! ولا يكفي أن يدعو أصحاب هذا الدين إلى دينهم وهم متميعون في المجتمع الجاهلي، فهذه الدعوة لاتؤدي شيئاً ذا قيمة.. ثم يقول: والذين يظنون أنهم يصلون إلى شيء عن طريق التميع في المجتمع الجاهلي، والأوضاع الجاهلية، والتدسس الناعم من خلال تلك المجتمعات، ومن خلال هذه الأوضاع، بالدعوة إلى الإسلام، هؤلاء لايدركون طبيعة هذه العقيدة، ولا كيف ينبغي أن تطرق القلوب! إن أصحاب المذاهب الإلحادية أنفسهم، يكشفون عن عنوانهم وواجهتهم ووجهتهم! أفلا يعلن أصحاب الدعوة إلى الإسلام، عن عنوانهم الخاص؟ وطريقهم الخاص؟ وسبيلهم التي تفترق تماماً عن سبيل الجاهلية » [1].

وبعد:

أخي الداعية لعل هذه الأمور لاتخفى عليك، ولكنها الذكرى عسى أن تقابل لحظة قبول، فتنتفع بها القلوب المؤمنة، هذا الذي نرجوه من الله، والحمد لله أولاً وآخراً.




---

١ — في ظلال القرآن ٤/٢٠٣٤.

إحياء سنة مهجورة

هيثم حداد

إن التناصح بين المسلمين أمر مطلوب، حتى وإن كان الناصح مقصراً فيما ينصح به مع بذله الجهد للامتثال، وفي هذه الوريقات أذكر نفسي وإخواني بسنة هجرت، ففات بهجرانها أجر عظيم وليت هجرها من عامة الناس، بل من علمائهم وعبادهم ودعاتهم، فلا تكاد تر هنا إلا في النذر اليسير على أزمنة متفاوتة.

وهذه السنّة هي المكوث في المصلى بعد صلاة الغداة جماعة حتى تطلع الشمس وترتفع ثم أداء ركعتين.

فضلها :

قال الترمذي باب « ذكر مايستحب من الجلوس في المسجد بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس » ثم أورد بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: « من صلى الغداة في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمره » قال: قال رسول الله ﷺ: « تامة تامة، تامة »(١).

١ ــ رواه الترمذي رقم ٤٨٢/١٢٥٨٦ وقال حديث حسن غريب، وهو حديث حسن حسنه غير واحد منهم الألباني والأرناؤوط وغيرهم.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « لأن أقعد أذكر الله تعالى وأكبره، وأحمده وأسبحه، وأهلله، حتى تطلع الشمس أحب إلى من أن أعتق رقبتين أو أكثر من ولد إسماعيل، ومن بعد العصر حتى تغرب الشمس أحب إلي من أن أعتق أربع رقاب من ولد إسماعيل » (١).

فعل الرسول ﷺ لها :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى الفجر لم يقم من مجلسه حتى تمكنه الصلاة. وقال: « من صلى الصبح ثم جلس في مجلسه ختى تمكنه الصلاة، كان بمنزلة عمرة وحجة متقبلتين » (٢).

وفي صحيح مسلم عن سماك بن حرب قال: قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس رسول الله ﷺ؟ قال: نعم كثيراً، كان لايقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح أو الغداة حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت قام (٣).

وهذا الحديث يدل في أقل أحواله على كثرة فعل النبي ﷺ لها، إن لم يكن فيه دلالة على مداومة الرسول عليها. إذ أن لفظ كان يفيد الاستمرار غالباً.

مسائل مختصرة تتعلق بهذه السنة :

الأولى : هل يختص المكوث بالمسجد أو المصلى أم لا ؟

ظاهر الحديث تدل على أن السنة المكوث في المصلى وعدم الانتقال منه إلى بيت أو نحوه، وعلى هذا تراجم العلماء أيضاً، وقد سبق قول الترمذي في ترجمته لحديث الباب ومثله ترجم النووي لحديث صحيح مسلم قال: « باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح وفضل المساجد »(٤)، وقال المناوي في فيض

---

١ ــ في الترغيب والترهيب ٢٩٤/١، رواه أحمد بإسناد حسن، كما حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

٢ ــ قال المنذري في الترغيب والترهيب ٢٩٢/١ رواه الطبراني في الأوسط ورواته ثقات، إلا الفضل بن الموفق ففيه كلام، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب.

٣ ــ رواه مسلم ٤٦٣/١، رقم ٦٧٠ طبع عبد الباقي.

٤ ــ النووي على مسلم ١٧٠/٥.

القدير: « وفيه ندب القعود في المصلى بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس مع ذكر الله عز وجل » ومثله قال المباركفوري.

الثانية : هل هاتان الركعتان هما سنة الضحى ؟

ورد في حديث معاذ الجهني أن النبي ﷺ قال: « من قعد في مصلاه حين ينصرف من مصلاه الصبح حتى يسبح الضحى، لايقول إلا خيراً غفر الله له خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر » أخرجه أبو داود. والبيهقي في السنن الكبرى ٣/٤٩٠، وترجم له بقوله باب من استحب أن لايقوم من مصلاه حتى تطلع الشمس فيصلي صلاة الضحى، ولكن هذا الحديث إسناده ضعيف[١].

كما أن ظاهر الأحاديث الواردة في هذه السنة لايدل على أنها صلاة الضحى، ويؤيده أن وقت السنة لصلاة الضحى كما قال الرسول ﷺ « صلاة الأوابين حين ترمض الفصال » أي إذا وجد الفصيل ــ وهو ولد الإبل ــ حر الشمس ولا يكون ذلك إلا عند ارتفاعها، وهذا الوقت لايكون إلا بعد ارتفاع الشمس بمقدار أكبر من رمح أو رمحين كما هو وقت أداء هذه السنة.

ثالثاً: متى تؤدى ؟

من المعلوم أن الوقت بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس وترتفع قيد رمح هو وقت نهي، فعن عقبة بن عامر قال: ثلاث ساعات كان رسول الله ﷺ ينهانا أن نصلي فيهن أو أن نقبر فيهن موتانا حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع... » رواه مسلم رقم ٨٣١.

وورد في أحاديث أخرى تحديد هذا الارتفاع بـ (قيد رمح أو رمحين) كما في حديث عمرو بن عبسة وهنا لفظ أبي داود، ولفظ النسائي (ندع الصلاة حتى ترتفع قيد رمح ويذهب شعاعها)[٢].

فعلى هذا يكون وقت أدائها بعد خروج وقت النهي وهو ارتفاع الشمس قيد رمح، ولعل هذا معنى قول الرسول ﷺ في حديث ابن عمر المتقدم « من

١ ــ قاله المعلق على جامع الأصول ٩/٤٠٠ .
٢ ــ الروايات مفصلة في جامع الأصول ٥/٢٥٨ رقم ٣٣٣٨ .

صلى الصبح ثم جلس في مجلسه حتى تمكنه الصلاة » وكذلك ماورد في حديث جابر بن سمرة « كان النبي ﷺ إذا صلى الفجر تربع في مجلسه حتى تطلع الشمس حسناً » قال النووي: (هو بتفح السين وبالتنوين: أي طلوعاً حسناً، أي مرتفعة).

وقت مشهود للذكر :

قال النووي في الأذكار (باب الحث على ذكر الله تعالى بعد صلاة الصبح)، ثم قال: اعلم أن أشرف أوقات الذكر في النهار، الذكر بعد صلاة الصبح. اهـ . ثم أورد حديث أنس المتقدم (١).

وفي هامش مختصر سنن أبي داود للمنذري: (قيل وفي فعله فائدتان: أحدهما: الجلوس للذكر، فإنه وقت شريف، وقد جائت أحاديث في الذكر في ذلك الوقت.
والثانية: أنه لما تعبد الإنسان لله عز وجل قبل طلوع الشمس، لازم مكان التعبد إلى أن تنتهي حركات الساجدين للشمس إذا طلعت) (٢).

وعن عمرو بن عبسة قال: قلت يارسول الله هل من ساعة أقرب من الله عز وجل من الأخرى؟ أو أهل من ساعة يبتغى ذكرها ؟ قال: نعم، إن أقرب مايكون الرب عز وجل من العبد جوف الليل الآخر فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله عز وجل في تلك الساعة فكن، فإن الصلاة محضورة مشهودة إلى طلوع الشمس فإنها تطلع بين قرني شيطان وهي ساعة صلاة الكفار، فدع الصلاة حتى ترتفع قيد رمح، ويذهب شعاعها، ثم الصلاة محضورة مشهودة حتى تعتدل الشمس اعتدال رمح... الحديث » رواه أبو داود والنسائي وهذه رواية النسائي(٣).

قال الشوكاني: (أي تشهدها الملائكة ويحضرونها وذلك أقرب إلى القبول

---

١ ــ الأذكار للنووي / ٧٠.
٢ ــ مختصر سنن أبي داود بتعليق الفقي وشاكر ٢٠١/٧.
٣ ــ راجع جامع الأصول ٢٥٧/٥ .

والرحمة)[1].

ولعل الإمام ابن تيمية فقه هذا حق الفقه يروي عنه تلميذه ابن القيم رحمه الله (كان إذا صلى الفجر يجلس في مكانه حتى يتعالى النار جداً، يقول هذه غدوتي لو لم أتغد هذه الغدوة سقطت قواي)[2].

ومأأعجب مانقله البغوي وغيره عن علقمة بن قيس ــ وكان أشبه الناس سمتاً وهدياً بعبد الله بن مسعود ــ [3] قال: بلغنا أن الأرض تعج إلى الله من نومة العالم بعد صلاة الصبح [4].

هل نسير على خطاهم :

وبعد أن رأينا الأجر العظيم لهذه السنة، وحرص سلفنا على فعلها، استطرد هنا قائلاً:

إن كثيراً من الدعاة إلى الله فضلاً عن غيرهم في هذه الأيام يشكون كثيراً من الاحساس بنقص الإيمان وقسوة القلب فهم يبحثون دائماً عن علاج لهذا، وإذا نظرنا نظرة متجردة لأنفسنا فنجدنا تاركين لسنن كثيرة مع أن لها أثراً كبيراً في إحياء قلوبنا، في الوقت الذي نجدنا حريصين على سنن أخرى، لغرابتها بين الناس، فهي تجلب الأنظار لفاعلها وتصف صاحبها بأنه متبع للسنة، مع سهولة أداءها، متعلقين بقولنا: (نشر السنة وإظهارها واجب...) أما السنة التي تشق علينا والتي لاتظهر غالباً للخلق والرقيب عليها هو الله فحسب فنحن متهاونون فيها تاركون لأكثرها.

فما هو مقدار حرصنا على صوم يومي الاثنين والخميس، وأكون صريحاً أكثر إن قلت كم صمنا فعلاً هذين اليومين!! وماهو مقدار حرصنا على التبكر إلى الصلاة وحضور الصف الأول، أم انشغال الدعاة بالأمور الهامة هو سبب امتلاء الصفوف الأخيرة بهم، وماهو.. وماهو.. وغير هذا كثير.

وختاماً: وبعد هذه الذكرى، فهل سنرى الأمر تغير وأصبحت المساجد تمتلىء بعمارها في هذا الوقت، أم هل ستكون هذه الذكرى مجرد (علم) أضفناه إلى (علمنا) أو موعظة جديدة نخاطب بها الآخرين وننسى أنفسنا.

---

١ ــ النيل ٣/٩٠. ٢ ــ الرد لابن ناصر الدين. ٣ ــ انظر ترجمته في ٤ ــ شرح السنة للبغوي ٣/٢٢٢.

شذرات وقطوف

إعداد : طارق خليل الأسود

التحفظ والاحتراز من أكل الحرام... ولكن!!

ومن العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام، والظلم، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، ومن النظر المحرم وغير ذلك ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه!! حتى يرى الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة، وهو يتكلم بالكلمة من سخط الله لا يُلقي لها بالاً ينزل منها أبعد مما بين المشرق والمغرب، وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم، ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات لا يبالي مايقول.

الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي/٥٤
ابن القيم الجوزية

تصيد الأخطاء

قال الإمام الشعبي: « لو أصبت تسعاً وتسعين، وأخطأت واحدة: لأخذوا الواحدة وتركوا التسع والتسعين »؛ وإذا تبين هذا: عُلم أن مجرد تصيد الأخطاء،

وتتبع العثرات، والبحث عن الهفوات، كل ذلك مع التغافل عن الحسنات، دليل على فساد القصد وسوء الطوية وقلة الدين.

منهج أهل السنة والجماعة في تقويم الرجال ومؤلفاتهم/٣٤

أحمد بن عبد الله الصويان.

أيهما أعظم ؟!

كان للمشركين شجرة يعلقون عليها أسلحتهم ويسمونها « ذات أنواط » فقال بعض الناس: يارسول الله: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط؟ فقال ﷺ: « الله أكبر، قلتم كما قال قوم موسى لموسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، إنها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم » فأنكر النبي ﷺ مجرد مشابهتهم الكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها، معلقين عليها سلاحهم، فكيف بما هو أطمُّ من ذلك من مشابهتهم المشركين أو هو الشرك بعينه؟ أيهما أعظم — ياترى — شجرة يعلق عليها سلاح نهي عنها لأن فيها اقتداء بفعل الكفار أم نظام حياة فيه التشريع والتحليل والتحريم والإلزام والعقوبة على المخالفة ؟!

الولاء والبراء في الإسلام/٣٢٦
د. محمد سعيد القحطاني

بالراعي تصلح الرعية وبالعدل تمتلك البرية، ومن عدل في سلطانه استغنى عن أعوانه، والظلم مسلبة النعم ومجلبة النقم، وأقرب الأشباه صرعة الظلم، وأنفذ السهام دعوة المظلوم.

الجوهر النفيس في سياسة الرئيس
ابن الحداد



البيان الأدبي

- المنهج العلمي عند طه حسين
- مفاتح الإلهام (شعر)
- قراءة في ديوان شعر

المنهج العلمي عند طه حسين
بين الدعوى والتطبيق

د. عبد الله الخلف

يحاول طه حسين أن يشعر قراءه بأنه باحث محقق لايقبل بشيء، ولا يسلم به إلا بعد بذل غاية الجهد في التحقيق والنقد والتحليل، فهو يقول بعد أن ينعى على القدماء من الأدباء طريقهم[1]: « أما نحن فأشد من هؤلاء القدماء طمعاً وأكثر منهم تحفظاً، لاتكفينا أسماء الثقات من الرواة، ولا يكفينا جمال القصيدة وجودة المقطوعة، وإنما نريد أن نتخذ كل شيء موضوعاً للبحث والنقد والتحقيق والتحليل ».

ثم يقول[2]: « فأنا لاأفهم الأدب العربي كما كان يفهمه القدماء، وكما لايزال يفهمه أنصار القديم من أدباء اليوم، وأنا لا أحكم على الظواهر الأدبية كما كان يحكم عليها القدماء، وكما لايزال يحكم عليها شيوخ الأدب في أيامنا، وإنما أفهم الأدب العربي وأحكم على ظواهره كما ينبغي أن يفهمه ويحكم على ظواهره رجل يعيش في القرن العشرين، ويفهم كما يفهم أهل هذا القرن ».

ومن الواضح أنه يحيط نفسه بهالة علمية إبداعية، ويحاول أن يحيط قارئه بمناخ يهيئه به

١ ــ حديث الأربعاء ١/١٨٥.
٢ ــ المصدر السابق ١/١٨٦.

لقبول مايلقيه إليه، فهو يحاصره ويخيره بين أن يسلم بما يصل إليه من نتائج بنيت على هذا المنهج العلمي الجديد الذي يبدو وكأنه ابتكره واحتكره، وبين أن يرضى بأن يوصم بالسذاجة، وعدم القدرة على مسايرة مناهج البحث الحديثة.

وغني عن القول أنه ليس لباحث منصف أن يرفض البحث والنقد والتحقيق والتحليل في قضايا الأدب والتاريخ إذا كانت الغاية من ذلك الوصول إلى الحقيقة، ولكن طه حسين لم يطبق مادعا إليه، ولم يف بالعهد الذي قطعه على نفسه، على الرغم من أنه تمكن من إيهام كثير من القراء بذلك، مما أتاح لكثير من الآراء التي طرحها والنتائج التي وصل إليها أن تنتشر وتصبح كالمسلمات لا عند عامة المثقفين فحسب بل عند كثير من أساتذة الجامعات.

ومما أغرى القراء بقبولها جرأته، وقدرته العجيبة في طرح الأفكار، ومهارته في صياغة آرائه صياغة توهم بأنها بنيت على أساس علمي متين.

ومن ذلك مثلاً رأيه في تفسير ظاهرة غلبة الغزل على الشعر الحجازي في العصر الأموي، فهو يرى أن بلاد العرب بعد أن جاهدت في الاحتفاظ بالسلطان السياسي، وأخفقت في الجهاد إخفاقاً شنيعاً، وانتقل مركز الحكم منها إلى الشام، كما انتقل مركز المعارضة إلى العراق انصرفت أو كادت تنصرف عن الاشتراك في الحياة العامة، وفرغت للحياة الخاصة، فانكبت على نفسها وأحست شيئاً من اليأس والحزن غير قليل، وقد اجتمع إلى ذلك اليأس في حواضر الحجاز الثروة والغنى فنتج عنهما اللهو والإسراف فيه والعكوف عليه، ومن هنا نشأ الغزل الإباحي[1]في مكة والمدينة، أما بادية الحجاز فلم يظفر أهلها بما ظفر به أهل الحاضرة من الثروة، وحيث سلمت من ألوان الفساد التي كانت تغمر مكة والمدينة فقد أدى ذلك إلى الزهد الذي كان الغزل العذري أثراً من آثاره[2]. »

وقد اشتهر هذا الرأي، وتلقاه كثير

---

١ ــ هكذا وصف طه حسين غزل عمر بن أبي ربيعة وغيره من شعراء مكة والمدينة مع أن هذه الصفة لاتكاد تنطبق إلا على جزء محدود من غزل عمر بن أبي ربيعة.

٢ ــ حديث الأربعاء ١٨٨/١ ــ ١٩٠.

من الدارسين بالقبول، مع أننا لو طبقنا عليه المنهج الذي يدَّعي طه حسين أنه يبني عليه دراساته لوجدناه بعيداً عن الصواب.

فلكي نسلم بهذا الرأي لابد من إثبات أمرين أساسيين بني عليهما:
الأول: أن أهل الحجاز انصرفوا إلى اللهو وأسرفوا فيه، وأن الفساد غمر مكة والمدينة.
والثاني: أن الغزل لم يظهر ولم يغلب على الشعر الحجازي إلا بعد أن أخفق أهل الحجاز في الاحتفاظ بسلطانهم السياسي، وانتقل مركز المعارضة منهم إلى العراق، ومركز الحكم إلى الشام.

فالأمر الأول لايمكن التسليم به إلا بأدلة ثابتة، وبراهين قوية، لأنه لايمكن لعاقل أن يقبل القول بأن الفساد قد غمر ذلك المجتمع الذي ورث مجتمع الخلافة الراشدة، وعاش فيه كثير من الصحابة وأبنائهم وأحفادهم، وشهد له الرسول ﷺ بالخيرية والفضل، ومع أن طه حسين يدعي أنه سوف يبني آراءه على النقد والتحقيق والتحليل إلا أنه لم يعرض الأدلة الصحيحة ليثبت بها هذا الأمر، بل ألقى القول جزافاً، وكأنه حقيقة مسلمة لايرقى إليها شك، صحيح أن في كتاب الأغاني وغيره من كتب الأدب أخبار وحكايات تدل على وجود ذلك، ولكن مثل تلك الأخبار لايعتمد عليها في إثبات مثل هذا الأمر.

وطه حسين نفسه يسلم بذلك، ويعترف بما حوته تلك الكتب من حكايات باطلة[1]، وبناء على ذلك أنكر أو شكك في وجود بعض الشخصيات التي ترجم لها صاحب الأغاني، وأورد حولها كثيراً من الأخبار والأشعار[2]، بل إنه ذهب إلى ماهو أبعد مدى من ذلك عندما ادعى أن معظم الشعر الجاهلي منحول على الرغم من أن كتب الأدب أطبقت على روايته والقبول به.

وإذا كان طه حسين هنا يرى أن أهل الحجاز أسرفوا في اللهو والفساد فإنه يرى في موضع آخر من الكتاب نفسه (حديث الأربعاء) مايناقض

١ ــ انظر حديث الأربعاء ١/١٨٤، ١٩١.
٢ ــ مثل شخصية مجنون ليلى ووضاح اليمن.

ذلك، ويصرح بأن حياة شباب الحجاز كانت بريئة من الإثـم والفحش إلى حد ما، وأن شباب الحجاز كان يلهو بمقدار، وكانت مكانته الدينية وخوفه من رقابة الخلفاء يعصمانه من مجاوزة الحدود[1].

ولعل في هذا دليلاً واضحاً على أن ماذكره طه حسين من أن الفساد واللهو قد غمر مكة والمدينة قول ألقي جزافاً دون أي دليل معقول على الرغم من أنه اتخذه أساساً بنى عليه رأيه في تفسير غلبة الغزل على الشعر الحجازي.

أما الأمر الثاني الذي بنى عليه هذا الرأي فإن التاريخ يدل على خلافه، فمن المعلوم أن أهل الحجاز قاموا بدور كبير وأساسي في تصريف شؤون الدولة الإسلامية حتى انتهاء خلافة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه سنة ٧٣ هـ، وقد كانوا العنصر الرئيسي في القيادة السياسية والعسكرية، إذ أن معظم الذين تولوا الولايات أو قادوا الجيوش في عهد معاوية ويزيد كانوا من أهل الحجاز، وانتقال الخلافة في عهد معاوية إلى الشام ليس مبرراً للقول بأن أهل الحجاز قد انصرفوا عن المشاركة في شؤون الحكم يائسين، فقد كانوا يرون في خلافة معاوية مرحلة مؤقتة يمكن أن تنتهي في أي وقت، ثم يستلم الخلافة قائد آخر من قادة الأمة الذين كان معظمهم في ذلك الوقت في الحجاز، لذلك أعلن بعضهم عن معارضة إسناد ولاية العهد ليزيد، ولم يسلموا بها، ثم ثاروا عليه، ثم عادت الخلافة إلى الحجاز مرة أخرى عندما بويع بها ابن الزبير رضي الله عنه، ونازعه في ذلك رجل من أهل الحجاز أيضاً وهو مروان ثم ابنه عبد الملك.

ومن هذا يتبين أن القول بأن أهل الحجاز انصرفوا عن المشاركة في الحكم والسياسة لايمكن القبول به، ولاسيما في الفترة التي سبقت حيث يقول[2]: « ولقد جاهد هذا الشباب الحجازي جهاداً عنيفاً في سبيل الاحتفاظ بمنزلته التي تركها له أصحاب النبي ﷺ، فما كانت ثورة ابن الزبير، وماكانت ثورة الحرة،

١ ـــ حديث الأربعاء ٢٤٢/١.
٢ ـــ حديث الأربعاء ٢٤١/١.

وماكان خروج الحسين بن علي إلا مظاهر لهذا الجهاد، ولكن الشباب الحجازي لم يوفق، وتمت الكلمة للاستبداد الأموي، واضطر أبناء الصحابة والخلفاء الراشدين إلى هذه الحياة الفارغة يحيونها في الحجاز »[1].

ولو بحثنا في حياة شعراء الغزل لوجدنا معظمهم قد بلغ الخمسين أو قاربها أو جاوزها سنة ٧٣ هـ، وعلى رأس هؤلاء عمر بن أبي ربيعة، ولاشك أنهم قد نظموا معظم شعرهم الغزلي قبل هذا العام، وهذا يعني أن ظاهرة الغزل كانت أسبق في الظهور من الأحداث التي جزم طه حسين بأنها كانت سبباً ونتيجة لوقوعها مما يسقط نظريته هذه جملة وتفصيلاً لأنه لايمكن للظاهرة أن تسبق أسبابها.

ومما مضى يتبين أن دعوة طه حسين إلى اتباع منهج يقوم على النقد والتحليل والتحقيق مجرد دعوى ادعاها ليوهم قراءه بأن آراءه مبنية على منهج علمي محكم، وماعرضناه هنا ماهو إلا مثال واحد من أمثلة كثيرة لآرائه، مليئة بالأخطاء والتناقضات، ولكنها سارت بين الناس، وأصبحت كالمسلمات التي يحتج بها ويبنى عليها آراء ونظريات جديدة، وماذلك إلا لأن صاحبها هو طه حسين.

وكثير من تلك الآراء يتضمن جوانب ذات تأثير فكري سيء، وينطوي على التشكيك بالقيم والمبادىء والحقائق الثابتة، كما يتضمن تشويهاً لبعض معالم التاريخ الإسلامي بأساليب تبدو لغير المتمكن مقبولة ومقنعة، وقد يلقي في ثنايا كلامه عبارات تنطوي على أمور خطيرة دون أن يشعر القارىء بأنه يتعمد ذلك، أو أن له من ورائه مقاصد سيئة.

ففي كلامه عن حياة البادية العربية بعد الإسلام يشير إلى تعاليم الإسلام الجديدة التي منعت ماكان شائعاً في الجاهلية من الغارات والسلب والنهب، ويعقب على ذلك بقوله[2]:

« وإذن فهذا نوع آخر من التضييق أحدثه الإسلام لهؤلاء الناس »، وإذن

---

١ ـــ واضح أنه هنا يرى أن اضطرار أولئك الشباب إلى الانصراف إلى الحياة الفارغة لم يتم إلا بعد هذه الأحداث أي بعد عام ٧٣ هـ، وبناء على رأيه فإن المفروض أن الغزل لم يظهر إلا بعد هذا العام لأنه كان تعبيراً عن تلك الحياة الفارغة. ٢ ـــ حديث الأربعاء ٢٢١/١.

فقد كانت الحياة المادية عند أهل البادية بعد الإسلام شراً مما كانت عليه قبل الرسول »، وهو بهذا يطعن في النظام الإسلامي ويرميه بالفشل في رفع المستوى الاقتصادي لهؤلاء الناس، وفي موضع آخر يطعن في طريقة الصحابة في اختيار الخليفة، فيقول [١]:

« وأجمع المسلمون أو كادوا يجمعون على هذا المذهب الغريب المتناقض الذي يجعل الخلافة وراثية أو غير وراثية، وراثية لأنها في قريش، وغير وراثية لأنهم أبعدوا عنها بني هاشم ».

ويعلق على قبول الأنصار بخلافة أبي بكر رضي الله عنه بقوله [٢]:

« ولم يمض منهم في الإباء والمشادة إلا رجل واحد هو سعد بن عبادة الذي قتلته الجن فيما تزعم الأساطير، والذي قتلته السياسة غيلة في حقيقة الأمر، لأن حياته كانت خطراً على النظام السياسي الجديد ».

وهو بهذا يتهم عمر وكبار الصحابة رضوان الله عليهم بقتله لأنهم هم قادة الدولة وزعماء النظام السياسي.

ويصف المسلمين الأوائل الذين حملوا مبادىء الإسلام بالجهل عندما يوازن بينهم وبين الأمة الفرنسية أيام الثورة الفرنسية، فيقول[٣]:

« على أن تلاحظ الفرق بين الأمة الفرنسية التي كانت متحضرة مترفة عالمة بارعة في الفن حينما أحدثت ثورتها، والأمة العربية التي كانت بادية ساذجة جاهلة خشنة العيش عندما أحدثت ثورتها أيضاً » وهو لايقصد عرب الجاهلية لأن كلامه هذا جاء في سياق الموازنة بين حملة مبادى الثورة الفرنسية وحملة مايسميه بالثورة العربية.

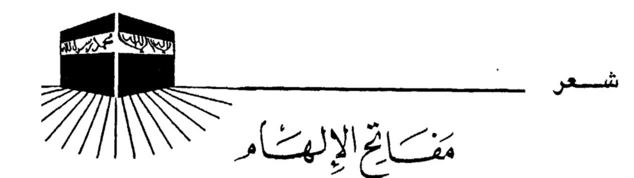
مثل هذه العبارات التي تحمل هذه المضامين الخطيرة ترد في أثناء حديثه في بعض الموضوعات الأدبية على

١ ــ حديث الأربعاء ١/٢٦٢.
٢ ــ المصدر السابق ١/٢٦٢.
٣ ــ المصدر السابق ١/٢٢٣.

أنها أمور مسلمة، مع أنه يعلم أنها تحمل من المعاني مايصطدم مع كثير من الحقائق التي يزعم أنه يبحث عنها، ويحاول الوصول إليها.

أفلا يحق لنا بعد كل ذلك أن نقول إن طه حسين بدعوته إلى جعل كل شيء موضوعاً للبحث والنقد، وعدم التسليم بما تضمنته كتب التراث من أخبار كان يقصد إلى التشكيك في الحقائق، وإحقاق الأباطيل أكثر مما يقصد إلى إبطال الباطل وإحقاق الحق □



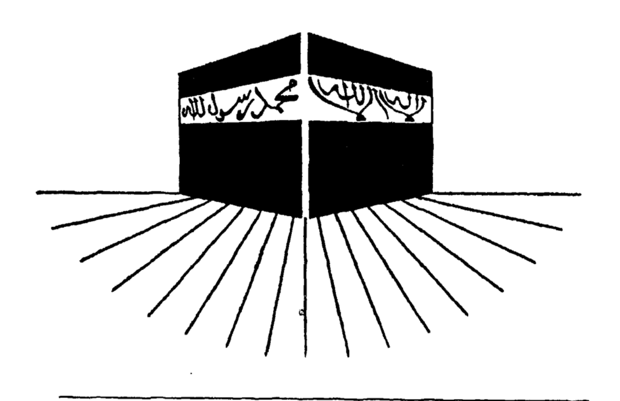


مفاتح الإلهام

عبد الستار الزعبي

قوموا انظروا في هذه الأيام
حجاً يقام على مدى الأعوام
هو شعبةٌ من دينكم مفروضةٌ
جمعت شعوبَ العالم المترامي
الله حدد يومَهُ ومكانَهُ
ودعا إليه مُشَرِّعُ الأحكام
فاستقبل الخَلْقُ الطَهورُ دعاءَهُ
بالحبِّ والتقديسِ والإعظام
خلعوا التباينَ في المظاهرِ بينهم
وتناسقوا بملابسِ الإحرام
الله وحّد جمعهم بأخوة
حلت على الأرواح والأجسام
وتجمعوا وتزاحموا وتلاحموا
مداً وجزراً هاج في القمقام
فكأنهم موج يمد عقيبه
في قوة وتوثُّبِ وضِمام
طافوا طواف العاشقين بكعبة
وقف الجمال ببابها البسّام
طافوا بها سبعاً فطاف جمالها
في الكون حتى خلتها قدامي

فهمـــمتُ بالحجـــر الكريـــم مزاحمـــاً
علِّـــي أفـــوزُ بقُبلـــةِ الأحـــلام
فافهـــم رمـــوزَ الحـــجِّ فهـــي بليغـــةٌ
إن الرمـــوز مفاتـــحُ الإلهـــام
وارقب علوَّهمـــو بمـــروة والصفـــا
يسعـــون سعـــي العسكـــر المقـــدام
فالسعـــي نامـــوسُ العلـــوِّ بديننـــا
والديـــن فينـــا بـــاعثُ الإقـــدام
فـــإذا رأيتَ تخلفـــاً فمـــرده
جهـــلُ الشعـــوب بدينهـــا المتسامـــي



الشاعر خالد البيطار في أشـواقه وأحلامه

عبد الله الطنطاوي

« أشواق وأحلام » هو الديوان الثاني للشاعر الإسلامي الرقيق: خالد البيطار، وكان ديوانه الأول هو « أجل سيأتي الربيع » الذي صدر عن دار عمار في عمان عام ١٩٨٥ وديوانه هذا صدر عن دار البشير في عمان عام ١٩٨٨.

وخلال هذه المدة بين صدور الديوانين، نظم الشاعر قصائد عدة تنتظر أن ترى النور في ديوان جديد يحمل همَّ الشاعر، وهمُّ الشاعر من هموم أمته، يقلقه ويزعجه ويضنيه مايرى من أشكال التخلف والفقر والجهل، ويمضه ذلك الظلم الواقع على شعبه، والقهر الذي يتربص بالأحرار أنى التفت في دنيا العرب والمسلمين، فيأسى على الحال البئيسة التي انتهت إليها مصائر شعوب أمتنا العربية المضطهـدة المعذبة هنا وهناك.

الديوان :

يقع هذا الديوان في ١٢٠ صفحة من القطع المتوسط، ويحتوي على مقدمة وعلى سبع وعشرين قصيدة من رقيق الشعر، توزعت على مساحة زمنية امتدت منذ عام ١٩٦٢ حيث

باكورة شعره (من وحي الإسراء) وألقاها في حفل دار المعلمين، ومن القصائد التي نظمها الشاعر قبل عام ١٩٧٠ قصائد: (قيود الليل)، و (ياشباب) و (طاغوت) وكلها تعبر عن إحساس الشاعر بما يعانيه المسلمون من تسلط الظالمين، ومن تقصير المسلمين في التصدي لظلم الطواغيت وتجبر البغاة المجرمين.. وهكذا تتالت قصائد الديوان حتى عام طبعه ونشره عام ١٩٨٨.

أما المحاور التي انتظمت فيها فمتعددة: فهناك المحور الممجد لأحداث عظام وقعت في تاريخنا الإسلامي (من وحي الإسراء)؛ وهناك المحور السياسي الذي يتحدث عن الواقع الأليم لأبناء شعبنا وشعوب أمتنا التي تلقي الألاقي على أيدي الطواغيت: (قيود الليل، طاغوت.... الخ).

وهناك الشعر الوجداني، ماكان منه في الغزل أو سواه من شوق إلى الديار التي غادرها مرغماً، والحنين إلى الأهل والصحب والتلاميذ والأساتذة والشيوخ الذين كتب عليه فراقهم، وإلى المسجد الذي طالما سعى بين جنباته معلماً ومتعلماً.

شعر المناسبات:

وفي شعر المناسبات هذا، كان الشاعر يهتبل الفرصة ليبث أفكاره وهواتف قلبه للشباب، محرضاً ومحمساً فيقول مثلاً في (من وحي الإسراء):

ياإخوتي في الله طال ركودنا
فإلام نصبر والورى في نار؟
نار يؤججها اللعين بكيده
ويؤزها فتزيد في الإسعار
هيا إلى النصر العزيز وأوصدوا
أبواب كل مهدم جبار
فاستمسكوا بالعروة الوثقى التي
حبكت عراها قدرة الجبار

وفي قصيدة أخرى يراوح الشاعر بين الماضي والحاضر، وإحساس صاعق بالمأساة التي تعانيها أمته التي هاض جناحها طواغيت الأرض، اسمعه وتأمل رمزه لواحد من البغاة:

بسط الليل علينا ظله
وادعى أن له حقاً أصيلا
هو للنور عدو فإذا
مارأى جذوتنا ارتاع ذهولاً
وانبرى يحشد من أجناده
حشد فرعون ويزجيها سيولا

وبعد هذا الرمز الواضح، يقول في جرأة ووضوح:

عادت الأصنام للدنيا فلن
نرتضي عن وجه مولانا بديلا
عادت الظلمة فانظر ليلها
جاثماً لايبتغي عنا رحيلا
عادت العزى وهذا لحنها
في فم الطاغي يغنيه جذولا
عادت اللات وهذا شيخها
عاد مهذاراً وقد مات ذليلا

والحق أن هذه القصيدة من غرر القصائد الحماسية الصريحة الجريئة التي قيلت في عهد ماكان يجرؤ على الكلام فيه سوى الدعاة المجاهدين، ولولا الإطالة في عجالة لاستشهدت بالعديد من الأبيات المقاتلات منها.

شعره السياسي:

وهو من ذلك القبيل الذي تحدثنا عنه فيما أسميناه شعر المناسبات، فيه وصف لواقع الشعب، وتنديد بالقعدة والمخلدين إلى الأرض، اللاهثين وراء الحطام، وفيه تحد للظالمين، ودعوة إلى الثورة بهم لاجتثاث طغيانهم من الجذور، كي لايبقى لهم في الوجود وجود، فإن قصيدة (قيود الليل) تذكرنا بقصيدة أو بأنشودة (ياظلام السجن) التي كان ينشدها الأحرار في سوريا، إبان الانتداب الفرنسي عليها.

وفي (طاغوت) يخاطب إخوانه ويهيب بهم أن يثوروا، بعد أن شرح في إثارة، مافعله الطاغوت بروضه:

ياإخوتي ماذا دهاكم فانهضوا
ليس من أخلاقنا هذي التعلة
نحن من قوم إذا ماشعروا
بحسيس الذل صالوا أي صولة
أعلنوا الحق فأنتم أهله
ولئن كنتم أمام الزحف قلة

ألا ترون؟ إنه خطاب حماسي يؤجج المشاعر، ويذكي العواطف لتصير عواصف تعصف بالظلم والظالمين.

ولن أزيد، فشعره السياسي كله ينهج هذا النهج الثائر على الظلم، الرافض لأي مذلة، الداعي إلى التمرد والنضال، حتى لاتكون فتنة، ويكون الدين كله لله.

شعره الوجداني:

أستطيع — ابتداء — أن أزعم، بأن شاعرنا هذا هو شاعر الغربة

والحنين. إنه يحيا غربة نفسية مدمرة، ويعاني من غربة الجسد عن مراتع الصبا، عن حمص، عن الديار الحبيبة، عن الأهل والصحب، عن المسجد والمنبر، فقد تقطعت الحبال، ولم يعد إلى التواصل من سبيل سوى سبيل الرؤى والأشواق والأحلام التي عبر عنها بأرق المشاعر التي صاحبت كلماته وكانت أرواحها ودماءها، حتى إن قارئه ليعيش في عوالم حالم من الطهر الطهور، بعد أن خلصه اغترابه من كل درن قد يسيء إلى عوالمه الروحانية، وبعد أن أصفاه حنينه ليكون مصطفاه إلى كل مافيه سمو وسموق وشموخ.

لئن طال عن أرضي ابتعادي فإنني
سأبقى وفياً أستعد وأرقب
أحن إلى ساحاتها ودروبها
إلى روضها يزهو عطاءً ويخصب

إنه يحن إلى عصافير حمص في ملاعبها فوق الشجيرات، إلى عاصيها الذي ينساب وسط سهولها في دل، إلى أزهارها ونسائمها، إذا نام زاره طيفها، وإذا سبح بفكره عاودته ذكريات الأيام المواضي، فيطوف بأحياء المدينة التي يعشقها، يزور أخاه ويحدث جاره في حب ولهفة وود، ويمر ببيته ويدلف إليه ويطوف في أرجائه، خصوصيات مؤثرة تذكرنا وتهيج ذكرياتنا وحنينا إلى الربوع والأهل:

ولي منزل آليت ألا أبيعه
وألا أرى غيري له الدهر مالكا

* * *

كم منزل في الأرض يألفه الفتى
وحنينه أبداً لأول منزل

واستمع إلى الشاعر وهو يتحدث في رؤاه عن مسجده، لتعلم أي نمط من الناس هذا الشاعر وإخوانه، هؤلاء الذين تتوزع دنياهم بين مساجدهم وبيوتهم وتلاميذهم، طهر ونقاء يجعلاننا نهتف: ماذا لو خلى الطغاة بين هؤلاء وبين أبناء شعبهم ومساجدهم ومدارسهم وحاراتهم؟ استمع إليه في حديثه الحالم:

وأغلق بيتي ثم أمضي لمسجدي
وقلبي من أشواقه يتوثب
وأدخله والنور يملأ ساحه
ويبدو لي الخط الجميل المذهب
وألمح محرابي وألمح منبري
وأشعر أني فوقه صرت أخطب
لقد عشت فيه العمر إلا أقله
وصار اسمه لي نسبة حين أنسب

لقد كنت آتيه فيفتح صدره
ويبسط كفيه ويحنو ويحدب
وهاأنا من بعد الغياب أزوره
فهل في اشتياقي أو حنيني تعجب؟

ترى أي تعاطف وتمازج مع هذا الجماد الذي بث فيه روحاً من روحه، وقد عشقه وهام فيه حتى أصبح نسباً له؟.

إنه يزوره في المنام، ولسوف يصير المنام حقيقة وواقعاً بإذن الله.

في هذه القصيدة (أشواق وأحلام) التي حمل الديوان اسمها مايلذ ويشوق، مايثير ويهيج، مايحزن ويؤلم، وقد يظن بعض من لايعرف الشاعر أنه قد ضعف ولان، فيأتي الجواب في ختام القصيدة تصميماً على الجهاد، ولن تقف في وجهه المعوقات، ولن تحرفه عن طريقه، إلى أن يحكم الله بيننا بالحق:

وإن حنيني لايفت عزيمتي
ولكنه الحادي يهز ويجذب

لأن الشاعر مؤمن بالله، واثق بنصره، ولذلك فأنت:

لن تراني يائساً مستسلماً
إن ظني بإلهي حسن

لن ييأس الشاعر المؤمن، لأنه لاييأس من روح الله إلا الكافرون والجاحدون، فبرغم المعاناة التي يلقاها ممن حوله يبقى الشاعر مطمئناً في جنب الله، لاتزعزعه الزعازع، استمع إلى أنينه وحرقته على دعوته:

وحولي أناس قساة القلوب
جفاة إذا ضحكوا أفزعوا

ترى أي غربة روحية يحياها شاعرنا، شاعر الغربة والحنين، شاعر الأشواق والأحلام؟

لقد كنت أكتم جرح الفؤاد
وأحسب كتمانه ينفع

ولكن يبدو أنه صبرحتى طفح الكيل ونفد الصبر، فباح بما يعتمل في نفسه من أحزان ولوعة وحنين:

لقد طال بعدي وطال اغترا
بي ومالي من حيلة أدفع
ربا (حمص) ألمحها من بعيـ
ـد فإن الحواجز لاتمنع
مساجدهـا لاأزال أرا
ها كما هي نيرة تسطع
وإني لأسمع صوت الأذا
ن ندياً رخيماً كما يرفع

وفي (أيها العصفور) نجوى وأي نجوى، يبث العصفور آلام نفسه وأحزانها لماذا؟:

لاتسلني، فحديث الصحب عن أهل الشهيد
عن رياض ملئت بالشوك من بعد الورود
عن أسارانا يعانون من البأس الشديد
سلط الباغي عليهم كل شيطان مريد
عن شريدٍ.. آه لو. تعرف ماحال الشريد
لاتسلني أيها العصفور عن سر شرودي

أما قصيدته (ياحادي الركب) فإنها من عيون شعرنا الإسلامي المعاصر، فيها براعة استهلال:

ياحادي الركب هل في القوم يقظان؟
لبى الجماد ومالباك إنسان
لو كان صوتك في الصحراء أعشبها
وصار للصخرات الصم آذان

إنها صوت النذير العريان لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد:

إني لأعرف أرض الشام منجبة
لم يخل يوماً من الأبطال ميدان
واليوم تستنجد الساحات صارخة
فلا ترى أحداً، والبغي عريان

ويختم الشاعر المبدع قصيدته الرائعة هذه ببيان طريق النصر فيقول:

إن استقمنا فإن الله ناصرنا
على الطغاة الأفاعي أينما كانوا
وإن جنحنا فلا فوز ولا فرج
بل اضطراب وآلام وأحزان
ياإخوتي أنتم الأعلون فانطلقوا
وأثبتوا أنكم في الله إخوان

ولا أستطيع في ختام هذه الفقرة إلا أن أشيد بقصيدته (دنيا الطفولة) التي كان فيها رساماً دقيق الملاحظة، ومصوراً متفنناً، وإلا أن أزعم أنها من فرائد الشعر العربي الحديث، رسم فيها خطوات طفلته عائشة وهي في عامها الثالث، كما رسم حركتها والحركة النفسية لأبويها في دقة وروعة وإبداع، وختمها بهذه الخاتمة الجميلة في فكرتها وصياغتها وواقعيتها:

إن أتعبتك الليالي في تقلبها
وضقت نفساً بما تلقاه من نوب
ورحت تطلب دنيا لاخداع بها
بريئة من دواهي المكر والريب
فلن ترى غير دنيا الطفل خالصة
من كل سوء فلم تفسد ولم تَخُب

(دنيا الطفولة) تقف إلى جانب أختيها: (أب) للشاعر عمر بهاء الدين الأميري، وأبيات بدوي

الجبل في (الليل الغريب) عن الطفولة، ولكلٍ مذاقٌ.

الشاعر والغزل:

الأستاذ الشاعر خالد البيطار شاعر مشغول بدعوته، يتحرك لها ويحرك قلمه ولسانه وعواطفه من أجلها، وهو مشغول بأمته، يأسو جراحها، ويفرح لفرحها ويحزن لحزنها، فهل لديه وقت لنفسه وعواطفه؟

والجواب: لاتعارض ﴿ ولاتنس نصيبك من الدنيا ﴾ بعد أن قال الله تعالى: ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ﴾.

والإسلام دين واقعي، ولكنه يسعى دائماً إلى الارتفاع بأتباعه في عملية تصعيد جليل « لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه » فالمسلم يحب نفسه، ولكنه لايقف عند حدود النفس وأنانيتها، وإنما يرتفع إلى هذه الغيرية الواقعية (مايحب لنفسه).

والشاعر في غزله هنا يثبت أنه « الشاعر الملتزم قادر على صوغ عاطفته بعبارات تتناسب مع التزامه ومحافظته على جمال الشعر وسحره ».

ومن هذه القصائد مايصف فيها حاله قبل الزواج، وهو غزل عفيف كما في قصيدة (لاهية) وكنت أتمنى لو أطلق عليها (شموخ) ففيها شموخ الشاب المسلم وعفته:

لكن من عرف الحقيقة وارتضى الإسلام دين
يأبى طريق العابثين وخطة المتبذليـن
ويرى الحياة حقيرة بالعيش في ظل المجون

هذا هو مذهبه في الحياة، لم يحد عنه منذ شبابه الأول وحتى يوم الناس هذا.

وفي (شاعر، وذكريات، وهمسة من قلب، ومعاناة، وغداً، وانتباه) يصف فيها حال العاشقين ومايعانون من تباريح العشق والغرام، ولكنه يبقى ذلك الشاعر الذي يطير بجناحين من تسامٍ وطهر، بعيداً عن تهالك العشاق وتبذل أصحاب الأدب المكشوف.

رمـــز :

وللشاعر قصيدة رمزية، هي غزلية في ظاهرها، ولكنها ترمز إلى شيء آخر في اسم هند، وعنوانها (لاتحسبيه) ويهديها إلى أحد

إخوانه، وقد استهلها بقوله:

لا الظل يشفيه ولا الـورد
فـدواؤه بيـديك ياهنـد
لاتحسبيـه خـان موثقـه
ماضاع يوماً عنده العهـد

وبعد تأكيد عهد المحبة والعشق لهند الرمز، يستطرد فيقول:

لكن أعيذك أن أراك ضحى
بيد العـذول فمالـه وعـد
المكـر ديدنـه ومذهبـه
أتصدقيـن بأنـه عبـد؟
هل تجهلين خداع منطقه
أو مابدا في لحنه القصد؟
أخشى عليك إذا رضيتِ به
رهقاً، فلا صدقٌ ولا ود

والشاعر يختم قصيدته الرائعة هذه بهذين البيتين البديعين:

ياهند لن نرضى سواك ولو
ألقت بكل دلالها دَعْدُ
ياهند أنتِ اليومَ في سَعَةٍ
فتخيري الأحبابَ ياهنـدُ

وفاء :

ومن باب الوفاء الذي عز في هذه الأيام، قصيدة هامسة ناعمة كان شاعرنا قد أهداها إلى أخ له في الله، رأى السهام الغادرة المريشة توجه إليه، والصحب في تهاون عن نصرته، أكثرهم كان يجلس في صالة المتفرجين، فحز ذلك في نفسه، وأرسل إليه يصف حاله:

قد سامه الأصحاب من حوله
ماعجز الأعداء عن سومه
وكل ما قاموا به هيـن
لو قصر الأمر على ظلمه
كان يقضي وقته بينهـم
يعمل، لايسأل عن يومه
يجهد لايسأل عن جهده
يسقم، لايسأل عن سقمه
تمضي الليالي لايرى بيته
ولا يبالي الوهن في جسمه

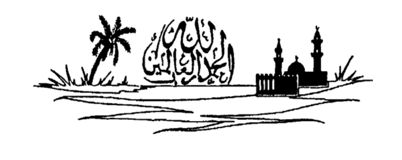
ويختتمها بهذا البيت الذي ينعي الوفاء ويرثيه:

إن الوفـاء اغتالـه أهلـه
لم يبق منه اليوم غير اسمه

الخاتمة :

الأستاذ خالد شاعر إنسان، وإنسان شاعر، في كلماته نعومة، وفي أسلوبه وعباراته رقة، وفي صوره عذوبة، وفي موسيقاه وداعة، وفي معانيه طرافة، كانت تتسلل إلى القلب مغلفة بموسيقا نفسه الهادئة، حتى وهي تضم بين نغماتها ثورة قلب وتمرد روح، لتعبر عن امتلاك صاحبنا ناصية الشعر.

والشاعر ــ فــــي كـــــل ماشعر ــ حيي، والحياء من الإيمان، والحياء سمة من سمات الإنسان السوي، ولهذا كنت تراه يتغزل على استحياء، يخفي في نفسه ما القوافي تصر أن تبديه، بل إنك تراه يتوارى خلف رؤاه وأحلامه التي عبرت عن رومانسية حالمة بغد أفضل، تراها وفي وصفه للزهر، للشمس التي تلملم بقايا غلالاتها المشعة وهي تغادر أرضنا محملة بالأحزان والآلام مما شهدته في دورتها اليومية، تراها في الدموع والآهات والحسرات، في الغيبوبة والشرود والأشواق، فـي نجوى الفؤاد، في الشغف، في اليأس، في الأمل، في الحنين والاكتئاب والاغتراب، في العودة ومنى النفس □



شؤون العالم الإسلامي ومشكلاته

- □ مالم يقل عن هجرة اليهود
- □ فوز الجبهة الإسلامية للإنقاذ
- □ الاستهانة بتاريخ الشعوب
- □ المسلمون في الفلبين
- □ حرب الإبادة ضد المسلمين في ليبيريا



مالم يقل عن هجرة اليهود

إن هجرة اليهود السوفييت إلى فلسطين ـــ كغيرها من الأزمات التي يتعرض لها العرب ـــ تكشف عن الضعف والتخبط الذي يعصف بهم، وتعطي الدليل على فقدان الهدف الواحد، والمنهج السليم الذي تعالج به المشاكل.

إن أي أمة تضل عن الهدف؛ وتفتقد المنهج السليم تصبح غير قادرة على الاستفادة من الماضي، كما تفقد الحساسية التي تنير لها المستقبل، وعندما نذكر الأمة هنا لانعني جميع أفرادها، بل نقصد من بيدهم الريادة واتخاذ القرارات التي يتوقف عليها مصير أمتهم، وإلا فإن الأمة لن تعدم من يتمتع بالفكر السليم والقدرة على استبطان الماضي واستشفاف المستقبل، ولكن هؤلاء إما صامتون أو مفروض عليهم الصمت والانزواء في زوايا الإهمال والنسيان.

عندما أعلن عن فتح الإتحاد السوفييتي أبوابه لهجرة يهوده إلى فلسطين بدا كما لو أن هذا الأمر كان دون مقدمات، وخارجاً عن منطق الأحداث لذلك جاء التعبير عن هذا الأمر في الإعلام العربي مصبوغاً 'بالمفاجأة وعدم التصديق أولاً، وتوجهت التهم إلى أميركا، أوليست هي الرديف الرئيسي للعدو؛ والممول لهم بكل مايحتاج من مال وسلاح وعتاد؟

وتوجيه إصبع الاتهام إلى أميركا لاغبار عليه، فهي التي كانت ومازالت تجعل من قضية اليهود في الاتحاد السوفييتي قضيتها الرئيسية على صعيد العلاقات الخارجية بينها وبين المعسكر الشرقي برمته. ولكن الغرابة تكمن في محاولات رفع المسؤولية عن السوفييت في هذا الأمر الخطير، فكل العالم يعرف أن هذه

الخطوة ـ خطوة السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين ـ اتخذت في مؤتمر مالطة الأخير بين بوش وغورباتشوف، وأنها عبارة عن دفعة على الحساب من أجل دعم الاقتصاد السوفييتي المنهار.

وهذه الكلمة لم نكتبها لتوجيه اللوم إلى أميركا وإلى السوفييت، حيث لانعتقد أن العرب لو استمروا في اللوم والتقريع سوف يجنون شيئاً أو يؤثرون أميركا الصريحة الواضحة للقضايا العربية والإسلامية عامة، وكذلك بعداوة الروس قبل الشيوعية وبعدها لهذه القضايا، والعداوة عداوة، ونتائجها هي نتائجها سواءً كانت صريحة أو مستترة، مفضوحة أو مغلفة، بل إن العداوة الصريحة خطبها أهون من المستترة، والكفر شأنه أيسر من النفاق، وبمقدار تنبه الرجل إلى الخطط المستترة وإبطالها يكون حازماً وحكيماً، ويوصف بالعبقرية والدهاء.

ولكننا ننبه فقط إلى الحجج المهلهلة التي ساقها الإعلام العربي في مواجهة هذا الحدث، هذه الحجج التي هي انعكاس للضعف الذي نعاني منه والفوضى التي تضرب بجذورها في واقعنا على كل مستوى.

لنستعرض بعضاً من هذه الردود القولية والعملية:

* ـ هجرة اليهود نقطة تحول مفاجئة في العلاقات.
* ـ استنكار أن تحل مشاكل اليهود على حساب العرب.
* ـ نوافق على هجرة اليهود على أن يستوطنوا في إسرائيل ولا يستوطنوا في الضفة وغزة.
* ـ نداء من الجامعة العربية لأميركا كي تعدل من الرقم الذي حددته كحد أعلى لما يمكن أن تستقبله من اليهود المهاجرين.
* ـ وفد رسمي يذهب إلى موسكو لبحث قضية الهجرة ومطالبة الروس والأميركان أن يضمنوا عدم توطين المهاجرين في الأراضي المحتلة بعد عام ٦٧، وبأن يسمح الاتحاد السوفييتي لمن يود الرجوع من المهاجرين أن يعود مرة أخرى.
* ـ طالبت بعض الدول العربية المهاجرين اليهود أن يهاجروا إليها لا إلى فلسطين.
* ـ عقد مؤتمر قمة كرد على الهجرة واتخاذ قرارات تاريخية إلى غير ذلك مما قيل في هذه المسألة.

إن الخطأ في هذا يتلخص في النقاط التالية :

* ــ الغفلة التامة عن السياسة الصهيونية وأهدافها الأساسية الاستراتيجية التي لاتتغير ولا تتعدل وهي التوسع المتواصل على حساب العرب.

* ــ الغفلة أو التغافل عن دور كل من أميركا وروسيا في خلق الكيان الصهيوني في دنيا العرب، وأن هاتين القوتين ــ وغيرهما من القوى الكبرى ــ متضامنون متعاونون على حماية إسرائيل من أي خطر يهدد وجودها، وهذا التضامن والتعاون والتعهد موثق بأوضح عبارة، ومؤكد بأقوى المواثيق، لأنهم يعلمون جميعاً أنه كيان اصطناعي ولابد له من ذلك حتى يستمر على قيد الحياة.

* ــ غض النظر عن حقيقة أن السوفييت ــ كأميركا ــ لايعترفون بالعرب كأمة واحدة بينها روابط مشتركة، وأنهم منذ عهد القياصرة وحتى عهد غورباتشوف لايؤمنون بأن لهذه الأمة دوراً تلعبه، بل شأنها كشأن الأقاليم والمناطق الإسلامية في أواسط آسيا إلا موارد للمواد الخام ومصادر يتزاحم عليها الاستعمار ويخلف بعضهم بعضاً عليها.

* ــ اغترار كثير من المسؤولين العرب بما يسمونه الصداقة التي تربطهم بهذه القوى، وكل عاقل يعلم أن هذه الصداقة لا أساس لها فكل صداقة لابد لها من أساس تقوم عليه، فلا دين ولا لغة ولا جنس ولا حضارة تربط بين كل من روسيا وأميركا من جهة وبين الشعوب العربية.

تبقى المصالح المشتركة ! وحتى تكون هذه المصالح أساساً للصداقة فلابد من التكافؤ بين طرفيها، فأين التكافؤ هنا؟ نعم هناك مصالح متبادلة ولكنها مصالح دول استعمارية جشعة متحالفة مع مصالح فئات قليلة جداً مشابهة في جشعها وخراب ذممها للاستعمار لأنها وليدة هذه العقلية التي ذاقت منها شعوب الأرض الأمرين.

* ــ إن بدعة مؤتمرات القمة بدأت منذ مايقارب إعلان قيام إسرائيل على أرض فلسطين العربية المسلمة، وبينما استغرق الإعداد العملي لقيام دولة إسرائيل حوالي خمسين سنة تقريباً فإننا أردنا مواجهة هذا الأمر الجلل بهذه الأفعال الاستعراضية

الجوفاء فكانت النتيجة كارثة ١٩٤٨، وتوالت بعد ذلك الكوارث، وكل كارثة تسبق أو تختم بمؤتمر قمة، خذ مثلاً: قضية تحويل روافد نهر الأردن، كارثة ١٩٦٧، حرق المسجد الأقصى، حرب ١٩٧٣، صلح مصر مع اليهود، الهجرة اليهودية الجديدة، وهكذا دواليك.

لو أن خبيراً في الإحصاء فكر في تأليف كتاب يضمنه إحصائيات عن القرارات الرسمية وغير الرسمية، وبيانات وبرقيات الشجب والاستنكار، والخسائر المادية والزمنية والصحية التي أنفقت في المؤتمرات الحاشدة، ثم أتى بدراسة موثقة عن تكاليف بعض المؤتمرات الرسمية ومايسبقها ويعقبها من استقبالات وتوديعات وسفريات وخدمات فندقية وترويحية، غير ناس تكاليف النشر الصامت والبث الحي في أجهزة الإعلام.. . أقول: لو أن خبيراً فكر في هذا العمل لأخرج للأجيال أثراً قيماً فيه العبرة والدلالة الواضحة على حياة البؤس والضياع التي عاشتها وتعيشها الأجيال العربية في هذا القرن، لعل ذلك يكون منبهاً على عقم هذه الأساليب التي نلجأ إليها، والتي تكلفنا مالو أنفقنا جزءاً منه في الطريق الصحيح لما كان واقعنا على ماهو عليه من الضلال وفقدان الوجهة لأن الله لايهدي من هو مسرف كذاب.

هل نريد مثالاً على مثل هذه البيانات العجيبة في معناها، الغريبة في دلالتها على نوعية شخصيات مصدريها، ومستوى التفكير الذي يتمتعون به؛ ثم جدارتهم بما يتربعون عليه من مناصب؟

الأمين العام لجامعة الدول العربية خير من يمثل هذه النماذج من البيانات: « صرح الشاذلي القليبي الأمين العام للجامعة العربية بأن حقوق الإنسان لليهود السوفييت قد انتهكت بإجبارهم على هذه الهجرة غير الشرعية إلى إسرائيل، ودعا أميركا، والاتحاد السوفيتي ودول المجموعة الأوربية لإيقاف الهجرة ».

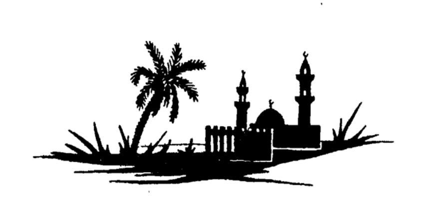
وتصريح آخر يتحسر على المساكين اليهود الذي أغلقت في وجوههم

جميع الأمكنة، ولم يبق لهم إلا إسرائيل يذهبون إليها!

« قال بسام أبو شريف (من أبرز مساعدي عرفات): إن ٥٠ إلى ١٠٠ ألف يهودي سوفييتي يتوقع أن يصلوا هذا العام إلى إسرائيل ليس لهم مكان آخر يذهبون إليه » (١).

إن الشعوب العربية من أقصاها إلى أقصاها مقتنعة بأن هذه الأساليب لاتعيد حقاً مغتصباً، ولا تردع عادياً صائلاً. فلا الرأي العام العالمي ولا هيئة الأمم، ولا مجلس الأمن، ولا أصدقاؤنا الأميركان ولا الروس يمكن أن يستجيبوا لدعوة المظلوم. وحده الله سبحانه وتعالى فقط من يفعل ذلك:

﴿ أمن يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله ؟! قليلاً ماتذكرون ﴾ [النمل / ٦٢] □



١ ــ الغارديان ٣٠ / ١ / ١٩٩٠ .

فوز جبهة الإنقاذ الإسلامية بثقة الشعب الجزائري

في الانتخابات المحلية التي جرت في الجزائر بتاريخ ١٢ / ٦ / ١٩٩٠ أعطت أكثرية الشعب الجزائري صوتها لجبهة الإنقاذ الإسلامية، ونالت أكثر من ٦٠٪ من الانتخابات البلدية و ٧٥٪ من انتخابات الولايات (المحافظات)، وهذه النسبة كانت مطابقة تقريباً لما توقعه القائمون على الجبهة، بينما اعتبرت مفاجئة لمن لايسرهم أن يروا صوت الإسلام مرتفعاً.

نقطة الخلاف بين المسلمين وغيرهم في النظر إلى هذه النتيجة أن المسلمين مطمئنون أنه لاصوت يعلو على الصوت الإسلامي إذا أتيحت له الفرص التي تتاح لغيره، بينما يشك غيرهم أو يتشكك ويثير حول هذه النقطة الغبار.

منذ أن صرح لحزب يتبنى الإسلام منهجاً له في الجزائر والحديث عن ذلك يتصدر الصحف والمجلات؛ أجنبية وعربية، وكلما ظن الإنسان أن عداوة الغربيين للإسلام قد خفت إذا به يكتشف كل يوم أن هذا الظن في غير محله، وأن القوم لايستطيعون ــ بحكم طبيعتهم ــ أن يتقبلوا أي شيء يرتبط بهذا الدين من قريب أو بعيد. وعداوة هؤلاء للإسلام مفهومة، ودوافعها ومحركاتها لاتحتاج إلى شرح وتوضيح، ولكن غير المفهوم وغير المنطقي هو الحملة التي رافقت هذا الأمر في الصحف العربية.

وعلى الرغم من أن هناك اختلافات كثيرة بين الصحافة العربية والأجنبية

في تناولها لكثير من الموضوعات والمشاكل إلا أنه من المستغرب والمثير للعجب هذا التطابق في موقفها من القضايا الإسلامية، وبخاصة قضية قيام تجمع على أساس الإسلام في الجزائر.

ومع أن عهد الاستعمار قد انتهى؛ لكن القارىء لتعليقات الصحف الفرنسية حول الجزائر في هذه الفترة يخيل إليه أنها لاتعلق على موضوع يخص دولة أخرى وشعباً آخر ليس منها وليست منه في شيء؛ بل يخص أساس وجود أمة الفرنسيين ودولة فرنسا ذاتها، بل ويحسب أن استقلال الجزائر كان استقلالاً منقوصاً؛ وأن اتفاقية الاستقلال وانسحاب فرنسا من الجزائر كانت تتضمن بنوداً سرية يلتزم بموجبها للجزائر أن يتولى الحكم فيها لون واحد من البشر هو اللون الذي خلف فرنسا، واحتكر ادعاء التحرير والوطنية وكبت كل صوت آخر وبخاصة الصوت الإسلامي، حتى إذا زكم الفساد الأنوف وتململ الشعب من جراء هذه الأزمة العقائدية والأخلاقية والاقتصادية التي حلت به نتيجة التسلط واللصوصية؛ فثاب إلى عقيدته يستلهمها وإلى دينه يستمد منه عناصر المصابرة والمقاومة؛ إذا بنا نجد فرنسا وكأنها قد حلت بها إهانة ثانية مثل إهانة المذبة[1] وكأنها تتهيأ لغزو الجزائر مرة ثانية!

لكن لا فرنسا اليوم هي فرنسا ١٨٣٠ ولا الشعب الجزائري هو ماكانه عام ١٨٣٠، وهذه الحقيقة البسيطة التي تجهلها فرنسا أو تتجاهلها أصبح يعرفها الشعب الجزائري المسلم، وأصبحت تعرفها جموع المسلمين في كل مكان. وكما كانت ثورة الشعب الجزائري ضد أعتى أنواع الاستعمار وأكثرها وحشية ملهمة لكثير من الشعوب كي تتحرر من عبودية الاستعمار في آسيا وأفريقيا؛ فإننا لنرجو أن يكون اكتساح الخيار الإسلامي لكافة الخيارات الأخرى في الجزائر ملهماً للشعوب الإسلامية الأخرى كي تتحرر من أذناب الاستعمار وأعوانه كما تحررت من جيوشه وأساطيله، ودافعاً لكل مسلم مظلوم أن يرفع صوته معتزاً بدينه نابذاً كل عقيدة ومذهب وفكرة ماعدا الإسلام، وكافراً بكل طاغوت من أي جنس وأي لون □

---

١ ــ وهي الحادثة التي ضرب داي الجزائر سفير فرنسا بمذبة كانت بيده، فاتخذت فرنسا من ذلك عذراً لاحتلالها الجزائر عام ١٨٣٠ .

الاستهانة بتاريخ الشعوب

إنه لأمر يبعث على السرور أن نرى شعباً واحداً فرقته الظروف غير الطبيعية يعود ويلتقي طرفاه وتتحد أرضه وتزال الحدود الوهمية التي رسمها الأعداء من بين أجزائه. هذا ماشعر به كل عربي مخلص وكل مسلم غيور عندما التقى شطرا اليمن وأصبحا دولة واحدة نتمنى أن تكون نموذجاً لكل قطرين متجاورين من أقطارنا التي فرضت عليها التجزئة فرضاً.

نقول هذا على مافي القلب من غصص بسبب الأوضاع الشاذة التي عاشها أحد شطري اليمن في ظل الشيوعية المخربة التي لم تخلف وراءها من الذكر الا أسوأه، ومن الآثار إلا الإحن والعداوات، ومن الفكر إلا فكراً طفولياً فجاً أراد أن يجد له أرضاً يُسْتَنْبَتُ فيها فلم يستطع، فلجأ إلى الحديد والنار وإلى الإرهاب ليقتلع عقيدة الأمة من الصدور، ويفسد العقول والضمائر، وعاش ماعاش فكراً طفيلياً وافداً مدعوماً بالقوى الحمراء التي هي الوجه الآخر للاستعمار، ومإإن ظهرت علائم السقوط على الأصل حتى سقط الفرع تلقائياً، ومإإن انهارت الشيوعية في عقر دارها حتى انهار على أثرها بنوها في كل مكان وكأننا أمام تطبيق عملي مستوحًى من حديث الرسول ﷺ : « ذكاة الجنين ذكاة أمه »، وكل ذي عقل يعرف أن هؤلاء الشيوعيين ليسوا طلاب وحدة ولا يؤمنون بوحدة العرب أساساً، كيف؛ وهم في عنفوان قوتهم حرب على كل مظاهر الوحدة والتضامن لا نقول على أساس الإسلام؛ بل حتى على أساس قومي أو علماني، ولكننا للإنصاف نعترف لهم بالدهاء والقدرة على المناورة وتغيير الخطط، وسرعة التكيف مع الظروف. فحينما أحسوا نبأة قدروا على أثرها أنه واقع بهم ماوقع لجيفكوف وهونيكر و (ستازي)، أو محيط بهم ماأحاط بشاوشيسكو وامرأته؛

داروا دورةِ وقالوا: الوحدة الوحدة؛ فكان أن وجدوا من يجيبهم: لبيكم، لبيكم!

وهم في هذه الدورة التي داروها ــ إن لم ينفعهم الاستظهار بإخوان لهم ــ على الأقل يسلمون برؤوسهم عندما يضيعون في خضم الشعب « ملجأً وذاب »، وهو مطلب غير قليل.

ولتأكيد هذه النتيجة التي وصلناإليها؛ فإنهم لجأوا إلى حرق الملفات بعد إلغاء أجهزة الأمن، فقد « أكد وزير الداخلية في الجمهورية اليمنية أن إغلاق وحرق ملفات السياسيين يأتي امتداداً لإلغاء جهازي الأمن الوطني ووزارة أمن الدولة السابقتين، وبعثاً لصفحة جديدة اقتضتها الظروف الوحدوية التي تمثلت في إعلان الجمهورية اليمنية. وقال: ... إنه بقيام الدولة اليمنية لانريد إثارة أي من قضايا الماضي، ويجب أن تغلق لأننا أبناء اليوم (!) والقيادة السياسية للجمهورية اليمنية واضحة في هذا الجانب، فليس هناك تحفظ على أي شخص، والوطن يتسع للجميع، وهم مدعوون لبنائه » [جريدة القبس الدولي ١٥/٦/١٩٩٠].

هكذا يهال التراب على حقبة سوداء عاشها شعب عربي أصيل ابتلي بهذه الشيوعية الخبيثة، وهكذا تنعدم وتضمحل شهادات وشهادات على مااقترفت أيدي ذلك النظام البائد في جنوب اليمن، فكم احتوت تلك الملفات المحروقة من دلائل وبينات على ولوغ من أعدوها في دماء الأبرياء وأعراضهم، وكم كان فيها من شهادات على المظالم التي ارتكبت ضد الآلاف من الأبرياء.

كان بودنا لو لم تعدم هذه الملفات وبقيت وثائق للتاريخ، إن المظلومين قد يموتون قبل أن ينتصفوا من ظالميهم، وقد ينسون ويصفحون عند المقدرة، وقد تحول بينهم وبين حقوقهم التي أهدرت وكراماتهم التي ديست حوائل فيصبرون ويصمتون راضين بقوله تعالى: ﴿ ولاتحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعي رؤوسهم لايرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء ﴾ [إبراهيم / ٤٢، ٤٣].

إن إحراق هذه الملفات تضييع للحقوق، وتغييب لآثار جرائم مجرمين لاتسقط جرائمهم بالتقادم. وقد يبدو الأمر بسيطاً، ومسوغاته المذكورة كافية،

ولكنه ليس كذلك، فأقل مايقال هنا أن هذا الأمر لاينبغي أن يبت فيه دون عرضه على مجلس شورى مثلاً، أو على استفتاء شعبي.

وهناك حلول أخرى ممكنة غير الحرق والإعدام! ولكن المجرم يعرف نفسه، وهو أدرى الناس بما اقترفت يداه، وهذا هو دأب الشيوعيين وأخدانهم من العلمانيين واللادينيين، استهانة بالإنسان وبأقدس ماقدمه الإنسان، وعدوان على التاريخ بتشويهه وتسخيره لمصلحتهم؛ أو ببتره وغسل صفحاته حتى لايظل ناطقاً بلعنهم وشاهداً على كفرهم وطغيانهم □



المسلمون في الفلبين

كان لايزال القتال الذي اندلع مؤخراً في مديرية ــ بيكيت ــ محافظة كوتا باتو الشمالية بين مجاهدي **جبهة تحرير مورو الإسلامية** وبين القوات المسلحة الفلبينية مستعراً طوال شهر رمضان المبارك بشكل متقطع، حيث قام المجاهدون بتنفيذ ثمان عشرة عملية جهادية فدائية خلال الشهر المعظم حول المديرية المذكورة وضواحيها، وقد أسفرت هذه العمليات الجهادية الفدائية عن مقتل أكثر من ثلاثين جندياً حكومياً، وتدمير ثلاث سيارات عسكرية، وإحراق عدد من خيام القوات المسلحة الفلبينية، كما غنم المجاهدون أربع عشرة قطعة من الأسلحة الأوتوماتيكية الأمريكية الصنع.

وأما العدو فقد انتقموا ــ كعادتهم ــ من المدنيين الأبرياء، وقصفوا القرى الإسلامية المجاورة الآمنة، كما ركزوا قصفهم على مديرية باجالونجان المجاورة، علماً بأن ٩٩٪ من سكان هذه المديرية من المسلمين، لذلك أمطروها بمدافع الهاون، وقد هرع المسلمون إلى مخابئهم بجوار بيوتهم، ورغم كثافة عملية القصف فلم يصب أحد منهم.

مديرية تولونان ــ محافظة كوتاباتو ــ

كان القتال في هذه المديرية وماحولها شبه مستمر خلال الشهر المبارك، وقد سجل المجاهدون في هذه المديرية وضواحيها ثماني عمليات جهادية فدائية، وكان آخرها في ليلة السابع والعشرين، لأن المجاهدين أرادوا إحياء ليلة القدر بالقتال في سبيل الله، وقد تمنى كثير منهم الشهادة أثناء تلك الليلة المباركة، وقد

هرب جنود العدو بعد أن قتل منهم ثلاثة عشر جندياً.

التطورات السياسية

تصر حكومة أكينو على تنفيذ ماأسمته الحكم الذاتي للمسلمين، وقد أجرت مؤخراً انتخابات لمسئوليات مكونة من المحافظ العام ونائبه وعدد من أعضاء مجلس النواب، وتجرى الاتصالات حالياً بين الفائزين في الانتخابات لتكوين وزارة للحكم الذاتي المزعوم.

وسبق أن رفضت جبهة تحرير مورو الإسلامية هذا النوع من الحكم الذاتي وهي مصرة على رفضه وتعتبره جهازاً دعائياً لتضليل الرأي العام المحلي والعالمي.

وقد أعلنت جبهة تحرير مورو الإسلامية رفضها لهذا الإجراء المنفرد من قبل حكومة أكينو، ولن تعترف بما أسمته الحكم الذاتي للمسلمين، كما لاتعترف بحكومة الفلبين في مندناو ونفسها وهي تعتبر السلطات الحكومية في المنطقة سلطات احتلال مثل السلطات الإسرائيلية في فلسطين المحتلة.

وأعلنت جبهة تحرير مورو الإسلامية بقيادة الأستاذ سلامات هاشم أنها ستسعر جهادها في سبيل الله في الميدان وليس في الصحف والإذاعات إلى أن تتحرر أرض مورو من دنس الحكومة العميلة وأن يقوم الحكم الإسلامي في هذه البقعة بإذن الله تعالى، لأن النصارى الظالمين لوثوها بدنس التثليث والكفر والخنازير، والخمور، والبغايا، والمخدرات، والقمار، والسرقة، وغيرها، فما كانت المنطقة تعرف تلك الأشياء لولا استيطان النصارى فيها □

حرب الإبادة ضد المسلمين في ليبيريا

كتب إلينا الأخ ريكو شريف ــ ليبيريا :

يتعرض مسلمو ليبيريا حالياً لمحنة مؤلمة لم تشهد البلاد مثيلاً لها في تاريخها، ففي ٢٤ من ديسمبر ١٩٨٩ شنت قوات متمردة والمتمثلة في قبيلة غييو الوثنية بليبيريا هجوماً مباغتاً على منطقة نيمبا شمال شرق ليبيريا عبر الحدود مع ساحل العاج بدعوى الاطاحة بحكومة الرئيس صموئيل دو. ولكن الغريب هو أنهم وجهوا جل هجومهم ضد المسلمين العزل حيث قتلوا حتى الآن مايزيد على (٢٠٠٠) مسلم منهم أئمة ودعاة ولجأ مالايقل عن (١٥٠٠) شخص إلى ساحل العاج وغينيا (كوناكري) المجاورتين، ولايزال مالايقل عن (١٠٠٠) شخص في حكم المفقودين بينما يوجد أكثر من (١٥٠) ألف شخص متشرد بدون مأوى، هذا بالإضافة إلى قيامهم بدهم المساجد، وتخريب ممتلكات المسلمين، واغتصاب نسائهم مع التمثيل بقتلاهم شر تمثيل.

خلفيات المشكلة : ولها شقان:

الشق الأول : جاء الرئيس صموئيل دو إلى السلطة أثر انقلاب عسكري في ١٢ من إبريل عام ١٩٨٠ قاده مع مجموعة من الشبان العسكريين وكان من بينهم الجنرال توماس كيومبا، الذي اشتهر بشجاعته ومواقفه القوية في انجاح الإنقلاب، وتثبيت النظام الجديد حتى لقب بـ (الرجل القوي). وينتمي كيومبا

إلى قبيلة غيبو الوثنية؛ إحدى القبائل الثلاث الرئيسية القاطنة في منطقة نيمبا، بالإضافة إلى قبيلتي الصادنغو المسلمة، والصانو الوثنية هي الأخرى.

ولكن بمرور الزمن، بدأت الخلافات بين الرئيس دو والجنرال كيومبا حول بعض القضايا، منها تسليم الحكم إلى الشعب كما كان يرى كيومبا وذلك تنفيذاً للوعد الذي أخذوه على أنفسهم بعيد الانقلاب وهي فكرة لم تكن مقبولة لدى الرئيس، وكانت النتيجة الحتمية لهذه الاختلافات تنحية كيومبا عن منصبه كقائد عام للجيش، وعندئذ قرر الفرار من البلاد إلى المنفى، وفي ١٢ من نوفمبر عام ١٩٨٥ تسلل إلى البلاد وقاد انقلاباً انتقامياً ضد الرئيس دو، إلا أنه فشل وقتل على أثره. وقد أدى مقتل كيومبا إلى زيادة حدة التوتر والعداوة بين الرئيس وقبيلتي الغيبو والصانو، فخرج معظمهم إلى المنفى ــ وعلى وجه التحديد إلى ساحل العاج وبوركينا فاسو ــ وذلك لتكوين جبهة معارضة جديدة لمحاربة الرئيس دو. وفعلاً استقبلتهم حكومات تلك الدول وقدمت لهم جميع التسهيلات منها التدريبات العسكرية لسبب واضح هو أن ابنة رئيس ساحل العاج كانت متزوجة من ابن الرئيس الليبيري الراحل وليام تولبت الذي أطاح به الرئيس دو وقتل هو وابنه في الانقلاب. وهذه الأرملة متزوجة الآن من رئيس بوركينا فاسو.

الشق الثاني : ويتعلق بعلاقة المسلمين بهذه المشكلة، فإذا كانت ادعاءات المتمردين فعلاً صحيحة بأن هدفهم هو الإطاحة بالحكومة، فلماذا يقتلون المسلمين الأبرياء العزل الذين ليس لهم أي شأن بأمور السياسة، ألا يعرفون مقر الحكومة أو الحكومتين أو أن المسلمين يحولون دونهم ودون وصولهم إلى الحكومة؟ إن هذه التساؤلات وغيرها قد تدور في خلد أي مسلم غيور ؟؟؟؟ يرى أو يسمع عما يحدث للمسلمين في ليبيريا، ولن يستطيع الوصول إلى أية أجوبة منطقية لها غير جواب واحد ألا وهو الحقد الذي اختلجت به صدور هؤلاء الكفار ضد المسلمين لأنهم ــ أي المسلمين ــ جادون في العمل وبيدهم زمام اقتصاد البلد وتجارتها مما ساعد على جعل مستواهم المعيشي والاجتماعي أفضل من غيرهم في المجتمع.

كما لايمكن التغافل عما قد يكون للقوى التنصيرية العالمية من دور في

هذه المشكلة، فدولة ليبيريا ــ بحكم حريتها الدينية المطلقة ــ تعتبر من أكبر وأنشط معاقل الحركات التنصيرية في أفريقيا، حيث يوجد فيها تقريباً فرع لجميع الكنائس والمؤسسات التنصيرية العالمية المختلفة، وكثيراً ماعبروا عن تخوفهم من سرعة انتشار الإسلام وهيمنته في ليبيريا. حيث يعقدون المؤتمرات والندوات الدورية لمواجهة مايسمونه بالزحف الإسلامي ولكن دون جدوى، ولذا لايستبعد المرء أن يكون لهم يد في هذه المذبحة التي يتعرض لها المسلمون كآخر مؤامرة يلجأون إليها لاستئصال الإسلام والمسلمين من ليبيريا، والقضاء عليهم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

موقف الحكومة :

إن الحقيقة التي لايمكن إنكارها هي أن الحكومة الليبيرية الحالية تتعاطف مع المسلمين إلى درجة عالية لم يسبق لها مثيل في التاريخ السياسي للدولة، ويمكن الاستنتاج بأن هذا التعاطف قد يكون سبباً آخر لما تتعرض له حالياً، وفي هذه الحادثة بالذات بذلت الحكومة كل مافي وسعها وسخرت جل طاقاتها لحماية أرواح المسلمين وممتلكاتهم والقضاء على هذه الفتنة. ومما يجدر ذكره أن حوادث القتل والنهب التي تقع ليس كلها بفعل المتمردين بل كان يشاركهم فيها بعض أفراد جنود الحكومة أيضاً. فعندما يرسلون للدفاع عن المسلمين يتحولون إلى مهاجمين عليهم لأثراء أنفسهم من ممتلكات المسلمين وذلك لكونهم أولاً جنوداً غير مسلمين وثانياً عدم إخلاصهم للحكومة، ولم تدرك الحكومة هذه المؤامرة المزدوجة في بداية الأمر مما زاد الطين بلة.

المنظمات التنصيرية وعمليات الإغاثة المزعومة :

منذ بداية الحادثة بدأت المنظمات التنصيرية تتوافد على غينيا (كوناكري) وساحل العاج لاستغلال ظروف الناس القاسية، لايصال معتقداتهم الباطلة إليهم بحجة الإغاثة، وكما هو معروف تحت ستار الإنسانية، وقد تم مؤخراً نقل مجموعة كبيرة من اللاجئين من غينيا إلى مراكز لأحدى هذه المنظمات في دول أفريقيا بحجة ضيق مأواهم في غينيا، ومن يدري ماذا سينتهي إليه أمر أولئك المساكين؟ □

شؤون سودانية

نشرت جريدة (الشرق الأوسط) بتاريخ ١٩٩٠/٦/٤ مقابلة قصيرة مع الدكتور كمال زكي مصطفى عضو المجلس الاستشاري للجنة السياسية لمجلس الانقاذ الوطني في السودان وسألته الجريدة عن التحرك الجديد لإقامة تنظيم سياسي جديد يستقطب كل أبناء الشعب السوداني على مختلف توجهاتهم الفكرية والسياسية وتباين مشاربهم العرقية والدينية..، وأجاب الدكتور كمال زكي:

« إن التنظيم السياسي الجديد يهدف إلى تحقيق أهداف منها:

ــ تجميع أهل السودان في وعاء واحد وتوحيد إرادتهم.

ــ فتح المشاركة لكل قطاعات الشعب على أن يؤدي العضو قسم الولاء للوطن والتنظيم السياسي.

ــ نبذ أي ارتباطات حزبية أو دينية أو عرقية أو قبلية سابقة.

وأوضح أن المجلس الاستشاري قرر تكوين لجان للطواف على الأقاليم كافة لطرح التصورات والمقترحات حول التنظيم السياسي المرتقب.. ».

تعليق :

إن أبعاد الشعب عن التناحر الحزبي أو القبلي شيء طيب، ولكن أن نعود إلى تطبيق (الحزب الواحد) الذي جربته بعض الدول العربية وثبت فشله الذريع، فهذا شيء يدعو للاستغراب، إنه لو فرضنا استطاع الحزب الواحد ضم شرائح كثيرة من المجتمع فسيبدأ الصراع داخل الحزب للوصول إلى المناصب، أو استغلال الحزب لأغراض شخصية أو مادية..

وإذا كان الشعب السوداني شعب مسيس وقد فرقته الأحزاب، ولا نريد العودة إلى تلك الأجواء فليس الحل بأن تنشأ الدولة حزباً وتشكل اللجان، واللجان الفرعية ونعود إلى الدوامة الشكلية والحزبية.. ولكن الحل أن تستفيد الدولة الآن من كل الطاقات العلمية وتبدأ بالإصلاح الحقيقي وتبدأ بالتعليم بشكل خاص، ثم تأتي المشاركة بشكل طبيعي، تأتي عن طريق الشخصيات التي أثبتت كفاءتها، وعن طريق المخلصين، وفي الدرجة الأولى عن طريق العلماء وأساتذة الجامعات الذين يرون الإسلام هو الحل.

إن بلداً مثل السودان بمشاكلها الكثيرة تحتاج إلى مخلصين نابهين، أصحاب جرأة في القرار، وليس إلى سياسيين انتهازيين.

ثم ما معنى قسم الولاء للوطن ونبذ أي ارتباطات دينية، هذه أساليب قديمة في العمل السياسي والعمل الجاد الإصلاحي هو بداية الطريق □





حكومة كشميرية مؤقتة

قالت مجموعة من المجاهدين الكشميريين تتخذ من باكستان قاعدة لها أنها بصدد تأليف حكومة مؤقتة تمثل الكشميريين الذين يعيشون تحت وطأة الاحتلال الهندي. وقد أعلن رئيس جبهة تحرير كشمير أمان الله خان في مؤتمر صحفي في مدينة مظفر آباد الباكستانية عن أعضاء الحكومة الذين سيبلغ عددهم أربعة وعشرين عضواً، وسيكون من بين هؤلاء ثمانية عشر عضواً من الشطر الذي تحتله الهند من كشمير في حين أن البقية الباقية يمثلون الجزء الذي تسيطر عليه باكستان.

ومن جهة أخرى وعلى الصعيد العسكري فقد اشتدت حدة المعارك هناك ودخلت طوراً جديداً وذلك بعد استخدام الكشميريين للصواريخ لأول مرة منذ اندلاع الصراع، فقد قام المجاهدون بإطلاق عدة صواريخ على مركز تابع للقوات الهندية وأدى القصف إلى مصرع أربعة جنود هنود وجرح عدد كبير .

الجارديان ١٩ / ٦ / ١٩٩٠ ، الإندبندنت ٢٠ / ٦ / ١٩٩٠ م

الأميركان والسوفييت يقتربون من التوصل إلى معاهدة بشأن أفغانستان

قال وزير الخارجية الأمريكي في الأسبوع الثاني من شهر حزيران (يونيو)

أنه لم تعد بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي سوى خلافات صغيرة جداً جداً إزاء الكيفية التي سيتخذها الحل السلمي في أفغانستان. وقال الوزير إن نقطة الخلاف الوحيدة بين الدولتين هي تلك التي تتعلق بمسألة بقاء أو زوال الرئيس نجيب الله من منصبه أثناء الفترة الانتقالية التي ستسبق الانتخابات.

التايمز ١٥ / ٦ / ١٩٩٠ م

مانديلا يؤكد على حق إسرائيل الثابت في الوجود

في أعقاب اللقاء الذي تم بين مجموعة من اليهود الأميركان ونائب رئيس المؤتمر الوطني الأفريقي نيلسون مانديلا يوم ١٠ / ٦ / ١٩٩٠ م لمناقشة موقف الأخير من إسرائيل، صرح الرئيس التنفيذي للمؤتمر اليهودي الأمريكي أن مانديلا شدد على دعم المؤتمر الوطني الأفريقي لحق إسرائيل في العيش ضمن حدود آمنة. ووصف اليهود المشاركين في اللقاء المحادثات بأنها فاقت التوقعات.

هيرالدتربيون ١١ / ٦ / ١٩٩٠ م

ملاحظة : كان ياسر عرفات قد أهدى مانديلا سيفاً مصنوعاً من الذهب الخالص وذلك بمناسبة خروج الأخير من السجن !!

الماء سلاح إسرائيلي جديد لقمع الانتفاضة

بدأت السلطات الإسرائيلية باتباع أسلوب جديد في التعامل مع الانتفاضة لوضع حد لها، وذلك بقطع مياه الشرب عن أهالي بلدة « جفتلك » السفلى وذلك في يوم ١٢ / ٦ / ١٩٩٠ م. ولا تبعد القرية المذكورة سوى مسافة مائة متر عن حدائق ومروج إحدى المستوطنات الإسرائيلية المقامة على أراض عربية مصادرة، والتي تتمتع بكميات وفيرة من مياه الشرب. وفي الوقت الذي ينفي فيه الإسرائيليون استخدام الماء كسلاح؛ فإن كبار السن في القرية أُبلغوا سراً أن إمدادات المياه لن تستأنف قبل الحصول على تعهد من الأهالي بالإقلاع عن رمي الحجارة وإحراق إطارات السيارات على الطريق المؤدية إلى أريحا. ومع ارتفاع درجة حرارة الجو وازدياد الحاجة إلى المياه تضطر النساء والأطفال إلى الذهاب إلى بساتين المستوطنات الإسرائيلية لجلب المياه من هناك، أما كبار السن من الأهالي والمقعدين فإنه لاخيار لهم سوى الاعتماد على المياه المالحة التي تضخ لمدة نصف ساعة في اليوم لأغراض الري. ويقول أحد أهالي القرية: إننا نضطر إلى اقتسام المياه مع ماشيتنا.

ومما يذكر أن قرية « جفتلك » تقع على حافة غور الأردن ذي التربة الخصبة والذي يزود الضفة الغربية بأكثر من نصف احتياجاتها من الفواكه والخضار، وتمارس السلطات الإسرائيلية منذ احتلالها للمنطقة في عام ١٩٦٧ م ضغوطاً على أهالي القرية لترحيلهم عنها .

الأوبزرفر ١٧ / ٦ / ١٩٩٠ م



- □ أطفالنا في رحاب الإسلام
- □ الرضاعة الطبيعية
- □ كيف تقرعين باب الجنة ؟

أطفالنا في رحاب الإسلام

خولة درويش

إن أسرتنا المسلمة صورة مصغرة لمجتمعنا الإسلامي الكبير، وهي اللبنة الأساسية في بناء المجتمع المؤمن.. فيها تعد معاييره ومبادئه ومثله العليا، وفي ظلها يتلقى الأطفال مشاعر الخير، وبذور الإيمان، وكلما نجح الأبوان في أداء هذا الواجب، نجح المجتمع وتمكن من الوصول إلى غاياته وأهدافه.

« ولقد دلت تجارب العلماء على ماللتربية في الأسرة من أثر عميق خطير، يتضاءل دونه أثر أية منظمة اجتماعية أخرى في تعيين الشخصيات وتشكيلها، وخاصة خلال مرحلة الطفولة المبكرة، أي السنوات الخمس أو الست الأولى من حياة الفرد.

وذلك لأسباب عدة منها: أن الطفل في هذه المرحلة لايكون خاضعاً لتأثير جماعة أخرى غير أسرته. ولأنه يكون فيها سهل التأثر سهل التشكل، شديد القابلية للإيحاء والتعليم.. قليل الخبرة، عاجزاً ضعيف الإرادة قليل الحيلة.. وتكون السنوات الأولى من حياة الطفل فترة حاسمة خطيرة في تكوين شخصيته، وتتلخص خطورتها في أن مايغرس في أثنائها من عادات واتجاهات وعواطف ومعتقدات

يصعب أو يستعصي تغييره أو استئصاله فيما بعد، ومن ثم يبقى أثراً ملازماً للفرد في عهد الكبر » (١).

وقبل ذلك بين رسولنا الكريم ﷺ أنه « مامن مولود يولد ألا على الفطرة، فأبواه يهودانه أو يمجسانه » (٢) « هذه الفطرة لو ترك الطفل من غير تأثير لما كان إلا مسلماً، ولكن الحجب قد تحول دونها بالتوجيه للاعتقادات الباطلة »(٣).

يقول ابن القيم رحمه الله: « وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغاراً فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كباراً، كما عاتب بعضهم ولده على العقوق فقال: ياأبت إنك عققتني صغيراً، فعققتك كبيراً، وأضعتني وليداً فأضعتك شيخاً »(٤).

لذا فواجب الأبوين المسلمين، رعاية الفطرة والاجتهاد في تحسين تربية أبنائهما، ولايكفل لهما النجاة يوم الحساب إلا أن يبذلا مافي وسعهما لصلاح رعيتهما، وصيانة الفطرة من الانحراف، « كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته ».

وفي ظل المجتمع المسلم، يعرف كل فرد دوره ورسالته، ويتحمل مسؤوليته متطلعاً إلى ماهو خير وأبقى من الدنيا الفانية، وبالإسلام تعرف المرأة أنها ذات رسالة تؤجر عليها إن أدتها كما يريد الله سبحانه وتعالى. وهي رسالة تتناسب مع تكوينها الفطري. إنها المحضن الدافيء العطوف للأطفال.. فهي أقدر من الرجل على إرواء حاجات الطفل من المحبة والحنان وبقية حاجاته الأساسية، التي لو حرم منها الطفل لعانى الكثير من المصاعب في مستقبل حياته.

« والطفل في سنواته الأولى على الأقل يحتاج إلى أم متخصصة لايشغلها شيء عن رعاية الطفولة وتنشئة الأجيال، وأن كل أمر تقوم به خلافاً لتدبير أمور

---

١ ـــ أصول علم النفس، د. أحمد عزت راجح ص ٤٢٦، والتربية في الإسلام للأهوان، ص ١٣٠.
٢ ـــ متفق عليه.
٣ ـــ الفتاوى لابن تيمية ٢٤٧/٤ .
٤ ـــ تحفة المودود لابن القيم / ١٣٩ .

البيت، ورعاية الأطفال، إنما يتم على حساب هؤلاء الأطفال، وعلى حساب الجيل القادم من البشرية »[1].

أما لوثة انشغال الأمهات، فهي لوثة حديثة، هاجمتنا مع دعاة الغزو الفكري لتهدم بنياننا من الداخل، وتقبلها أتباع كل ناعق.. رغم أن العقلاء عند الأمم الغربية بدأوا يشكون من تمزق الأسرة، وتتوالى صرخاتهم من تلك الديار تشكو انشغال الآباء، وضياع الأبناء.

فماذا حصَّل المجتمع ؟ ماذا لاقى الأطفال ؟ بل ماذا جنت المرأة نفسها؟! لقد تحول كثير من بيوتنا إلى مسخ قاتم بدلاً من أن تكون جنة يتفيأ ظلالها جميع أفرادها. وصارت الكآبة تكلل الجميع، بعد أن أتلف العمل كنز عواطفها وجفف ينابيعه. وأنى يلقى المجتمع العلاقات الإنسانية النبيلة، التي وأدناها يوم أن عملت المرأة، وتركت الأطفال يعيشون في أجواء يفقد فيها الحنان والحب والاستقرار.

فالتعب والكدح، قد أثقل كاهلها واستقطبا وقتها، فحرمها من رحابة الصدر التي تعينها في توجيه أطفالها ومداعبتهم، وأصبحت موزعة العواطف مشتتة الجهود لاتجد وقتاً تخلو فيه لحاجاتها الضرورية، بله الراحة والاستقرار وإذا أكدنا على أهمية المرأة، ذلك لأن الطفل أكثر التصاقاً بها في سنوات العمر الأولى لحاجته الماسة إليها.

إلا أن الأسرة ليست أمومة فحسب، وإنما يكمل كل من الزوجين الآخر ولكل دوره. والمرأة والرجل قطبا الإنسانية ــ كما يقول مالك بن نبي رحمه الله ــ [2] فالرجل بما يوفر لزوجته من سكن نفسي وطمأنينة وتأمين الكسب الذي يكفل لها ولأبنائها الحياة الكريمة لتؤدي مهمتها باطمئنان.

وكلا الزوجين بلغة العصر « الجندي المجهول » الذي يربي الأجيال، أو بالأحرى من الأخفياء الأتقياء، يتعاونان في إعداد شباب المستقبل وأمهاته، رغبة في الأجر واحتساباً لما عند الله بعيداً عن الظهور والمحاراة، وطمعاً بثواب صدقة

١ ــ منهج التربية الإسلامية، الأستاذ محمد قطب ١٠٨/٢ .
٢ ــ شروط النهضة / ١١٦ .

مستمرة تبقى إلى مابعد الموت.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له »(١).

أما وقد أصبحت العادة في بعض البيوت أن تتنازل الأم عن دورها، فتوكل إلى الخادمة أمر أطفالها، اطعاماً ورعاية، بل توجيهاً وتربية، فذلك ضريبة أخرى تدفعها الأسر بدل عمل المرأة، وإن كان الأمر لايخلو من حالات أخرى تسند فيها الأم أعمالها إلى الخادمة، ولعل من أسباب وجود هذه الظاهرة:

١ ــ كسل الأمهات.

٢ ــ التهرب من المسئولية.

٣ ــ التباهي في الرفاه والمظاهر الكاذبة، والأنفة من القيام بواجباتهن الأسرية.

والسبب الأصيل لكل ذلك هو البعد عن التصور الحقيقي للإسلام. وتكون الطامة الكبرى عند استقدام الخادمة ــ الأجنبية الكافرة ــ فهي تنقل عادات قومها وقيمهم إلى أبناء أسرنا بسبب تأثيرها المباشر عليهم.

وأصبح كثير من بيوتنا فيه خلط عجيب من الأخلاق والعادات والتقاليد. والواقع المحسوس يأتي بالمضحكات المبكيات.

إن الرقي الحضاري لايكمن في تأمين الرفاه وتوفير الخدم، وإنما هو نتاج تربية واعية مدروسة، لاتقدر عليها الخادمة، وهي أمية غالباً، وقد تكون على دين يخالف ديننا.

والأب الأناني الذي تخلى عن واجبه الأسري دونما سبب ذي بال إلا أن يلهو مع أقرانه، أو يشتغل بتنمية ماله.. فعهد إلى السائق أو الخادم أن يقوم بدور الأب هو الموجه وهو صاحب السلطان.

وهكذا.. أصبح كثير من الأطفال ــ صانعي المستقبل ــ لا ارتباط حقيقي لهم بدينهم ولا بأسرهم بسبب هذا الوباء الذي عم كثيراً من الآباء والأمهات:

١ ــ أخرجه البخاري في الأدب المفرد، ومسلم في صحيحه (صحيح الجامع الصغير م ١٩٩/١ .

الانهزامية والتهرب من المسئولية.

فياأختي المسلمة: لااعتراض على وجود الخادمة، إن كنت بحاجة إليها، ولا تنسي أن لها مهمتها ولك مهمتك، فلا تتنازلي لها راضية عن عملك أما مربية لأطفالك وهذا أخص خصائصك.. ساعدي ابنك على البر بك.

إن الحنان الذي يرافق اطعامك لطفلك، والبسمة التي تشجعه إذا أصاب والنظرة العاتبة التي ترده إلى جادة الصواب إن أخطأ.. كل ذلك له الأثر الذي لايمحى من ذاكرة الطفل.

وأنت أيها الأب الكريم: ليسع عطفك ابنك، وهذا هو خير عطاء تمنحه إياه، إن دخولك المنزل تحمل الأغراض التي ساعدك بشرائها الخادم، وتقدمها بيديك لزوجتك وأولادك لايعوض عملك هذا ملء البيت ألعاباً وتحفاً وملابس وحلوى يباشر تقديمها لهم الخادم . والله أسأل أن يوفق أسرنا المسلمة إلى التربية البناءة الواعية □



الرَّضَاعَةُ الطَّبِيعِيَّة

إعداد: د. محمد هليّل

إذا كان الحليب هو الغذاء الوحيد للمولود الرضيع، فإن حليب الأم كان المصدر لهذه التغذية، وإذا لم يكن من الأم كان من إحدى الجارات أو القريبات، إذا لم تتمكن الأم من إرضاعه، وكان العرب وقريش خاصة يرسلون أولادهم للبادية يلتمسون المراضع، فالحليب هو المصدر الرئيسي للتغذية سواء كان من الأم أو من امرأة أخرى، ولكن مع غزو حضارة الغرب لنا بكل مافيها، أخذ الكثير من النساء بالتخلي عن هذا الواجب وبخلن على فلذات أكبادهن بحليبهن، واستبدلن حليب البقر المعدل بحليب الأم الطبيعي، دون أن يكون هناك داع طبي.

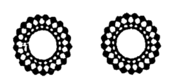
ففي دراسة أجريت على ٣٤٠ امرأة مرضعة في إحدى دول الخليج العربي خلص طبيبان مسلمان إلى نتيجة تقض المضجع، وهي أنه كلما ازداد دخل الأسرة كلما قل إقبال الأم على إرضاع وليدها منها، وأنه كلما ازداد مستوى التعليم للأمهات كلما قلت نسبة إرضاعن لأطفالهن رضاعة طبيعية، إن المرء يتوقع أن يزداد الإقبال على الرضاعة الطبيعية كلما انتشر التعليم بين النساء لا العكس، ولكن

هذه هي إحدى نتائج الحضارة الوافدة على الصغار الرضع.

إن البدائل الأخرى لحليب الأم يجب ألا يلجأ إليها إلا عند وجود ضرورة يحددها الطبيب كإصابة الأم ببعض الأمراض التي تحول دون الرضاعة، أو تناول بعض الأدوية التي تحتم إيقاف الرضاعة، أو عدم اكتفاء الرضيع أو التوأمين بحليب الأم أو غير ذلك، على ألا تستخدم هذه البدائل دون داع طبي كأن تمتنع الأم عن إرضاع طفلها رغبة منها بالمحافظة على رشاقتها! أو لاقتناعها أن إرضاعها طفلها منها هي عادة بالية في عصر التقدم.

في الوقت الذي انساق فيه كثير من الأمهات وراء وسائل الدعاية المختلفة، وخلال تقليدهن الجارف للغرب باستعمال بدائل لحليب الأم، نجد ــ وللإنصاف ــ أن بعضاً من الأمهات مازلن يحرصن أشد الحرص على إرضاع أطفالهن منهن.

ولئن كان نساء الأمم الأخرى يرضعن أطفالهن منهن كعادة موروثة، فإنه بالنسبة للمرأة المسلمة واجب ديني وعبادة تثاب عليها، وصدق الله إذ يقول: ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ﴾ □



كيف تقرعين باب الجنة ؟

نجوى محمد الدمياطي

إلى أختي المسلمة.. إلى من تستلهم في حياتها من التقوى اطاراً ومن العلم قيمة ومن الصلاح عملاً.. أهدي هذه الكلمات لكن تدافع عن إيمانها بالتطبيق، وتظهر اسلامها بالقدوة والعمل، فتفوز في الدنيا والآخرة وتكون لها الحياة الطيبة. قال تعالى: ﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون ﴾.

أختي المسلمة..

تعلمين ياأختاه أن منهاج الله منهاج عبادة، وأن العبادة فيه ذات أسرار، ومن أسرارها أنها مدد للروح وجلاء للقلب، وأنها زاد الطريق.

ولقد عرف الرعيل الأول من المسلمات هذه الحقيقة وأدركن طول السفر فتزوده له بخير الزاد.. « التقوى » .. قال تعالى: ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون ياأولي الألباب ﴾ فالتقوى هي زاد الطريق إلى الله، زاد القلوب والأرواح، والتقوى حساسية في الضمير وخشية مستمرة وحذر دائم، ومايدفع الهوى إلا التقوى ومخافة الله ومراقبته في السر والعلن.

والتقوى هي التي تهيء القلب ليلتقي ويستجيب، قال تعالى: ﴿ ألم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين ﴾..

والتقوى تجعل في القلب فرقاناً يكشف له الحق من الباطل ويبصره بطريق الحق، قال تعالى: ﴿ ياأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم

فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم ﴾.

والتقوى الحقيقية ياأختاه هي تقوى القلوب لاتقوى الجوارح قال تعالى: ﴿ ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴾ وقال عز وجل: ﴿ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ﴾.

ولذلك تكون المسلمة أحرص على إصلاح سرها منها على إصلاح علانيتها، وتخشى الله ولاتخشى الناس.

هذه هي التقوى.. وهي غاية عالية وهدف أسمى؟! هل أدلك على وسيلة من وسائل تلك الغاية؟ إنه الصوم ياأختاه. قال تعالى: ﴿ ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ فالتقوى تستيقظ في القلوب وهي تؤدي عبادة الصوم طاعة لله وإيثاراً لرضاه.

فالصوم يجعل للتقوى القوامة على الجسد وحاجاته، بل يجعل الجسد مطية للروح، فيصفو الفكر ويرهف الحس وتشف النفس.

ولذلك فإن الصوم ياأختاه يخرج فرداً لايقبل أن يبيع دينه ببطنه أو فرجه.. وكلما دعي لعبادة الطواغيت ردد قول يوسف عليه السلام ﴿ رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه ﴾.

أختي الحبيبة:

إن الصوم أسلوب عملي لتربية النفس وتهذيبها وتعبيدها لله رب العالمين، وإمدادها بعون الله لتثبت في دربها الطويل وطريقها الوعر في مواجهة التحديات والمحن.

وذلك لأن الصوم يربى الإرادة، الإرادة التي تصمد للحرمان وتستعلي على الضرورات وتؤثر الطاعـة. فالصوم يربي إرادة « الامتناع » التي هي أصل الإرادة في الإنسان، وقد كانت تجربة « الإرادة » التي خاضها آدم وحواء في الجنة هي تجربة إرادة « الامتناع » قال تعالى: ﴿ وقلنا ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾.

وأوصى رسول الله ﷺ أن تكون إرادة الامتناع إرادة مطلقة فقال ﷺ: « ماأمرتكم به فأتوا منه مااستطعتم،

ومانهيتكم عن شيء فاجتنبوه » فأوجب رسول الله الانتهاء عن المنهي عنه مطلقاً، بينما جعل الأمر بقدر الاستطاعة.

أختي الحبيبة:
لقد أشار رسول الله ﷺ إلى مقام الصائمين الذين استعلوا على أهوائهم وغرائزهم ولجموها بلجام التقوى فقال: « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه. قال: فيشفعان ».

وقال ﷺ: « إن في الجنة باباً يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لايدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد ».

وبين ﷺ أن الصوم يكون حجاباً بين صاحبه وبين النار فقال: « مامن عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً ».

أختي الحبيبة
إن من الأشياء مالاتدركه الكلمات، وليس يكفي أن نقول هذا حلو إذا لم نتذوق طعمه فمن ذاق عرف؟! ومن هذه الأشياء طعم الطاعة لله بالصيام!! فجاهدي نفسك ياأختاه بالصوم فإنه من أهم عوامل تزكية النفس وبلوغها درجة التقوى وقربها إلى باب الجنة □



الكتب البيضاء

في بعض ماينشر من تحقيق لكتب التراث أشياء ملفتة للنظر، تستحق العجب والرثاء، كما تستحق تذكير المؤلفين والناشرين بأن يرحموا القراء وجيوب القراء.

اطلعت في المدة الأخيرة على كتاب محقق في مجلدين، لو حذفت منه الصفحات البيضاء لرجع مجلداً واحداً أو أقل، فالمحقق يصر على وضع حديث واحد في كل صفحة، فربما يستغرق التعليق والتخريج بقية الصفحة أو يأخذ أسطراً قليلة فتبقى الصفحة أكثرها بياضاً، وإذا امتد هامش الصفحة الأولى إلى الثانية فالثانية ستبقى كلها بياضاً ماعدا بقية الهامش.

إنها محاولة لتضخيم حجم الكتاب على حساب القراء المساكين وهناك أمور أخرى تزيد من حجم الكتاب مثل الترجمة للمؤلف ولو كان مشهوراً، وقد ترجم له كثير من قبل، بل ترجم له المحقق في كتب سابقة: كالسيوطي وابن رجب وابن القيم.. بل تجد في كل تحقيق لوريقات من مؤلفات ابن رجب ترجمة له.. ولشيوخه وتلامذته ثم تصوير ثلاث ورقات أو أكثر من المخطوطة ثم فهارس الآيات والأحاديث والشعر.. مع أن كل المخطوطة لايتجاوز وريقات تعد على الأصابع ولا مانع بعد كل ذلك من الترجمة في الهامش لمثل أبي بكر الصديق أو عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أو لمالك والشافعي أو للبخاري ومسلم، والفهارس في النهاية لاتبلغ إلا أربع آيات أو ثلاثة أبيات من الشعر، فالكتاب لايحتمل الفهرسة ولكنه مرض الوراقين، ولمثل هذا أنشد أبو العلاء المعري:

ولما رأيت الجهل في الناس فاشياً
تجاهلت حتى ظن أني جاهل

الرأسمالية البشعة

محمد سليمان

أول ماتفاجأ به وأنت تدلف إلى مطار إحدى المدن الأمريكية ـــ ذلك الاتجاه المادي الرأسمالي الواضح، كل شيء يدل على هذا الاتجاه، في كل خطوة تخطوها يجب أن تدفع، ثم تتأكد هذه الملاحظة عندما تكتشف أكثر فأكثر هذه الرأسمالية (العارية).

إن أوربا الغربية رأسمالية أيضاً ولكنها طبعة مخففة عن أمريكا، ففي الأخيرة تحس بوحش الرأسمالية الذي يطل من خلال التكتلات الكبيرة، المصانع الكبيرة، المنظمات التي تخطط لاستمرار هذا الوضع لصالح الفرد الجشع.

لايوجد مكان للصغار، فلابد أن تحمي نفسك داخل منظ · أو تكتل، اليهود هم الذين عرفوا طبيعة هذه البلاد الجديدة فكان عملهم كله من وراء منظمات قوية، ومعترف بها رسمياً.

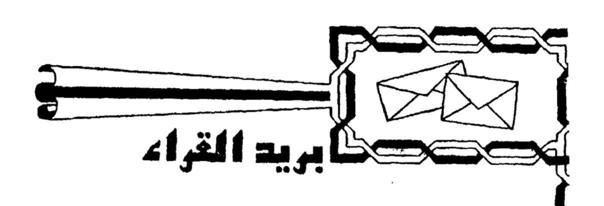
لم تتغير طبيعة الأمريكي الوافد من أوربا والذي يجري لاهثاً وراء الذهب والأرض، وكان الحق مع من غلب، ليس هناك قانون إلا قانون القوة، وهذه تتمثل الآن في الشركات والضغوط الاقتصادية، وتلحظ بعض هذه المظاهر في مدينة شيكاغو، فعندما صعدنا إلى الدور (١٠٣) من أعلى عمارة فيها، ورأينا منظر المدينة حولنا، والتي تكثر فيها العمارات الشاهقة أصابتنا كآبة لهذا الجو المادي الكالح، ألهذا الحد يصاب الإنسان بجنون السباق المحموم في التكالب على الدنيا، تذكرت في هذا السياق كلاماً لابن تيمية يذكر فيه أن المبالغة في إتقان

الدنيا غير مطلوب، لابد من إتقان بعض أمور الدنيا حتى تكون وسيلة للآخرة وحتى يعيش المسلم معززاً مكرماً وليس كما يفعل الغرب في هذا العصر.

ومع اتساع هذا القارة يزداد الضغط على المسلم الذي يعيش في إحدى ولاياتها، ولايتمكن من رؤية إخوة له إلا في فترات متباعدة جداً، وفي داخل الولاية فإن المساجد والمراكز الإسلامية هي التي تقي المسلم شرور هذا المجتمع الرأسمالي، وإلا فإنه سيضيع في خضم هذا الاتساع وهذا التكالب على الدنيا، ومن جهة أخرى فإنه يبدو أن لهذا الاتساع أثر إيجابي على الطلبة المسلمين هناك، فقد رأيتهم أرحب صدراً لقبول الآراء المخالفة، ومناقشتها، إذا ماقورنوا بغيرهم في مناطق أخرى.

إن حجم الدارسين والجالية الإسلامية كبير جداً في تلك البلاد، وماتقوم به الجمعيات والمراكز الإسلامية والمؤتمرات التي تعقد هناك عمل يشكرون عليه ويحمدون، ولكن في قارة مثل هذه لابد من جمع الشتات ولابد من إثبات الوجود أمام التكتلات الكبيرة والمنظمات العريقة □





الأخ زكي بن سعد أبو معطي ــ الرياض

أرسل إلينا رسالة نقتطف منها مايلي:

(لقد سرني من مجلة البيان أن تتخذ من الكتاب والسنة أصولاً لها، من مناهج السلف الصالح طريقاً لها، وفي نفس الوقت تجمع بين القديم والحديث، فالقديم هو مناهج السلف الصالح في التربية والدعوة والبحوث الفقهية، والحديث هو حال الأمة الإسلامية في الوقت الحاضر، وماتمر به من أمور سياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية وغيرها.

والمجلة الإسلامية ينبغي أن توالي وتعادي لحساب الإسلام، وأهل السنة والجماعة، ولايكون ولاؤها وعداؤها للحزب الفلاني أو الجماعة الفلانية، وإني لأشجع (البيان) على منهجها التي ابتعدت فيه عن التحزب، وأحثها على التمسك به وعدم التخلي عنه مهما كانت الظروف.

وإني أقدم بعض المقترحات لعلها تعين على الخير:

١ ــ إيجاد زاوية تناقش فيها قضايا الفكر الإسلامي، لأن الكتب الفكرية فيها الغث والسمين، ولذلك نحن بحاجة إلى تمحيص ماكتب في الفكر الإسلامي وغربلته.

٢ ـــ إيجاد زاوية للصحافة الإسلامية سواء بنقل بعض المواضيع منها أو بالالتقاء بصحفيين لهم خبرة للتحاور في خدمة الصحافة الإسلامية.

٣ ـــ التركيز على الجهاد الإسلامي وأخباره مثل أفغانستان والفلبين وكشمير وأرتيريا.

الأخ أبو بكر هشام ـــ جدة

أرسل إلينا رسالتين فيهما تعليقات واقتراحات نقتطف منهما مايلي:

١ ـــ ورد في العدد (٢٧) في مقال الأخت خولة درويش حديث « بروا آباءكم تبركم أبناءكم » وهو حديث ضعيف كما بين ذلك الشيخ الألباني في ضعيف الجامع الصغير، ص ٣٤٢، رقم ٢٣٢٩، ٢٣٣٠.

٢ ـــ سرني إيرادكم لآية وشرحها، وذكر بعض الأحاديث الصحيحة، وقد كنت أود لو شرحتم هذه الأحاديث بشيء من البساطة.

وفي العدد (٢٨) ذكرتم الأحاديث ولم تخرجوها كي يتسنى للقارىء الاطلاع على شروحها في مظانها فالحديث الأول (حسن) رواه أبو داود، والثاني رواه البخاري تعليقاً (٢٤٦) كتاب الوضوء، ووصله مسلم (٢٢٧١) كتاب الرؤيا.

تنبيه:

أ ـــ في الصحيحة للألباني لم يذكر أن مسلماً روى هذا الحديث.

ب ـــ في صحيح الجامع ذكر أنه متفق عليه ولم يذكر تعليق البخاري له.

والعلماء رحمهم الله على خلاف في شرح الحديث وتفسير الرؤيا، وسأحيل للمراجع لشرح الحديث (٢٤٦) فتح الباري ٤٢٥/١، فيض القدير للمناوي والحديث لم يشرحه الإمام النووي.

٣ ـــ في صفحة (٣٣) من العدد (٢٨) من البيان ذكر المؤلف في الهامش (٢) أن الشيخ الألباني صحح الحديث بهذه الرواية وفي هذا نظر فإن الشيخ

الألباني أورده في صحيح الجامع بدون ذكر (لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين) فهذه الزيادة ضعيفة. انظر (المشكاة) ٥٠٧٤/٣ وانظر رأي الشيخ الألباني الأخير في هذه الزيادة في صحيح الترمذي ٣٠٧/٢.

٤ ــ أقترح مايلي :

ــ آية وتفسير .

ــ حديث وشرح .

ــ فتح باب الفتاوى .

ــ تلخيص كتاب .

ــ أخبار خفيفة عن البلاد الإسلامية .

ونحن إذ نشكر الأخ على ملاحظاته الطيبة نقول:

إن ورود حديث ضعيف في ثنايا المجلة لايناقض التزامنا بأن لانورد إلا الصحيح. فهذا التعهد والالتزام منا مشروط بالقدرة، ولا ندعي الإحاطة بهذا العلم الشريف، وحرصنا على عدم إيراد الحديث الضعيف لايقل عن حرصهم، وشكراً لهم على كل حال، وكذلك وردت رسائل أخرى حول المعنى نفسه.

الأخ شريف شديد ــ بوناي (الهند)

أرسل يقترح على المجلة أن تكتب في الموضوع التالي: (متى يؤاخذ الإنسان بجهله، ومتى لايؤاخذ؟ أي متى يكون الجهل عذراً ومتى لايكون).

المجلة : هذا موضوع طال فيه الجدل في هذا العصر، ونود من الذين عندهم القدرة على الكتابة في مثل هذا الموضوع أن يكتبوا بعلم وأن لايقعوا تحت ضغط الواقع وتحت ضغط الردود على من كتب فيه .

الأخ عبد الرحمن المنيع ـ البدائع (القصيم)

أرسل إلينا يبدي بعض الملاحظات :

١ ـ منهج المجلة منهج (وقور) ولا يتناسب مع بعض الموضوعات عن الصحة والرياضة.

٢ ـ انقطاع البحوث المسلسلة مثل (التجديد في الإسلام) (أخلاق العرب)..

٣ ـ في مقال الأخ يحيى رسام دعوة لتشجيع المواهب الشابة في الشعر والنثر والقصة، فلماذا لا تبادر مجلتنا في فتح باب المشاركة لمحاولات الشباب وتشجيعها ونقدها.

المجلة :

١ ـ في النية فتح باب جديد للأسرة المسلمة وأظن أن مواضيع الصحة وغيرها مناسب لهذا الركن ومنهج المجلة أنها جامعة.

٢ ـ بعض البحوث تنقطع لأسباب خارجة عن إرادتنا وأما موضوع أخلاق العرب فهو ليس مسلسل.

٣ ـ نشجع الأقلام الشابة وننشر لها ولكن بشرط أن يتوفر الحد الأدنى من شروط الكتابة، وعلى الشباب الإكثار من القراءة وإذا كتب فليعرضه على من يرى فيه القدرة على النقد قبل إرسالة إلى المجلة، أو أي دورية ثقافية.

الأخ : مرزوق بن محمد النفيعي

وصلت مشاركتك وسننشر قسماً كبير منها إن شاء الله في (واحة البيان).

الأخ : م . ج . م مكة المكرمة ـ السعودية

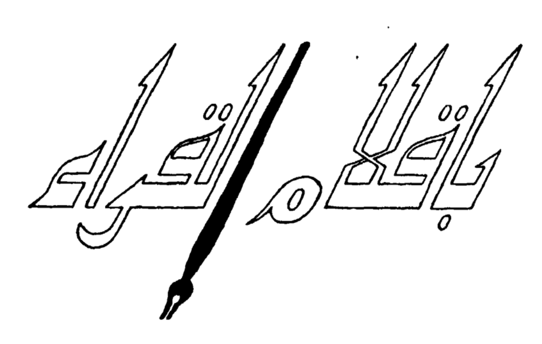
أرسل يقترح مراجعة نقدية لكتاب (دليل مكتبة الأسرة المسلمة) لمؤلفه د .

عبد الحميد أبو سليمان على غرار ماكتبه الأخ عبد العزيز آل عبد اللطيف عن (الموسوعة الميسرة).

الأخ : مهند السالمي ـــ جدة

نعتذر عن التأخير في الرد، وأما اقتراحك عن (الإعلام الإسلامي، المسرح، الأدب...) فنحن مهتمون كما ترى بالأدب كوسيلة من وسائل الدعوة، والباب مفتوح لمن عنده القدرة على الكتابة في المسرح وفي القصة..

أما بالنسبة للقصة التي أرسلتها (لم يبق لي عذر) فنعتذر عن نشرها لأننا نريد أن يكون المغزى واضحاً ومحدداً ويستفيد منه القراء، وأن يكون الأسلوب أكثر إشراقاً، وأن لاتخلو القصة من مفارقة أو عناصر تجذب القارىء، ونحن نرحب بكل التجارب الناضجة أو مايقاربها مما يشجع الشباب على الإنتاج .



الذين ينصبون أنفسهم مدافعين عن الدين

كثير هم.. أولئك الذين يجنون على الإسلام، وعلى الأمة الإسلامية مع أن بعضهم يبدو عليه معالم الالتزام في كثير من مناحي سلوكه.

إنهم أولئك الذين يعرضون الإسلام على عقولهم.. فإذا وافقها قبلوه، وإذا خالفها رفضوه، وقاصمة ظهر الأمة أن يتزعم هؤلاء دعوة أو يلبسوا لباس أهل التقوى فيُحلوا ويُحرموا فيَهلكوا ويُهْلِكوا.

إن الأمة الإسلامية قد أكرمها الله بأن جعل لها نصاً ثابتاً حفظه من التحريف والضياع، وجعل لها حكمة قرنها بالقرآن وجعلها مبينة له وهي السنة التي جاءت على لسان النبي ﷺ، إلا أن السنة لم تدون في عصره ﷺ لحكمة أرادها الله، فاعتمدت على الرواية، وكان الناس يقبلونها يوم أن كان يؤمن الكذب على رسول الله ﷺ، فلما أندس بين المسلمين من أعدائهم من تشبه بسمتهم وأظهر هديهم، وفي قلبه مرض الكيد للإسلام بدأ الاعتناء بالسند.

فهذه الأمة على ماأكرمت من حفظ لكتاب الله، أكرمت بالسند الذي من خلاله يميز الطيب من الخبيث مما يدور على الألسنة وتسطره الكتب من سابق العصور ولاحقها، ومن ثم ابتليت الأمة بقوم اغتروا بعقولهم، وأحسنوا الظن بها

فنبذوا الأسانيد التي أكرم الله الأمة بها، فليت شعري أنترك حديث رسول الله ﷺ لأنه لم يبلغ عقل هذا أو ذاك، إنا أذاً خاسرون، نخسر مكرمة أكرمنا الله بها دون غيرنا، فما قيمة الأسانيد، وماقيمة كتب الرجال التي أضاع العلماء فيها أعمارهم، وإلا لو حكمنا العقول لأتى من بعدنا من يغير ويبدل حسب عقله حتى يندرس العلم ويضيع الفهم الصحيح النقي.

فيامن يسخرون من حديث صح سنده وكان كالشمس في رابعة النهار لأنه خالف عقولكم ويبرؤون الدين منه ونصبوا أنفسهم حماة ومدافعين اتقوا الله، اتقوا الله أن تخاصموا رسول الهدى ﷺ، ويامن يقلد هؤلاء ويسير على نهجهم اتقوا الله فالدين ليس بالعقول القاصرة فالعقل الصحيح لايعارض النص الصريح.

أم عمار ــ اسكتلندا

أمر خطير

إن من نعم الله على المسلم أن يوفقه لاتباع المنهج الصحيح، فيجب عليه ألا يقع في المزالق الخطرة، حدثت واقعة أثّرت في نفسي ودبّ الضعف إليها، حصل بين بعض الدعاة اختلاف في وجهات النظر، فتطاول أحدهم على صاحبه، وتكلم عليه في غيبته، لقد تناسى أصحاب هذا الخلاف أن يلتمس بعضهم لبعض العذر مادام يعلم من أخيه الجد والاجتهاد في الدعوة وأن الصغار إذا رأوا ذلك في الكبار فسوف تحدث له شكوك في أصحاب هذا المنهج، وربما يضعف دينه.

فهل لنا أن نعي خطورة هذا الأمر واختلاف وجهات النظر لايؤدي إلى هذه التصرفات.

عبد الله حجراف

صفحة إعلانية

دورة العلوم الشرعية

سيقام بإذن الله في مقر المنتدى الإسلامي في لندن بتاريخ ١ محرم / ١٤١١ ، ٢٣ / ٧ / ١٩٩٠ الدورة الثالثة للعلوم الشرعية والتي يشارك فيها عدد من الأساتذة المتخصصين، ويحضرها من يرغب بالتزود من العلم الشرعي ممن لم يتم لهم تلقي ذلك في المدارس لظروفهم الصعبة في ديار الغربة وقد كانت الدورتان السابقتان محل إعجاب ممن حضروها ونرجو لهذه الدورة أن تكون كذلك .

□ □ □

رجـــاء

نرجو ممن يساهم معنا في الكتابة في مجلة البيان إذا تضمنت مقالاتهم أو فقراتهم أحاديث نبوية أن تكون مخرجة تخريجاً يبين درجة الحديث صحة أو ضعفاً. حرصاً على الالتزام بخط المجلة الذي انتهجته بأن لاتستشهد إلا بما ثبت عن الرسول ﷺ .

حجة ساقطة

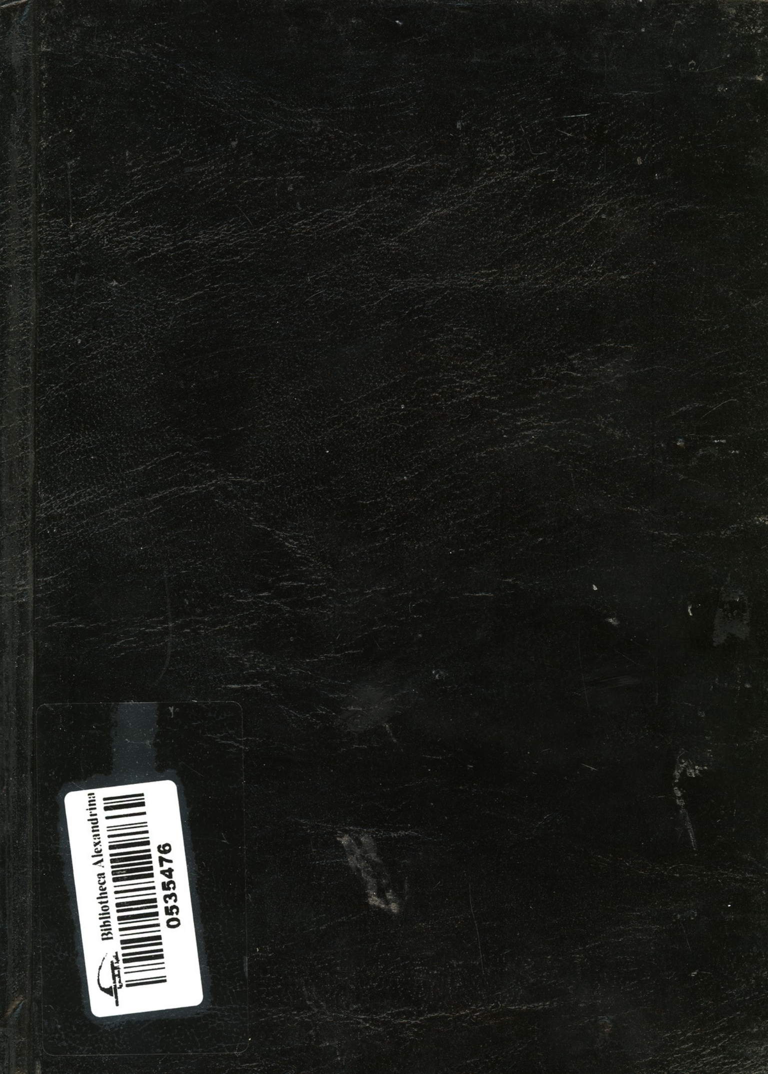
عبد القادر حامد

من يتابع تصريحات دعاة « السلام » الذليل والهزيل مع اليهود؛ واللاهثين وراءه بكل قواهم؛ يصيبه العجب العجاب من الحجج التي يسوقونها ليعطف عليهم اليهود وأشياعهم فيقبلوا مجرد بحث هذا الموضوع. ومن هذه الحجج الرخيصة والساقطة أنهم يحاولون إقناع خصومهم بأنهم هم الطرف الوحيد المعتدل العاقل الذي يمكن التفاهم معه، بل وتبلغ بهم الصفاقة أن يلوحوا بأن التعامل مع اليهود من أجل كبح من يسمونهم « المتطرفين » وهذه دعوة صريحة للتعاون مع العدو ضد بني جلدتهم!

وهذ الموقف ينطوي على قصر نظر، ويحمل سوء قصد وخبث هدف. وفيه من الخسة والانحطاط الخلقي ــ الذي هو صفة من صفات المنافقين ــ مايدعو إلى فضحه والتحذير منه بكل وسيلة.

أما قصر النظر فهو ظنهم أن العدو يمكن أن يثق بهم، ويتخلى عن شيء من خططه التوسعية ومطامعه وأهدافه في العمل الدؤوب على إضعاف كل عناصر المقاومة عند العرب، ومقارنتهم « المتطرفين المسلمين بالمتطرفين الصهاينة ».

وأما سوء القصد وخبث الهدف فهو سعيهم الحثيث للصلح مع العدو؛ ومحاولتهم المستميتة لتجميل صورهم القبيحة في نظر العدو، بينما لايبذلون مثل هذا الجهد لإظهار حسن النية مع أبناء أوطانهم ممن يخالفونهم الرأي؛ بل يحرصون على احتكار الأعمال الوطنية ويدعونها لأنفسهم، ويجردون الكثيرين من بني أوطانهم من كل الحقوق والامتيازات؛ إلا حق التعرض لبطش العدو وجبروته، وتجاهل المفترض أن يكون صديقاً وتجامله وتشويهه.


Bibliotheca Alexandrina
0535476